

رَبِّنَا الْأَنْبِيَاءِ مِنْ آدَمَ إِلَى مُحَمَّدٍ

السَّيِّدِ عَادِلِ الْعَالَمِينَ

للإمام الأمام ع

أَخْلَاقُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تربية الأسرة

حقيقة الأدب

أدب الأولاد

البيضة الإنسانية

علم الأخلاق

دروس في الأخلاق

كلمة التقوى





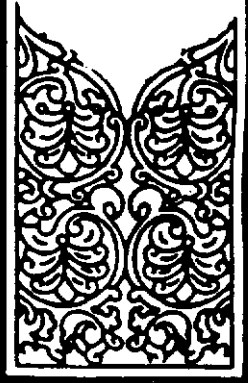
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
مَجْلَدُ الْفَائِزِ عَشْرًا  
تَرْجُومَةُ  
عَنْ مَجْلَدِ الْفَائِزِ عَشْرًا

# سَيِّدَاتِ الْعَالَمِيَّةِ

السَّيِّدَاتِ الْعَالَمِيَّةِ الْعُلُوِّيَّةِ

لِلْمَجْلَدِ الْفَائِزِ عَشْرًا

أَخْلَقَ



## هوية الكتاب

الكتاب :	رسالات إسلامية ( موسوعة )
المؤلف :	السيد عادل العلوي
المجلد :	الثالث عشر
الموضوع :	أخلاق
الصفحات :	٦٤٢ صفحة
المطبعة :	النهضة - قم
الطبعة :	الأولى
سنة الطبع :	١٤٢٣ هـ = ١٣٨١ هـ = ٢٠٠٢ م
نشر :	المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد
السعر :	٢٥٠٠ تومان
الشابك :	شابك X - ١٨ - ٥٩١٥ - ٩٦٤ (دورة ١٠٠ جلد)

يحتوي المجلد الثالث عشر على الرسائل والكتب التالية :

- ١ - تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة ( ٣٦٦ صفحة )
  - ٢ - حقيقة الأدب على ضوء المذهب ( ٤٠ صفحة )
  - ٣ - قيس من أدب الأولاد ( ٣٢ صفحة )
  - ٤ - اليقظة الإنسانية في المفاهيم الإسلامية ( ١٦ صفحة )
  - ٥ - محاضرات في علم الأخلاق ( القسم الأول ) ( ١٢ صفحة )
  - ٦ - دروس في الأخلاق ( ١٢٠ صفحة )
  - ٧ - كلمة التقوى في القرآن الكريم ( ٤٠ صفحة )
- إضافات الناشر ( ١٦ صفحة )

تَرْبِيَةُ الْبَشَرَةِ

عَلَى ضَوْءِ

الْقُرْآنِ وَالْعُرَّةِ

السَّيِّدِ عَمْرٍو الْعَلَوِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



العلوي، عادل، ١٩٥٥ -

تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة / تأليف السيد عادل العلوي. - قم: المؤسسة الإسلامية العامة  
للتبليغ والإرشاد، ١٤٢١ ق. = ١٣٧٩.  
٣٦٦ ص. - (موسوعة رسائل إسلامية)

ISBN 964 - 5915 - 19 - 8

فهرستونویسی بر اساس اطلاعات فیما.

عربی.

کتابنامه: ص. [ ٣٤٩ ] - ٣٥٢: همچنین به صورت زیرنویس.

١. زناشویی (اسلام). ٢. اسلام و خانواده. ٣. زناشویی (اسلام) - احادیث. ٤. زناشویی (اسلام) -

جنبه های قرآنی. الف. عنوان.

٢٩٧ / ٤٨٣١

٤٨٦ ع / ١٧ / ٢٣٠ BP

٢٢٠٣٠ - ٢٩ م

کتابخانه ملی ایران

## موسوعة

## رسالات إسلامية

کتاب

تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة  
تأليف - السيد عادل العلوي

نشر - المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد

إيران، قم، ص. ب ٣٦٣٤

الطبعة الأولى - ١٤٢٣ هجري قمري

التنضيد والإخراج الكومبيوترى - حكمت، قم

المطبعة - النهضة، قم

ISBN 964 - 5915 - 19 - 8

EAN 9789645915191

964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

شابك ٨ - ١٩ - ٥٩١٥ - ٩٦٤

ای. ای. ان. ٩٧٨٩٦٤٥٩١٥١٩١

شابك X - ١٨ - ٥٩١٥ - ١٩٦٤ (دوره ١٠٠ جلد)

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة على أشرف خلق الله محمد وآله الطاهرين .

أما بعد .

فإنه يسرّ الحسينية النجفية المباركة في مدينة قم المقدّسة ، أن تضع بين يدي القراء الأعزّاء هذا الكتاب القيم والسفر المفيد الموسوم بـ ( تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة ) وهو عبارة عن محاضرات إسلامية ألقاها سماحة الأستاذ الفقيه العلامة السيّد عادل العلوي (دامت إفاضاته) على جمع غفير بل حاشد من المؤمنين طيلة ليالي شهر رمضان المبارك (سنة ١٤٢٠ هـ) حيث تناول فيها أهمّ المواضيع التي تخصّ الأسرة المسلمة ، حيث أشبعها بدراسةٍ خبيرة وأدلةٍ منيرة من القرآن الكريم والسنة المطهّرة .

يعالج هذا الكتاب الكثير من المشاكل التي تواجه الأسرة ، فيطرح الحلول الوقائية والعلاجية وينظر لتأسيس أسرة مسلمة

تترفرف فوقها أجنحة السعادة والمحبة والمودة والكمال. وبما أن الأسرة مؤلفة من أعضاء فلا بد لكي تكون أسرة سعيدة متحابّة، لا بدّ أن يقوم كلّ عضوٍ من أعضائها بدوره العامّ والخاصّ، ويتفانى في أداء ما عليه من واجبات وحقوق، فالزوجة عليها واجبات كما ولها واجبات على الزوج والأبناء، والزوج له واجبات وحقّ على الزوجة والأبناء، والأبناء بدورهم لهم حقّ على الوالدين، فلا بدّ لهذا المجتمع المصغّر أن يعي تماماً ما له وما عليه، لكي يؤدّي ما عليه، ويطلب إن أحبّ بما له، وإلا فلن يكون هذا المجتمع الصغير إلاّ جحيماً لا يطاق وناراً لا تتحمّل.

المحاضر الكاتب وبما أوتي من سعة اضطلاع وعمق، أتقن العرض، وأجاد في التوظيف، وأحسن في الاستنتاج، لذلك جاء كتابه الرائع موسوعة اجتماعية أُسرّية تستحقّ الاهتمام وتستأهل القراءة من أجل التطبيق ليسير الجميع على جادة السعادة الزوجية والأُسرية. والقارئ الواعي يدرك تماماً أنّ كلّ فصل من فصول هذا الكتاب يمكن أن يكون كتاباً مستقلاً، لأنّ المؤلّف حفظه الله تعالى أراد أن يطرح مشروعاً عاماً مجملاً، ولو أراد التفصيل لكانت الفائدة أعمّ والثمرة أينع، لكنّه ارتأى رعايةً لقارئ هذه الأيام أن يجعل، مرجئاً التفصيل إلى فرصة تسنح، وظرف يسمح، أو إلى آخرين ينهضون بهذا العبء، ويقومون بهذه الوظيفة القيام الأتمّ.

إنّ المتابع لما يطرح من نتاجات فكرية واجتماعية في هذه

الآونة يجد أنّ الإسلام يطرح - دون الفقه والأصول - بأقلام شابة  
فتية غضة التجربة ليثة المراس؛ وذلك لأنّ الفقه والأصول شغل  
الألباب وشدّ العقول فما عادت تأبه بشيء سوى ما يصبّ في مجال  
التخصّص الحوزوي المتكوّر بهاتين المادّتين الرئيستين،  
ولو أعطت هذه الأقلام العملاقة شيئاً من مدادها للدراسات  
الاجتماعية لأغنت مكتبتنا الإسلامية بالمجتمع المفيد.

وما الكاتب إلّا من هذه الأقلام الخيرة الكفوءة أسلوباً  
ومضموناً في طرح الإسلام بطريقة وبمعرفة تشدّان إليه وتحبّانه إلى  
الناس. فهو من المجتهدين الأعلام الذين يمارسون عملية  
الاستنباط الفقهي بجدارة وكفاءة لا تنكر.

أجل، لقد أولى الإسلام موضوع الأسرة اهتماماً ملحوظاً  
بما سنّه من قوانين وإرشادات كفيلة بتكوين الأسرة النموذجية التي  
تكون المهدّ الأوّل للفرد حيث يترعرع في ظلالها الهانئة، وينعم في  
أحضانها الدافئة وينهل من نعيم تربيتهما الخلق الكريم، فإذا به فرداً  
صالحاً يساهم بوجوده وسلوكه في بناء مجتمع صالح واع يسوده  
العدل والحرّية، يتسابق فيه الناس للخيرات، يقدر الواحد منهم  
المصلحة العامّة، ويحرص عليها ويصونها ويقدمها على مصالحه  
الشخصية.

ما أحوجنا في هذا العصر الذي أفرز الكثير من المشاكل إلى  
مثل هذه الدراسات، لأنّ العصر كلّما ازداد تعقيداً ومشاكل فإنّه يؤثّر



على ساكنيه، والمشاكل المعقّدة تحتاج إلى خبرةٍ وحَذقٍ،  
والآ فخرية القرن الماضي غير نافعة في معالجة مشاكل هذا القرن،  
لأنّ الخبرة تلك أبسطُ من تعقيد مشاكل هذا القرن، فهي قد تكون  
عاجزة تماماً عن فعل شيءٍ تجاه هذه المشاكل التي يغصّ بها يومنا  
هذا، ولا حلّ لها إلاّ الإسلام المطروح بفهمٍ واعٍ ولغةٍ قريبة للأفهام.  
لذلك فإنّ إدارة الحسينية النجفية تتقدّم بالشكر الجزيل إلى  
سماحة الحجّة الأستاذ الفقيه السيّد عادل العلوي حفظه الله تعالى  
على ما تفضّل به من محاضرةٍ وكتابةٍ يريد بها وجه الله والإصلاح  
في أمة جدّه رسول الله ﷺ وأبيه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وتتمنى  
أن يكون هذا العمل موقفاً في خدمة المؤمنين إنّه هو السميع  
المجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

هيئة الأمانة

الإهداء :

إلى أسرتي الأعزّاء .  
شريكة الحياة زوجتي المخلصة الوفيّة .  
قرّة عيني وثمرات فؤادي أولادي الكرام .  
أقدّم إليكم هذا الكتاب مع جزيل شكري لمساهمتمكم وإيّاي في تطبيقه  
في حياتنا العائليّة فسعدنا جميعاً، والله الحمد أوّلاً وآخراً، وصلى الله على  
محمّد وآله الطاهرين .

المخلص  
عادل العلوي

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى في محكم كتابه الكريم :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا

لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً

إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

(الروم : ٢١)

الكافي بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

« قول الرجل للمرأة : إني أحبك ،

لا يذهب من قلبها أبداً . »

(الوافي ١٢ : ٧٧٢)

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المقدمة

الحمد لله رب العالمين، بارئ الخلائق أجمعين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيد العالمين، محمد الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين.

عندما تفتح المذياع أو التلفاز لتسمع الأخبار اليومية المحلية والعالمية، وتشاهد الأحداث التي تقع في العالم، تنبهر عندما تفرع سمعك أخبار الحروب والصراعات الفكرية والسياسية والعسكرية - بالأسلحة المدمرة والفتاكة - والإقليمية والقبائلية في كل أقطار العالم، فهنا نزاعات محلية، وهناك صراعات حزبية، وهنا في البرلمان «الديمقراطي» تشاهد النواب يتضاربون فيما بينهم بالكلمات بل باللكمات والصفعات، وهناك القبائل المتناحرة والعوائل المتفسخة والأسر المشتتة، وتسمع عن الضحايا وقتل الأبرياء وسفك الدماء ونهب الثروات وغير ذلك، مما يجعلك تغلق الراديو والتلفزيون، فإنك لا تتحمل سماع المزيد، إلا أنك تجد نفسك مرة أخرى محاطاً بمشاكل الحياة الاقتصادية والسياسية والثقافية، مما يزيد في الطين بلّة، كمشاكل الأسرة، فلا تفاهم بين الأزواج، ولا احترام متبادل بين أعضاء العائلة، التقذ الهدام يسري في عروق هيكل

١٠ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعنزة

الأسرة، لا محبة ولا مودة ولا تفاهم ولا احترام، حتى كاد أن تكون الدار حلبة الصراع الدموي، وكلُّ يجرُّ النار إلى قرصه، ويرى أنه محقاً فيما يراه ويرغب فيه ويميل إليه، وإذا بأموج الخلاف والشجار تضرب بسفينة الأسرة يميناً وشمالاً، فيفقد الرّبّان سيطرته على ركّاب السفينة فيحار ماذا يفعل والموت يزحف إليه لحظة بعد لحظة.

فمن كان ضعيف الإيمان أو لا يؤمن بالله واليوم الآخر، فسرعان ما ينتحر ليخلص نفسه - وحسب معتقداته الواهية - من مشاكل الحياة والاضطرابات التي تكسر ظهره وتحطم حياته. فالعالم الخارجي مضطرب، والحياة الداخلية مضطربة، ويركض الإنسان وراء لقمة العيش ليأكلها وأهله بعافية وهناء، إلا أنه يغصّ بها ليتجرّع كأس المرارة والمنون، ويموت بحسرة وغصّة، ويبقى بانتظار يوم سعيد وساعة حلوة، ولكن من دون جدوى، وأتى له بذلك.

لماذا كلّ هذه المشاكل والحياة التعيسة والضنك؟ أجب الله عزّ وجلّ عن ذلك في كتابه الحكيم:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً ﴾ (١).

بل:

﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ (٢).

فلم يرَ الحقائق ولم يؤمن بها، ومن لم يرَ آيات الآفاق والأنفس حتى يتبين له الحقّ وهو الله سبحانه، فإنّ له معيشةً ضنكاً، وله في الآخرة عذاب أليم، فخسر

(١) طه: ١٢٤.

(٢) الإسراء: ٧٢.

الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين .

فمن يريد الحياة السعيدة في الدنيا والآخرة، لا سبيل له إلا أن يرجع إلى الله وكتبه ورسله وأوليائه والعلماء الصالحين الذين هم ورثة الأنبياء .

فإن الله سبحانه أعرف بحال الإنسان، وأعرف بما يصلحه ويفسده، ومن ثم يأمره وينهاه ليكون من أهل الجنة، ولو كان مطيعاً فإنه يكون سعيداً، وإلا فإنه من أهل الشقاوة والنار .

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ (١)

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا ففِي النَّارِ ﴾ (٢)

فالسعادة الأبدية لمن آمن بالله واليوم الآخر، وبما جاء به الأنبياء والأولياء والعلماء الصالحاء .

فالمجتمع السعيد والأسرة السعيدة والشخص السعيد من يرجع في كل مجالات الحياة إلى الله ورسوله وكتابه وأوليائه في مقام العلم والعمل، أي النظرية والتطبيق .

وفي يومنا هذا يرجع إلى القرآن الكريم والسنة الشريفة المتمثلة بالعترة الطاهرة عليهم السلام .

فإن الحق هو الإسلام :

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ (٣)

فيؤمن بالإسلام و برسوله الأمين سيّد الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وآله ،

(١) هود : ١٠٨ .

(٢) هود : ١٠٦ .

(٣) آل عمران : ٨٥ .

١٢ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

ويرجع إليه وإلى من خلف من بعده إلى يوم القيامة .

وقد صرح بذلك في مواطن كثيرة، وخلف لأئمة الثقلين العظمين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله وعترة الطاهرة .

كما ورد في حديث الثقلين المتفق عليه عند الفريقين :

قال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»<sup>(١)</sup>.

فالقرآن والسنة مصدر التشريع الإسلامي، والعترة الطاهرة هم الذين حفظوا لنا السنة الشريفة من الانحراف والانعدام والضلال والضياع.

فمن أراد السعادة فإنه لا يقف عليها إلا في الكتاب الكريم القرآن العظيم والسنة الشريفة (قول المعصوم وفعله وتقريره)، المتمثلة بالعترة المعصومة والطاهرة عليهم السلام.

وعندما نتأمل في الروايات والأخبار الشريفة التي صحّ صدورها عن أهل البيت عليهم السلام نجد أنّ بينها وبين القرآن الكريم حبلاً وثيقاً مستحكماً من نور يشد بعضها ببعض، وإنّ كلّ ما في القرآن هو عندهم عليهم السلام، فهم ترجمانه، كما أنّ كلّ ما عندهم هو في القرآن، فهو برهانهم، وهذا من معاني عدم الافتراق بينهما من اليوم الأوّل وإلى يوم القيامة، يوم ورودهما على الحوض.

ولذلك جعل الأئمة الأطهار عليهم السلام - كما في الأخبار العلاجية - القرآن ميزاناً لفكرهم وحديثهم ورواياتهم، فما وافق القرآن فخذوه، وما خالف فاضربوه

---

(١) إحقاق الحقّ مع تعليقاته ٩ : ٣٠٩ - ٣٧٥، تنقل الرواية متواتراً من مصادر أبناء العامة فضلاً عن مصادر أصحابنا الإمامية، فراجع.

عرض الجدار فإنّه من زخرف القول، وإنّه لم يخرج منهم.

ثمّ جاءت الرسالة الإسلامية لإحياء الناس :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ (١).

ومودّة أهل البيت عليهم السلام هي الحياة الواقعية، والمودّة تعني المحبّة مع الطاعة، فمن أطاع من دون حبّ، فلا مودّة، ومن أحبّ من دون طاعة، فلا مودّة. فلا بدّ في المودّة من جناحي الحبّ والميل القلبي والباطني نحو آل محمّد وتولّيهم ومن ثمّ البراءة من أعدائهم أولاً، وجناح الإطاعة لأوامرهم ونواهيهم ثانياً، فيؤخذ الدين أصوله وفروعه منهم عليهم السلام، في أحكامه ومنهجه وأخلاقه منهم عليهم السلام، لا من غيرهم، فمعهم معهم في كلّ شيء، لا مع عدوّهم. فمودّتهم مصدر الحياة، ومن ثمّ صارت المودّة أجر الرسالة المحمّدية الأصيلة :

﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ (٢).

فمودّتهم شرط قبول الأعمال الصالحة ولا عكس، وهذا يعني بوضوح أنّ المودّة هي الأصل، وأنّ المودّة حبّ وطاعة.

فلا بدّ أن نرجع إلى القرآن الكريم والعترة الطاهرة في معرفة الحياة، وإنّه كيف نعيش وكيف نموت؟ وماذا يجب علينا؟ وعن أيّ شيء نبتعد ونتجنّب وماذا نفعل؟

ومن هذا المعتقد الصحيح والحقّ سيكون الحديث حول (التربية الإسلامية للأسرة المسلمة) من خلال القرآن الكريم والعترة الطاهرة.

ثمّ سبحانه وتعالى لم يخلق الإنسان عبثاً، ولم يخلق الكون لهواً ولعباً :

(١) الأنفال : ٢٤.

(٢) الشورى : ٢٣.



١٤ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴾ (١).

فإذا كان في المخّ الإنساني عشرة آلاف مليون خطّ عصبي منتشرة في كلّ أجزاء البدن، ويموت في الجسم في الساعة الواحدة ستون مليون خلية، ثمّ تتجدّد الخلايا، وحجم الخلية واحد من الألف من المليمتر، وفي داخلها بالمجهر الألكتروني مصانع ومخازن لتوليد الطاقة، ومخاً آلياً لتنظيم النشاطات التي تجري داخل الخلية، فهل ترى في هذا الخلق من فطور؟!

أجل: لم يخلق الله الإنسان عبثاً، إنّما أراد للإنسان الكمال والعدل بلا خسران:

﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ (٢).

فعلى كلّ واحد أن يراعي الوزن في كلّ شيء، حتّى في المدح والإطراء أو الذمّ وتقييم الشخصيات، ومنها تقييم المرأة والرجل فيعطي كلّ واحد حقه. فإنّه كما في الأرض ميزان لبيان الحقّ في المعاملات والبيوع، كذلك في السماء كما في سورة الرحمن.

والرسول الأعظم وأمير المؤمنين عليّ عليه السلام والأئمة الأطهار من ولده عليهم السلام هم ميزان الأعمال، فعندنا ميزان تشريعي وميزان تكويني.

والإسلام العظيم بقوانينه وأحكامه ومبادئه السامية يريد العدالة في كلّ شيء، يعني يريد الميزان، وإقامة الوزن بالقسط من دون إفراط ولا تفريط، ولا تخسروا الميزان.

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام لولده الحسن: «يا بني، اجعل نفسك ميزاناً

(١) الأنبياء: ١٦.

(٢) الرحمن: ٩.

فيما بينك وبين غيرك، فأحب لغيرك ما تحب لنفسك، واکره له ما تکره لها، ولا تظلم، كما أنك لا تحب أن تُظلم».

وهذا من أبرز مصاديق العدالة الاجتماعية، والأخلاق الجمعي، فلا استعمار ولا استحمار ولا استثمار.

وفي مخالفة الميزان تبدو السوءات، وتظهر الخطايا والآثام، كما في قوله تعالى في قصة آدم في تركه الأولى :

﴿ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ ﴾ - التي نهى الله عنها فخالفا - ﴿ بَدَت لهُمَا سَوَاء تُهُمَا ﴾ (١).

والذنوب والمعاصي هي التي تغيّر الحياة الحلوة إلى حياة مرّة، وتجعل الجنة جهنماً، وتقلب السعادة إلى الشقاوة، كما في دعاء كميل، ولكلّ ذنب نوعاً خاصاً من الجزاء، فن يتعدى الحدود ويخسر الميزان، فإن له معيشةً ضنكاً مكفهرّة كبيت العنكبوت، وحياة تعيسة.

ولا بدّ من حكومة الميزان العدلي في حياة الأسرة، والله سبحانه جعل بين الزوجين المودة والرحمة، كما في قوله تعالى :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ (٢).

والمودة كما ذكرنا أعمّ من الحبّ، فهي حبّ مع الطاعة. والطاعة لا تعني الحبّ، فلا يكفي الطاعة مجرداً عن الحبّ في الحياة الزوجية، فقد جعل سبحانه وتعالى بينكم المودة والرحمة، ولا تتحقّق المودة إلاّ بالحبّ والطاعة، كما أنّه فرق

(١) الأعراف : ٢٢.

(٢) الروم : ٢١.

بين السكون والسكوت.

فالرجل يحب زوجته ويطيعها فيما أمر الله به، والمرأة تحب زوجها وتطيعه فيما أمر الله به، دون أن يكون هناك استبداد وتعنت بينهما، أو تعسف أو ظلم يقع من أحد الطرفين على الطرف الآخر، وهذا معنى الرحمة.

فسبحانه ربط المودة بالرحمة، فإن الرحمة هي الميزان الذي يحفظ كفتي الحب والطاعة، والحب الفارغ والخالي من الطاعة يجعلك راكداً وجامداً في مكانك لا تستطيع أن تخطو خطوة واحدة في طريق من تحب، في حين أن الحب المعجون والمخلوط بالطاعة، والطاعة التي تكون صادرة من الحب يجعلك تنطلق وراء من تحبه وتتفانى فيه.

ثم للإنسان زمامان: زمام العقل وزمام الشهوة، فهو بين جاذبتين وبين قوتين: قوة ملائكية وقوة حيوانية، والعقل زمامه بيد الأنبياء، والشهوة بيد الشيطان.

فالإنسان بين وساوس الشيطان الرجيم، يوسوس له الشر ويدعوه إلى المعصية، ويزين له سوء حتى يحسب أنه يحسن صنعاً، وبين إلهامات العقل بواسطة الملائكة يدعوه إلى الخير والصلاح والتقوى والعلم النافع والعمل الصالح. فالإنسان بين جاذبتين، كما أن له حجّتين: حجة باطنية وهو العقل، وحجة ظاهرية وهم الأنبياء عليهم السلام، وأحدهما يعضد الآخر، لأنهما صدرا من الواحد الأحد، فلا اختلاف بينهما، إلا أن دائرة الوحي ونطاق الأنبياء والشرع المقدس أوسع من دائرة العقل، فربما العقل يدرك ما يقوله الشرع، وربما لا يدرك فحينئذ يقرّ بذلك أو يسكت من دون أن يخالفه.

فهناك ارتباط وثيق بين الحجّتين كما بين الظاهر والباطن، فإن الظاهر عنوان الباطن. فالأنبياء عليهم السلام جاؤوا لإثارة دفائن العقول، وخلق الإنسان مخيراً

لا مسيراً، فهو مختار بين طريق العقل وطريق الشهوة، فإذا سار نحو الأنبياء وكان في نهجهم فأثهم يثرون عقله ويرفعونه، ويأخذون بيده ليصعد قمم الكمال المنشود في فطرته وجبلته، وإذا سار نحو الشيطان، فإنه يشعل غرائزه الحيوانية، وينزله إلى أسفل درك من الجحيم.

والأنبياء مسؤوليتهم إرواء العقل بنور العلم والفكر وتحريك الفطرة السليمة بالإيمان، وأما الشيطان فزَيّن لهم أعمالهم.

ثمّ الميزان إنّما ثقله بالإيمان والعمل الصالح، فإنه يرتفع ويرتفع صاحبه

معه :

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾<sup>(١)</sup>.

أي العمل الصالح والخالص، والعمل السيئ يهبط ويهبط صاحبه معه لعدم الانفكاك بين العلة والمعلول :

﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ﴾<sup>(٢)</sup>.

ثمّ الإسلام العظيم يهتمّ ببناء الإنسان المعنوي الإلهي أكثر من اهتمامه ببنائه المادي والناسوتي، فإنه وإن اهتمّ بغذائه لكيلا يصاب بسوء في التغذية ممّا يؤدّي به إلى أن يعاني من بعض الأمراض كفقّر الدم وما شابه ذلك، إلاّ أنّه أراد أن يتكامل الإنسان بروحه ليصل القمّة في الأخلاق الفاضلة والإنسانية، كما يتجلّى ذلك في العبادات والطقوس الدينية لبناء الإنسان المعنوي، ليتغلّب على الجانب المادي والحسي.

(١) فاطر : ١٠ .

(٢) الأعراف : ٨ .

وإنما يهتم الإسلام بالروح، فإنها من السماء ومن الله سبحانه :  
﴿ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ (١).

وأما الجسد فمن الأرض والتراب، وأوله نطفة قذرة، وأوسطه حامل العذرة، وآخره جيفة مَيْتة، وتبقى في الأرض لتعود يوم المعاد وتلحق بالروح مرةً أخرى، فالحاجات الجسدية أمر مشترك بين الإنسان وسائر الحيوانات، فلا يكون فارقاً، بل يمتاز الإنسان عن العجاوات بعقله وروحه وإيمانه، فهي منطلق كلِّ الفضائل والمكارم، وهي التي تعود إلى ربِّها.

وكما أنَّ الجسد يمرض وبحاجة إلى العلاج والطبيب، كذلك الروح، وطبيبها الأنبياء والأوصياء والعلماء الصالحين، وكان النبي ﷺ (طبيباً دَوَّاراً بطبِّه)، وذلك لمعالجة الأرواح المريضة والأنفس السقيمة وشفاء العقول الملوثة وصولاً إلى الله سبحانه تعالى، فهو المصدر وإليه المصير.

إلَّا أنَّ العجب العجاب من الناس كيف يهتمون غاية الاهتمام بعلاج الأمراض الجسدية، ويبذلون الأموال الطائلة من أجل صحَّة المزاج، إلَّا أنَّهم غفلوا عن أرواحهم وعن الأمراض الروحية والقلبية التي هي عبارة عن الرذائل وسوء الأخلاق والسجايا الذميمة.

فهل هذا يعني أنَّ الجسد الذي يُبلى ويأكله التراب والديدان هو أفضل من الروح التي تبقى وإنها مجردة وخالدة؟!!

هذا ويحتوي الكتاب الذي بين يديك - بعد المقدمة - على فصول وخاتمة، والله وليُّ التوفيق والتسديد والصواب وإليه المآب.

## الفصل الأوّل

### التربية لغةً واصطلاحاً

من الواضح أنّ المعاني والألفاظ بينهما علاقة وثيقة وارتباط عميق، فإنّ الألفاظ المستعملة في كلّ لغة إنّما هي جسر إلى المعاني، وقد وضعت الألفاظ على المعاني بوضع خاصّ في البداية، ويسمّى هذا الوضع الأوّلي بالوضع اللغوي، فكلّ كلمة لا بدّ أن نعرف معناها اللغوي أولاً، والمتكفّل لبيان المعاني هو معاجم اللغة، ثمّ ربما ينقل اللفظ من معناه الأوّلي إلى معنىّ جديد يصطلحه البعض لنفسه، فيسمّى بالمعنى المصطلح الثانوي، ويختلف باختلاف العلوم والفنون والصناعات والعرف.

وقبل الورود في المباحث الخاصّة بموضوع التربية، لا بدّ لنا أن نعرف معناها لغةً واصطلاحاً، عند علماء النفس والاجتماع والدين والفلسفة وغيرها.

فالتربية أصلها اللغوي من كلمة (رَبَّ) (رَبَّبَ)، ولها معانٍ عديدة، فتأتي تارةً بمعنى (السياسة) اللغوية، فيقال: رَبَّ القوم: ساسهم وكان فوقهم، وأخرى بمعنى (الملك)، فيقال رَبَّ الشيء أي ملكه، وترَبَّبَ الأرض: ادّعى أنّه ربّها وصاحبها، والرَبُّ مصدر والجمع أرباب وربوب: السيّد المالك، والرَبُّ من أسمائه تعالى فهو ربّ العالمين، والنسبة إليه: ربّي وربّاني وربّوبي، والرَبّان

٢٠ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

رئيس الملاحين، والرطوبة والرطوبة الاسم من الربّ، المربوب العبد والمملوك، والربّاني: العالم الحبر العارف بالله تعالى.

ويأتي بمعنى (الإصلاح) فربّ الأمر أصلحه، وارتبّ الولد: ربّاه حتى أدرك، فالربّ المصلح، والمربّي، والريب جمع ربائب: الحاضنة بنت الزوجة، امرأة الرجل إذا كان لها ولد من غيره.

وتأتي بمعنى (الزيادة)، فربّ النعمة: زادها، والربّي النعمة الإحسان والمربّب المنعم عليه، وتأتي بمعنى (الإقامة) فربا بالمكان: أقام، وبمعنى (الدوام) فيقال: أربّت السحابة: أي دام مطرها.

وبمعنى (الجمع) فيقال: ربّا الشيء: جمعه وتربّب القوم: اجتمعوا؛ والربّب الماء الكثير، والربة: الدار الضخمة، وهذا مربّب القوم أي محلّ مجتمعتهم، والرباب: الجماعة.

وبمعنى (الطيب والإجادة) (الجودة) فيقال: ربا الدهن: طيبه وأجاده، والريب: الماء العذب، والرباب واحده (ربابة) السحاب الأبيض، والربّي: الحجة. ومعانٍ أخرى.

وفي مفردات الراغب:

ربّ: الربّ في الأصل التربية وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حدّ التام، يقال: ربّه وربّاه وربّيه، وقيل: لأن يربّي رجل من قريش أحبّ إليّ من أن يربّي رجل من هوازن.

والربّ مصدر مستعار للفاعل - أي بمعنى اسم الفاعل - ولا يقال الربّ مطلقاً - أي من دون إضافة إلى شيء آخر كربّ الدار وربّ الإبل كما قال عبد المطلب: إنّ ربّ الإبل ولبيت ربّ يحميه، فلا يقال الربّ مطلقاً - إلاّ لله

تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات نحو قوله: ﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ﴾<sup>(١)</sup>، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا﴾<sup>(٢)</sup>، أي آلهة وتزعمون أنهم الباري مسبب الأسباب، والمتولّي لمصالح العباد، وبالإضافة يقال له ولغيره نحو قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، ويقال: ربّ الدار وربّ الفرس لصاحبهما، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَاءُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾<sup>(٥)</sup>، وقوله تعالى: ﴿أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾<sup>(٦)</sup>...

واختصّ الرّاب والرّابة بأحد الزوجين إذا تولّى تربية الولد من زوج كان قبله والريب والريبة بذلك الولد، قال تعالى: ﴿وَرَبَائِبِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾<sup>(٧)</sup>. والرّباب السحاب سميّ بذلك لأنّه يربّ النبات... وأربت السحابة دامت، وحقيقته أنّها صارت ذات تربية. وتُصوّر فيه معنى الإقامة<sup>(٨)</sup>...

أمّا التربية اصطلاحاً:

قال المعلّم الثاني الفارابي في كتابه (تحصيل السعادة)<sup>(٩)</sup> في تفسير التربية

- 
- (١) سبأ: ١٥.  
 (٢) آل عمران: ٨٠.  
 (٣) الفاتحة: ٢.  
 (٤) الشعراء: ٢٦.  
 (٥) يوسف: ٤٢.  
 (٦) يوسف: ٥٠.  
 (٧) النساء: ٢٣.  
 (٨) مفردات الراغب: ١٩٠.  
 (٩) تحصيل السعادة: ٢٩.



٢٢ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

والتعليم : إنَّ التعليم هو إيجاد الفضائل النظرية في الأمم والمدن، والتأديب هو طريق إيجاد الفضائل الخلقية والصناعات العلمية في الأمم، والتعليم هو بقول فقط، والتأديب هو أن يعود الأمم والمدنيون الأفعال الكائنة عن الملكات العلمية، بأن تنهض عزائمهم نحو فعلها، وأن تصير تلك وأفعالها مستولية على نفوسهم، ويجعلوا كالعاشقين لها.

وعند بعض التعليم هو متعلق العقل النظري أي ما يعلم به، والتربية متعلق العقل العملي أي ما يعمل به.

### التربية والتعليم :

قال الله تعالى في كتابه الكريم :

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾<sup>(١)</sup>.

كل بلد متحضّر ومتمدّن في عصرنا هذا، لا بدّ وأن يكون له - من جملة وزارات دولته لإدارة البلد - (وزارة التربية والتعليم)، وأنّ له (كلية التربية) في جامعاته، وفي مدارسها (كتاب التربية) و (درس التربية)، وسعادة الإنسان بعلمه وثقافته، كما أنّ تقدّم البلد وحضارته، وازدهار المجتمع وتمدّنه، إنّما هو بالتربية والتعليم، والإسلام العظيم قد ركّز على هذين الركنين الأساسيين في حياة الإنسان على الصعيدين الفردي والاجتماعي، فإنّ القرآن الكريم يشير إلى فلسفة البعثة النبوية الشريفة، وأنّها تتلخّص بالتربية والتعليم : ﴿ يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ﴾،

(١) الجمعة : ٢.

والتزكية تعني التربية، وهما بمنزلة سواء كجناحي الطائر، فإنّ الإنسان إذا أراد أن يحلّق في سماء الفضائل وآفاق المعرفة، وينال قمة السعادة وشموخ الكمال إنّما يكون بالتربية والتعليم، ولا بدّ منهما سوياً، وإنّما يقدّم في البيان التربية على التعليم فهو من باب بيان أهمية التربية البالغة، فلولاها لما كان الإنسان ينتفع بعلمه كما هو المطلوب، بل لكان العلم هو الحجاب الأكبر، ولازداد بعداً عن الحقّ والحقيقة، وسقط في هاوية الذلّ والرذيلة، فلا علم بلا تربية، ولا تربية بلا علم.

« وقد استقطبت قضية التربية اهتمام كافة الشرائع والاتجاهات الاجتماعية في تأريخ البشر حتّى تحوّلت إلى محور لكافة المدارس الفكرية والإلهية الأرضية.

وفي التاريخين - الحديث والمعاصر - تكاثفت الكتابات حول التربية، بفضل وعي دورها في بناء الأسرة وفي التغيير الاجتماعي، إذ اعتبرت التربية أساساً لبناء الأسرة، وموضوعاً خصب للتغيير الاجتماعي، وإعادة صياغة الحياة وفق المذهب الفكري المعتمد والإطار العقائدي المنتخب. هذا الموقع المركزي للتربية احتلّ مكانته اللائقة في البناء الإسلامي - وفي تاريخ المسلمين وفي حاضرهم - أكثر بكثير من الاتجاهات الفكرية والمذهبية الأخرى، لأنّ الإسلام - فضلاً عن سابقته على المذاهب والعقائد المعاصرة - قد انطوى في أحكامه ومفاهيمه وجوّه الحضاري - بل في منظومته الحياتية الكونية - على وعي فريد ومبكر لمضمون المقولة التربوية، وانفرد بموقف مميز لعناصرها ودورها وموقعها في حركة الإنسان والمجتمع فضلاً عن بناء الأسرة، لأنّ الإسلام يُختزل - دونما بساطة أو سذاجة أو تحميل - إلى بعد تربوي يستهدف إعادة صياغة الإنسان في موقعه الفردي وعلاقته الاجتماعية والبشرية، بما يجعله منسجماً مع

٢٤ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

استعداداته الفطرية التي جُبل عليها، وبما يكتفه ويحرّكه في ضوابط النسق التوحيدى الإلهى لىكون الخليفة الحق...»<sup>(١)</sup>.

### التربية التكوينية والتشريعية :

نقصد من التربية التكوينية : ما يتعلّق بالعالم التكويني، فأخراج ما به القوّة إلى الاستعداد حالاً فحالاً إلى حدّ التامّ، في الكون مطلقاً سواء في عالم الجواهر أو الأعراض، وسواء في الموجودات السماوية أو الأرضية، وسواء في عالم الإنسان أو غيره يسمّى كلّ هذا بالتربية التكوينية، فكون النطفة مضغة، ثمّ علقّة، ثمّ عظاماً، ثمّ يكسى العظام لحماً، ثمّ يولد الجنين ويطوي المراحل من عالم الطفولة ثمّ الصباوة ثمّ المراهقة ثمّ الشباب ثمّ الكامل ثمّ الشيخ ثمّ الكهل ثمّ العجوز، كلّ هذا من التربية التكوينية، والمربّي الأوّل للكون هو الله سبحانه وتعالى، فهو ربّ العالمين في النشآت التكوينية.

وأما التربية التشريعية : فنقصد منها الأحكام الشرعية التي أنزلها الله سبحانه في صحفه السماوية على أنبيائه ﷺ لهداية الناس وتربيتهم تربية إنسانية ملكوتية ملائكية، فإنّ الإنسان بإمكانه أن يصل من خلال التربية التشريعية إلى قاب قوسين أو أدنى من الكمال والسعادة الأبدية، فيسعد في حياته وبعد مماته لو تربّى بتربية تشريعية دينية، لأنّ الدين جاء ليسعد الناس ويهديهم الصراط المستقيم، فيعلّمهم كيف يعيشون وكيف يموتون؟ وما هي أسباب وعوامل السعادة الدنيوية والأخروية؟

(١) تربية الطفل : ٦.

من هو المرَبِّي ؟

المرَبِّي الأوَّل في العالم التكويني ، وفي الطبيعة وما وراءها هو الله سبحانه ، فهو ربَّ العالمين ، وقد وردت كلمة الربِّ ومشتقاتها في القرآن الكريم في ( ٩٨٠ ) مورداً .

جمع القرآن الكريم علم الأوَّلين والآخريين ، فهو الجامع لما في الكتب السماوية وفي الأديان الإلهية ، فهو الكتاب المهيم على الكتب السماوية والأرضية ، فإنه الجامع لكلِّ العلوم والمعارف وما عند الأوَّلين والآخريين .

ثمَّ جمع ما في القرآن في سورة الحمد ، وتصدَّرت السورة بقوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ <sup>(١)</sup> ، فوصف الله نفسه بالربوبية ، فهو المرَبِّي الأوَّل لكلِّ العوالم العلوية والسفلية ، المجرِّدات والماديَّات ، ورعاية لقانون العلية الحاكم على الكون الرحب الواسع جعل الله سبحانه ﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ <sup>(٢)</sup> ، فكانت العلة والمعالييل ويسودها قانون التربية ، كلُّ ذلك برحمته الرحمانية والرحيمية .

ثمَّ تجلَّت التربية الإلهية بحمل العلم الإلهي في الأنبياء عليهم السلام فإنهم مظاهر التربية الإلهية فقد بعثهم الله لتربية الناس وهدايتهم وإقامة العدل والقسط ، فكان النبيُّ مظهراً لمقام الربوبية ، والعبودية جوهرية كنهها الربوبية ، فكان النبيُّ محمداً ﷺ خاتم الأنبياء وسيّد المرسلين ، عبد الله ورسوله .

ثمَّ بعد الأنبياء كان الأوصياء والأئمة الأطهار عليهم السلام في خطهم ونهجهم

(١) الفاتحة : ٢ .

(٢) النازعات : ٥ .

٢٦ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

وهدبهم، فكانوا مظاهر التربية الإلهية والنبوية، وألقي على عاتقهم مسؤولية تربية المجتمع وصيانة الإنسان وتهذيبه.

ثمّ بعدهم العلماء، فهم ورثة الأنبياء والأوصياء في علومهم وأخلاقهم ومسؤولياتهم ومقاماتهم العامة، فإنهم بحكم الوراثة حملوا على عواتقهم مسؤولية تربية الإنسان، فبعد أن هذبوا أنفسهم وزكّوها، وأفلحوا وأصلحوا بواطنهم، وبدأوا بأنفسهم في مقام التهذيب والتربية والتعليم حتّى بلغوا المقام السامي في العلم النافع والعمل الصالح، بعد أن أكملوا أنفسهم خرجوا إلى الناس ودعوهم إلى ما يحييهم، فتكفّلوا تربيتهم تربية صحيحة وسليمة.

وبحكم العلماء الصالحين: الآباء والأمّهات، فإنهم من المربّين في نطاق الأسرة، كما أنّ المعلّم منهم في نطاق المدرسة ومجال التعليم، وكذلك الأصناف والطبقات الأخرى لا بدّ أن يكون فيهم مربّياً ومعلّماً، وهذا من سنّة الله ولن تجد لسنة الله تحويلاً ولا تبديلاً.

فهؤلاء كلّهم مظاهر ربّ العالمين في مقام التربية، فما به الاشتراك بينهم عنوان التربية الإنسانية، ويمتازون في سعة دائرتها وضيقها، وباعتبار اتجاه التربية وعوالمها ومعالمها.

وفي علم المنطق إنّ المسائل النظرية لا بدّ أن تنتهي إلى البديهيات، وهي الذاتيات، وإنّ الذاتي لا يعلّل، ولو لا ذلك للزم الدور والتسلسل الباطلان كما هو ثابت في محلّه، فالعلوم النظرية تنتهي إلى مقدّمات بديهية ذاتية. كذلك التربية والمربّين، فإنّها تنتهي إلى التربية الذاتية وهي التربية الإلهية التي تنبع من الذات الربوبية جلّ جلاله، والأبوان المربّيان يرجعان إلى العلماء في تربية أنفسهم، والعلماء إلى الأنبياء والأئمة المعصومين عليهم السلام الذين يحملون التربية الذاتية،

فإنهم يرجعون إلى الله رب العالمين، وهو المرَبِّي الأوَّل، فتتجلى تربيته التكوينية والتشريعية في خلقه، وفي الأنبياء والعلماء والآباء والأمهات. فالتربية العرضية الكسبية حينئذٍ تنتهي إلى التربية الذاتية الثابتة، فتدبّر.

### أقسام التربية :

يمكن أن نقسّم التربية باعتبار المتكفّل والمرَبِّي وباعتبار الموارد والمجالات إلى تقسيمات عديدة، فإذا كان المرَبِّي رجل الدين وميدان التربية أحكام الدين في أصوله وفروعه وأخلاقه، فإنّ ما يحصل من ذلك تسمّى بالتربية الدينية والتربية الشرعية.

وإذا كان المتكفّل هو العالم، وموردها العلم فإنّها تسمّى بالتربية العلمية، وإذا كان المقصود تربية البدن بالألعاب الرياضية، تسمّى التربية الرياضية، والتربية البدنية. وكذلك في عالم الفنّ، تسمّى بالتربية الفنيّة، وفي مجال الأخلاق تسمّى بالتربية الأخلاقية. وهكذا في كلّ العلوم والفنون والمجالات العلمية والعملية، فيعلم عنوان التربية من خلال الإضافة.

### متعلّقات التربية :

باعتبار ما يكون قابلاً للتربية وهو ما فيه الحياة، وهي الحياة النباتية والحيوانية والإنسانية، فالتربية عند الفلاح أو الزارع أن يبذل جهده من أجل تربية زرع، من اليوم الأوّل عندما يحرق الأرض وينقيها، ثمّ يزرع الحبوب ويباريها، بالفلاحة والسقاية والمعالجة، وحتىّ يوم الحصاد وقطف الثمار، فما فعله في عالم النباتات تسمّى بالتربية النباتية.

٢٨ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

وسائس الخيول ومربيهم، وكذلك الحيوانات الأخرى يسمّى عملهم بالتربية الحيوانية. ومعلّم الأولاد وما يفعله الآباء والأمّهات في مجال التربية يسمّى بالتربية الإنسانية وبترية الإنسان. وإذا نسب إلى الله سبحانه يسمّى بالتربية الإلهية، كما قال النبي الأعظم ﷺ: أدبني ربّي فأحسن تأديبي.

## الأُسرة لغةً واصطلاحاً

لقد نهجت في مؤلفاتي في شتى العلوم والفنون منهج القدماء بالنسبة إلى تعريف الموضوعات التي قصدت بحثها والحديث حولها، فأطرق أولاً في معرفتها أبواب اللغة، وذلك من خلال المعاني اللغوية، ثم المصطلحة، لما يوجد من الارتباط الوثيق بين المعاني اللغوية والمعاني المصطلحة في كل علم وفنّ. فإنّ المصطلح منقول غالباً بالنقل المألوف من المعنى اللغوي، إمّا من المعنى العامّ أو المعنى الخاصّ.

وموضوع البحث هو الأسرة :

والأسرة لغةً : من الأسر، وهو الشدّ بالقيّد، من قولهم : أسرت القتب، وسُمّي الأسير بذلك، ثمّ قيل لكلّ مأخوذ ومقيّد وإن لم يكن مشدوداً ذلك. ويتجوّز به فيقال : أنا أسير نعمتك، وأسرة الرجل من يتقوّى به<sup>(١)</sup>.

ويعتقد البعض أنّ نظام الأسرة إنّما هو نتاج الغريزة الجنسية ومقتضيات الطبيعة الإنسانية، وأنّه لا يختلف عن نظائره في الفصائل الحيوانية الأخرى، فهي وفق ما تملّيه الغرائز الفطرية، وتوحي به الميول الطبيعية، وشأنه شأن أشباهه في عالم الحيوان.

كما ويعتقد البعض الآخر أنّ الأسرة يؤسّسها الأفراد من قادة المجتمع ومشرّعيه، فهو بيد الإنسان المصلح، وله أن يزيد وينقص في منشأته، فيغيّر

(١) الراغب : ١٣.



٣٠ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

بما تشاء أهواؤه.

كما ينظر البعض إلى نظام الأسرة بنظرة مستقلة عمّا عداه من النظم الاجتماعية الأخرى.

والحال أنّ نظام الأسرة في أمةٍ ما يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمعتقدات هذه الأمة وتقاليدها وثقافتها وتاريخها وعرفها وعقلها الجمعي وما تسير عليه من نظم في شؤون السياسة والاقتصاد والتربية والقضاء، وما يكتنفها من ظروف في شتى فروع الحياة، فهو كأيّ جهاز في جسم حيّ، فنظام الأسرة ليس من صنع الأفراد. ونطاق الأسرة في قديم الزمان كان يعني الانتماء إلى عشيرة يرمز لها بتوتهم، وهو عبارة عن نوع من الحيوان أو النبات تتخذ العشيرة رمزاً لها ولقباً لجميع أفرادها.

ويلاحظ أنّ معظم التواتم تتألف من أنواع من الحيوان والنبات، وأنّ الحيواني منها أكثر من النباتي، ويندر أن يكون التوتم من الجماد أو من مظاهر الطبيعة، فمن بين التواتم الخمسمائة التي كشفها هويت عند العشائر الجنوبية الشرقية من سكان استراليا الأصليين يرجع أربعمئة وستون منها إلى أنواع حيوانية ونباتية، وأربعون فقط إلى أنواع أخرى كالسحاب والمطر والبرد والريح. وعند اليونان والرومان الأسرة تعني ما ينتظم فيها جميع الأقارب من ناحية الذكور وهم العصبية، وتنتظم كذلك الأرقاء والموالي والأدعياء وهم الأفراد الذين يتبنّاهم رئيس الأسرة، أو يدّعي قرابتهم له فيصبحون أعضاء في أسرته ويمنحون اسمها، ويسمح لهم بالاشتراك في شؤونها الدنيوية وطقوسها الدينية. فهي قائمة على الادّعاء لا على صلات الدم. وكان الوالد في الأسرة اليونانية القديمة يعرض من يولد له من أولاد على مجمع عصبته فإذا قبلهم المجمع التحق نسبهم بأبيهم،

وعدّوا من عشيرته، وإذا رفضهم انقطعت صلّتهم بأبيهم وبعشيرته.  
وكذلك كانت الأُسرة عند العرب في الجاهلية، حتّى أنّ ثروة الأُسرة كانت ملكاً مشاعاً لجميع أفرادها، أي كانت ملكاً لشخصها المعنوي لا الفردي، والشريعة المقدّسة الإسلامية قد غيرت من نظامهم هذا في تحديد نطاق الأُسرة، وألغت آثاره في ما يتعلّق بالقصاص، فقرّرت أنّ النفس بالنفس، وأنّ التبعة في القتل العمدي لا يحتملها إلاّ القاتل وحده، وفي بعض الموارد احتفظت ببعض قواعد هذا النظام الأسروي عند العرب في ما يتعلّق بالدية في الجناية الخطأية، فإنّها على عاقلة الرجل، أي أهله وبني عمامه، فالقراية كانت عند العرب قائمة على الادّعاء لا على صلات الدم، والشريعة الإسلامية قضت على نظام الادّعاء والتبني بقوله تعالى:

﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾<sup>(١)</sup>.

وحرّمت أن يدعى فرد إلى غير أبيه:

﴿ أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقرّرت أنّ (الولد للفراس).

ثمّ راح نطاق الأُسرة يضيق يوماً بعد يوم حتّى عصرنا هذا، فهو يعني الزوج والزوجة والأولاد، وتسمّى بالأسرة الزوجية.

(١) الأحزاب : ٤.

(٢) الأحزاب : ٥.

٣٢ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

وأما وظائف الأسرة فهي تابعة لنطاقها سعة وضيقاً، فكانت في القديم شاملة لمعظم شؤون الحياة الاجتماعية، إلا أنها تناقصت وتضاءلت شيئاً فشيئاً، إلى أن بقي في عهدها تربية الأسرة وتعليمها.

ثم إن محور القرابة في الأسرة وتطوره ونظامه قد اختلفت فيه المجتمعات الإنسانية، فمنهم من يرى ذلك بالأمّ ويسمى بالنظام الأمّي، فمحور القرابة هي الأمّ وحدها، فالولد يلتحق بأمّه ويعتبرون أسرة الوالد أجنب عنه، وهذا النظام كان سائداً في العشائر الاسترالية القديمة، ومنهم من يرى ذلك بالأب ويسمى بالنظام الأبوي، فيعتمد على محورية الأب وحده، فالولد يلتحق به وبأسرة أبيه، فالولد يتبع توتّم أبيه وعشيرة الأب. ومنهم من يرى أن محور القرابة عبارة عن الأبوين معاً مع أرجحية ناحية الأب من ناحية الأمّ، ومنهم من يرى المحور الأبوي من ترجيح جانب الأمّ، ومنهم من يراهما معاً من دون ترجيح بينهما كما في الأنظمة الأوربية كما قيل، والحق أنها تميل في رجحان جانب الأب، ومنهم من يرى أن محور القرابة في الأسرة قائمة على شيء آخر غير انحدار الفرد من أب معين أو من أمّ معينة كاتباعهم للتوتّم عند تحرّك الجنين، فتارةً يلحق بالأب وأخرى بالأمّ، أو باعتبار الحمل وتكوّن الجنين كما كان في قديم الزمان. وظهر أن أساس المحور لم يكن الدم، وإلاّ فهو سواء بين الأب والأمّ، وإتّما هو تابع للنظم الاجتماعية، ويقرّه العقل الجمعي من قواعد خاصّة.

(ومسألة الأسرة في خطورتها تحتلّ الرقم الأوّل في قائمة المسائل الاجتماعية المهمّة لأنها نواة المجتمع وخليّته الأولى بعد الفرد، وإنّ المجتمع يتكوّن من مجموع الأسر، والدائرتان لا تنفصل إحداهما عن الأخرى، فالحديث عنها ليس ترفاً وإنّما حاجة اجتماعية ملحة تفرضها طبيعة المشاكل العائلية التي

تعيشها مجتمعاتنا اليوم نتيجة ابتعادها عن الأخذ بالتشريع الإسلامي وأنظمتها أخذاً كاملاً يظلّل الأسرة في كلّ أجهزتها وأطرافها... والحديث عنها من وجهة نظر إسلامية ليس غريباً، وإنّما واقع الإسلام في ملائمته لطبيعة الحياة وواقع الإسلام في إعدادة كلّ ما تتطلبه شؤون الحياة من تنظيم ومشاكلها من حلّ بالقدر الذي يتناسب وطبيعتها هو الذي يدفع إلى معالجة القضية على ضوء تشريعاته العادلة... وبخاصّة حينما يهاجم تشريعنا المقدّس فيغيّر باسم توحيد القانون تمثيلاً مع إيديولوجيات الاستعمار الكافر تحت عنوان (قانون الأحوال الشخصية) فيملي علينا واجب الدفاع المقدّس عن حقوق الإنسان إبداء رأي الإسلام في أمثال هذا القانون.

وسيلمس القارئ العزيز صواب النظرة الإسلامية في معرفة واقع الأسرة كوحدة اجتماعية، وعدالة وحكمة التشريع الإسلامي في تنظيم شؤون الأسرة من خلال بحوث الكتاب<sup>(١)</sup>.

أجل: إنّ نظام الأسرة في الإسلام أكمل وأصلح الأنظمة على الإطلاق، ومن الجريمة والخطأ الفادح الذي لا يغفر لمن أراد في البلاد الإسلامية والمجتمع الإسلامي أن يجعل القوانين الموضوعية في الأحوال الشخصية بدلاً عن الشريعة الإسلامية. فمن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه.

والإسلام العظيم لم يغفل عن أبسط الأمور وأهونها، فإنّه كيف يغفل عن الأسرة الزوجية التي تعدّ من أهمّ المؤسسات الاجتماعية في حياة الإنسان، لما فيها من الدوافع النفسية والطبيعية في تكوينها، وما فيها من خطورة الوظائف

(١) من مقدّمة كتاب (الأسرة المسلمة)، بقلم عدنان البكاء : ٦.

والغايات التي تناط بها وتتوقف عليها في الحياة الفردية والاجتماعية. فإن الأسرة تعدّ هي الحجر الأساس والخلية الأولى في تكوين المجتمع، فلو سلمت وصلحت لسلم المجتمع وصلاح، فبقاء المجتمع وصيانه وتماسكه إنّما هو ببقاء الأسرة وصيانتها وتماسكها، فسعادة المجتمع وتقدّمه وازدهاره وحضارته إنّما هو رهين سلامة الأسرة وسعادتها. وإنّ أكثر مشاكلنا المعاصرة إنّما هي نتائج الأوضاع المتدهورة في الأسره. فجذور أكثر المشاكل والأزمات في حياة الفرد والجماعة إنّما ترجع إلى الأسرة.

(فبالأسرة هي التي تمدّ المجتمع وتموّنه بالأفراد، وسلامة هؤلاء الأفراد - من ناحية نفسية وعقلية وجسمية وسلوكية - رهينة سلامة الأسرة وخلوها من المرض والوراثة السيئة والتلقّيات الرديئة ومن الانحراف الخلقي والانشطار النفسي ومن أجواء الشقاق والبغضاء لأنّها المحيط الأوّل الذي ينشأ به الفرد، ويتفاعل معه نفسياً وعاطفياً وفكرياً، وبه تتبلور شخصيته وعنه يتلقّى قيم ومبادئ وتقاليد مجتمعه الكبير، ومنه يتعرّف على التشريعات، والقوانين والضوابط الاجتماعية المختلفة التي تقوم في المجتمع وهو أيضاً الذي يقرّر مدى ارتباطه بها، وموقفه منها، واحترامه لها - غالباً - في مستقبل أيامه. لهذا كلّاه اهتمّت الشرائع الإلهية - وفي طليعتها الإسلام - والقوانين الوضعية اهتماماً بالغاً بشؤون الأسرة.

فشرّعت الأنظمة التي يبتني على أساسها الكيان الأسري ووضعت التشريعات المختلفة التي تحدّد وفقها حقوق وواجبات أفرادها تجاه بعضهم، ورصدت الحلول لما قد يعترض حياتها ويكتنفها من أزمات ومشاكل<sup>(١)</sup>.

فالأسرة ركيزة المجتمع واللبنة الأولى في بناء الأمة وصرح يقام عليه المجتمع الإنساني الكبير، ودعامة بناء الأسرة هو زواج موقّق وناجح يربط بين زوجين أولاً برباط مكين يمنحهما التفاهم والوثام والاحترام المتبادل، ويعصهما من الآثام والمنافرة وجرح المشاعر، وثانياً تشتدّ الأواصر والعلاقة بينهما بأزاهير تنشر أريج الطفولة في أرجاء المنزل فتملأ قلب الزوجين بشراً وحباً وتفاؤلاً بمستقبل زاهر وحياة زوجية سعيدة.

والإنسان مدني بالطبع، فلا يستطيع أن يعيش منفرداً إلا الشاذّ، فلا بدّ له من أسرة يسكن إليها، ويفوح منها عطر السعادة.

وجاء الإسلام ليشرّع ما يصون به البيت ويحمي به البيئة وينظّم المجتمع والجماعة، فأحاط الأسرة بسياج منيع من قوّة وتقوى، وبثّ فيها روح التربية والتعليم، وأحكم دعائمها بالعلم والدين، وقوى بنيانها بالأخلاق والفضائل، وشرّع لها من القوانين والمثل العليا ما يعصمها من التفكك والزلل، فجعل لكلّ عضو من الأسرة حقّ يقابله واجب ينبغي أن يؤدّيه، فجعل للزوجين حقوقاً وواجبات، في خلالها تسير سفينة الحياة في هذا المحيط المنزلي نحو ساحل النجاة ترسو سعيدة بعيدة عن أعاصير الشقاق وأرياح النزاعات والاختلافات.

ولو طبّقنا الإسلام في حياتنا تطبيقاً كاملاً لسعدنا حقّ السعادة، ولا بدّ أن نخرج المثل الإسلامية إلى حيّز الواقع والتطبيق، فنراعي التعاليم حقّ الرعاية، ونحيلها إلى سلوك وعمل لإقامة حياة سليمة وعيشة راضية ملؤها العاطفة الهائلة، وتكوين بيئة متماسكة متفاهمة، وبناء مجتمع واع وحيّ أصيل.

والحقّ يقال: إنّ كثيراً من المشاكل العائلية التي تنتهي إلى المحاكم إنّما هي نتيجة جهل الناس لأحكام الإسلام وقوانينه الرصينة، وما جاء بالنظام الأسروي الناجح، فلو عرفنا الإسلام وما جاء في مصدر تشريعه - أي القرآن الكريم والسنة

الشريفة - لسعدنا في حياتنا الفردية والاجتماعية، ولكان لنا البيت السعيد والأسرة السعيدة. فلا بد أن نعرف التشريع الإسلامي العائلي. فإنه مطابق للفترة السليمة وللعقل السليم، فإن العقل الإسلامي لم يكن متحجراً ولا مقيداً ولا سطحياً ولا جامداً. ومنشأ التشريع الإسلامي هو الوحي والسماء لا القوانين الوضعية البشرية. كما أن التشريع الإسلامي قد نسخ الشرائع السماوية والأرضية<sup>(١)</sup> القديمة أموراً ثم زاد عليها أموراً أخرى، فهو الدين الكامل في كل عصر ومصر.

فالإنسان إنما يعيش السعادة والطمأنينة في ظل الأسرة التي يحكمها الإسلام، وفي الأسرة المسلمة يسكن القلب ويطمئن، وما أجملها تلك اللحظة التي يعود فيها الأب المسلم إلى بيته وسكنه حيث يلتقي بزوجه وأولاده، فينسى همومه وأحزانه، ويفرق في أجواء صافية غنية بالعلاقات الإنسانية، ولا يتوقّر هذا إلا في الأسرة الإسلامية التي صح إسلامها لصحة العقيدة والتطبيق الكامل، وإلا فإن الأسر باتت مهتدة بمفاهيم الغرب وقوانينه الوضعية الأرضية، ووقعت البلايا السوداء في الأسرة الإسلامية من يوم انخداعهم بمظاهر الغرب الفاتنة، (وإنّ مئات الملايين من المسلمين من نيجيريا إلى باكستان إلى أندونيسيا إلى سائر أرجاء المعمورة يرزحون تحت قوانين لا تمت إلى الإسلام بصلة لا من قريب ولا من بعيد، إنهم لا يعرفون طعم الإسلام ولا سيرة نبيه ولا قدسيّة قوانينه، فقوانين الإسلام عندهم لا تتخطى أبواب المحاكم الشرعية من زواج أو طلاق، هذا كلّ ما عندهم عن الإسلام، ولا يكون الخلاص إلا بنبذ المفاهيم والثقافات الغربية، والعودة إلى ينابيع الثقافة والمفاهيم الإسلامية، وقد بات واضحاً عجز

(١) إذا أردت تفصيل ذلك فراجع (الأسرة في الشرع الإسلامي مع لمحة من تاريخ التشريع

إلى ظهور الإسلام) بقلم عمر فرّوخ، الطبعة الأولى، ١٩٥١.

الفكر البشري عن تقديم منهج يوفّر للإنسان سعادته وإنسانيته، ولم يبقَ أمام الإنسان سوى المنهج الإلهي طريقاً للخلاص، فما يتخبط فيه من بؤس وضياع، إن الفكر الإلهي الذي أنزله الله من خلال الأنبياء والتمثّل بالشرائع السماوية التي أريد لها أن تكون حاكمة على القوانين البشرية الوضعية، ثمّ كان الفكر الإلهي كاملاً متكاملًا برسالة أعظم الأنبياء والمرسلين وخاتمهم محمّد بن عبد الله ﷺ ليكون هو المنهج الأبدي الذي يوفّر للإنسان الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة، فيفوز بسعادة الدارين :

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (١).

فلا حدود للفكر الإلهي طاقةً وزماناً ومكاناً بخلاف العقل البشري المحدود والعاجز، فالفكر الإلهي يعلم الإنسان أنّه خلق في أحسن تقويم وأنّ حياته ليست محدودة بما يعيشه على الأرض من أيام، بل هي ممتدّة عبر الزمان والمكان، ولقد كان له لقاء مع ربّه في عالم الذرّ وآمن به ولبّى لتوحيده، فكان في فطرته الاتجاه إلى الله ومنذ الطفولة يتساءل عن ربّه ويبحث عن العلة، وإنّه لا بدّ لكلّ سبب من مسبّب ولكلّ مصنوع من صانع، وكلّ مولود يولد على الفطرة، إلّا أنّ أبويه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه.

فجاء الإسلام ليصلح الأسرة، فإنّ المجتمع الصالح يقوم على الأسرة الصالحة، فإنّه يتكوّن من مجموع الأسر، فإنّ الأسرة تصبّ في المجتمع. والإنسان إنّما يتحرّك بدافع من أحد منهجين: المنهج البشري والمنهج الإلهي، فثمّة قانون الأرض وهو القوانين الوضعية البشرية، وثمّة قانون السماء



وهو قانون الله سبحانه، وهذا يعني أنّ الفكر البشري من صنع البشر والفكر الإلهي بوحى من السماء، ولا بدّ للناس من منهج يربّيه ويعلمه كيف يعيش مع ربّه ونفسه ومع أسرته ومجتمعه والطبيعة التي هو فيها. والفكر البشري ليطغى حتى ينكر الله سبحانه. فكيف يحدّد علاقة الإنسان بالله؟ والكلّ يعرف المؤامرات التي تحاك لتفكيك الأسرة وتدميرها، فإنّ الولايات المتحدة الأمريكية التي بنت حضارتها على المادة ولها حضارة مادية متفوّقة حيث أرسلت سفنها إلى الفضاء الفسيح تجوب في أرجائه المختلفة، إلّا أنّها عاجزة عن بناء أسرة واحدة يعيش أبناؤها بسعادة واطمئنان في ظلّ حنان الأبوين ورأفتها، وما أن تبلغ البنت الثانية عشرة أو الرابعة عشرة في الأسر التي يسمّونها (محافظة) حتّى يفتح الآباء الباب ويقولون لها: (أنت حرّة الآن فاخرجي وافعلي ما تريدن، أنت الآن امرأة ناضجة والقانون يعطيك حرّية التصرف بكلّ ما يخصّك)، فماذا تكون النتيجة؟ تخرج البنت وهي في عمر الورود فتلقّي بنفسها في خضمّ مجتمع نخره الفساد، فذئاب الشهوات والغرائز المنحرفة في انتظارها، ولن يقدّموا لها رغيّف خبز إلّا بثمان من عفتها وكرامتها، وبعد سنة أو سنتين من تشرّدها، تصبح رقماً من ملايين الشباب والشابات الذين وقعوا ضحايا الحشيشة والماريجوانا والهرويين وسائر السموم القاتلة التي تقدّمها دهاليز الدعارة ومافيات المخدرات. هذا حال الأبناء فما هي حالة الآباء؟ إنهم في دور العجزة لا حول لهم ولا طول، هذه هي أحوال الأسرة في أميركا وسائر البلدان التي جحدت بالله والدين والأخلاق، وقد ارتفعت أصوات علماء الاجتماع صارخة: الغوث الغوث... ساعدونا في ترميم الأسرة وإعادة بنائها<sup>(١)</sup>.

(١) اقتباس من (اعلموا أنّي فاطمة) ١٠ : ٢٨١.

## الفصل الثاني

### الزواج التكويني

من القوانين والسنن الطبيعية الحاكمة على الكون بتمامه، بل على ما سوى الله سبحانه هو قانون الزوجية، ليكون دليلاً على فردانية الله سبحانه ووحدانيته، فإنه عزّ وجلّ وحده لا شريك له، ولا ندّ ولا ضدّ ولا مثل ولا زوج له.

وكلّ من يدّعي لا بدّ أن يكون له بيّنة، فلا تقبل دعوى من دونها كما في الشرائع السماوية والقوانين الوضعيّة، وتسمّى بالبيّنة الشرعيّة، وهي عبارة عن شاهدين عدلين، وبها تتمّ الدعوى وتكون حقّة.

والله سبحانه له بيّنة تكوينية تشهد على وحدانيته وفردانيته، وهي قانون الزوجية، فإنه خلق من كلّ شيئين زوجين ليكون آية من آياته على أنّه واحد لا شريك له، فإنّ الزوجية يستلزمها التركيب، ولازم التركيب الاحتياج والافتقار، وهو يتنافى مع الواجب الوجود لذاته، بل الاحتياج من خواصّ الممكن، والله سبحانه هو الغنيّ الحميد، فلا تركيب فيه، ولا ندّ ولا ضدّ له، فهو الوجود البحت البسيط الواحد الذي لا ثاني له، والأحد الذي لا تركيب فيه، وإلى قانون الزوجية يشير سبحانه الكريم في كتابه الحكيم :

- ﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾<sup>(١)</sup>.
- ﴿ أَهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾<sup>(٢)</sup>.
- ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>.
- ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴾<sup>(٤)</sup>.
- ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ ﴾<sup>(٥)</sup>.
- ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾<sup>(٦)</sup>.
- ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾<sup>(٧)</sup>.
- ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ﴾<sup>(٨)</sup>.
- ﴿ وَمِنَ الْإِنْعَامِ أَزْوَاجًا ﴾<sup>(٩)</sup>.
- ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾<sup>(١٠)</sup>.
- ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾<sup>(١١)</sup>.

(١) الشعراء : ٧.

(٢) الحج : ٥.

(٣) الذاريات : ٤٩.

(٤) النجم : ٤٥.

(٥) يس : ٣٦.

(٦) النحل : ٧٢.

(٧) الروم : ٢١.

(٨) فاطر : ١١.

(٩) الشورى : ١١.

(١٠) الأعراف : ١٨٩.

(١١) الزمر : ٦.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾<sup>(١)</sup>.

فمن الآيات التي يستدل بها على وحدانية الله وأحديته، أي لا ثاني له ولا تركيب فيه، هو زوجية كل شيء، فإنه وإن خلق الإنسان من نفس واحدة، إلا أنه خلق منها زوجها، فخلق آدم عليه السلام وخلق حواء من فاضل طينته، وكانت زوجاً له.

ومن مصاديق الأزواج العقل الكلّي والنفس الكلّي، وزوج الأرض السماء، زوج الليل النهار، ومن الأزواج العلم والعمل، والوجود والماهية، وكلّ مذكّر ومؤنث من النباتات والحيوانات والإنسان، والروح المتكوّن من نطفة الرجل، والبدن المتكوّن من نطفة المرأة.

فقانون الزوجية حاكم على كل شيء حتّى أعصاب المعخّ الإنسانى، فإنّه متكوّن من أعصاب زوجية، ثمّ النكاح أي اللقاح التكويني هو الحاكم في قانون الزوجية، ويتولّد منه العوالم المعنوية والروحية والنفسية والمثالية والخسّية، ففي عالم الأجساد والطبيعة والعنصرية يتولّد منه المولّدات الثلاثة (المعادن والنباتات والحيوانات ومنها الإنسان) ومن النكاح ما يختصّ بالإنسان الكامل والكون الجامع، ويكون الروح بمنزلة الزوج، والنفس بمنزلة الزوجة.

ثمّ الإنسان الكامل سواء الرجل أو المرأة هو ثمرة شجرة الوجود، فهو غاية الحركتين الوجودية والإيجادية، والمرأة بمنزلة المصنع الإلهي، فهي كالشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كلّ حين.

٤٢ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

والإنسان الكامل لو كان رجلاً، فهو مظهر العقل الكلّي، وإن كان امرأة فهو مظهر وصورة النفس الكلية.

يقول الراغب الإصفهاني في مفردات القرآن الكريم<sup>(١)</sup>:

زوج: يقال لكلّ واحد من القرينتين من الذكر والأنثى في الحيوانات المتزاوجة زوج، ولكلّ قرينتين فيها وفي غيرها زوج كالحفّ والنعل، ولكلّ ما يقترن بآخر مماثلأله أو مضادّ زوج، قال تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾<sup>(٢)</sup>، وقال: ﴿وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾<sup>(٣)</sup>. وزوجة لغة رديئة، وجمعها زوجات، قال الشاعر: (فبكا بناتي شجوهن وزوجتي)، وجمع الزواج أزواج، وقوله: ﴿هُم وَأَزْوَاجُهُمْ﴾<sup>(٤)</sup>، ﴿أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾<sup>(٥)</sup> أي أقرانهم المقتدين في أفعالهم، ﴿إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾<sup>(٦)</sup> أشباهاً وأقراناً، وقوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ﴾<sup>(٧)</sup>، ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾<sup>(٨)</sup>، فتنبيه أن الأشياء كلّها مركّبة من جوهر وعرض ومادّة وصورة، وأن لا شيء يتعرّى من تركيب يقتضي كونه مصنوعاً، وأنه لا بدّ له من صانع، تنبيهاً أنّه تعالى

(١) مفردات الراغب : ٢٣٠.

(٢) القيامة : ٣٩.

(٣) البقرة : ٣٥.

(٤) يس : ٥٦.

(٥) الصافات : ٢٢.

(٦) الحجر : ٨٨.

(٧) يس : ٣٦.

(٨) الذاريات : ٤٩.

هو الفرد، وقوله: ﴿ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾<sup>(١)</sup> فتيين أن كل ما في العالم زوج من حيث أن له ضدًا أو مثلاً ما، أو تركيباً ما) بل لا ينفك بوجه من تركيب، وإنما ذكر هنا زوجين تنبيهاً أن الشيء وإن لم يكن له ضد ولا مثل، فإنه لا ينفك من تركيب جوهرٍ وعرض وذلك زوجان، وقوله: ﴿ أَزْوَاجاً مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴾<sup>(٢)</sup> أي أنواعاً متشابهة، وكذلك قوله: ﴿ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴾<sup>(٤)</sup> أي أصناف، وقوله: ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجاً ثَلَاثَةً ﴾<sup>(٥)</sup> أي قرناء ثلاثاً، وهم الذين فسّرهم بما بعد، وقوله: ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾<sup>(٦)</sup> فقد قيل: معناه قرن كل شيعة بمن شايعهم في الجنة والنار، نحو: ﴿ أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾<sup>(٧)</sup>.

فكل شيء في عالم التكوين لا يخلو من زوج، فيكون قانون الزواج أو الزوجية حاكم على الطبيعة والعالم التكويني.

(١) الذاريات : ٤٩.

(٢) طه : ٥٣.

(٣) الشعراء : ٧.

(٤) الأنعام : ١٤٣.

(٥) الواقعة : ٧.

(٦) التكوير : ٧.

(٧) الصافات : ٢٢.

## الزواج التشريعي

للإنسان غرائز شتى، ومن أبرزها الغريزة الجنسية، فإنه يحمل القوّة الشهويّة، ومن أهمّ مصاديقها شهوة المقاربة واللقاح الجنسي، فإنّ الإنسان - الذكور والأنثى - بطبيعته وغريزته التي أودعها الله فيه يميل إلى الجنس المخالف، ويحاول أن يقترب منه، إلا أنّ المقاربة تارة تكون شرعيّة، أي أجازها الله وشرّعها وتسمّى بالنكاح الشرعي، وقد أحلّه الله سبحانه، وأخرى تكون غير شرعيّة، وتسمّى بالسفاح، وقد حرّمه الله سبحانه كالزنا.

والنكاح بالمعنى الأعمّ بمعنى مطلق المقاربة والجماع الزوجي وأنه يتّصف بحسب الأحكام التكليفية الشرعية الخمسة - الواجب والحرام والمستحبّ والمكروه والمباح - بالأحكام الخمسة، فإمّا أن يكون واجباً، كما لو خيف الوقوع في الحرام، أو محرّماً كالنكاح بذات المحارم والأجنبية وهو السفاح والزنا المحرّم، أو مستحبّاً بحسب الأماكن والأزمنة والحالات الخاصّة ممّا يوجب رجحان الفعل كما أنه في ذاته يستحبّ ذلك، وربما يكون مرجوحاً ومكروهاً، وإذا لم تكن العناوين الراجحة أو المرجوحة، فهو المباح بالمعنى الأخصّ.

والنكاح الواجب والمستحبّ والمكروه والمباح يسمّى بالنكاح الحلال، وهو إمّا أن يكون دائماً أو منقطعاً أو بملك يمين، والنكاح المحرّم يسمّى بالحرام، وقد حرّمه الله سبحانه وأوعد عليه بالنار والخزي في الآخرة، كما أوجب عليه الحدّ في الدنيا من الرجم لو كان محصناً، ومئة جلدة لو كان غير محصن، كما هو المذكور تفصيلهما في الفقه الإسلامي.

وأول زواج تشريعي قد تحقّق بين آدم أبي البشر وحوّاء أمّهم، كما ورد في الخبر الشريف، وفيه إشارة إلى فلسفة الزواج في الجملة وإلى الخطبة والمهر.

عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث قال: إنّ الله عزّ وجلّ خلق آدم من طين ثمّ ابتدع له حوّاء فجعلها في موضع النقرة التي بين وركيه، وذلك لكي تكون المرأة تبعاً للرجل، فقال آدم: يا ربّ ما هذا الخلق الحسن الذي قد آنسني قربه والنظر إليه؟ فقال الله: يا آدم هذه أمّتي حوّاء، أفتحبّ أن تكون معك تؤنسك وتحدّثك، وتكون تبعاً لأمرك؟ فقال: نعم يا ربّ، ولك بذلك عليّ الحمد والشكر ما بقيت، فقال الله عزّ وجلّ: فاخطبها إليّ، فأتها أمّتي، وقد تصلح لك أيضاً زوجة للشهوة، وألقى الله عليه الشهوة وقد علّمه قبل ذلك المعرفة بكلّ شيء، فقال: يا ربّ، فأني أخطبها إليك، فما رضاك لذلك؟ فقال الله عزّ وجلّ: رضائي أن تعلّمها معالم ديني، فقال: ذلك لك عليّ يا ربّ إن شئت ذلك لي، فقال الله عزّ وجلّ: وقد شئت ذلك، وقد زوجتكها فضّمها إليك<sup>(١)</sup>.

ثمّ الزواج الثاني كان لولد آدم عليه السلام، لا كما تقول المجوس - لعنهم الله - من نكاح الإخوة والأخوات، بل كما ورد في الأخبار.

ففي من لا يحضره الفقيه<sup>(٢)</sup> بسنده عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام: إنّ آدم ولد له شيث وأنّ اسمه هبة الله، وهو أوّل وصيّ أوصي إليه من الآدميين في الأرض، ثمّ ولد له بعد شيث يافث، فلمّا أدرك أراد أن يبلغ بالنسل ما ترون، وأنّ يكون ما جرى به القلم من تحريم ما حرّم الله من الأخوات على الإخوة.

(١) وسائل الشيعة (المحقّق) ٢٠ : ٢٤.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٣ : ٣٨١.



أنزل الله بعد العصر في يوم الخميس حوراء من الجنة اسمها نُزلة، فأمر الله عزَّ وجلَّ آدم أن يزوجه من شيث فزوجه منه، ثم أنزل بعد العصر من الغد حوراء من الجنة اسمها منزلة فأمر الله عزَّ وجلَّ آدم أن يزوجه من يافت فزوجه منه، فولد لشيث غلام وولد ليافت جارية، فأمر الله سبحانه آدم حين أدركا أن يزوج ابنة يافت من ابن شيث ففعل، وولد الصفوة من النبيين والمرسلين من نسلهما، ومعاذ الله أن يكون ذلك على ما قالوا من أمر الإخوة والأخوات).

وعن الفقيه أيضاً<sup>(١)</sup> بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن الله تعالى أنزل على آدم حوراء من الجنة فزوجه أحد ابنه وتزوج الآخر ابنة الجان فما كان في الناس من جمال كثير أو حسن خلق فهو من الحوراء، وما كان منهم من سوء خلق فهو من ابنة الجان».

ويمكن الجمع بين الروایتين - والجمع مهما أمكن أولى من الطرح - أن الله سبحانه زوج أولاد آدم مرتين تارة بحوريتين وأخرى بحورية وجنّية، أو أن الزواج الأوّل كان لولدين من آدم والثاني لولدين آخرين.

وفي الكافي<sup>(٢)</sup> بسنده عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «ذكرت له المجوس وأنهم يقولون: نكاح كنيكاح ولد آدم وأنهم يحتاجوننا بذلك. فقال: أمّا أنتم فلا يحتاجونكم به، لمّا أدرك هبة الله قال آدم: يا ربّ، زوج هبة الله، فأهبط الله عزَّ وجلَّ له حوراء فولدت له أربعة غلّمة، ثمّ رفعها الله فلمّا أدرك ولد هبة الله قال: يا ربّ، زوج ولد هبة الله، فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليه أن يخطب إلى رجل من

(١) من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٨٣.

(٢) الكافي ٥: ٥٦٩.

الجنّ وكان مسلماً أربع بنات له على ولد هبة الله فزوّجهن فما كان من جمال وحلم فمن قبل الحوراء والنبوّة، وما كان من سفه أو حدّة فمن الجنّ».

فإنّ الجنّ خلقوا من نار، ففيهم الحدّة والغضب.

وأما ما ورد في القرآن الكريم في الزواج التشريعي وبعض أحكامه، فهذه جملة من الآيات الكريمة :

قال الله سبحانه وتعالى :

١- ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَعْتَابِهِمْ حَافِظُونَ \* إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ \* فَمَنْ أَتَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

والعادون المتجاوزون حدود الله سبحانه، وبه يستدلّ على تحريم الاستمراء، فإنّه طلب المنّي من غير وجهه الشرعي.

وقال عزّ وجلّ :

٢- ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال سبحانه وتعالى :

٣- ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ \* وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿ الأيَامَى ﴾ جمع أيم، وأصلها أيّام قلبت كاليتامى، والأيّم التي لا زوج

(١) المؤمنون : ٥ - ٧.

(٢) الأعراف : ١٨٩.

(٣) النور : ٣٢ - ٣٣.

٤٨ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

لها بكرةً كانت أو ثيباً، وكذلك الرجل، والخطاب للأولياء والسادات: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ﴾ أي لا تجعلوا الفقر مانعاً من النكاح سابقاً كان أو لاحقاً ﴿وَلَيْسَتْغَفِبِ﴾ المشهور في تفسيرها ليجتهدوا في قمع الشهوة وطلب العقبة بالرياضة لتسكين شهوتهم، كما قال النبي ﷺ: «يا معشر الشبان، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء»، والباءة الجماع، والوجاء أن يرض أنبيا الفحل رضاً شديداً يذهب بشهوة الجماع، أراد أن الصوم يقطع النكاح كما يقطعه الوجاء، قالوا: الآية الأولى وردت للنهي عن ردّ النكاح جذراً من تبعة حالة الزواج، فلا تناقض<sup>(١)</sup>.  
وقال جلّ جلاله :

٤- ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ نَفْسَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَأَتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّهُنَّ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿طَوْلاً﴾ قدرة وغنى، ﴿أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ أي الحرائر العفيفات، والإحصان الإعفاف، وصفت به الحرائر لإحصانهنّ عن أحوال الإماء من الابتذال والامتهان، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾ يعني ما أنتم مكلّفون إلا بظاهر

(١) الوافي ٢١ : ١٩ .

(٢) النساء : ٢٥ .

الحال، فكل من يظهر الإيمان فهو مؤمن ومؤمنة عندكم فاحكموا به، فنكاحهما جائز ولستم مؤاخذين إن كانا منافقين، ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ كل من ولد آدم فلا تأبوا نكاح الإماء فإن المدار على الجنسية (الرجل والمرأة) والإيمان، ﴿مُحْصَنَاتٍ﴾ تزوجوهن عفائف، ﴿غَيْرِ مُسَافِحَاتٍ﴾ غير زانيات من السفح وهو صبّ المني، فإن الزاني لا يحصل منه بفعله إلا ذلك، ﴿أَخْدَانٍ﴾ أخلاء في السر يزنون بهن، ﴿فَإِذَا أُحْصِنَ﴾ تزوجن من أحسن الرجل تزوج، وأحصنه التزوج فهو محصن - بالفتح - أي أمن من الزنا، وقيل: أسلمن فأحصنهن الإسلام كما تحصنهن الأزواج، وقرئ بفتح الهمزة والصاد، ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ من الحد المقر في الزنا، ﴿الْعَنْتَ﴾ الإثم الذي يحصل بسبب الزنا لغلبة الشهوة أو الحد المترتب عليه، وأصله انكسار العظم بعد الجبر، فاستعير لكل مشقة وضرر، ﴿وَأَنْ تَضْبُرُوا﴾ عن نكاح الإماء باحتمال شدة العزوبة، ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من تزويجكم بها واحتمال سوء معاشرتهن والعار اللاحق بكم وبأولادكم بسببه، وقد ورد في الخبر: الحرائر صلاح البيت، والإماء خراب البيت.

قال سبحانه:

٥- ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا \* حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمْ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا \* وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ

٥٠ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ﴿١﴾ .  
﴿ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ يعني في الجاهلية فإنكم معذورون فيه ،  
﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ أي الزوجات ما دمن في نكاح أزواجهن  
والمعتدات ، ﴿ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ حدث لهن استرقاق إما باشتراء أو اتهاج  
أو ميراث أو سبي ، ويدخل فيه إذا فسخ العقد بينهما وبين مملوكه ولا بد في الكل  
من العدة ، ﴿ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ كتب الله كتاباً عليكم وفرض فريضة ، ﴿ أَنْ  
تَبْتَغُوا ﴾ إرادة أن تبتغوا أو بدل اشتغال محصنين متعقفين أو متزوجين تزوجاً  
شرعياً .

وقال عزّ من قائل :

٦- ﴿ وَلَا تُنْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ ﴾ (٢) .

﴿ لَا تُنْسِكُوا ﴾ أي لا تعدوا ، والعصمة ما يتمسك به من عقد أو سبب ،  
وفسرها هنا بالنكاح .

وقال جلّ اسمه :

٧- ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ  
مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ  
أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ (٣) .

﴿ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ ﴾ لا تعدلوا إذا تزوجتم بهن فتزوجوا غيرهن

(١) النساء : ٢٢ - ٢٤ .

(٢) الممتحنة : ١٠ .

(٣) النساء : ٣ .

ممن طاب لكم من اللاتي لا تقدرن على عدم العدل لعشرتهن، كذا قيل، وقيل : كانوا إذا وجدوا يتيمة ذات مال وجمال تزوجوها فرمما تجتمع عند أحد منهم عدة منهن فيقصرن فيما وجب عليهم لهنّ، وقيل غير ذلك، ﴿ أدنى ﴾ أقرب، ﴿ ألا تعولوا ﴾ أن لا تميلوا من عال الميزان إذا مال، أو أن لا تجوروا من عال الحاكم في حكمه إذا جار.

٨- الكافي بسنده عن محمد بن الحسن قال : سأل ابن أبي العوجاء هشام ابن الحكم فقال له : أليس الله حكيماً ؟ قال : بلى هو أحكم الحاكمين ، قال : فأخبرني عن قوله عزّ وجلّ : ﴿ فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ﴾ <sup>(١)</sup> أليس هذا فرض ؟ قال : بلى ، قال : فأخبرني عن قوله عزّ وجلّ : ﴿ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ﴾ <sup>(٢)</sup> أيّ حكيمة يتكلّم بهذا . فلم يكن عنده جواب فرحل إلى المدينة إلى أبي عبد الله عليه السلام فقال : يا هشام في غير وقت حجّ ولا عمرة ؟ قال : نعم جعلت فداك لأمر أهمني ، إن ابن أبي العوجاء سألتني عن مسألة لم يكن عندي فيها شيء ، قال : وما هي ؟ فأخبره بالقصة فقال له أبو عبد الله عليه السلام : « أمّا قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة يعني في النفقة ، وأمّا قوله : ( ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل ) يعني في المودة ، قال : فلما قدم عليه هشام بهذا الجواب وأخبره قال : والله ما هذا من عندك » <sup>(٣)</sup>.

(١) النساء : ٣ .

(٢) النساء : ١٢٩ .

(٣) الوافي ١٢ : ٧٩٢ .

ثم بناء الأسرة إنما يتم على أساس من زواج أصيل :

٩- ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ (١).

فالهدف الأساسي والأول من الزواج هو السكن والطمأنينة الذي سوف يترك أثره الطيب على الأولاد وعلى الزوجين، حيث إن أهم عنصر لنمو الطاقات والاستفادة الصحيحة منها هو هدوء البيت الناتج عن أسباب المودة والرحمة التي جعلها الله يجعل تكويني :

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ (٢).

إلا أنه أمر الإنسان بالحركة أيضاً، حتى لا يكون الجبر، فدعى إلى المعاشرة الحسنة والطيبة بقوله تعالى :

١٠- ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (٣).

ثم يؤدّب كلّ ناشز من الرجال والنساء، كما لا يرضى للمرأة أن تهان على حساب أنوثتها، بل المرأة تساوي الرجل في التربية والتعليم وفي مجال الأدب والشرف والكرامة :

١١- ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (٤).

فللمرأة رسالة في الإسلام من خلال حجابها وتمسكها بالإسلام.

ثم لا يجوز ولا يباح في المجتمعات الإنسانية منذ اليوم الأول من البشرية

---

(١) و (٢) الروم : ٢١ .

(٣) النساء : ١٩ .

(٤) التوبة : ٧١ .

ارتباط الرجل بالمرأة برابطة الزوجية إلا في صورة خاصة وحدود معينة ترسمها الشرائع السماوية أو النظم الاجتماعية، فهذه الرابطة ليست مطلقاً في النوع الإنساني، بل هي مقيّدة بعدّة قيود يفرضها الشرع المقدّس أو العقل الجمعي، وتختلف في إجمالها وتفصيلها باختلاف العصور والمجتمعات.

### الطبقة في الزواج :

ومن أهمّ هذه القيود عبارة عن الطبقات التي يباح بينها الزواج، والتي لا يحلّ بينها الزواج، وعدد الأزواج والزوجات، وما يتمّ به الزواج والحقوق والواجبات الملقاة على عاتق الزوجين من خلال هذا الارتباط الزوجي الشرعي أو العرفي.

ونطاق الطبقات يختلف باختلاف المجتمعات، فمن القيود ما ترجع إلى الاختلاف في الدين، ففي الأمم الإسلامية مثلاً لا يجوز زواج المسلمة بغير المسلم ولو كان كتابياً، كما لا يجوز زواج المسلم بغير المسلمة والكتابية، فلا يصحّ زواجه من مشرّكة وثنية كما في قوله تعالى :

١٢ - ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَا أُمَّةً مُؤْمِنَةً حَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَا أَعْبَتَكُمْ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَ لَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَا أَعْبَتَكُمْ ﴾ (١)

وكذلك الأديان الأخرى.

ومن القيود ما ترجع إلى اختلاف الأجناس البشرية، فعند قدماء العبريين



كانوا يحرمون الزواج بينهم وبين الكنعانيين ومن إليهم، لأنهم كانوا يعتقدون أنهم شعب الله المختار، وأن الكنعانيين شعب وضع خلقه الله ليكون رقيقاً للعبريين، وشعب هذا شأنه لا يصح أن يدنس بني إسرائيل بمصاهرته، وكانوا يعتقدون أن هذا الوضع قد نشأ من الدعوة التي دعاها نوح على ابنه حام ونسله، فقد ورد في سفر التكوين أن نوحاً قد شرب مرة نبذ العنب الذي غرس كرمه بيده بعد الطوفان بدون أن يعلم خاصته المسكرة ففقد وعيه وانكشفت سوأته، فرآه ابنه حام على هذه الصورة، فسخر منه وحمل الخبر إلى أخويه سام ويافت، ولكن هذين كانا أكثر أدباً منه، فحملا رداء وسارا به القهقري نحو أبيهما حتى لا يقع نظرهما على عورته، وسترا به ما انكشف من جسمه، فلما أفاق نوح وبلغه ما كان من موقف أولاده حياله، لعن كنعان بن حام ودعا عليه وعلى نسله أن يكونوا عبيداً لعبيد أبناء سام ويافت<sup>(١)</sup>... كما كان عند قدماء اليونان يوم الزواج بينهم وبين الشعوب الأخرى التي كانوا يطلقون عليها اسم (البربر)، وكذلك الشأن كان عند قدماء الرومان حتى صدر من أحد ملوكهم (قالتينيان) قانوناً يقضي بعقوبة الإعدام على كل رومانية أو روماني يرتكب هذا الجرم، كما كانت الشعوب العربية على هذا المنهج في عصرها الجاهلي، فلا يزوجون العربية بالأعجمي وهو غير العربي مطلقاً، حتى أن بعض القبائل العربية تمنع الزواج من القبائل الأخرى لما ترى أنها أفضل من غيرها. وفي بعض المذاهب الإسلامية كمذهب أبي حنيفة نرى هذا المعنى أيضاً بأن غير العربي ليس كفواً للعربية، وأن غير القرشي من العرب ليس كفواً للقرشية.

(١) الأسرة والمجتمع : ٣٤، عن سفر التكوين، الإصحاح التاسع : ٢٩ - ٣٠.

كما في أمريكا وأوروبا كانوا يحرمون زواج الأمريكي من غير الأمريكية، وكذلك الأبيض من الأسود، كما في ألمانيا.

ومن القيود ما ترجع إلى اختلاف الطبقات، ففي الهند مثلاً لا يصحّ التزويج بين طبقة البرهمنين والطبقات الأخرى وخاصّة طبقة المنبوذين، وهذا يرجع إلى اختلاف الجنس، كما في روما القديمة كان يحرم الزواج بين طبقات الأشراف وطبقات الدهماء، وفي مذهب أبي حنيفة ذو النسب الوضيع ليس كفوّاً لذات النسب الرفيع، وذو الحرقة الدنيئة كالحجّام والكنّاس ليس كفوّاً لبنت يمتن أهلها حرفاً راقية كالتجارة - ولا يزال معظم العائلات العريقة في مصر ترى من العار أن تزوّج بناتها من رجال ينتمون إلى أسر وضيعة مهما كانت ثروتهم وكان مركزهم الاجتماعي.

ومن القيود ما ترجع إلى القرابة، ولا يخلو أيّ مجتمع إنساني منها، سواء كان بدائياً أم راقياً، فهناك طبقات من المحارم كما في الإسلام، كالبنات والأمّ والأخت والعمّة والخالة. أي يحرم على الرجل أن يتزوّج أصوله وإن علوا، كالأمّ والجدّات، وفروعه وإن نزلوا، كالبنات والحفيدة، وفروع أبويه وإن نزلوا كالأخت وبنات إخوته وأخواته وبنات أولاد إخوته وأخواته، والفروع المباشرة لأجداده كالعمّة والخالة وعمّة أبيه وعمّة جدّه لأبيه أو أمّه مهما علا، وخالتهما وعمّة أمّه وعمّة جدّته لأبيه أو أمّه مهما علت وخالتهما، وإلى هذه الطبقات يشير القرآن الكريم في سورة النساء في قوله تعالى :

١٣ - ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ

وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ ﴾ (١).

ومن القيود ما ترجع إلى المصاهرة، فمن يتزوج من أسرة يصبح من أفرادها فتحرم في الشريعة الإسلامية الجمع بين الأختين في زمان واحد، كما يحرم الزواج بأمّ الزوجة. كما يحرم على أب الزوج أن يتزوج بزوجة ولده، فتحرم أصول الزوجة مهما علوا، وفروع الزوجة مهما نزلوا، وزوجات الأب والأجداد من الجهتين مهما علوا فتحرم مثلاً على الرجل الزواج بزوجة أبيه، وزوجات الأبناء أو أبناء الأولاد مهما نزلوا، وإلى هذه الطبقات أشار سبحانه في قوله تعالى :

١٤- ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ (١).

ومن القيود ما ترجع إلى الرضاع، كالأُمّ من الرضاع وأصولها مهما علون، والبنت من الرضاع وبناتها مهما نزلن، والأخت من الرضاع وبناتها مهما نزلن، والعمة والخالة من الرضاع وأمّ الزوجة من الرضاع، ويسري هذا التحريم بمجرد العقد على المرأة، وبنت الزوجة من الرضاع، وغير ذلك كما في الكتب الفقهية.

### تعدّد الأزواج :

وأما تعدّد الأزواج والزوجات فالنظم حسب التقسيم العقلي خمسة أقسام :

١ - الشيوعية الجنسية، أن تكون جميع النساء في المجتمع الشيوعي حقاً مشاعاً لجميع رجاله.

٢ - تعدّد الأزواج والزوجات معاً، ومنه الزواج الجمعي.

٣ - وحدانية الزوجة مع تعدّد الأزواج، كما في العشائر التبئية القديمة،

كما كان في بعض القبائل العربية قبل الإسلام، وتشير عائشة إلى ذلك بقولها: «كان يجتمع الرهط دون العشرة فيدخلون على امرأة فيصيبونها، فإذا حملت ووضعت ترسل إليهم، فلا يستطيع أحد منهم أن يمتنع، فإذا اجتمعوا عندها تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم، وقد ولدت فهو ابنك يا فلان، تسمى من أحببت باسمه، فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع عنه الرجل»<sup>(١)</sup>، ومن هذا الباب قصة هند وأبي سفيان ومعاوية.

٤- وحدانية الزوج مع تعدد الزوجات الدائم إلى أربعة، كما في الإسلام، وفي كثير من المجتمعات الإنسانية الحاضرة، كالهند والصين واليابان، ويختلف هذا النظام في قيوده ووجوه تطبيقه باختلاف المجتمعات، ففي بعضها يباح على الإطلاق، وفي بعضها لا يباح إلا في حالات الضرورة كأن تكون الزوجة عقيماً أو مريضة، وقد أباح الدين الإسلامي تعدد الزوجات في حدود خاصة وبعده قيود، فأباح للرجل أن يتزوج دائماً باثنتين وثلاث وأربع، وعليه أن يسوي بينهم في الحقوق والواجبات، ويعدل بينهم في المأكل والمشرب والملبس والمسكن والمبيت، وغير ذلك، فإن خاف أن لا يعدل فواحدة كما في قوله تعالى:

١٥- ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾<sup>(٢)</sup>.

وفيما ملكت يمينه من الرقيقات فإنها يباح له ذلك بلغ ما بلغ عددهن، فإن مثل هذه المعاشرة لا تسمى زواجا، وإنما يسميها تسريباً، ولملك اليمين أحكام خاصة كما في الفقه الإسلامي.

(١) الأسرة والمجتمع : ٧٩.

(٢) النساء : ٣.

٥٨ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

٥ - وحدانية الزوج والزوجة، كما في المجتمعات الأوربية والأمريكية، وقد جعلته المسيحية المثل الأعلى للزواج، وإن لم يرد في الإنجيل نص صريح يدلّ على تحريم تعدّد الزوجات.

### وسائل تحقّق الزواج :

وأما الوسائل التي يتمّ بها الزواج فهي تختلف أيضاً باختلاف المجتمعات والمذاهب، وأهمّها ترجع إلى ثلاث وسائل أو ثلاث طرق، وهي طريقة التعاقد، وطريقة ملك اليمين بشرائط خاصّة، وطريقة الاستيلاء على الزوجة بالقوّة كالسبي، ومن الأوّل ما جاء في الإسلام من العقد الشرعي بالإيجاب والقبول، كما سنذكر ذلك، ولكلّ قوم وملة نكاحها الخاصّ وعقدها الخاصّ بشروط خاصّة. فالزواج ميثاق مقدّس يسوده المحبّة والتعاون والإيثار والتضحية والسكن والمودّة والعلاقة الروحية، والارتباط الجسدي المشروع، فهو الطريق البشري الذي سارت عليه الإنسانية منذ مولدها إلى اليوم. وستمضي فيه مواكب البشرية إلى نهايته.

فمن ذكر وأنتى بدأت حياة البشر، ومن بيت واحد نبعت الإنسانية، فمن آدم وحواء بدأت البيوت الإنسانية وقامت المجتمعات البشرية وتبارك الله :

١٦ - ﴿ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾ (١).

والإسلام العظيم قد وضع في تشريعاته المقدّسة في نظام الأسرة معالم تضيء الطريق للزوجين، وقد سنّ قوانين رصينة للزواج الناجح، ذلك لمن تمسكّ بها ومشى على هداها، ومن الله التوفيق.

## الفصل الثالث

### بواعث الزواج وأهدافه في الإسلام

لكلّ عمل - بل لكلّ ممكن - بداية ونهاية، كما أنّ لعمل الإنسان المختار بواعثاً وأهدافاً، فمن يريد الزواج حينئذٍ، فإنّه لا بدّ أن يكون له دواعي نفسية وفكرية وروحية تبعثه نحو الزواج، كما هناك أهداف مقدّسة يأخذها بنظر الاعتبار، حتّى لا يكون عمله عبثاً لا طائل تحته، ولا سيّما مثل أمر الزواج، خصوصاً للشباب ولمن أراد أن يتزوَّج من أجل تشكيل أسرة، قضاءً لسُنّة الحياة.

وإذا أردنا أن نعرف ما هي الدوافع والنتائج أو البواعث والأهداف في مسألة الزواج من منظار ديني إسلامي، فإنّما يتمّ ذلك لو لاحظنا هذا الموضوع من خلال مصدر التشريع الإسلامي ومصدر معارفه ومفاهيمه، أي القرآن الكريم والسُنّة الشريفة يعني قول المعصوم عليه السلام وفعله وتقريره.

وقبل بيان ذلك لا بأس أن نشير إلى أصل خلقة الإنسان وأنّ الهدف منه هو أن يحمل الأمانة الإلهية، بأن يكون مظهرّاً لأسمائه الحسنی وصفاته العلیا، أن يتجلّى فيه العلم الإلهي فيكون خليفة الله في الأرض، كما أخبرنا بذلك في كتابه الكريم وميرم خطابه العظيم.

٦٠ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعتره

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١).

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (٢).

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ (٣).

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (٤).

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ \* قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (٥).

﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ \* ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ \* ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ

(١) البقرة : ٣٠ .

(٢) الأحراب : ٧٢ .

(٣) لقمان : ٢٠ .

(٤) الإسراء : ٧٠ .

(٥) البقرة : ٣١ - ٣٣ .

بواعث الزواج وأهدافه في الإسلام ..... ٦١

وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١﴾.

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٣﴾. ﴾

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ \* ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ

\* ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا

الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿٣﴾. ﴾

لقد خلق الله سبحانه الخلق حسناً :

﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿٤﴾. ﴾

ولم يتمدح بما خلق، إلا في خلق الإنسان، فقال :

﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿٥﴾. ﴾

وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على عظمة الإنسان وتكريمه، وأنه سخر

له كل شيء ليحمل الأمانة الإلهية والعلم الرباني :

﴿ وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ ﴿٦﴾. ﴾

ففلسفة الحياة وسرّ الخليقة هو العلم، وثمره العلم الخشية، وثمره الخشية

العبادة، والله سبحانه يقول :

(١) السجدة : ٧ - ٩ .

(٢) التين : ٤ .

(٣) المؤمنون : ١٢ - ١٤ .

(٤) السجدة : ٧ .

(٥) المؤمنون : ١٤ .

(٦) المؤمن : ٦٤ .



﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾<sup>(١)</sup>.

وكلّ شيء في الحياة ومنه (نظام الأسرة) إنّما يرجع إلى هذين الأصلين الأساسيين (العلم والعبادة)<sup>(٢)</sup>.

وزبدة الكلام في سرّ الخليقة وفلسفة الحياة الإنسانيّة هو: إنّ المقصود الكمال والتكامل، بأن يصل كلّ شيء إلى كماله المنشود، وكمال الإنسان: أن يصل إلى الكمال المطلق ومطلق الكمال، أي يصل إلى مقام الفناء في الله سبحانه وتعالى، بأن يكون مرآةً لأسمائه الحسنى وصفاته العليا، وكمال الإنسان عوامل تكوينيّة وتشريعيّة، كما هي المذكورة في النصوص الدينيّة والبراهين العقليّة، ومن أهمّ العوامل الزواج.

وقد عرّف الزواج بتعاريف عديدة، منها:

«الزواج هو ارتباط يتمّ بعقد يبرم بين الزوجين أو من يمثلهما، يباح بمقتضاه لكلّ من الرجل والمرأة الاستمتاع بالآخر على الوجه المشروع، وهو ما تقضي به الفطرة السليمة، وتترتب عليه حقوق وواجبات لكلّ من طرفيه. وتنشأ عنه تبعات لما يكون بين الزوجين من نسل وما يتّصل بهما بقرباة أو مصاهرة».

وقيل: هو صلة شرعيّة بين الرجل والمرأة تسنّ لحفظ النوع البشري وما يتبعه من النظم الاجتماعيّة.

---

(١) الذاريات: ٥٦.

(٢) تعرّضنا بالتفصيل إلى فلسفة الحياة في رسالة (سرّ الخليقة وفلسفة الحياة)، مطبوع، فراجع.

بواعث الزواج وأهدافه في الإسلام ..... ٦٣

وقيل: بأنه فيه راحة للقلب وتقوية له على العبادة، وفي الاستئناس بالنساء من الراحة ما يزيل الكرب ويروّح القلب.

وقيل: هو الحصن الذي يردّ عن المرء جموح الغريزة ويدفع غائلة الشهوة ويحفظ الفرج ويصون العرض، ويحول دون التردّي في مزالق الفجور ومهاوي الفاحشة.

والنكاح لغة: هو الوطي ويقال على العقد وقيل مشترك بينهما.  
وشرعاً: هو عقد لفظي يملك للوطي ابتداءً وهو من المجاز تسمية للسبب باسم المسبّب وفيه فضل كثير.

فالزواج إذاً رابطة شرعيّة تربط بين الرجل والمرأة، يحفظ بها النوع البشري، ولقد أجازتها الشرائع السماوية المتقدّمة بأجمعها، وأكّد الإسلام عليها وندب إليها الشارع هكذا في كلّ تشريعاته المقدّسة. وبناءً على ما للزواج من خطورة ومكانة مهمّة في النظام الاجتماعي، تولّى الشارع المقدّس رعايته بدقّة وتفصيل، حيث فضّل قواعده، وحدّد أحكامه منذ اللحظات الأولى للتفكير فيه حتّى إتمامه، حيث يتمّ الاستمتاع لكلّ من الزوجين بشريك حياته.

ثمّ أولاه عناية فائقة، وأحاطه بالاهتمام البالغ من بدايته حتّى ينتهي بالموت أو غيره. ولم يفسح الشارع المقدّس المجال للناس ليضعوا له ما شاءوا من أنظمة وأحكام وقيموا له ما يرتضون من قواعد وأصول. بل تولّاه الشارع تفضلاً منه، وتحنّناً بالعباد، فوضع له أصوله ونظم أحكامه، علماً منه بأنّ العباد عاجزين عن أن يضعوا له التصميم الصالح، الذي يبتني عليه الكيان الاجتماعي الرصين، الذي لا يداخله ضعف، ولا يعتريه وهن، ليكتسب الزواج بهذه الرعاية المقدّسة والحماية ما يشعر الزوجين بأنّهما يرتبطان برباط مقدّس يشملهما الدين

٦٤ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

بقديسيته في كل لحظة من مراحلها، فيسكن كل منهما إلى صاحبه عن رضئ واختيار، ويطبقان عليهما أحكامه بطيب نفس وارتياح بال :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾<sup>(١)</sup> كما ورد في المأثور عن النبي الأعظم محمد ﷺ : ما استفاد امرؤ فائدة بعد الإسلام أفضل من زوجة مسلمة، تسره إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمرها، وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها ومالها<sup>(٢)</sup>... ومن تزوج فقد أحرز نصف دينه فليتق الله في النصف الآخر.

---

(١) الروم : ٢١ .

(٢) الزواج في الإسلام : ٢٥ ، عن كنز العرفان للسيوري ٣ : ٤ .

## التكامل في الزواج

قال الله تعالى :

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا \* إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا \* وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ

مَسُوعًا ﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ

أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴾<sup>(٤)</sup>.

﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا

هُم يُشْرِكُونَ ﴾<sup>(٥)</sup>.

﴿ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ

أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) النساء : ٢٨ .

(٢) الأنبياء : ٣٧ .

(٣) المعارف : ١٩ - ٢١ .

(٤) الإسراء : ٦٧ .

(٥) العنكبوت : ٦٥ .

(٦) الشورى : ٤٨ .

﴿ قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ \* وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾<sup>(٤)</sup>.

فمثل هذه الآيات الكريمة تدلّ على حقيقة الإنسان باعتبار نفسه الأمانة بالسوء، فإنه كما يحمل العقل الذي به يصل إلى ربه، وإته كادح إليه فملاقيه، إلى قاب قوسين أو أدنى، وإليه ترجع الأمور، وإليه المصير، وإنا إليه راجعون، فالإنسان بعقله النير يسير في نهج الله وصراطه، إلا أنه خلق فيه النفس الأمارة كذلك، ليكون جامعاً بين الأضداد، فإما أن يهوي ويكون قلبه كالحجارة أو أشدّ قسوة، ويكون كالأنعام بل أضلّ سبيلاً، وإما أن يحلّق في سماء الفضائل في مقعد صدق عند مليك مقتدر، تخدمه الملائكة والحوار العين.

ويتمّ ذلك بالرحمة الإلهية، والمقصود هو التقوى، وما أدراك ما التقوى.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) عبس : ١٧ .

(٢) العاديات : ٦ - ٧ .

(٣) الأحزاب : ٧٢ .

(٤) الكهف : ٥٤ .

(٥) النساء : ١ .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (١).

وأكثر الذنوب إنما هي من العزوبة وغلبة الشهوة الجنسية، ولهذا نجد النصوص الدينية تحث الشباب على الزواج، وأنه من تزوج فقد أحرز نصف دينه، فليتق الله في النصف الآخر.

١ - عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: جاء رجل إلى أبي فقال له: هل لك زوجة؟ قال: لا، قال لا أحب أن لي الدنيا وما فيها وأنني أبيت ليلة ليس لي زوجة، قال: ثم قال: إن ركعتين يصليهما رجل متزوج أفضل من رجل يقوم ليله ويصوم نهاره أعزباً، ثم أعطاه أبي سبعة دنانير، قال: تزوج بهذه، وحدثني بذلك سنة ثمان وتسعين ومائة، ثم قال أبي: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اتخذوا الأهل فإنه أرزق لكم (٢).

فمن لم يتمكن من الزواج على الفقهاء أن يهتوا له ذلك من بيت المال، كما أن الزواج يزيد في الرزق.

٢ - قال أمير المؤمنين عليه السلام: تزوجوا فإن رسول الله صلى الله عليه وآله كثيراً ما كان يقول: من كان يحب أن يتبع سنتي فليتزوج، فإن من سنتي التزويج، واطلبوا الولد فإنني أكاثر بكم الأمم غداً.

٣ - عن الرضا عليه السلام، قال: إن امرأة سألت أبا جعفر عليه السلام فقالت: أصلحك الله، إنني متبتلة، فقال لها: وما التبتل عندك؟ قالت: لا أريد التزويج أبداً، قال:

(١) الحجرات: ١٣.

(٢) البحار ١٠٠: ٢١٧.

٦٨ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

ولم؟ قالت: ألتمس في ذلك الفضل، فقال: انصرفي فلو كان في ذلك فضل لكانت فاطمة عليها السلام أحقّ به منك، إنه ليس أحد يسبقها إلى الفضل»<sup>(١)</sup>.

فكما أنّ أمير المؤمنين عليه السلام ميزان الأعمال وبه تقاس أعمالنا، كذلك فاطمة الزهراء سيدة النساء عليها السلام فهي ميزان الأعمال والأفعال، فإنّها كفو أمير المؤمنين عليه السلام، فالعزوبة والتبتّل لا يوجبا الفضل والكمال.

٤- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من تزوّج فقد أحرز نصف دينه، فليتّق الله في النصف الباقي<sup>(٢)</sup>.

٥- وقال صلى الله عليه وآله: من أحبّ أن يلقى الله طاهراً مطهراً فليلقه بزوجة.

٦- وقال: شرار موتاكم العزّاب.

٧- وفي حديث آخر: ردّال موتاكم العزّاب.

وبالأولية يكون شرار الأحياء كذلك العزّاب.

٨- وقال صلى الله عليه وآله: النكاح سنّي فمن رغب عن سنّي فليس منّي.

٩- وقال صلى الله عليه وآله: تناكحوا تكثروا فإنّي أباهي بكم الأمم يوم القيامة

ولو بالسقط.

وهذا حكم عام إلى يوم القيامة وهو يتعارض مع من يقول بقلة الأولاد كما في عصرنا هذا، إلا أنّه ورد أيضاً: (قلة العيال أحد اليسارين)، فمن أراد أن يعيش في يسر غير عسر من الناحية الاقتصادية والمادية، فيسره تارة يكون بالثروة والمال، وأخرى بقلة العيال والأولاد كما هو واضح، ومباهاة النبيّ كما هو

(١) البحار ١٠٠: ٢١٩.

(٢) المصدر.

الظاهر بالكم، فيتبادر إلى ذهني أنه المباهاة تارة تكون بالكم والكثرة العددية وأخرى بالكيف، فربما من كان قليل العيال يتمكن من التريبة أكثر من غيره ويزيد في كيف الأسرة من الناحية التثقيفية والعلمية مما يوجب المباهاة بالنسبة إلى الأمم الأخرى في الدنيا والآخرة، فيدور الأمر بين المباهاة الكمي والكيفي فيقدم الأرجح منهما.

كما أنه لا تعارض بين الخبرين، فإن قلّة العيال أحد اليسارين، ومن كان متمكناً وثريراً فليكثر من عياله، فإن النبي يباهي بأولاده ولو بالسقط، فتأمل وتدبر.

ومما يدلّ على أنّ الزواج يوجب الكمال :

١٠- ما ورد عن رسول الله ﷺ، قال : من تزوّج فقد أعطي نصف العبادة<sup>(١)</sup>.

١١- وقال ﷺ : المتزوّج النائم أفضل عند الله من الصائم القائم العزب.

١٢- وقال ﷺ : يفتح أبواب السماء بالرحمة في أربع مواضع : عند نزول

المطر، وعند نظر الولد في وجه الوالدين، وعند فتح باب الكعبة، وعند النكاح.

١٣- وقال ﷺ لرجل اسمه عكّاف : ألك زوجة ؟ قال : لا يا رسول الله،

قال : ألك جارية، قال : لا يا رسول الله، قال : أفأنت موسى ؟ قال : نعم. قال :

تزوّج وإلا فأنت من المذنبين.

١٤- وفي رواية : تزوّج وإلا فأنت من رهبان النصارى.

١٥- وفي رواية : تزوّج وإلا فأنت من إخوان الشياطين.

١٦- قال ﷺ : شراركم عزابكم، والعزّاب إخوان الشياطين.



٧٠..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

١٧- وقال ﷺ : خيار أمتي المتأهلون، وشرار أمتي العزّاب.

١٨- وقال ﷺ : من أحبّ أن يكون على فطرتي فليستن بسنتي، وإنّ من سنتي النكاح.

١٩- وقال ﷺ : زوّجوا أيماكم، فإنّ الله يحسن لهم في أخلاقهم، ويوسّع لهم في أرزاقهم، ويزيدهم في مروّاتهم.

٢٠- وقال : ما بني في الإسلام بناء أحبّ إلى الله عزّ وجلّ وأعزّ من التزويج.

## بواعث الزواج في السنّة الشريفة

إنّ الإنسان لمختار في أفعاله وأعماله، والعمل الاختياري لا بدّ فيه من مقدّمات : منها : الإرادة، ومنها : البواعث والأهداف، ومثل الزواج وخطورته في المجتمع، ومقامه العظيم في حياة الإنسان لا بدّ فيه من بواعث وأهداف مقدّسة إلّا أنّ البشر الخطّاء والجهول ربما يخطئ في الأهداف والبواعث، فيندفع نحو العمل ببواعث تافهة لا قيمة لها أو أهداف خيالية لا واقعية لها، فيختار الطريق المنحرف والمعوجّ، ويبني أساسه على جرفٍ هارٍ، فيحصد الويلات والشقاء، وتعرف أواخر الأشياء بأوائلها، ومن هذا المنطلق نجد الإسلام العظيم يهدي الإنسان في مسيرة حياته بكلّ أبعادها إلى ما فيه الصواب والحقّ، ويشير إلى معالم الطريق حتّى لا يسقط في الهاوية، بل يفوز بسعادة الدارين، وفي أمر الزواج يبيّن الأسس والبواعث الصادقة التي تجعل الإنسان يعيش الحياة الطيِّبة والعيش الرغيد، والتي تمثّل المبادئ والقيم والمثل العليا، وإليك جملة من البواعث والأهداف التي وردت في الروايات الشريفة وإنّها تحكي قداسة الزواج ومقامه الشامخ :

### ١- التوحيد :

١- عن أبي جعفر عليه السلام، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما يمنع المؤمن أن يتّخذ أهلاً، لعلّ الله أن يرزقه نسمة تنقل الأرض بلا إله إلا الله .

فمن أهداف الزواج تثقيف الأرض بالتوحيد، وهذا يعدّ هو الباعث الأوّل

٧٢ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

لمن كان موحداً ومؤمناً بالله سبحانه. فإن كلمة التوحيد أثقل من كل ثقل :

﴿ سُنِّلِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ (١).

والكلمات لها ثقل، وربّ شخص يحمل الوزن الثقيل، ولكن لا يطيق تحمّل كلمة ثقيلة.

٢- عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: لمّا لقي يوسف عليه السلام أخاه قال: يا أخي، كيف استطعت أن تزوّج النساء بعدي؟ فقال: إنّ أبي أمرني. فقال: إن استطعت أن تكون لك ذرية تثقل الأرض بالتسييح فافعل.  
فما أروع الزواج الذي يكون أساسه التوحيد والتسييح.

٢- التقوى :

٣- قال عليه السلام: من تزوّج فقد أحرز نصف دينه، فليتّق الله في النصف الباقي. فمن أهداف الزواج صيانة النفس والتدين والتقوى، فإن أكثر الذنوب تنشأ من الشهوة الفرجية، كما يذكر ذلك علماء الأخلاق والنفس والاجتماع، فمن يتزوّج يحرز نصف دينه، فإن الزواج صمّام أمان لأكثر الذنوب.

٣- البناء المحبوب لله :

٤- وقال عليه السلام: ما بُني بناءً في الإسلام أحبّ إلى الله من التزويج.

٥- عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: تزوّجوا وزوّجوا،

ألا فمن حظّ امرئ مسلم إنفاق قيمة أيمة - التي لا زوج لها بكرة كانت أو تيباً -

وما من شيء أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من بيت يعمر في الإسلام بالنكاح، وما من شيء أبغض إلى الله عزّ وجلّ من بيت يخرب في الإسلام بالفرقة، يعني الطلاق<sup>(١)</sup>. ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ إنّما وكّد في الطلاق وكزّر فيه القول من بغضه الفرقة.

فمن الأهداف المقدّسة: تأسيس بناء وتكوين أسرة صالحة، التي هي النواة الأولى لتشكيل المجتمع السالم.

#### ٤- سنّة النبيّ:

٦- إنّ امرأة عثمان بن مظعون - الصحابي الجليل - جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: يا رسول الله، إنّ عثمان يصوم النهار ويقوم الليل، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله مغضباً يحمل نعليه حتّى جاء إلى عثمان فوجده يصليّ، فانصرف عثمان حين رأى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: يا عثمان، لم يرسلني الله بالرهبانية، ولكن بعثني بالحيفيّة السمحة، أصوم وأصليّ وأمس أهلي - كناية عن النكاح - فمن أحبّ فطرني فليستنّ بسنتي ومن سنّني النكاح<sup>(٢)</sup>.

(١) الروايات التي نقلتها في هذا الكتاب من دون ترقيم وإشارة إلى المصدر فهي من كتاب (مكارم الأخلاق، للشيخ الجليل المحدث الكبير رضيّ الدين أبي نصر الحسن بن الفضل الطبرسي من أعلام القرن السادس الهجري. من الصفحة ١٨٧ إلى ٢٣٠، الباب الثامن وفيه فصول عشرة)، فراجع. وأمّا الروايات الأخرى فأذكر لك المصدر في الهامش في ذيلها إن شاء الله تعالى.

(٢) وسائل الشيعة ١٤ : ٧٤.

٧٤ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

فلا بدّ من الموازنة بين البعد الروحي والبعد الجسدي في الإنسان.  
فلا أصالة النفس وحسب ولا أصالة اللذة وحسب بل هما معاً حسب الشرائط  
العامة والخاصة :

﴿ وَأَبْتَعِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ (١).

«كن لدنياك كأنك تعيش أبداً، وكن لآخرتك كأنك تموت غداً».

«نعم العون على الآخرة الدنيا».

فالإسلام هو دين الفطرة وهي تدعونا لملاحظة البعدين الروحي والجسمي  
من دون إفراط وتفريط بين الدنيا والآخرة.

وقال ﷺ: «من أحبّ فطرته فليستنّ بسنتي ومن سنّتي النكاح».

فالفطرة النبوية التي هي فطرة التوحيد وفطرة الإسلام وفطرة الله التي فطر  
الناس عليها، وكلّ مولود يولد عليها، أن يستنّ ويتأدّب الإنسان بسنن النبيّ  
وآدابه، ومن أبرز تلك السنن النكاح.

٧- وقال ﷺ: «من كان له ما يتزوّج به، فلم يتزوّج فليس منّا».

فلا يحسب على المسلمين، لأنّه بعدم زواجه ربما يوجب نشر الفساد في  
المجتمع، وهذا يتنافى مع الروح الإسلامية التي تحبّ الخير والإصلاح والصالح  
لكلّ المسلمين.

٨- الكافي (٢)، بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام:  
تزوّجوا فإنّ رسول الله ﷺ قال: من أحبّ أن يتبع سنّتي فإنّ من سنّتي التزوّيج.

(١) القصص : ٧٧.

(٢) الكافي ٥ : ٣٢٩.

٥- زيادة الرزق :

٩- وقال ﷺ: «التمسوا الرزق بالنكاح».

١٠- الكافي<sup>(١)</sup>، بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: جاء رجل إلى أبي عبد الله عليه السلام فقال له: هل لك من زوجة؟ فقال: لا. فقال أبي عليه السلام: ما أحب أن الدنيا وما فيها لي وأني بت ليلة وليست لي زوجة. ثم قال: لركعتان يصلّيهما رجل متزوج أفضل من رجل أعزب يقوم ليله ويصوم نهاره، ثم أعطاه أبي سبعة دنانير وقال: تزوج بهذه، ثم قال أبي: قال رسول الله ﷺ: اتّخذوا الأهل فإنّه أرزق لكم.

١١- المصدر بسنده عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: من ترك التزويج مخافة العيلة فقد أساء ظنّه بالله. إن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

١٢- الفقيه<sup>(٣)</sup>، بسنده، قال النبي ﷺ: من سرّه أن يلقى الله طاهراً مطهراً فليلقه بزوجة، ومن ترك التزويج مخافة العيلة فقد أساء الظنّ برّبّه عزّ وجلّ.

١٣- الكافي<sup>(٤)</sup>، بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فشكى إليه الحاجة، فقال: تزوج، فتزوج فوسّع الله عليه. وقال: اتّخذوا الأهل

(١) الكافي ٥ : ٣٢٩.

(٢) النور : ٣٢.

(٣) من لا يحضره الفقيه ٣ : ٣٨٥.

(٤) الكافي ٥ : ٣٣٠.

٧٦ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

فإنه أرزق لكم، وقال: تزوجوا للرزق فإنّ لهنّ البركة.

فمن كان فقيراً، فإنّ من الآثار الوضعية في النكاح هو زيادة الرزق، كما قال سبحانه: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، فعندما يتزوج الشاب ويرى أنّه قد أُلقي في عنقه مسؤولية جديدة فإنّه ينشط للعمل، فيزداد الرزق، وإنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب، ويبارك لمن يعمل بإخلاص، ويتوكّل عليه، ولا يخاف العيلة وكثرة العيال، فإنّ رزقهم على الله سبحانه، وكما في الأمثال الشعبية: من أعطى السنّ يُعطي الخبز.

١٤ - قال رسول الله ﷺ: «من ترك التزويج مخافة العيلة فقد أساء الظنّ بربه، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

فلا بدّ للمؤمن أن يحسن الظنّ بالله، وأنّه سبحانه يقول: أنا عند حسن ظنّ عبدي المؤمن، وإنّه يحبّ المتوكّلين عليه، فالحركة من الإنسان والبركة من الله، كما ورد في الأمثال الشعبية.

١٥ - قال ﷺ: تزوجوا النساء، فإنهنّ يأتين بالمال.

فالله المبارك يبارك للزوجين المتوكّلين عليه، وتكون المرأة عاملاً لحصول الثروة والمال الحلال، والرزق الطيّب النافع.

١٦ - الكافي<sup>(١)</sup>، بسنده عن إسحاق بن عمّار، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام:

الحديث الذي يرويه الناس حقّ أنّ رجلاً أتى النبي ﷺ فشكى إليه الحاجة فأمره بالتزويج ففعل ثمّ أتاه فشكى إليه الحاجة فأمره بالتزويج حتّى أمره ثلاث مرّات؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: «نعم وحقّ»، ثمّ قال عليه السلام: «الرزق مع النساء والعيال».

فالغالب في أمر الزواج هو سعة الرزق، إلا أنه من النادر الشاذّ، والنادر كالمعدوم، أن يكون زيادة الرزق بالفرقة، ففي مثل هذا المورد يرجع الأمر إلى المعصوم عليه السلام أو الإمام العالم بحقائق الأمور، ولا يحقّ لواحد إذا رأى في بداية حياته الزوجية ضيق المعيشة أن يفكر بالفرقة لما ورد في حديث واحد، فهي لا تقاوم تلك الأحاديث الكثيرة الدالة على أنّ الزواج يزيد في الرزق، فتدبر.

١٧ - الكافي<sup>(١)</sup>، بسنده عن ابن أبي ليلي، قال: حدّثني عاصم بن حميد، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فأتاه رجل فشكى إليه الحاجة فأمره بالتزويج، قال: فاشتدّت به الحاجة فأتى أبا عبد الله عليه السلام فسأله عن حاله فقال له: اشتدّت بي الحاجة، قال: ففارق.

ثمّ أتاه فسأله عن حاله، فقال: أثريت - أي كثر مالي - وحسنت حالتي، فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنّي أمرتك بأمرين أمر الله بهما فقال الله عزّ وجلّ: ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال: ﴿ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كِلَا مِنْ سَعْتِهِ ﴾<sup>(٣)</sup>.

## ٦ - زيادة الإيمان :

١٨ - قال النبي صلى الله عليه وآله: يا شابّ تزوّج، وإيّاك والزنا، فإنّه ينزع الإيمان من

(١) الكافي ٥ : ٣٣١.

(٢) التور : ٣٢.

(٣) النساء : ١٣٠.



٧٨ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

قلبك .

وهذه نصيحة نبوية يموج منها العطف والحنان، والخوف على المجتمع وعلى الفرد أن لا يصاب بالانحطاط ويسقط في الهاوية، بخروج الإيمان من قلبه، فإن القلب إذا كان مؤمناً صالحاً صلحت الجوارح، ومن ثمّ صلح المجتمع، أما إذا كان القلب كافراً، كفرت الجوارح وكفر المجتمع، فيدعو النبيّ الشباب للزواج ويحذّرهم من الزنا، لأنّ المؤمن لا يزني وهو مؤمن، فإنّه ينزع منه روح الإيمان عند المعصية، ومن لا إيمان له فهو في ظلمات بعضها فوق بعض، إذ لا نور له، فإنّه حينئذٍ يتخبّط في الظلام ويسقط في الهاويات والزلاّت.

وعلى كلّ مسلم ومسلمة السعي لإزالة العوائق في طريق الشباب، فيحاول الكلّ الجمع والتوفيق بين زوجين شابين بكلّ ما عنده من حكمة وقوّة.

١٩- قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: أفضل الشفاعات أن تشفع بين اثنين في

نكاح حتّى يجمع الله بينهما.

فإنّ هذا العمل الطيّب ممّا يوجب رضا الله، وفرحة النبيّ ومباهاته بأُمَّته

يوم القيامة.

٧- التكاثر :

٢٠- قال رسول الله ﷺ : تزوّجوا فإنّي مكاتركم الأمم يوم القيامة،

حتّى أنّ السقط ليحيىء محببناً على باب الجنّة، فيقال له : أدخل الجنّة، فيقول : لا، حتّى يدخل أبواي الجنّة قبلي.

(المحببئى) هو المتغصّب الممتلئ غيظاً المستبئى للشيء، وقيل : هو

الممتنع امتناع طلبه لا امتناع إياه.

هذا الحثّ والاهتمام الشديد بمسألة الزواج وتكوين الأسرة وتكثير النسل ولو بالسقط إنّما ينبئ عن أمرٍ عظيمٍ في المجتمع الإسلامي، وعن أهداف مقدّسة ونتائج حميدة، تدعو المسلم إلى أن يهتمّ بالزواج ويبنى لبناته الأولى على أساس صحيح ونوايا صادقة، فإنّه تعرف أواخر الأشياء بأوائلها، فلو كانت النيّة حسنة من بداية الأمر، فإنّ الله سبحانه يبارك فيها، ويمشي الموكب العائلي في طريق ذهبي نحو السعادة، وفي بحار المشاكل ترسو سفينة الأسرة على سواحل الاطمئنان وشواطئ العيش الرغيد، فإنّه لم يتزوَّج عبثاً وركضاً وراء النزعة الحيوانية، ومجرّد إشباع رغباته الشهوانية، بل يريد أن يشغل الأرض بكلمة التوحيد، ويحرز نصف دينه، ويصون نفسه من مخاطر الذنوب، ويحفظ قلبه من خبائث الآثام، ويكون صاحب بناء يحبه الله عزّ وجلّ، ويستنّ بسنّة رسول الله ﷺ، ويلتمس الرزق الإلهي، ويحفظ نفسه من الزنا ومزالق الشيطان ووساوسه، فإنّ من لم يتزوَّج سرعان ما يقع في أحضان الشياطين وتسويلاتهم ووساوسهم، فمن تزوّج توجّه إلى الله في عباداته.

#### ٨- زيادة العبادة :

٢١- قال رسول الله ﷺ : لركعتان يصلّيهما متزوَّج أفضل من صلاة رجل عزب يقوم ليله ويصوم نهاره .

٢٢- وقال ﷺ : أرادل موتاكم العزّاب .

٢٣- عن الإمام الصادق عليه السلام ، قال : ركعتان يصلّيهما المتزوَّج أفضل من سبعين ركعة يصلّيها أعزب<sup>(١)</sup> .

(١) الوافي ٢١ : ٣١ .

٨٠ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

وهذا يعني أنّ عدم الزواج يؤثّر حتّى بعد الموت، ممّا يجعل الميّت المسلم رذيلًا بالنسبة إلى المتزوّجين، وربما الرذالة هنا بمعنى قلة الدرجة في الجنة، فهي بالمعنى الإضافي لا بالمعنى الحقيقي.

#### ٩- الصيانة :

٢٤- قال ﷺ: يا معشر الشباب من استطاع منكم الباه فليتزوّج، فإنّه أغضّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فليدمن من الصوم، فإنّ له وجاء.

فمن أهداف الزواج المقدّس غضّ البصر عن الرؤية المحرّمة، كالنظر إلى المرأة الأجنبية بريئة وشهوة، وحفظ الفرج من خطر الزنا والمعصية المهلكة، ومن لم يستطع، فمن الأمور التي تقلّل الشهوة وتكسر شوكتها الصيام، فإنّه للأعزب وجاء، بمعنى رضّ عروق البيضتين حتّى تنفضخا من غير إحراج فيكون شبيهاً بالخصاء لأنّه يكسر الشهوة.

وعندما نشاهد سيرة الأئمة عليهم السلام نراهم يهتمّون بمسألة الزواج، ويسألون الرجال عن ذلك، ويظهرون رأيهم فيه، وهذا المعنى ينطبق على النساء أيضاً، للاشتراك ووحدة الملاك.

٢٥- عن أبي الحسن عليه السلام، قال: جاء رجل إلى أبي جعفر عليه السلام فقال عليه السلام له: هل لك زوجة؟ قال: لا. فقال أبو جعفر عليه السلام: لا أحبّ أنّ لي الدنيا وما فيها، وأنّ أبيت ليلة وليس لي زوجة، ثمّ قال: إنّ ركعتين يصلّيهما متزوّج أفضل من رجل عزب يقوم ليله ويصوم نهاره.

فالزواج من المرأة الصالحة يعين المرء على الطهارة الروحيّة التي تنفعه في الدنيا والآخرة.

٢٦ - قال النبي ﷺ: من سرّه أن يلقى الله طاهراً مطهراً فليلقه بزوجة  
صالحة.

وما أروع البيت الإسلامي الذي يؤسس من اليوم الأول على التقوى وحبّ  
الله عزّ وجلّ، وبواعث إيمانية ومقدّسة، والمؤمن مخلص في عمله حتّى الزواج  
إنّما يقدم عليه لله سبحانه، ومثل هذا يكون عزيزاً عند الله، ويؤجر على ما يفعل  
بالثواب الجزيل، فيكون طاهراً في الدنيا والآخرة، ويحضى بسعادة الدارين.

#### ١٠ - صلة الرحم :

٢٧ - قال الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام : من تزوّج لله عزّ وجلّ ولصلة  
الرحم توّجه الله تاج الملك .

فلا بدّ للشاب المؤمن أن يصلح نيّته من اليوم الأوّل، وإنّما يتزوّج لله  
سبحانه وللأخلاق كصلة الرحم، ويتجنّب الدواعي الفارغة أو الشيطانية  
أو الدنيوية، كأن يلاحظ جمالها فقط، وإن كان الجمال مطلوباً، إلّا أنّه لا يكون  
هو الأساس والأصل، بل الأساس إنّما هو الدين.

#### ١١ - التدبّين :

٢٨ - عن الإمام الصادق عليه السلام قال : إذا تزوّج الرجل المرأة لمالها أو جمالها  
لم يرزق ذلك، فإن تزوّجها لدينها رزقه الله عزّ وجلّ مالها وجمالها .

وهذا يعني بوضوح أنّ أهداف الزواج على نحوين : تارةً معنوية كتثقيف  
الأرض بكلمة التوحيد، وأن يكون الملاك هو الدين والتدبّين، وأخرى مادية  
محضة كالمال والجمال من دون ملاحظة الدين والعقل.

٨٢ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

وهذه من سنن الله سبحانه أنه من تزوّج للمعنويات وللآخرة، فإنّ الله يعطيه حرث الدنيا وحرث الآخرة، ويؤتيه حسنة الدنيا وحسنة الآخرة، يرزق الدين والجمال والمال.

وأما من أراد حرث الدنيا فقط، وطلب من الزواج مال المرأة وجمالها، فإنّه لم يرزق ذلك. ويحرم من الحسينين، فربما تخونه في جمالها، كما يحدثنا التاريخ بذلك كثيراً، وبين ليلةٍ وضحاها يفقد مالها وجمالها.

١٢- الأُنس :

٢٩- عن أبي عبد الله عليه السلام : وخلق للرجال النساء ليأنسوا بهنّ ويسكنوا إليهنّ ويكنّ موضع شهواتهم وأُمَّهات أولادهم<sup>(١)</sup>.  
فمن الأهداف: الأُنس والسكونة ورفع الحاجة الشهوية وأن تكون النساء أُمَّهات الأولاد.

## الفصل الرابع

### العوامل التربوية والوراثية والكونية في الزواج

خلق الله الإنسان مختاراً، وهداه السبيل، فأما شاكراً وإمّا كفوراً، وليس له إلا ما سعى، فهو الذي يختار نجد الخير أو نجد الشرّ، وهذا المعنى يسري في كلّ جوانب حياته واتجاهاتها، ولكن بلطف من الله سبحانه ومن خلال الرسل والأنبياء والكتب السماوية علّمه ما لم يعلم، وأراه الطريق الصحيح والصراف المستقيم، وجعل له علائم وإشارات في طريق الحياة، حتّى لا يضيع ويتيه في وادي الظلام ومناهاة الجهل.

وممّا علّمه في الحياة الزوجية وتكوين الأسرة منذ البداية، أنّه أشار عليه إلى أنّ هناك عوامل خارجية وداخلية تؤثّر في تربية الأسرة وتكوينها على نحو الاقتضائية والعلة الناقصة وليس على نحو العلة التامة، وهو ما يسمّى بقانون الوراثة والعادة، وسمّي بالقانون تسامحاً، فإنّ القانون الحقيقي كقانون العلة والمعلول والقوانين الرياضية لا تتبدّل ولا تتغيّر، وأمّا القانون المجازي كالقوانين الوضعية البشرية فإنّها قابلة للتغيير والتبديل، فما يسمّى بقانون الوراثة إنّما هو بالإطلاق الثاني، كما يمكن تقسيم القانون إلى تكويني غير قابل للتبديل، وتشريعي قابل للتغيير.

وقد استدلل القائلون بالجبر على زعمهم الباطل بقانون الوراثة، إلا أنه مردود كما هو ثابت في محلّه<sup>(١)</sup>، فإن الأوصاف الجسمية والروحية للأبوين لها

(١) مسألة الجبر والاختيار من المسائل الفلسفية والكلامية العويصة، ولها تأريخ قديم، والحق ما ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في حديث الإمام الصادق عليه السلام: «لا جبر ولا تفويض، بل أمر بين الأمرين»، ولكن الأشاعرة قالوا بالجبر والمعتزلة بالتفويض، ومن الفلاسفة من يقول بالجبر أيضاً ويسمى بالجبر الفلسفي، والمادية المعاصرة تقول بالجبر أيضاً وتسمى بالجبر المادي الذي يحلل فعل الإنسان من خلال العِلل المادية المكوّنة لشخصيته ونفسيّاته وروحانيّاته، وهي ما يعبر عنها بـ (مثلث الشخصية)، فهي التي تبني حقيقة الإنسان وتكوّن شخصيته التي تسوقه إلى الفعل المناسب لتلك الشخصية، وأن كلّ إناء بما فيه ينضح، فالإنسان وإن كان حرّاً في ظاهره، إلا أنه مع ملاحظة المثلث الشخصي عرفنا أنه لا مناص له إلا أن يجنح إلى ما توحى إليه شخصيته ونفسيته.

والعوامل الثلاثة المكوّنة لشخصيته فكراً وسلوكاً وعملاً هي :

١- الوراثة.

٢- الثقافة.

٣- البيئة.

فإنه في الناموس الأوّل : يرث الأولاد من آباؤهم وأمهاتهم السجايا العليا أو الصفات الدنيئة، فهي تنتقل بالوراثة عن طريق الحيوان المنوي في الأب والبويضة في الأم إلى الوليد، وبحسبهما تتكوّن شخصية الولد وسلوكه.

وفي الناموس الثاني : الثقافة والتعليم لهما التأثير البالغ في شخصية الإنسان فإنه بهما ينزع في كيانه إلى التوحيد أو الإلحاد، والثورة أو الخمود، الحرص أو القناعة، إلى غير ذلك من الروحيات التي لها اقتضاء خاصّ وبحسبها يميل الإنسان إلى سلوك معين.

وأما الناموس الثالث : المحيط والبيئة، فالإنسان وليد بيئته في سلوكه وخلقه، ولأجل

ذلك نرى اختلاف السلوك في المجتمعات حسب اختلاف البيئات .  
وعلى ضوء هذه العوامل يتحرك الإنسان ويصدر منه الفعل ، حتى إرادة الإنسان التي تعدّ رمزاً للاختيار إنما هي وليدة تلك العوامل في صقل النفس ، ولما كانت هذه العوامل خارجة عن اختيار الإنسان فكذلك ما ينتهي إليها .

والجواب عن هذا واضح ، فإنه لا شك في تأثير هذه العوامل في تكوين الشخصية ، ولكن ليس على نحو يسلب الاختيار من الإنسان ، وإلا يلزم بطلان فلسفة البعثة النبوية وبطلان جهود المرّيين وصيرورة أعمال المصلحين هواء في شبك ، بل هذه العوامل لا تعدو عن كونها مقتضيات وأرضيات تطلب أموراً حسب طبيعتها ، ولكن من ورائها حرية الإنسان واختياره ، كما يشهد بذلك الوجدان ، فكم من شخص تغلب على بيئته ومحيطه ، فكان كافراً فأسلم ، وكان مخالفاً فاستبصر ثم اهتدى ، وقد خلط المادي في هذه النظرية بين الإيجاب والاقضاء ، وبين العلة التامة التي لا يتخلف عن المعلول عن علته ، وبين العلة الناقصة التي تكون على نحو الاقتضاء ووجود المقتضي ، فإنه يؤثر لولا وجود المانع ، ومع المانع لا يؤثر المقتضي .

فالأولاد يرثون الصفات الروحية والخلقية على وجه الإجمال من آبائهم وأمّهاتهم ، إلا أنه تارة يفرض على الأولاد ولا يمكن إزالته كالعقل والذكاء أو الحمق والبلادة ، والجبن والشجاعة ، فإنه غالباً لا يزال بالجهود التربوية والإصلاحية ، وأخرى ما يرثه الأولاد على وجه الأرضية والاقضاء وبنحو العلة الناقصة ، يمكن إزالته بالوسائل التربوية والطرق العلمية كالأمرض الموروثة كالسّل ونحوه وكالطغيان والتمرّد فإنه قابل للتغيير والتبديل بتصعيد فكره وعقله ومستواه الثقافي .

وأما التربية والتعليم فلهما تأثير في شخصية الإنسان ولا يمكن إنكاره إلا أنه لا على نحو الإيجاب والعلّة التامة ، بل ربما الإنسان ينكر ما يتعلّمه ويرفض ثقافة دون ثقافة .



وأما البيئة، فإنّ المحيط الجغرافي له التأثير على نحو الاقتضائية، فإنّ القاطن في المناطق الحارّة تختلف طباعه وروحياته عمّن يعيش في المناطق الباردة، لكنّ هذا التأثير لا يلزم الجبر في الأفعال.

بل الإنسان يتأثر ويتغيّر بعوامل مختلفة، كالتفكّر والتدبّر في صالح أعماله وطالح أفعاله، وحتى عقائده ومعتقداته وما يترتّب عليها من الآثار والمضاعفات سواء أكانت الأفعال مناسبة لشخصيته المكوّنة في ظلّ تلك العوامل أو منافية لها، وهذا من الأمر البديهي الذي لا ينكر، كما لو وقع في إطار ثقافة وبيئة تختلف عمّا كان فيه، فإنّه يتأثر بذلك، حتى لو كان في آخر سنين عمره، فلم يكن المثلث الماضي مؤثراً على نحو الإيجاب والعلّة التامة. كما لا يمكن للإنسان أن ينكر دور الأنبياء والمصلحين في تغيير الأجيال والمجتمعات بعدما تمّت شخصيتهم وتكوّنت روحياتهم، وكمن لذلك من شواهد يذكرها التأريخ الإنساني.

فما يقوله الجبريّة سواء الكلامية أو الفلسفية أو المادية لا يتلاءم مع العقل السليم والفضة السليمة، كما هو خلاف الأدلّة العقلية والسمعية، والعجب من أولئك الذين يقولون بالجبر إلا أنّهم يدافعون عن الحرّية في حياتهم الاجتماعية ويقفون في وجه المعتدي على حقوقهم ويشجبون عدوانه ويشكونه إلى المحاكم القانونية والشرعية فهؤلاء جبريون في الفكر، ولكنهم ملتزمون بالاختيار في مقام العمل والمعاشرة، فما هذا التناقض بين الفكر والعمل؟ ما لهم كيف يحكمون.

أجل هناك دوافع للقول بالجبر، منها اجتماعية ومنها سياسية. فهؤلاء يريدون تجاهل القوانين وتجاوز الحدود والحصول على الحرّية المطلقة في العمل، ورفض القواعد الاجتماعية والأخلاقية، فيلجأون إلى أصل فلسفي يرفع عن كاهلهم المسؤوليات المترتبة على الحرّية والاختيار، وليس هو إلاّ القول بالجبر، كما إنّ أكثر أصحاب هذه الفكرة هم

تأثير في صفات الولد.

وقد بات من الواضح علمياً ما لقانون الوراثة من أثر في نقل الصفات من الآباء والأمهات إلى الأطفال عبر (الجينات) الوراثة، فإنّ الحيوانات المنويّة والبويضات هي الخلايا الخاصّة بالتكاثر عند الذكر والأنثى، وفي داخل كلّ حيوان منويّ ذكريّ وبويضة أنثويّة توجد نواة تحتوي على (٢٤) كروموسوم، وكلّ كروموسوم يحمل وحدات حيّة تصل إلى المائة وحدة أو أكثر، تسمّى (الجينات)، والجينات هي أدقّ وحدة في المادّة الحيّة، وهي وحدات الوراثة، فكلّ واحد منها له وظيفة خاصّة بتحديد نموّ الفرد وشكله الخارجي وسلوكه، فهناك جينات تؤثر على لون العين، وأخرى على لون البشرة، وغيرها على شكل الجسم أو حجمه أو على ذكاء الفرد وغير ذلك، وبذلك تلعب (الجينات) الوراثة دوراً هاماً في حياة الأطفال، وهي تدخل في إعطاء الطفل هويّته المستقلّة المميّزة له عن غيره<sup>(١)</sup>.

فأوصاف الوالدين لها التأثير الاقتضائي في صفات الأولاد - ذكوراً وإناثاً -

السلطات الحاكمة الجائرة المتسلّطة على الناس بالسيف والقهر، فهم يروّجون فكرة الجبر حتّى يبرّروا بها أفعالهم الإجرامية وطغيانهم في البلاد، بأنّ ما نفعه بقضاء الله وقدره، وإنّما هو فعله. ولا زال الطغاة والجبابرة يدعمون الفكر الجبري بألوانه المختلفة وبشوب جديد عصري مادي، وليس كيدهم إلّا في ضلال.

اقتباس من كتاب الإلهيات : محاضرات العلامة الشيخ جعفر السبحاني ١ : ٦٥٩ -

٨٨ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

فالأمّ الحسود تنقل الصفة إلى ابنتها، والأب البخيل ينقل هذه الصفة إلى ولده، وهكذا بالنسبة لصفات الكرم والشجاعة والرفقة والمودة والعاطفة، فإنّ هذه الصفات تنتقل بشكل غالب عبر الآباء والأمّهات إلى أطفالهم :

﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾<sup>(١)</sup>.

فانظر أين تضع نطفتك فإنّ العرق دسّاس، ولعلّ (العرق) إشارة إلى (الجينات) فصفات الأمّ وكذلك الأب لهما التأثير الإجمالي في تربية الأطفال وصفاتهم، وهذا ممّا لا ينكر كما أشير إليه في كثير من الروايات، وقد حدّد الشارع المقدّس للزواج حدوداً من الطرفين بتعليل التأثيرات الروحية والجسمية في الأبوين على الأولاد، إلّا أنّه ليس تأثيراً قطعياً وعلى نحو العلة التامة التي لا يمكن التخلف عنها، فإنّه نرى بالوجدان - والوجدانيات من البدييات - أنّه ربما يتولّد من الأبوين الخبيثين أولاد طيّبون، وبالعكس، فيخرج الطيّب من الخبيث كما يخرج الخبيث من الطيّب، كما يخرج الحيّ من الميتّ والميتّ من الحيّ. ولو كان التأثير قطعياً ولا يتخلف، لكانت التربية والتعليم لغواً وباطلاً، بل نجد من الآداب والرسوم ما تتغيّر في زمان واحد وفي مجتمع واحد، كما أنّ وضع القوانين في المجتمعات البشريّة، خير شاهد على أنّ الوراثة لا تجبر الإنسان على فعل، نعم له تأثير في الجملة وعلى نحو الموجبة الجزئية والنحو الاقتضائي، ولهذا يهتمّ الإسلام بمسألة الوراثة والعوامل البيئية والمحيط، وكذلك العوامل الكونيّة.

فمن أهمّها :

## ١- العرق :

فإنه يؤثر في أخلاق الأولاد كما ثبت في العلم الحديث أيضاً أن الوراثة والخلايا الوراثية لها تأثير بالغ في أحوال الأطفال جسدياً وروحياً، فمن كان أبوه مبتلى بأمراض القلب فإنه يؤثر على أولاده، فسرعان ما يبتلى أحدهم بذلك. وكذلك في الأخلاقيات والقضايا الروحية والمعنوية.

قال الإمام الصادق عليه السلام : تزوجوا في الحجر الصالح، فإن العرق دساس.

الحجر - بالكسر والضم - العشيرة. العفيف الطاهر، فتزوجوا من عشيرة عفيفة وطاهرة، فإن العرق دساس وله تأثير في الأخلاق والتربية. كما ورد : ثلثا الولد على الخال، فإن الخال أحد الضجيعين.

## ٢- القمر في العقرب :

من العوامل المؤثرة في نحوسة الزواج وسعادته لو تزوج الإنسان وكان القمر في برج العقرب، وهذا يعني أن الأجرام السماوية لها تأثير في الجملة على الوقائع الأرضية كتأثير القمر على البحر في مدّه وجزره، فإن للكواكب السبعة السيّارة أحكاماً خاصّة كما في علم النجوم والهيئة، فمنها نحسة ومنها سعيدة، كما أنّ لنا دوائر عظام وهي عشرة، ودوائر صغار لا تعدّ ولا تحصى، ومن العظام دائرة منطقة البروج التي تعني دائرة سماوية فيها اثني عشر برجاً، تبتدئ ببرج الحمل وتنتهي ببرج الحوت، ومن الأبراج برج القمر وهو عبارة عن كواكب في القسم الشمالي من السماء شبه عند القدماء بالعقرب، فالقمر في سيره الشهري في ثلاثة أيام تقريباً يكون في هذا البرج، ويكره الزواج حينئذٍ كما ورد في الأخبار

٩٠ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

الكثيرة.

١- عن الصادق عليه السلام، قال: من تزوج والقمر في العقرب لم ير الحسنى.  
٢- وروي أنه يكره التزويج في محاق الشهر، وهي ثلاث ليالٍ من آخر الشهر لا يكاد يرى القمر فيه لخفائه.

٣- عن الإمام الصادق عليه السلام: من تزوج والقمر في العقرب لم ير خيراً أبداً.  
ولا بأس أن نذكر هذا الموضوع بشيء من التفصيل.

حكم التنجيم في الشريعة المقدسة:

لقد تعرّض شيخنا الأعظم في مكاسبه المحرّمة لحكم التنجيم باعتبار جواز أخذ الأجرة عليه أو أنه يحرم الاكتساب به، لكونه عملاً محرّماً في نفسه، فقال: «التنجيم حرام، وهو كما في جامع المقاصد للمحقّق الكركي عبارة عن الإخبار عن أحكام النجوم باعتبار الحركات الفلكية والاتصالات الكوكبية».

ولا يخفى أنّ المقصود من التنجيم في عبارة الشيخ هو ما يفعله المنجم من ادّعائه معرفة حظوظ الناس ومصيرهم بحسب حركات النجوم وسيرها باعتبار الحركات الفلكية، وهي حركات السيّارات السبع من القمر والشمس والمشتري وزحل وعطارد والزهرة والمريخ، بناءً على مذهب القدماء حيث قالوا: إنّ مركز العالم هي الأرض، وإنّ الأجرام والكواكب كلّها تدور حول الأرض. وأمّا عند المتأخّرين والاكتشافات الجديدة فهي تسعة بإضافة (أورانوس ونبتون) وازدادت باكتشافات جديدة، وإنّ مركز المنظومة الشمسيّة هو الشمس.

فمركز الكلّ: الشمس، والكلّ يدور حولها، وهذا الدوران باعتبار الحركة الوضعية والانتقالية يسبّب وجود الليل والنهار والفصول الأربعة، والسنة الشمسية والقمرية. ويعبّر عن هذه المجموعة بـ (المجموعة الشمسية)، والمراد من

العوامل التربوية والوراثية والكونية في الزواج ..... ٩١

الاتصالات الكوكبية هو اقتراب الكواكب بعضها من بعض أو ابتعادها كذلك، ولكلّ من الاقتراب والابتعاد حكم خاصّ عند المنجّمين .

ثمّ يتعرّض الشيخ إلى حكم التنجيم بالتفصيل في مقامات عديدة، ففي المقام الأوّل يرى في الظاهر عدم حرمة الإخبار عن الأوضاع الفلكية المبتنية على سير الكواكب كالخسوف والكسوف أو غيره، بل يجوز الإخبار بذلك إمّا جزماً أو ظناً، والمسألة مورد نزاع بين الفقهاء .

والمحقّق الكركي يرى جواز ذلك مؤيداً ذلك بما ورد من كراهة السفر والتزويج في برج العقرب .

أقول: إنّما يجوز ذلك في موارد خاصّة قد خرج بالدليل، فيما إذا كان التنجيم على نحو المدخلية والاقترائية لا العلة التامة وبنحو الاستقلال، وأنّه من الكاشف والمكشوف والعلامات، وذهب المشهور إلى حرمة ذلك أيضاً، بل قيل بطلانه من ضروريات الدين، وقيل على نحو الموجبة الجزئية لا على نحو حكم كلي، ولمثل هذا ورد النهي الشديد عن التنجيم وحرمة وأنّه يحرق كتب التنجيم، وهناك روايات تدلّ على مدحه، وأنّه من علوم الأنبياء، وأنّه أوّل من تكلم به إدريس، وقيل: علم، قلت: قلّت منافع وكثرت مضارّه .

والشيخ الأعظم في المقام الثالث يقول: الإخبار عن الحادثات والحكم بها مستنداً إلى تأثير الاتصالات المذكورة فيها بالاستقلال أو بالمدخلية وهو المصطلح عليه بالتنجيم، فظاهر الفتاوى والنصوص حرمة مؤكّدة، فقد أرسل المحقّق في المعبر عن النبيّ ﷺ أنّه: «من صدّق منجماً أو كاهناً فقد كفر بما أنزل على محمّد ﷺ»، وهو يدلّ على حرمة حكم المنجّم بأبلغ وجه .

وفي رواية نصر بن قابوس عن الصادق عليه السلام: إنّ المنجّم ملعون، والكاهن

ملعون، والساحر ملعون.

وفي نهج البلاغة: إِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أَرَادَ الْمَسِيرَ إِلَى بَعْضِ أَسْفَارِهِ (فِي الْجِهَادِ) فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: إِنْ سَرْتَ فِي هَذَا الْوَقْتِ خَشِيتُ أَنْ لَا تَظْفِرَ بِمِرَادِكَ مِنْ طَرِيقِ عِلْمِ النُّجُومِ.

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ: أَتَزْعَمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي مِنْ سَارٍ فِيهَا صَرْفٌ عَنْهُ السُّوءُ، وَتَخَوِّفُ مِنَ السَّاعَةِ الَّتِي مِنْ سَارٍ فِيهَا حَاقٌ بِهِ الضَّرَرُ، فَمَنْ صَدَّقَ بِهَذَا فَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنَ، وَاسْتَغْنَى عَنِ الْإِسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ فِي نَيْلِ الْمَحْبُوبِ وَدَفْعِ الْمَكْرُوهِ.

إِلَى أَنْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَيُّهَا النَّاسُ وَتَعَلَّمِ النُّجُومَ إِلَّا مَا يَهْتَدَى بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ، فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى الْكُهَانَةِ، وَالْمَنْجَمِ كَالْكَاهِنِ، وَالْكَاهِنِ كَالسَّاحِرِ، وَالسَّاحِرِ كَالْكَافِرِ، وَالْكَافِرِ فِي النَّارِ، سَيَرُوا عَلَيَّ اسْمَ اللَّهِ <sup>(١)</sup>.

وفي الباب روايات وكلام في السند وفقه الرواية فراجع، ورأي الشيخ في المقام: أَنَّهُ الْأَوْلَى التَّجَنَّبُ عَنِ الْحُكْمِ بِهَا - أَيَّ عَنِ إِسْنَادِ الْحَوَادِثِ الْوَاقِعَةِ إِلَى النُّجُومِ وَالْكَوَاكِبِ عِنْدَ وَضْعِهَا الْخَاصِّ مِنَ الْإِقْتِرَانِ وَالصُّعُودِ وَالنُّزُولِ - وَمَعَ الْإِرْتِكَابِ فَالْأَوْلَى: الْحُكْمُ عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيبِ - لَا الْحُكْمَ وَالْقَطْعَ - وَأَنَّهُ لَا يَبْعَدُ أَنْ يَقَعَ كَذَا عِنْدَ كَذَا - مِنْ إِقْتِرَانِ النُّجُومِ أَوْ إِقْتِرَاقِهَا - وَاللَّهُ الْمُسَدِّدُ <sup>(٢)</sup>.

وَأَمَّا الْحَدِيثُ الْوَارِدُ فِي النَّهْيِ عَنِ السَّفَرِ وَالتَّرْوِيجِ وَالْقَمَرِ فِي الْعَقْرِبِ: عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَمْرَانَ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: مَنْ سَافَرَ أَوْ تَزَوَّجَ وَالْقَمَرُ فِي الْعَقْرِبِ (أَيَّ فِي بَرَجِ الْعَقْرِبِ) لَمْ يَزَلْ حَسَنِي <sup>(٣)</sup>.

(١) نهج البلاغة ١: ١٢٤، وشرح ابن أبي الحديد ٦: ١٩٩.

(٢) المكاسب ٢: ٣٦٩.

(٣) وسائل الشيعة ٨: ٢٦٦، الباب ١١ من أبواب آداب السفر إلى الحج، الحديث ١.

والحديث صريح على تأثير الكواكب في الخير والشرّ على نحو الموجبة الجزئية.

وأما المعنى والمقصود من (القمر في العقرب) فهذا يرجع إلى ما اصطلحه القدماء من البابليين من تصوّرهم في السماء صوراً وأشكالاً لنجوم ثابتة على شكل واحد، وهذه الصور بعضها تامة وبعضها ناقصة، وخصّصوا لكلّ شكل عدّة من الكواكب المرصودة البالغ عددها (١٠٢٥) أو (١٠٢٢) إذا تركنا الثلاثة التي تركها (بطليموس) لغاية صغرها والتي أدرجها (الخواجه عبد الرحمن الصوفي) ووزّعوا من هذه الكواكب (٩١٧) كوكباً داخلية في هذه الصور، أي تحوي عليها الخطوط الموهومة على أطراف هذه الصور، والباقي وهو (١٠٥) كوكباً خارجة عنها، وواقعة قريبة من أطرافها.

ويقال للأوّل: داخلية الصورة، وللثاني: خارجة الصور.

وإنّما فعلوا ذلك لغرض تعيين مواقع تلك الكواكب عند الحساب، فإذا أخبروا عن كوكب قالوا: الكوكب الواقع على رأس الصورة الفلانية أو على ذنبها أو على قلبها، تشخيصاً للكوكب وموقعيته من السماء، فيما إذا كانت داخلية الصورة، وإذا كانت خارجة عن الصورة قالوا: الكوكب الواقع قريباً من رأس الصورة أو رجليها وهكذا.

ومجموع هذه الصور تبلغ (٤٨) صورة، واحد وعشرون منها واقعة على شمال منطقة البروج، وخمسة عشر منها على جنوب المنطقة، واثنى عشر منها على نفس دائرة منطقة البروج، وبهذا تسمّى هذه الدائرة باسم (دائرة منطقة البروج).

والذي يتعلّق بالموضوع (القمر في برج العقرب) هي الصور التي تقع على



٩٤ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعتره

منطقة البروج التي هي المناط لدورة الشمس والقمر ومدارهما. فدورة الشمس خلال سنة أي (٣٦٥) يوماً وربع. ودورة القمر خلال شهر، أي سبعة وعشرون يوماً وسبع ساعات و (٤٢) دقيقة، لكن حيث أن الشمس تتزحزح في هذه المدة عن مكانها الأول عند اقترانها مع القمر في أول الشهر القمري فتتقدّم شيئاً قليلاً، فلا بدّ للقمر أن يسير حتّى يلتقي مع الشمس ثانية لينتهي شهراً كاملاً، وبذلك يتمّ الشهر القمري في (٢٩) يوماً و (١٢) ساعة و (٤٤) دقيقة.

وأما (منطقة البروج)، فهي من الدوائر العشرة العظام<sup>(١)</sup>، وهو مدار وهمي مائل عن دائرة معدّل النهار، أو عن المدار الاستوائي نحواً من (٢٣/٥) درجة. وقسموا هذا المدار إلى اثني عشر جزءاً، كلّ جزء لبرج، وخصّصوا لكلّ فصل من الفصول الأربعة ثلاثة بروج.

الأول: برج الحمل (وليد الخروف)، وفيه (١٣) كوكباً، والخارجة عن الصورة (٥) كواكب.

- الثاني: برج الثور، وفيه (٣٢) كوكباً، والخارجة (١١).
- الثالث: برج الجوزاء، وفيه (١٨) كوكباً، والخارجة (٨).
- الرابع: برج السرطان، وفيه (٩) كواكب، والخارجة (٤).
- الخامس: برج الأسد، وفيه (٢٧) كوكباً، والخارجة (٨).
- السادس: برج السنبلة، وفيه (٢٦) كوكباً، والخارجة (٦).

---

(١) ذكرت تفصيل ذلك في كتاب (ماذا تعرف عن علم الفلك)، والدوائر العشرة هي:  
١ - معدّل النهار. ٢ - فلك البروج. ٣ - المارّة بالأقطاب الأربعة. ٤ - العرض. ٥ - الميل.  
٦ - الأفق. ٧ - نصف النهار. ٨ - أول السموت. ٩ - وسط سماء الرؤية. ١٠ - دائرة الارتفاع.

السابع: برج الميزان، وفيه (٨) كواكب، والخارجة (٩).

الثامن: برج العقرب، وفيه (٢١) كوكباً، والخارجة (٣).

التاسع: برج القوس، وفيه (٣١) كوكباً.

العاشر: برج الجدي (وليد البقرة)، وفيه (٢٨) كوكباً.

الحادي عشر: برج الدلو، وفيه (٤٢) كوكباً، والخارجة (٣).

الثاني عشر: برج الحوت، وفيه (٣٤) كوكباً، والخارجة (٤).

هذه هي البروج الاثنا عشر يقطعها القمر في شهر، كل يوم (١٣) درجة و (٣) دقائق و (٥٤) ثانية، ولذلك يتم دورته أي الأبراج الاثنا عشر كلها في (٢٧) يوماً و (٧) ساعات و (٤٣) دقيقة، وبما أن كل برج ثلاثون درجة فيحلّ القمر في كل برج ضيفاً أقلّ من ثلاثة أيام، أي يومين وربع تقريباً.

والمنجمون يقولون: من يولد في واحد من هذه البروج فإنه يأخذ طباعه، فمن يولد في برج الأسد مثلاً يأخذ طباع الأسد، وهكذا، ويسمى هذا بـ(الطوالع)، فلكل واحد له طالع، ولكل طالع ثلاث وجوه، يعزف أحواله وحياته في كل وجه وطالع كما هو مذكور في كتاب (أبي معشر الفلكي)، والله العالم بالصواب وصحة ما يقال، ولهم طريق في حساب الطالع باعتبار الحروف الأبجدية بحساب اسم الشخص واسم أمّه ثم يقسم على اثني عشر فما تبقى يكون طالع.

وقد ذكر القدماء من علماء النجوم لحلول القمر في كل برج آثاراً خاصة لا يزالون معتقدين بها، وربما يقال بعدم إنكارها كلاً ورأساً إذا كان الله عزّ وجلّ قد جعل ذلك كاشفاً وعلامة، أو مؤثراً على نحو الاقتضائية أو الجزئية بإذنه تعالى. كما لا يمكن لأحد إنكار ما للآثار الجوية من تأثيرات في مزاج العناصر

السفلية من معادن ونبات وحيوان.

فهذه الشمس الوهاجة لها تأثيرها الكبير في عالمنا السفلي من تحويلات في المناخ والنفوس والأحوال والأوضاع والتكوين والفساد ما لا يمكن حصره. كما أن لطلوع بعض الكواكب مثل (السهيل) ونورها تأثيراً على نضج بعض الفواكه أو تكوينها. كما كان للقمر وسيره الشهري تأثير في الطبيعة، من جزرٍ ومدّ، وتأثير في مزاج الإنسان في عادة النساء الشهرية المرتبطة بالأشهر القمرية كمال الارتباط. فلا مجال لإنكار ما لهذه التحوّلات الجويّة من التأثير في العالم السفلي وأنّ هناك ارتباط بين السماء والأرض، بين العالم العلوي من الكواكب والنجوم والعالم السفلي من النبات والجماد أي المعادن والحيوان والإنسان.

فذكروا لانتقال القمر إلى برج العقرب آثاراً، منها: ازدحام الهموم على قلوب الناس، ووقوع الفتن والمنازعات، وكثرة السرقات، وعدم انسجام الأمور، والتأخّر في الأعمال، ووفور الأمراض، فالكواكب لها التأثير في الخير والشرّ في الجملة على نحو الاقتضائية والموجبة الجزئية. ولو لم يكن لها التأثير لما كان المجال لذمّ السفر والزواج فيما لو كان القمر في برج العقرب<sup>(١)</sup>.

### ٣- المحيط والبيئة :

قال رسول الله: «كلّ مولود يولد على الفطرة، إلّا أنّ أبواه يهودانه أو ينصرّانه أو يمجّسانه»، والفطرة هي فطرة التوحيد والتسليم إلى الله سبحانه،

---

(١) اقتباس من هامش المكاسب المحرّمة ٢ : ٢٨٨، بقلم السيّد الكلاتر، نقلاً عن التنبيهات المظفرية لمحمّد قاسم بن المظفر.

العوامل التربوية والوراثية والكونية في الزواج ..... ٩٧

والتسليم هو الإسلام، فكلّ مولود يولد على فطرة الدين الإسلامي الحنيف، إلا أنّ المحيط والبيئة والعامل التربوي كلّ له دور في ديانة الطفل فيكون بسبب والديه يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً، أو كافراً أو مشركاً، أو أيّ مسلك آخر.

فهذه بعض العوامل المؤثرة في تربية الأسرة، كما أنّ هناك عوامل أخرى مذكورة في المفصّلات.

## حَبِّ النِّسَاءِ

الحبّ يعني الميل الباطني نحو المحبوب، وله آثار جوانحيّة وجوارحيّة، وإنّه يختلف باختلاف متعلّقاته ومصاديقه، فمنها حبّ النساء، وإنّه يمدح تارة ويذمّ أخرى. فمن الأوّل:

١- قال رسول الله ﷺ: أحبّ من دنياكم ثلاث: الطيب، والنساء وقرّة عيني الصلاة.

٢- عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: العبد كلّما ازداد في النساء حبّاً ازداد في الإيمان فضلاً.

٣- وعنه عليه السلام: من أخلاق الأنبياء عليهم السلام حبّ النساء. فمثل هذا الحبّ الذي يكون مقدّمة للصلاة، كما أنّ التطيّب كذلك، فإنّه بلا شكّ يكون ممدوحاً، بل ممّا يزيد في الإيمان فضلاً، وإنّه من أخلاق الأنبياء، وأمّا حبّ النساء مجرّداً عن كونه مقدّمة للعمل الصالح، فإنّه ممّا يوجب الفتنة، ويكون مذموماً، كما يكون منشأً للذنوب ومن جذورها كما ورد في الخبر الشريف: ستّة أمور كانت سبباً للذنوب، منها: حبّ النساء.

٤- قال أمير المؤمنين عليه السلام: الفتن ثلاث: حبّ النساء وهو سيف الشيطان، وشرب الخمر وهو فمّ الشيطان، وحبّ الدنانير والدرهم وهو سهم الشيطان، فمن أحبّ النساء لم ينتفع بعيشه، ومن أحبّ الأشربة حرمت عليه الجنة، ومن أحبّ الدينار والدرهم فهو عبد الدنيا<sup>(١)</sup>.

فجعل مثل هذا الحبّ في عرض حبّ شرب الخمر، وبهذا القياس يعلم مدى خطورة حبّ النساء.

٥- قال رسول الله ﷺ: أوّل ما عصي الله تبارك وتعالى بستّة خصال: حبّ الدنيا، وحبّ الرئاسة، وحبّ الطعام، وحبّ النساء، وحبّ النوم، وحبّ الراحة<sup>(١)</sup>. فلا تعارض بين الروايات حينئذٍ لو كان الحبّ من جهتين وباعتبارين، وفي التضادّ يشترط وحدة الجهة والاعتبار، فحبّ النساء منه ما هو ممدوح ومنه ما هو مذموم.

٦- عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنّ المرأة خلقت من الرجال وإنّما همّتها في الرجال، فأحبّوا نساءكم، وإنّ الرجل خلق من الأرض فإنّما همّته في الأرض<sup>(٢)</sup>.  
٧- عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: كلّ من اشتدّ لنا حبّاً اشتدّ للنساء حبّاً ولحواء<sup>(٣)</sup>.

٨- قال رسول الله ﷺ: أعطينا أهل البيت سبعة لم يعطهن أحد كان قبلنا ولا يعطاهنّ أحد بعدنا: الصباحة، والفصاحة، والسماحة، والشجاعة، والعلم، والحلم، والمحبة في النساء<sup>(٤)</sup>.

٩- الكافي<sup>(٥)</sup>، بسنده، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ما أظنّ رجلاً يزداد في

(١) المصدر: ٢٢٦، عن الخصال ١: ٢٣٤.

(٢) البحار ١٠٠: ٢٢٦.

(٣) المصدر: ٢٢٧.

(٤) المصدر: ٢٢٨.

(٥) الكافي ٥: ٣٢١.

١٠٠ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

هذا الأمر خيراً إلا ازداد حباً للنساء .

أراد بهذا الأمر : التشجيع ومعرفة الإمام<sup>(١)</sup> أو قبول ولايتهم .

١٠ - الفقيه<sup>(٢)</sup>، بسنده عن أبي العباس، قال : سمعت الصادق عليه السلام يقول :

العبد كلما ازداد للنساء حباً ازداد في الإيمان فضلاً .

١١ - المصدر نفسه، عن معمر بن خلّاد، قال : سمعت عليّ بن موسى

الرضا عليه السلام يقول : ثلاث من سنن المرسلين : العطر، وإحفاء الشعر، وكثرة الطروقة .

١٢ - الكافي<sup>(٣)</sup>، بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

جعل قرّة عيني في الصلاة، ولذّتي من الدنيا النساء، وريحاتي الحسن والحسين عليهما السلام .

١٣ - المصدر نفسه، بسنده عن بعض أصحابنا، قال : سألتنا أبو عبد الله عليه السلام :

أيّ الأشياء ألدّ؟ قال : فقلنا غير شيء، فقال هو عليه السلام : ألدّ الأشياء مباحة النساء .  
(المباحة) المجامعة والمقاربة الجنسية من حلال ونكاح شرعي .

١٤ - المصدر، بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال : ما تلذذ الناس في الدنيا

والآخرة بلذّة أكثر لهم لذّة من النساء، وهو قول الله عزّ وجلّ : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَيْنِ ﴾<sup>(٤)</sup>، إلى آخر الآية، ثمّ قال : وإنّ أهل الجنّة

(١) الوافي ٢١ : ٢٨ .

(٢) الفقيه ٣ : ٣٨٤ .

(٣) الكافي ٥ : ٣٢١ .

(٤) آل عمران : ١٤ .

حبّ النساء ..... ١٠١

ما يتلذّذون بشيء من الجنة أشهى عندهم من النكاح لا طعام ولا شراب.  
١٥ - الفقيه<sup>(١)</sup>، قال رسول الله ﷺ: ما رأيت من ضعيفات الدين وناقصات  
العقول أسلب لذي لبّ منكّن.

أقول: يظهر من مجموع الروايات الشريفة أنّ حبّ النساء يعني حبّ  
الزوجة بالخصوص لا مطلق النساء كما هو واضح، ويتولّد من هذا الحبّ شدّة  
القرب والانسجام الروحي، ومن ثمّ التلاؤم الجسدي وكثرة الطروقة والمباضعة،  
فإنّه ممّا يزيد في المحبّة لو كان محفوفاً بالآداب والمقدّمات كما ورد في  
الروايات الشريفة، وسوف يعلم ذلك من خلال ما جاء في هذا الكتاب.

---

(١) الفقيه ٣: ٣٩٠.



## النساء الفضلات

الإنسان بطبيعته يميل إلى الحسن والجميل، فإنَّ حبَّ الحُسن والجمال من الغرائز الإنسانية. فيبحث أولاً في كلِّ شيء عن أفضله وأحسنه وأجمله، وربما يخطأ في المصاديق وربما يلتبس عليه المفاهيم، وفي قصَّة الزواج يبحث عن أفضل النساء، والإسلام أشار إلى ذلك ولم يغفل هذا الجانب في حياة الإنسان، فعرّف النساء الفضلات، وهذا يعني على أنَّ النساء عليهن أن يتحلَّين بهذه الفضائل أيضاً حتَّى يقصدونهنَّ، ويكونن من المباركات.

وهذه الفضائل منها ذاتية ومنها كسبيَّة، وربما الكسبيَّات تعوِّض عن الذاتيات وتملأ الفراغ حينئذٍ، وهذا يشير أنَّ على النساء الاهتمام بكسب الفضائل الأخلاقية والأمر المعنوية.

والإسلام يولِّي الجانب الأخلاقي في انتخاب الزوج أهميَّة فائقة. فالتقوى والإيمان وهما المقياس الأساس، لا المال والثروة والجمال فمن يجعل الزواج مشروعاً خاضعاً لاعتبارات فارغة وجوفاء من قبيل الثروة والجمال الظاهري والجاه إنما يرتكب - بنظر الإسلام - خطأً كبيراً لأنَّ كلَّها إلى الفناء والزوال، وإنَّما الثابت والمحكوم بالبقاء الخلق الرفيع والإيمان العميق والتقوى والعفة والطهر والصفات الحميدة التي هي مظهر أسماء الله وصفاته فهي تبقى ببقاء الله السرمدي، فهي دعائم ثابتة لا تحركها العواصف ولا تهتزُّ مع تقلُّبات الزمن والزواج من شعب الخلة والصدقة، والأخلاء بعضهم لبعض - يوم القيامة - عدوُّ إلا المتَّقون، فالصدقة ومنها الزواج الذي تبنتي على أساس التقوى من أوَّل يوم هو أحقُّ

بالبقاء، وتتصل الدنيا بالآخرة، وتكون زوجة المرء أجمل من حور العين في ربوع الجنان. فالجسد يفنى وتبقى الروح حتى يرجع الجسد مرة أخرى يوم القيامة ليتّم الإنسان - المرأة والرجل - مرة أخرى بما حملوا من الإيمان والعمل الصالح والأخلاق الحسنة، فعلى النساء كسب الفضائل ومحاسن الأخلاق.

ولا يصح للرجل أن يكون همّه في الزواج أن يقترن بامرأة ذات جمال فاتن أو ثراء طائل أو من أسرة تتمتع بجاه دنيوي أو من عائلة ذات مركز وسلطان، من غير أن يهتمّ بخلقها ودينها وفضائلها، فإنّ مثل ذلك الزواج يكون فاشلاً ومثل تلك الزوجة قلّما تصلح معها الحياة الزوجية حيث يسدل جمالها أو جاهها أو أموالها الستار على الكثير من العيوب التي سرعان ما تنكشف فتجعل من حياتهما جحيماً لا ينفع معها إلاّ الفراق والطلاق. فإنّه إذا تزوّج الرجل المرأة لجمالها أو لمالها - كما ورد في الحديث الشريف - أو كل إلى ذلك، وإذا تزوّجها لدينها رزقه الله المال والجمال... إياكم وخضراء الدّمن: المرأة الحسنة في منبت سوء، أي البيئة السيئة التي تنشأ المرأة فيها، فلا بدّ من اختيار شريك الحياة الصالح سواء من جانب الرجل أو جانب المرأة، وإنّ الأسرة الصالحة هي حجر الزاوية في بناء المجتمع السليم أو اللبنة الأساسية التي يتوقّف عليها صلاح هذا البناء.

ولا يمكن الاستغناء عن الزواج، فإنّه الطريقة الطبيعية وسنة الحياة التي يحفظ بها النوع البشري وما يتبعه من النظم الاجتماعية. كما من الأمور الفطرية والغرائز الإنسانية التي لا يمكن أن يتغافل عنها أو يلغىها هو إشباع الغريزة الجنسية، ولا يمكن كبتها لأنّ كبتها يؤدي إلى إرباك الحياة الإنسانية، وإلى الانحرافات الجنسية التي تؤدي إلى انحطاط المجتمع واضمحلاله، وإلى غضب

١٠٤ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

الله وسخطه. كما يبتلئ الإنسان حينئذٍ بأضرار نفسية وصحية وعقلية، كما ينتهي إلى ضياع الأنساب وما شابه ذلك، فالحاجة إلى الزواج حاجة فطرية ضرورية، بالزواج يتكامل الإنسان ويرتقي المدارج وينال الفضائل ويحلّق في سماء المكارم ويحصل على سعادة الدارين.

فهياً بنا إلى المدينة الفاضلة التي رسمها لنا الإسلام، إلى مكارم الأخلاق -رجالاً ونساءً- فلا بدّ لهنّ من كسب الفضائل والمحامد، وأن يغيّرن ما بأنفسهنّ من الأخلاق الذميمة، فإنهنّ أصناف كما أنّ الرجال كذلك، والروايات تشير إلى ذلك بوضوح، وإليك بعض الفضائل والنماذج من النسوة الصالحات :

١- أصبحهنّ وجهاً وأقلهنّ مهراً :

١- قال النبي ﷺ: أفضل نساء أمتي أصبحهنّ وجهاً وأقلهنّ مهراً.

٢- روي من بركة المرأة قلّة مهرها، ومن شوّمها كثرة مهرها.

٣- قال النبي ﷺ: تزوّجوا الزرق، فإنّ فيهنّ البركة.

وفي آخر: فإنّ فيهنّ يُمنأ.

٢- قلّة المؤونة وتيسير الولادة :

٤- عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: من بركة المرأة قلّة مؤونتها وتيسير

ولادتها، ومن شوّمها شدّة مؤونتها وتعسير ولادتها.

٥- وعنه عليه السلام، قال: الشؤم في ثلاثة أشياء: في الدابة، والمرأة، والدار،

فأمّا المرأة فشؤمها غلاء مهرها وعُسر ولادتها، وأمّا الدابة فشؤمها قلّة حبلها

وسوء خلقها، وأمّا الدار فشؤمها ضيقها وخبث جيرانها.

### ٣- أصناف النساء في أخلاقهن المحمودة :

٦- قال الصادق عليه السلام : النساء أربعة أصناف : فمنهن ربيع مربع ، ومنهن جامع مجمع ، ومنهن كرب مقمع ، ومنهن غلّ قمل . فأما الربيع المربع ، فالتى فى حجرها ولد وفى بطنها آخر ، والجامع المجمع : الكثيرة الخير المحصنة ، والكرب المقمع : السيئة الخلق مع زوجها ، وغلّ قمل : هى التى عند زوجها كالغلّ القمل وهو غلّ من جلد يقع فيه القمل ، فىأكله فلا يتهيأ أن يحلّ منه شيئاً وهو مثل للعرب .

وبهذا الخبر الشريف نعرف أحوال النساء ، فأفضلهنّ من كنّ فى حجرها مولود ترضعه وفى بطنها آخر تنتظر قدومه ، وهذا يدلّ على كثرة النسل وتحييده ، ومن ثمّ قال النبىّ صلى الله عليه وآله : « تناكحوا تناسلوا ، فإنى أباهى بكم الأمم ولو بالسقط » ، ومن النساء من تحفظ كرامة زوجها وتحصن نفسها عن الأجانب ، وإنّها كثيرة الخير حسنة الأخلاق ، فهذه من النساء الفاضلات أيضاً ، وأما سيئة الخلق مع زوجها تؤذيه بأعمالها ولسانها ، ولا تحفظه فى غيبته وماله ، فهذا كرب ومصيبة عظمى تقمع الحياة والأسرة ، والطامة الكبرى لو كانت كالأغلال ، وكالغلّ الذى يقع فيه القمل فىأكله ولا يأتى بدله شيئاً ، فالحياة فى نقص وعدم .

٧- عن داود الكرخي ، قال : قلت لأبى عبد الله عليه السلام : إنّ صاحبتي هلكت (أى زوجتي ماتت) وكانت موافقة وقد هممت أن أتزوج ، فقال : أنظر أين تضع نفسك ومن تشركه فى مالك وتطلععه على دينك وسرّك وأمانتك ، فإن كنت لا بدّ فاعلاً فبكرأ تنسب إلى الخير وإلى حسن الخلق .

ألا إنّ النساء خُلِفْنَ شتّى فمنهنّ الغنيمة والغرام

١٠٦ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

ومنهنّ الهلال إذا تجلّى لصاحبه ومنهنّ الظلام  
فمن يظفر بصالحهنّ يسعد ومن يغبن فليس له انتظام

وهنّ ثلاث : فامرأة ولود ودود، تعين زوجها على دهره وتساعده على دنياه وآخرته ولا تعين الدهر عليه، وامرأة عقيم لا ذات جمال ولا خلق ولا تعين زوجها على خير، وامرأة صحّابة، ولّاجة، خرّاجة، همّازة، تستقلّ الكثير ولا تقبل اليسير.

هذا الخبر الشريف من روائع الأخبار، يكشف عن حقائق النساء وأحوالهنّ وأخلاقهنّ في الحياة الزوجية، نستخلص منه النقاط التالية :

١ - المرأة ظرف الرجل (أين تضع نفسك)، فلا بدّ أن يكون الظرف نظيفاً حتى يبقى الماء نظيفاً.

٢ - المرأة شريكة الحياة (ومن تشركه في مالك).

٣ - المرأة صندوق الأسرار، فمن المحبّد أن يستر الإنسان ذهبه ومذهبه وذهابه، كما ورد في الخبر الشريف، كما يستعان على الأعمال بالكتمان، فمن أراد صاحباً في الحياة لا بدّ أن يبحث عمّن لا تخونه في أماناته وتحفظ سرّه ومذهبه ودينه، فإنّه ربما يكون في حكومة ظالم يحتاج إلى كتمان عقيدته ومبادئه، فلو كانت الزوجة غير أمينة، فإنّها تكشف أسرار زوجها، وتدخله في متاهات الظالم، وكذلك إذا كانت جاهلة وغيبيّة.

٤ - خير النساء الباكر، وإنّها من أهل الخير والإحسان وحسن الخلق، فمن النساء غنيمة في الحياة، ومنهنّ جريمة وغرام، ومنهنّ كالهلال يشار إليها بالبنان وتضيء سماء الحياة الزوجية ومنهنّ كالظلام، والسعيد كلّ السعيد من يظفر بالصالحات الفاضلات، وإلا فحياته تعيسة لا نظم فيها ولا انتظام.

٥ - خير النساء الولود، ويعرف ذلك غالباً من نساء أقربائها، كما خير النساء الودود تحبّ زوجها وأولادها وتودّهم وتتعامل معهم بعطف وحنان، وتعين زوجها على صعوبة الحياة وتساعده على أمور دينه ودنياه وآخرفته، ولا تحمل عليه ما فوق طاقته، فتوقعه في عسر وحرَج وتعين الدهر عليه، بل تخفّف من عاتقه مشاكل الحياة، ولا تزيد في الطين بلةً.

٦ - وشرّ النساء المرأة العقيم، التي لا تلد ولا جمال لها حتّى يرتاح إليها زوجها، كما لا خلق حسن كي تعوّض عن نقصها، بل لا تعين زوجها على خير، وهذا يعني أنّ المرأة بحكم المعاون للرجل في حياتهما الزوجية.

٧ - وأكثر النساء شرّاً: سيّئة الأخلاق الصخّابة، أي شديدة الصوت والصياح عند الخصام، والولّاجة أي كثيرة اللوج أي الدخول والخروج وإنّها فضولية في كلّ شيء وفي ما لا يعينها، والخراجة أي تخرج كثيراً وتبذّر أموال زوجها وتسرف في مأكّلها وملبسها وفي أشياء تافهة في الحياة على حساب زوجها. الهّمّازة: التي تعيب الناس وتستغيبهم، وويل لكلّ همزة لُمزة. فالعيش مع مثل هذه المرأة إنّما هو العيش في جهنّم، فما أقبح هذه المرأة التي تستقلّ الكثير، فكلّما ينفق عليها زوجها تراه قليلاً وتستحقّره ولا تشكره، بل تعيبه وتستقلّه، ولا تقبل اليسير.

٨ - قال أمير المؤمنين عليه السلام: تزوّج عيّناء سمراء عجزاء مربوعة، فإن كرهتها فعليّ الصداق.

الصفات الظاهرية والجمال الظاهري ربما ينبئ عن الصفات الباطنية والجمال الباطني، فالأمير عليه السلام يعطينا بعض الصفات التي تدعو الرجل إلى الزواج، فإذا أردت أن تختار المرأة الصالحة، وأردت أن تعرفها من ظاهرها

١٠٨ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

فتزوّج العيناء : أي الحسننة العين والتي عظم سواد عينها في سعة، والسمراء : أي التي لونها بين السواد والبياض . والعجزاء : التي كانت عظيمة العجيزة . والمربوعة : وهي وسيطة القامة لا طويلة ولا قصيرة . فإنّ الرجل سوف يحظى ببغيته لو تزوّج بمثلها وإنه لا يكرهها، حتّى يتحدّى الأمير عليه السلام أنّه لو كرهها فإنّه يدفع صداقها ومهرها، وهذا كناية عن عدم الإكراه على كلّ حال .

٩ - عن الأمير عليه السلام : من أراد الباءة فليتزوّج بامرأة قريبة من الأرض بعيدة ما بين المنكبين سمراء اللون، فإن لم يحظ بها فعليّ مهرها .

٢٠ - من أمالي الشيخ أبي جعفر بن بابويه، عنه عليه السلام، قال : عقول النساء في جمالهن، وجمال الرجال في عقولهم .

العقل جوهرة ربانية منحها الله للرجال والنساء، وبهذا العقل كلّهم بتكاليف شرعيّة، وهو على أقسام وله تعاريف كثيرة<sup>(١)</sup>، ومنها العقل العرفي والاجتماعي والسياسي الذي به يدير الإنسان دقّة الحياة الاجتماعية والسياسية، فمثل هذا العقل المدير والمدبّر أودعه الله أولاً في الرجال، وعلى ضوئه أعطاهم بعض المسؤوليات الثقيلة فزادت عقولهم على عواطفهم، بخلاف النساء فمن أجل حضانة الأطفال وتربيتهم وافتقارهم إلى حنان الأم أكثر من حنان الأب، أودع الله فيهن العاطفة وزادت على عقولهن، وهذا من مصاديق (الرجل يكمل المرأة، والمرأة تكمل الرجل)، وكلّ واحد يحتاج إلى الآخر من أجل تكوين الأسرة ونظامها الناجح وحياتها السعيدة . وفي هذا المضمار نقول : لا فضل لأحدهما على الآخر، بل كلّ واحد لو عمل بمسؤولياته وما أعطاه الله سبحانه فإنّه الأفضل

(١) أشرت إلى تفصيل ذلك في كتاب (العقل والعقلاء) .

سواء الرجل أو المرأة، فإنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم، فأعطاء العقل المدير للرجل لا يعني على أنه أفضل من المرأة، فجمال الرجال في عقولهم، لأنَّهم يضعون الأشياء في مواضعها فتكون الحياة سعيدة وجميلة، وعقول النساء في جمالهن، فإنَّ جمالهن له قسط واسع في حياة الرجل والارتياح النفسي، والجمال هنا أعمّ من الجمال الظاهري والباطني، فالعمدة أن تكون المرأة ممَّن لو نظرت إليها سرّتك بأخلاقها وجمالها الباطني حتّى لو فقدت الجمال الظاهري.

١١- كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يتزوَّج امرأة بعث إليها من ينظر إليها، وقال: شمّ ليتها، فإن طاب ليتها طاب عرفها، وإن درم كعبها عظم كعبها.

لا شكَّ أنّ النظافة في كلّ شيء لا سيّما في الحياة الزوجيّة من العوامل المهمّة في إدامة الحياة بهناء وسعادة، فإنَّ المرأة لتحبّ الرجل النظيف، كما أنّ الله نظيف ويحبّ النظافة، وإنّ النظافة من الإيمان ومن سنن الأنبياء، وكذلك الرجل ليحبّ المرأة النظيفة الطيّبة الرائحة، والرسول الأكرم ﷺ أسوتنا وقدوتنا ليحبّ المرأة طيّبة اللبت وهو صفحة العنق، فإن طاب ليتها طاب عرفها، والعرف: الريح الطيّب، وألذّ اللذائذ المادية في الحياة الجنسية هو الجماع، وممّا يزيد في الشهوة ولذّة الجماع عظم الكعب أي الفرج، ومن علائم ذلك درم الكعب أي كثير لحم كعبها، يقال: امرأة درماء إذا كانت كثيرة لحم القدم والكعب. وهذا يعني أنّ بعض العلائم الظاهرية تدلّ على البواطن.

١٢- قال عليّ بن الحسين عليه السلام: خير نسائكم الطيّبة الريح، الطيّبة الطعام، التي إن أنفقت أنفقت بمعروف، وإن أمسكت أمسكت بمعروف، فتلك من عمّال الله، وعامل الله لا يخيب ويندم.

هذا الحديث الشريف يشير إلى حقيقة ناصعة، وهي أنّ بعض النساء من



١١٠ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

جند الله وحزبه وعمّاله، فما أعظم هذه المرأة التي تنسب إلى الله سبحانه، وتكون عاملة له عزّ وجلّ في أرضه، فتحمل هذا الوسام العظيم، لو كانت طيّبة الريح وطيّبة الطعام، وفوق ذلك هي التي إن أنفقت أنفقت بمعروف من دون إسراف وتبذير وتضييع لمال الزوج، وإن أمسكت أمسكت بمعروف من دون تفريط، أي امرأة معتدلة تتعامل في العطاء والإمساك بلا إفراط ولا تفريط، فتلك من عمّال الله، ومن الواضح المعلوم أنّ عامل الله لا يخيب في حياته ولا يندم على ما يفعل، لأنّ ما فعله كان بحكمة وعقل وتدبير، ومثل هذه المعاملة الإلهية لها أوصاف أخرى..

١٣- فعن رسول الله ﷺ، قال: ألا أخبركم بخير نساءكم؟ قالوا: بلى. قال: إنّ خير نساءكم الولود الودود الستيرة - أي المستورة التي لا يراها الأجانب - العفيفة - في عرضها وكلامها وحياتها وحجابها - العزيزة في أهلها، الذليلة مع بعلها - وهذان وصفان مهمّان في حياة المرأة، فمن ذاقت العزّة في بيت أبيها، وهذا يعني أنّ على الوالد أن يعزّ بناته فلا يحتقرهن لا سيّما أمام الأولاد الذكور، بل يتعامل مع بناته بلطف وإحسان كما سنذكر تفصيل ذلك إن شاء الله - فالمرأة التي كانت عزيزة في بيت والدها، لا تتبع الغالي مع زوجها، بل تأخذ جانب الذلّة يعني التواضع والرفق مع بعلها، وكلّما ازدادت تواضعاً لبعلها أحبّها وأكرمها وأعزّها ودافع عنها وصانها من كلّ حادثة، أمّا إذا تكبرت وشمخت على بعلها، فإنّه يستصغرها ويستحقرها ولا يعيرها أهمية، بل يفوّض أمرها إليها، وربما يخذلها ليثبت لها أنّها ضعيفة في الحياة، ومن ثمّ تنهدم حياتهما المشتركة، فلا يكون الزوج حينئذٍ شريك الحياة المدافع والناصح.

ثمّ قال الرسول الأعظم ﷺ: «المتبرّجة مع زوجها الحصان على غيره»،

أي أمام الزوج تخلع ما عليها لتشير شهوته ويلتذآن من حياتهما الزوجية، فلا تحتجب عنه بتوهم أن تكون عنده عزيزة كما يتحدثن النساء فيما بينهن ويعلمن أحدهما الأخرى بأن تمتنع عن زوجها، بل الرسول أدرى بالحقائق والواقعات فواقع الحياة الزوجية الناجحة والهادئة والسعيدة تلك التي تتواضع الزوجة لزوجها، كما على الزوج أن يراعي حقوقها ومشاعرها وأحاسيسها، كما سنذكر تفصيل ذلك، فتتبرج له وتصون نفسها عن غيره «التي تسمع قوله وتطيع أمره، وإذا خلا بها بذلت له ما أراد منها ولم تتبدّل له تبدّل الرجل» أي لم تترك الزينة، بل تتزيّن وتتطيّب بالعمّور الجذّابة ثمّ تبدّل له ما يريد حتّى تكفيه فلا يركض وراء النساء جانعاً ولعاً، بل قد أشبعت غريزته الجنسية من الحلال ومن امرأة صالحة تسرّه إذا نظر إليها، وبعد ذلك لو عرضت عليه أجمل نساء العالم فإنّه لا ينظر إليهن بطرفة عين، ومن ثمّ تكون زوجته الصالحة عنده أجمل من حور العين.

١٤ - قال الإمام الصادق عليه السلام : ما استفاد امرئ بعد الإسلام أفضل من زوجة مسلمة، تسرّه إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمرها وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها ومالها.

فهذه المرأة تعدّ بعد الدين الإسلامي من أفضل الفوائد ومن أتمّ النعمة، ولا يلقاها إلاّ ذو حظّ عظيم، فما أروع الحياة أن يعيش الإنسان مع عاملة من عمّال الله، تعرف ما يجب عليها وتؤدّي وظيفتها كما هي وتخاطب زوجها بما يرضي ربّها، فتنال الأجر العظيم والمقام الجسيم، جنّات عدن أعدت للمتقين والمتقيات.

١٥ - جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : إن لي زوجة إذا دخلت تلقّنتني،

١١٢ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

وإذا خرجت شيعتي، وإذا رأيتني مهموماً قالت: ما يهّمك، إن كنت تهتمّ لرزقك فقد تكفّل به غيرك، وإن كنت تهتمّ بأمر آخرتك فزادك الله همّاً، فقال رسول الله ﷺ: بشّرها بالجنة، وقل لها: إنك عاملة من عمّال الله، ولك في كلّ يوم أجر سبعين شهيداً، وفي رواية: إن الله عزّ وجلّ عمّالاً، وهذه من عمّاله، لها نصف أجر الشهيد. وأجر الشهيد كما ورد في الخبر الشريف عظيم جداً، فإنّ الشهداء أحياء عند ربّهم يرزقون، فرحون بما آتاهم الله من فضله، وما أن تسقط القطرة الأولى من دمه على الأرض إلّا غفر الله له كلّ ذنب أذنبه ويدخله الجنة بغير حساب.

فمثل هذه المرأة اللبّية والمؤمنة التي تعين زوجها على دنياه وآخرته، تكون من عمّال الله ولها أجر سبعين شهيداً، وهي تكون أجمل وأفضل من الحور العين.

١٦ - عن الصادق عليه السلام، قال: الخيرات الحسان من نساء أهل الدنيا هنّ أجمل من الحور العين.

ومثل هذه تبشّرها الملائكة بالجنة، وتدخلها من أيّ باب شاءت.

١٧ - عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: إذا صلّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وأحصنت فرجها، وأطاعت بعلها، فلتدخل من أيّ أبواب الجنة شاءت.

١٨ - وقال ﷺ: أي امرأة أعانت زوجها على الحجّ والجهاد أو طلب العلم، أعطها الله من الثواب ما يعطي امرأة أيوب عليه السلام.

فإنّها المرأة الصابرة التي ضرب الله المثال بصبرها وقد وعد الصابرين والصابرات جنّات عرضها السماوات والأرض، فمن تعين زوجها على قضايا

الجهاد في سبيل الله أو أداء مناسك الحجّ أو طلب العلم - وهذه بشرى لنساء أهل العلم - فإنّ الله يعطيها من الثواب أي الجنّات ما يعطي امرأة أيوب على صبرها على أذى ومرض زوجها.

فمن العوامل التي تجعل الحياة الزوجية حياة سعيدة الصبر وعدم الغضب، بل تتفانى الزوجة في إرادة زوجها وتجعل يدها بيده لحلّ مشاكل الحياة وصعوبة المعيشة.

١٩ - عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: خير نساءكم التي إن غضبت أو أغضبت قالت لزوجها: يدي في يدك، لا أكتحل بغمض حتّى ترضى عني. فهدفها في الأسرة أن ترضى زوجها، لأنّها تعلم أنّ رضا الله في رضا الزوج، فيما إذا كان مؤمناً وصالحاً يريد ما أراد الله سبحانه.

فلا بدّ للرجل المؤمن أن يختار من النساء خيارهن، وكذلك النساء يخترن من الرجال خيارهم، فإنّ الطيبين للطيبات والخبيثين للخبيثات، والجنس مع الجنس يميل. والطيور على أشكالها تقع، ومع هذا فإنّ الأئمة عليهم السلام في بعض الموارد أشاروا إلى أصناف النساء وتأثيرهن على الأولاد في صفاتهم.

٢٠ - عن الصادق عليه السلام، قال: الشجاعة لأهل خراسان، والباءة في أهل البربر، والسخاء والحسد في العرب، فتخيروا لنطفكم.

٢١ - عن الصادق، عن أبيه عليه السلام، قال: ما أفاد عبد فائدة خيراً من زوجة سالحة إذا رآها سرّته، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله <sup>(١)</sup>.

٢٢ - عن الصادق، عن أبيه عليه السلام، قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ من

١١٤..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

سعادة المرء المسلم أن يشبهه ولده، والمرأة الجملاء ذات دين، والمركب الهنيء،  
والمسكن الواسع<sup>(١)</sup>.

٢٣- قال أبو عبد الله عليه السلام: ثلاثة هي من السعادة: الزوجة المواتية، والولد  
البارّ، والرزق يرزق معيشة يغدو على صلاحها ويروّح على عياله.

٢٤- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الدنيا متاع وخير متاعها الزوجة الصالحة.  
وبمثل هذه المرأة الصالحة المطيعة والمواتية تقرّ العيون وتفرح القلوب،  
والعبد المؤمن يطلب من الله ذلك كما في قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا  
لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾<sup>(٢)</sup>.

٢٥- ومن النساء الفاضلات في قوله تعالى:  
﴿ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ  
قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾<sup>(٣)</sup>.

٢٦- عن الرضا عليه السلام، عن أبيه عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: خير  
نسائكم الخمس. وقيل: وما الخمس؟ قال: الهيئة اللينة المواتية التي إذا غضب  
زوجها لم تكتحل بغمض - أي لا تنام - حتى يرخص، والتي إذا غاب زوجها  
حفظته في غيبته، فتلك عاملة من عمال الله لا تخيب<sup>(٤)</sup>.

(١) المصدر نفسه.

(٢) الفرقان: ٧٤.

(٣) التحريم: ٥.

(٤) البحار ١٠٠: ٢٣١، عن أمالي الطوسي ١: ٣٧٩.

٢٧- عن عبد الله بن سنان، عن بعض أصحابنا، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّما المرأة قلادة، فانظر ما تستقلّد، وليس لامرأة خطر لا لصالحهنّ ولا لاطالحهن، فأما صالحتهن فليس خطرهما الذهب والفضّة، هي خير من الذهب والفضّة، وأما طالحتهن فليس خطرهما التراب، التراب خير منها<sup>(١)</sup>.

٢٨- قال النبي صلى الله عليه وآله: خير نساء ركين الإبل نساء قريش، أحناهن على

زوج.

٢٩- وفي فقه الرضا عليه السلام: واعلم أنّ النساء شتى، فمنهن الغنيمة والغرامة، وهي المتحبّبة لزوجها والعاشقة له، ومنهن الهلال إذا تجلّى، ومنهن الظلام الحندس المقطبة، فمن ظفر بصالحتهن يسعد، ومن وقع في طالحتهن فقد ابتلي وليس له انتقام، وهن ثلاث، فامرأة ولود ودود تعين زوجها على دمهرد لندياه وآخرته، ولا تعين الدهر عليه، وامرأة عقيمة لا ذات جدال ولا تعين زوجها على خير، وامرأة صحابة ولاجة همّازة تستقلّ الكثير ولا تقبل الكثير، وإياك أن تغتبر بمن هذه صفتها، فإنّه قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إياكم وخضراء الدمن. قيل: يا رسول الله، ومن خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في منبت سوء<sup>(٢)</sup>.

قال الصدوق عليه الرحمة: قال أبو عبيدة: تراه أراد فساد النسب إذا خيف أن تكون لغير رشدة، وإنّا جعلها خضراء الدمن تشبيهاً بالشجرة الناضرة في دمنة الميتره، وأصل الدمن ما تدمنه الإبل والغنم من أبعادها وأبوالها، فربما ينبت فيها النبات الحسن، وأصله في دمنة، يقول: فمظرثا حسن أنيق ومنبتها فاسد، قال

(١) المصدر، عن معاني الأخبار: ١٣٤.

(٢) البحار ١٠٠: ٢٣٤.

الشاعر :

- وقد ينبت المرعى على دمن الثرى      وتبقى حزازات النفوس كما هيا  
ضربه مثلاً للرجل الذي يظهر المودة وفي قلبه العداوة<sup>(١)</sup>.
- ٣٠- وقال ﷺ : تزوّجوا الأَبكار، فإنهن أطيب شيء أفواهاً، وأذرش  
أخلاقاً، وأحسن شيء أخلاقاً، وأفتح شيء أرحاماً، أفتح أنعم وألين.
- ٣١- قال رسول الله ﷺ : تزوّجوا الأَبكار، فإنهن أعذب أفواهاً، وأرتق  
أرحاماً، وأسرع تعلماً، وأثبت للمودة.
- ٣٢- قال رسول الله ﷺ : اختاروا لنطفكم، فإنّ الخال أحد الضجيعين.
- ٣٣- قال رسول الله ﷺ : تزوّجوا السوداء الولود الودود، ولا تزوّجوا  
الحسنة الجميلة العاقر، فإنني أباهي بكم الأمم يوم القيامة، أو ما علمت أنّ ولدان  
تحت عرش الرحمن يستغفرون لآبائهم يحضنهم إبراهيم وتربّيههم سارة صلّى الله  
عليهما في جبل من مسك وعنبر وزعفران<sup>(٢)</sup>.
- ٣٤- قال رسول الله ﷺ : إذا أراد أحدكم أن يتزوّج المرأة فليسأل عن  
شعرها كما يسأل عن وجهها، فإنّ الشعر أحد الجمالين<sup>(٣)</sup>.
- ٣٥- عن فاطمة بنت الحسين، عن أبيها الحسين بن علي، عن أبيه عليّ  
ابن أبي طالب عليه السلام، قال : قال رسول الله ﷺ : من أعطي أربع خصال فقد أُعطي  
خير الدنيا والآخرة وفاز بحظّه منهما : ورع يعصمه من محارم الله، وحسن خلق

(١) المصدر : ٢٣٢، عن معاني الأخبار : ٣١٧.

(٢) البحار : ١٠٠ : ٢٣٧.

(٣) المصدر : ٢٣٧.

يعيش به في الناس، وحلم يدفع به جهل الجاهل، وزوجة سالحة تعينه على أمر الدنيا والآخرة<sup>(١)</sup>.

٣٦- عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: حسن البشر نصف العقل، والتقدير نصف المعيشة، والمرأة السالحة أحد الكاسيين.

٣٧- عن ربيعة بن كعب، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: من أعطي خمساً لم يكن له عذر في ترك عمل الآخرة: زوجة سالحة تعينه على أمر دنياه وآخرته، وبنون أبرار، ومعيشة في بلده، وحسن خلق يداري به الناس، وحب أهل بيته.

٣٨- نهج البلاغة: قال أمير المؤمنين عليه السلام: خيار خصال النساء شرار خصال الرجال: الزهو والجبن والبخل، فإذا كانت المرأة ذات زهو لم تمكن من نفسها، وإن كانت بخيلة حفظت مالها ومال بعلمها، وإذا كانت جبانة فرقت من كل شيء يعرض لها<sup>(٢)</sup>.

٣٩- روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال: أخبروني أي شيء خير للنساء؟ فقالت فاطمة عليها السلام: أن لا يرين الرجال ولا يراهن الرجال. فأعجب النبي ﷺ وقال: إن فاطمة بضعة مني<sup>(٣)</sup>.

٤٠- قال رسول الله ﷺ: خير نسائكم التي إذا دخلت مع زوجها خلعت درع الحياء.

٤١- قال الصادق عليه السلام: خير نسائكم التي إن أعطيت شكرت، وإن منعت رضيت.

(١) المصدر: ٢٣٨.

(٢) نهج البلاغة ٣: ٣٠٥.

(٣) البحار ١٠٠: ٢٣٩، عن مصباح الأنوار.



١١٨ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعبرة

٤٢ - وقال عليه السلام : خير نساكنكم نساء قريش أظفهن بأزواجهن، وأرحمهن بأولادهن، المجون لزوجها، الحصان لغيره. قلنا له : وما المجون ؟ قال : التي لا تمتنع.

٤٣ - عن الرضا عليه السلام قال : من سعادة الرجل أن يكشف الثوب عن امرأة بيضاء.

٤٤ - عن أبي عبد الله عليه السلام : المرأة الجميلة تقطع البلغم، والمرأة السوداء تهيج المرّة السوداء.

٤٥ - عن أبي عبد الله عليه السلام أنه شكى إليه البلغم فقال : ما لك جارية تضحكك ؟ قال : قلت : لا. قال : فاتخذها فإنّ ذلك يقطع البلغم.

٤٦ - الفقيه بسنده، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الناجي من الرجال قليل، ومن النساء أقلّ وأقلّ، قيل : ولم يا رسول الله ؟ قال : لأنهن كافرات الغضب - أي عند الغضب تكفر بالنعمة وبفضل الزوج - مؤمنات بالرضا.

٤٧ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال : مثل المرأة المؤمنة مثل الشامة في الثور الأسود.

٤٨ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّما مثل المرأة الصالحة مثل الغراب الأعصم الذي لا يكاد يقدر عليه، قيل : وما الغراب الأعصم الذي لا يكاد يقدر عليه ؟ قال : الأبيض إحدى رجله.

٤٩ - عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال لامرأة سعد : هنيئاً لك يا خنساء، فلو لم يعطك الله شيئاً إلاّ ابنتك أمّ الحسنين لقد أعطاك خيراً كثيراً، إنّما مثل المرأة الصالحة في النساء كمثل الغراب الأعصم في الغربان، وهو الأبيض إحدى رجله<sup>(١)</sup>.

(١) الروايات من الكافي ٢٢ : ٨١٠.

٥٠ - عن الشمالي، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: كان في بني إسرائيل رجل عاقل كثير المال، وكان له ابن يشبهه في السمائل من زوجة عفيفة، وكان له ابنان من زوجة غير عفيفة.

فلما حضرته الوفاة قال لهم: هذا مالي لواحدٍ منكم. فلما توفي قال الكبير: أنا ذلك الواحد، وقال الأوسط: أنا ذلك، وقال الأصغر: أنا ذلك. فاختصموا إلى قاضيه، قال: ليس عندي في أمركم شيء، انطلقوا إلى بني غنام الإخوة الثلاث، فانتهوا إلى واحد منهم فرأوا شيخاً كبيراً، فقال لهم: ادخلوا إلى أخي فلان فهو أكبر مني فاسألوه، فدخلوا عليه فخرج شيخ كهل فقال: سلو أخي الأكبر مني، فدخلوا على الثالث فإذا هو في المنظر أصغر، فسألوه أولاً عن حالهم ثم مبيئاً لهم فقال: أما أخي الذي رأيتموه أولاً هو الأصغر وإن له امرأة سوء تسوؤه وقد صبر عليها مخافة أن يبتلئ ببلاء لا صبر له عليه فهرمته، وأما الثاني أخي فإنّ عنده زوجة تسوؤه وتسره فهو متماسك الشباب، وأما أنا فزوجتي تسرنني ولا تسوؤني لم يلزمني منها مكروه قط منذ صحبتني، فشبابي معها متماسك، وأما حديثكم الذي هو حديث أبيكم، انطلقوا أولاً وبعثوا قبره واستخرجوا عظامه وأحرقوها ثمّ عودوا لأقضي بينكم. فانصرفوا فأخذ الصبي سيف أبيه وأخذ الأخوان المعاول، فلما أن همّا بذلك قال لهم الصغير: لا تبعثوا قبر أبي وأنا أدع لكم حصّتي، فانصرفوا إلى القاضي فقال: يقنعكما هذا، اتنوني بالمال، فقال للصغير: خذ المال، فلو كانا ابنيه لدخلنا من الرقة كما دخل على الصغير<sup>(١)</sup>.

## نساء السوء

الإنسان ذلك الكائن الذي لا زال مجهولاً في كثير من معالمه وعوالمه، خلقه الله من روح وجسد، وركّب فيه العقل الذي يدعوه إلى طاعة الله، والنفس الأتّارة بالسوء، فهو دائماً في صراع مرير بين الحقّ والباطل، بين الخير والشرّ، بين الفضيلة والرذيلة، وهذا المعنى يجري في النساء كما يجري في الرجال، فمنهن الفاضلات ونساء الخير، ومنهن الطالحات ونساء السوء، ولكلّ مواصفات وعلائم، وعلى الجميع أن يهذبوا أنفسهم ويكتسبوا الفضائل والمحامد، ويسعوا في تخلية القلوب والنفوس من الصفات الذميمة، ثمّ تحليتها بالصفات الحميدة والسجايا الفاضلة، ثمّ تجلية ذلك حتّى يصلوا إلى قمة الكمال، قاب قوسين أو أدنى.

والأئمة عليهم السلام أشاروا إلى نساء السوء وأخلاقهن، كما ورد في القرآن الكريم في قصص الأنبياء وزوجتي نوح ولوط.

قال الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ <sup>(١)</sup>.

١- قال الإمام الصادق عليه السلام : أغلب الأعداء للمؤمن زوجة سوء.

فالزوجة سيئة الذات وسيئة الأخلاق وسيئة المنظر هي من أعداء المؤمن،

تؤذيه ليل ونهار، حتّى تسلب عقله ولبّه، لما تحمل من قلة الدين والحياء وتقصان العقل.

٢ - قال النبي ﷺ: ما رأيت ضعيفات الدين ناقصات العقول أسلب لذي لبّ منكنّ.

ومثل هذه النسوة السيئة تمنع المؤمن من عبادة الله كما يتمناه المؤمن.

٣ - قال رسول الله ﷺ: لولا النساء لعبد الله حقاً.

فإنّ النساء حبائل الشيطان، يستعين بهن لإغواء المؤمن وجرّه إلى الضلال والانحراف، فأكثر الخصومات الفردية والاجتماعية حتّى العالمية كحروبها إنّما تنشأ من امرأة كما يحدثنا التاريخ بذلك كثيراً.

٤ - ولمثل هذا يخبرنا أمير المؤمنين عليه السلام عن آخر الزمان قائلاً: يظهر في آخر الزمان واقتراب القيامة، وهو شرّ الأزمنة، نسوة متبرّجات كاشفات عاريات من الدين، داخلات في الفتن، مائلات إلى الشهوات، مسرعات إلى اللذات، مستحلّات للمحرّمات، في جهنّم خالدات.

وبداية آخر الزمان هو نهاية النبوة وختمها برسول الله محمد ﷺ الذي يطلق عليه ﷺ: نبيّ آخر الزمان، وكلّما ابتعدنا عن عصر النبوة واقتربنا من يوم القيامة ظهر الفساد في البرّ والبحر أكثر فأكثر، فتظهر مثل هذه النسوة على الساحة، وتسوق المجتمع إلى الانحطاط والضلال والجهل والشهوات واتساع الملهذات. ودواء ذلك الداء المعضل هو الستر عليهن.

٥ - قال ﷺ: إنّ النساء غيّي وعورة، فاستروا العورة بالبيوت، واستروا الغيّي بالسكوت.

٦ - وقد مرّ رسول الله ﷺ على نسوة فوقف عليهن، ثمّ قال: يا معشر

١٢٢ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

النساء، ما رأيت نواقص عقول ودين أذهب بعقول ذوي الأبواب منكن، إني قد رأيت أنك أكثر أهل النار يوم القيامة، فتقرّبن إلى الله ما استطعتن، فقالت امرأة منهن: يا رسول الله، ما نقصان ديننا وعقولنا؟ فقال: أمّا نقصان دينكن فبالحيض الذي يصيبكن فتمكث إحداكن ما شاء الله لا تصلّي ولا تصوم، وأمّا نقصان عقولكن فبشهادتكن، فإنّ شهادة المرأة نصف شهادة الرجل.

ومن سوء خلق المرأة أن تمنّ على زوجها بمالها وثروتها إن كان لها ذلك.

٧- قال النبي ﷺ: لو أنّ جميع ما في الأرض من ذهب وفضّة حملته المرأة إلى بيت زوجها، ثمّ ضربت على رأس زوجها يوماً من الأيام تقول: من أنت؟ إنّما المال مالي، حبط عملها ولو كانت من أعبد الناس إلّا أن تتوب وترجع وتعتذر إلى زوجها.

٨- قال سلمان الفارسي رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أيما امرأة

منّت على زوجها بمالها، فتقول: إنّما تأكل أنت من مالي، لو أنّها تصدّقت بذلك المال في سبيل الله لا يقبل الله منها إلّا أن يرضى عنها زوجها.

ولا بدّ أن يختار الرجل المرأة التي لها منبت صالح من عائلة متديّنة

وملتزمة بالحجاب والدين، ولا يطلب جمالها الظاهري، وإن كان مطلوباً، فلا يتغافل عن جمالها الباطني من العقّة والدين.

٩- قال رسول الله ﷺ: أيها الناس، إيّاكم وخضراء الدمن. قيل:

يا رسول الله، وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في منبت سوء.

١٠- والمرأة السيّئة تشيب الرجل قبل أوانه، ولمثل هذا كان النبي - يدلّ

على الاستمرار - يقول في دعائه: «اللهمّ إني أعوذ بك من ولد يكون عليّ ربّاً - أي فوقي وحاكماً عليّ بمنزلة الربّ - ومن مالٍ يكون عليّ ضياعاً - لا يعرف

الإنسان كيف يتصرّف به حتّى يضيع عليه - ومن زوجة تشيبيني قبل أوان شيبيني « . وهذا ما نشاهده، فإنّ أكثر الشيب من الهمّ والنعم، فإنّ الهمّ يجلب الهرم، والهمّ يكون تارةً من خلال الدّين، فإنّ الدّين همّ ولو درهم، وأخرى يكون من زوجة السوء وأولاد السوء، فاسأل من كان شايباً قبل أوانه ؟ لتقف على ما ندّعيه . ثمّ وجود الأولاد في عالم الزواج من العوامل المهمّة لتكوين الأسرة وسعادتها، ومن هذا المنطلق نجد التأكيد على تزويج المرأة الولود، وترك العقيم .

١١ - قال النبيّ ﷺ : ذروا الحسناء العقيم وعليكم بالسوداء الولود، فإنّي مكاتر بكم الأمم حتّى بالسقط .

١٢ - وقال ﷺ : شوهاء ولود خيرٌ من حسناء عقيم .

١٣ - وقال ﷺ : اعلموا أنّ المرأة السوداء إذا كانت ولوداً أحبّ إليّ من الحسناء العاقر .

ومن النساء السيّئات الظالمة لبعلها، فلا تعطي حقوقه، وتظلمه في منعها الحقوق الزوجية، حتّى تهجر زوجها، فليس لها إلّا النار أو تتوب وترجع .

١٤ - عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : أيّما امرأة هجرت زوجها وهي ظالمة حشرت يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون في الدرك الأسفل من النار، إلّا أن تتوب أو ترجع .

ومن الأخلاق السيّئة في بعض النسوة أنّها تحمل على زوجها أكثر من طاقتها وتكلّفه فوق ما يتحمّل سواء في المأكل أو الملبس أو أيّ شيء آخر، كالسفر الذي لا يطيقه، أو الذهاب إلى مكان أو دار لا يرضى بالذهاب إليها .

١٥ - قال النبيّ ﷺ : أيّما امرأة أدخلت على زوجها في أمر النفقة وكلفته ما لا يطيق لا يقبل الله منها صرفاً ولا عدلاً - أي لا تقبل منها أعمالها الصالحة - إلّا

أن تتوب وترجع وتطلب منه طاقته .

وهناك أوصاف أخرى تشير إلى شرار النساء .

١٦ - قال النبي ﷺ : ألا أخبركم بشرّ نساءكم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، أخبرنا . قال : من شرّ نساءكم الذليلة في أهلها ، العزيزة مع بعلمها ، العقيم الحقود ، التي لا تتورّع عن قبيح ، المتبرّجة إذا غاب عنها زوجها ، الحصان معه إذا حضر ، التي لا تسمع قوله ولا تطيع أمره ، فإذا خلا بها تمنّعت تمنّع الصعبة عند ركوبها ، ولا تقبل له عذراً ولا تغفر له ذنباً .

وهذا يعني أنّ الزوج إذا أخطأ فعليه أن يعتذر ، كما أنّ على الزوجة أن تقبل عذره وتصفح عنه ، ولا تصرّ على خطائه وذنبه ، وتريد أن تعاقبه بسوء خلقها والصدّ عنه ، فلا تسمع قوله ولا تطيع أمره ، حتّى تجعل العيش عليه جهنماً ، والحياة سعيراً .

١٧ - من كتاب روضة الواعظين ، قال الصادق عليه السلام : شكى رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام نساءه ، فقام خطيباً فقال : معاشر الناس ، لا تطيعوا النساء على كلّ حال ، ولا تأمنوهن على مال ، ولا تذرهن يدبرن أمر العيال ، فإنّهنّ إن تُركن وما أردن أو ردن المهالك ، وعدون أمر المالك ، فإنّنا وجدناهن لا ورع لهن عند حاجتهن ولا صبر لهن عند شهوتهن ، البذخ لهن لازم وإن كبرن ، والعجب بهن لاحق وإن عجزن ، لا يشكرون الكثير إذا منعن القليل ، ينسين الخير ويحفظن الشرّ ، يتهافتن بالبهتان ، ويتمادين بالطغيان ، ويتصدّين للشيطان ، فداروهنّ على كلّ حال ، وأحسنوا لهنّ المقال لعلّهنّ يحسنّ الفعال .

العجب من هذه الكلمات العلوية ، فإنّه عليه السلام يخبر عن حقيقة النساء ، فإنّ

الغالب عليهن هذه الصفات والأحوال، فالرجل العاقل اللبيب لا بدّ أن يعرف كيف يتصرّف مع زوجته، والذي يستفاد من كلماته <sup>عليه السلام</sup> النقاط التالية :

١ - عدم إطاعة النساء مطلقاً في كلّ شيء وفي جميع الأحوال : ( لا تطيعوا النساء على كلّ حال ) .

٢ - لا يعطى أمر المال بيدها، ولا تؤتمن على الثروة، فإنّها بمجرد أن تعرف أنّ لزوجها مالاً فسرعان ما تملي عليه رغباتها ومشتياتها من أشياء تافهة وغير ضرورية في الحياة - والعاقل تكفيه الإشارة - ( فلا تأمنوهن على مال ) مطلقاً، بل ولا تخبر بذلك ولا تعلم .

٣ - عدم تدبير العيال : فإنّ ربّ البيت هو الرجل وهو القائم على العيال، فإنّ الرجال قوامون على النساء، فعليه أن يدبّر أمر العيال بعقل وحكمة، وإلاّ فإنّ المرأة ناقصة، والناقص لا يعطي الكمال، فإنّ فاقد الشيء لا يعطيه، فالعقل الحاكم في الأسرة هو عقل الرجل المؤمن الصالح - وإلاّ لو كانت المرأة سالحة ومؤمنة والزوج فاسق فاجر، فلا يعطى أمر العيال بيده، فإنّه يسوقهم إلى وادي الضلال والغواية، كما هو واضح - أمّا إذا كان رجلاً صالحاً مؤمناً عاقلاً فإنّه هو الذي يدير ويدبّر أمر العيال، ولا يذر المرأة تدبّر أمر العائلة ( ولا تذروهن يدبّرن أمر العيال )، والسبب في ذلك أو بالأحرى كبرى القضية وبرهانها (إنهن إن تركن وما أردن أوردن المهالك)، فإنّ المرأة بطبيعتها وجبلتها تميل إلى الملاذ والشهوات التي تجلب المخاطر والمهالك، حتّى تتجاوز الحدود (وعدون أمر الممالك) والشاهد والدليل الآخر على ذلك أنّهن لا يتورّعن عن المحارم ( عند حاجتهن ولا صبر لهنّ عند شهوتهن )، ويكفيك أن تجرّب ذلك، وإنّ من جرّب



المجرّب حلّت به الندامة.

٤- البذخ لهن لازم: فإنّهن يردن الحياة البذخية يشترين ويأكلن ويلبسن من دون حساب وكتاب، حتّى لو كبرن وكنّ في سنّ الشيخوخة فإنّ هذه الحياة البذخية والإسراف والتبذير لا ينحصر في أيام شبابهن وإظهار جمالهن، بل حتّى العجائز عندهن ميل شديد للبذخ، وإذا أردت الشاهد فاسأل زوجتك عندما تذهب إلى حفلة عرس أو قران أو ما شابه ذلك من دون أن تعرّفهن، حتّى تقف على البذخ من استعمال الموديلات في شعورهن وملابسهن وأحذيتهن وإلى ما شاء الله، فضلاً عن الذهب والقلائد والخواتيم.

٥- العجب بهن لاحق: فإنّهن مغرورات معجبات بأنفسهن، وهذا العجب يلحق بهن حتّى العجز، كما يقول شوقي:

خدعوها بقولهم حسناء والقواني يغرّهنّ الثناء

٦- لا يشكرن: الشكر وإن كان من غرائز الإنسان، ولكنّ العجيب أنّ المرأة ما دمت تعطيها فإنّها ربما تشكرك على ذلك، وإن كان الكثير منهن يتصوّر أنّ ذلك من وظيفة الزوج ورغماً على أنفه، لا بدّ أن يصرف ما في جيبه، وإذا شكرن فيكفئك أن تمنعهن القليل فترى الشيء العجيب حتّى يصاب الرجل باليأس ويتدمّر من الحياة الزوجية، أنّه قدّم الغالي والنفيس، وإذا به بمجرد أن منع القليل عنها لظروفه الخاصّة، وإذا بها تنكر المعروف كلّ، (ولا يشكرن الكثير إذا منعن القليل) بل في خبر آخر تقول: عشت معك سنين فماذا قدّمت لي، فإنّي لم أجد ولم أر منك خيراً.

٧- ينسين الخير: فطيلة الحياة الزوجية تعمل لها الخير والمعروف انطلاقاً

من قوله تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿ فَاِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ ﴾<sup>(٢)</sup>، وإذا به في خصومة مختصرة ونزاع طفيف تنسى الخير كله، بل وتحفظ الشرّ، فتخرج لك قائمة سوداء سجّلتها عليك طيلة الحياة الزوجية، حتّى يصاب المرء بالانهيار وتزلزل الأعصاب والذهول، وسرعان ما يأتيه الشيطان ويلقي في روعه الطلاق والانفصال، وأنّ مثل هذه المرأة لا تنفعك، بل وتضرّك، والحال هذه من طبيعة النساء، فالغالب الأعمّ يتّصفن بهذه الصفات، فلا سبيل لك إلاّ المداراة والمعاملة بالتي هي أحسن، حتّى لا تجعل حياتك جهنّماً، بل بالعقل وحسن الخلق تعالج الأمراض النفسية والمشاكل العائلية.

٨ - يتهافتن بالبهتان : لا يتورّعن عن الكذب والافتراء والبهتان، فسرعان ما يرتكبن ذلك إذا اقتضت مصالحهن ورغباتهن.

٩ - يتمادين بالطغيان : فمن أجل إشباع الرغبات والشهوات يطغين على الأزواج، بل ويتمادين بالطغيان، فتجد أيام وشهور وربما سنين لا تتنازل عن كلمتها الباطلة طغياناً وتكبراً وجبروتاً، فتتهجر زوجها وهي ظالمة طاغية، فإنّها تحشر يوم القيامة مع الطغاة الجبابرة كفرعون وهامان وقارون في الدرك الأسفل من النار، إلاّ أن تتوب وترجع ويرضى عنها زوجها.

١٠ - ويتصدّين للشيطان : فإنّهن يقبلن بوجوههن على الشيطان، فتكون من عمّال الشيطان، فمن النساء من يكن من عمّال الله كما مرّ بيانه في النساء

(١) النساء : ١٩.

(٢) البقرة : ٢٢٩.

١٢٨ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

الفاضلات، ومنهن من يكنّ من عمّال الشيطان وحبائله لإغواء الرجال .  
فمع هذه الأحوال الصعبة، لا حيلة للرجال إلاّ المداراة مطلقاً (فداروهن  
على كلّ حال)، كما يستعمل معهن الكلام الحسن والجميل، فإنّ المقصود أن  
يجعل محيط الأسرة محيطاً هادئاً يسوده الوقار والسكينة وعدم القيل والقال حتّى  
تظهر الاستعدادات الباطنية المكمونة في أعضاء الأسرة (وأحسنوا لهنّ المقال)  
فإنّه يرجى حينئذٍ أن يحسن الفعال (لعلهنّ يحسن الفعال) والله المستعان،  
ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم.

هذا وما يذكر في مذمة النساء من الروايات الشريفة، فإنّها ليست على نحو  
الموجبة الكليّة، أي كلّ النساء هكذا، بل هي من القضايا المهملة وهي بحكم  
الجزئية، وربما الغالب على جنس المرأة ذلك، فما ورد من عدم الوفاء من المرأة  
وأنته محال، إنّما هو من هذا الباب، وإلاّ فإنّ التاريخ يشهد لنا بنساء وفيّات  
لأزواجهن وأولادهن وللمبادئ القيّمة.

١٨ - عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: خمس من خمسة محال: النصيحة من  
الحاسد محال، والشفقة من العدو محال، والحرمة من الفاسق محال، والوفاء من  
المرأة محال، والهيبة من الفقير محال<sup>(١)</sup>.

١٩ - والرجل يتعوّذ بالله من الشيطان كما يتعوّذ من نساء السوء، عن  
رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: عظوهنّ بالمعروف قبل أن يأمرنكم بالمنكر، وتعوّذوا بالله  
من شرارهنّ، وكونوا من خيارهنّ على حذر.

(١) البحار ١٠٠: ٢٢٥.

٢٠- عن أبي جعفر عليه السلام، قال: لا تشاوروهن في النجوى ولا تطيعوهن في ذي قرابة، إن المرأة إذا كبرت ذهب خير شطريها وبقي شرهما: ذهب جمالها وعقم رحمها واحتدّ لسانها، وإن الرجل إذا كبر ذهب شرّ شطريه وبقي خيرهما: ثبت عقله واستحكم رأيه وقلّ جهله<sup>(١)</sup>.

٢١- في نهج أمير المؤمنين عليه السلام: المرأة عقرب حلوة اللسبة.

٢٢- وقال عليه السلام بعد حرب الجمل في ذمّ النساء - ويريد تلك المرأة التي خرجت عليه وأمثالها -: معاشر الناس، إن النساء نواقص الإيمان نواقص الحظوظ نواقص العقول، فأما نقصان إيمانهن فقعودهن عن الصلاة والصيام في أيام حيضهن، وأما نقصان عقولهن فشهادة امرأتين منهن كشهادة الرجل الواحد، وأما نقصان حظوظهن فمواريثهن على الأنصاف من مواريث الرجال، فاتّقوا شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر، ولا تطيعوهن في المعروف حتى لا يطمعن في المنكر<sup>(٢)</sup>.

والله سبحانه يذمّ النساء في مكيدتهن في قصّة يوسف عن لسان عزيز مصر، قال سبحانه:

﴿ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾<sup>(٣)</sup>.

فعظمة كيدهن بالنسبة إلى الرجال، وأما كيد الشيطان بالنسبة إلى الإنسان

(١) البحار ١٠٠: ٢٢٨.

(٢) البحار ١٠٠: ٢٢٨، عن نهج البلاغة ١: ١٢٥.

(٣) يوسف: ٢٨.

١٣٠ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

فإنه كان ضعيفاً، لأنّ الله هو القويّ وهو يؤيّد المؤمن، فمكروا ومكر الله والله خير الماكرين، فكيد الله كان قوياً وكيد الشيطان كان ضعيفاً.

فكيد الشيطان بالنسبة إلى الله كان ضعيفاً، فلا يبأس المؤمن من روح الله وتأييده، ويقاوم الشيطان ووساوسه وكيده، فإن كيده كان ضعيفاً، وأمّا كيد النساء للرجال فكان عظيماً، كما يحدثنا التاريخ بمكائدهن وحيلهن ممّا يحير العقول ويدهش الألباب، فتدبّر.

٢٣ - عن الصادق عليه السلام، عن أبيه عليّ بن أبي طالب أن رسول الله ﷺ قال: ثلاثة هنّ أمّ الفواقر: سلطان إن أحسنت إليه لم يشكر وإن أسأت إليه لم يغفر، وجار عينه ترعاك وقلبه ينعاك، إن رأى حسنة دفنها ولم يفسها، وإن رأى سيئة أظهرها وأذاعها، وزوجة إن شهدت لم تقرّ عينك بها، وإن غبت لم تطمن إليها.

وفيما أوصى النبي ﷺ علياً عليه السلام: أربعة من قواصم الظهر: إمام يعصي الله ويطاع أمره، وزوجة يحفظها زوجها وهي تخونه، وفقير لا يجد صاحبه مداوياً، وجار سوء في دار مقام<sup>(١)</sup>.

٢٤ - قال رسول الله ﷺ لزيد بن ثابت: يا زيد، تزوّجت؟ قال: قلت: لا، قال: تزوّج تستعف مع عفتك، ولا تتزوّجن خمساً. قال زيد، من هنّ يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: لا تتزوّجن شهيرة ولا لهبرة ولا تهبرة ولا هيبرة ولا لغوتاً.

قال زيد: يا رسول الله، ما عرفت ممّا قلت شيئاً وإني بأخريهن لجاهل.

(١) البحار ١٠٠: ٢٣٠، عن الخصال ١: ١٣٧.

نساء السوء ..... ١٣١

فقال رسول الله ﷺ: أَلَسْتُمْ عَرَبِيًّا؟ أَمَّا الشَّهْبَةُ فَالزَّرْقَاءُ الْبَيْدِيَّةُ، وَأَمَّا اللَّهْبَةُ فَالطَّوِيلَةُ الْمَهْزُولَةُ، وَأَمَّا النَّهْبَةُ فَالْقَصِيرَةُ الذَّمِيمَةُ، وَأَمَّا الْهَيْدَرَةُ فَالْعَجُوزَةُ الْمَدْبَرَةُ، وَأَمَّا اللَّغُوتُ فَذَاتُ الْوَلَدِ مِنْ غَيْرِكِ.

٢٥- قال رسول الله ﷺ: إِيَّاكُمْ وَتَزْوُجَ الْحَمَقَاءِ، فَإِنَّ صَحْبَتَهَا ضِيَاعٌ، وَوَلَدُهَا ضِيَاعٌ<sup>(١)</sup>.

٢٦- وقال ﷺ: شَرَّ نِسَائِكُمُ الْجَفَّةُ الْفَرْتَعُ الْبَافُوقُ الْفَحَاشُ، وَهُوَ الْقَتَاتُ، وَالْجَفَّةُ مِنَ النِّسَاءِ الْقَلِيلَةُ الْحَيَاءِ، وَالْفَرْتَعُ الْعَابِسَةُ.

هذه جملة من الصفات المذمومة في النساء، فالحذار الحذار من الوقوع في فخهنّ وكيدهنّ، والله المستعان.

---

(١) المصدر: ٢٣٧.

## الكفاءة في الزواج

من الطبيعي أن يبحث الرجل عن زوجة تكون كفوًّا له، وكذلك المرأة فإنَّها ترضى بزواج يكون كفوًّا لها، فلا بدَّ من ملاحظة الكفاءات في تشكيل الأسرة وتحقُّق أمر الزواج، إلَّا أنَّ مسألة الكفاءة من حيث المفهوم والمصاديقية يختلف باختلاف الثقافات والمحيط والبيئة والعادات والآداب الاجتماعية، فلعلَّ مجتمعاً يرى الكفاءة في المال، وربما يرى آخر الكفاءة في حمل الشهادات الجامعية والأكاديمية، وربما الملاك يكون هو الجاه والمقام والعناوين البرّاقة أو القصور والسيارات، ولكنَّ الإسلام يرى الكفاءة باعتبار العقل والدين وحسن الأخلاق.

١- قال الرضا عليه السلام: نزل جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله، فقال: يا محمد، ربك يقرؤك السلام ويقول: إنَّ الأبقار من النساء بمنزلة الثمر على الشجر، فإذا أئنع فلا دواء له إلَّا اجتناؤه وإلَّا أفسدته الشمس وغيّرتة الريح، وإنَّ الأبقار إذا أدركن ما تدرك النساء فلا دواء لهنَّ إلَّا البعول، وإلَّا لم يؤمن عليهن الفتنة، فصعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنبر فخطب الناس ثمَّ أعلمهم ما أمرهم الله به، فقالوا: ممَّن يا رسول الله؟ فقال: الأكفاء. فقالوا: ومن الأكفاء؟ فقال: المؤمنون بعضهم أكفاء بعض، ثمَّ لم ينزل حتَّى زوّج ضباعة المقداد بن الأسود، ثمَّ قال: أيها الناس إنَّما زوّجت ابنة عمِّي المقداد ليضع النكاح.

٢- عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: إنَّما النكاح رقّ، فإذا أنكح أحدكم وليدة فقد أرقّها، فلينظر أحدكم لمن يرقّ كريمته.  
عبر النبي عن النكاح بالرقبة والعبودية، وإنَّ المرأة تكون أسيرة لزوجها،

وحيثُذ كريمة الإنسان وعزيرته لا بدّ أن يحافظ عليها فيجعلها في مكان سليم ومحيط آمن ومولى كريم ومؤمن يعرف كيف يتعامل مع حليلته وشريكة حياته وأسيرته وأتمته. وهذه التعابير لا تعني تسلّط الرجل ودكتاتوريته وعنفه وعنجهيته، وأنّه سيّد المرأة والمرأة المسكينة الأسيرة أتمته يفعل بها ما يشاء ويحلّو له وتطلب نفسه الأثمارة بالسوء. هيهات، ما هكذا أراد الإسلام للمرأة التي جعلها ربحانة، وبها يتكامل الرجل. وبها ضرب الله المثل للمؤمنين كأمراة فرعون، فلا يشتهب الأمر عليك فتضلّ الطريق، لأنّ النفس الأثمارة تميل إلى هذا التفسير فتحمل عقائدك وآراءك الخاصّة على النصوص الدينية من الآيات القرآنية والروايات الشريفة، فكيف يريد الله ورسوله وأولياؤه الذلّ والحقارة والانحطاط للشقّ الثاني من الإنسان، بل لها ما له، وله ما لها، إلا في بعض الخصائص والمميّزات التي تقتضيها طبيعة الأنوثة والذكورة ليعيش المجتمع بنظام وانتظام، فتفضيل بعض على بعض لحكمة ربانية ولما تقتضيه المصالح العامة والخاصّة، فتدبّر.

٣- عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: إنّ عليّ بن الحسين عليهما السلام رأى امرأة في بعض مشاهد مكّة فخطبها إلى نفسها وتزوّجها فكانت عنده، وكان له صديق من الأنصار فاغتمّ لتزويجه بتلك المرأة، فسأل عنها فأخبر أنّها من آل ذي الجدين من بني شيبان في بيت عليّ من قومها. فأقبل على عليّ بن الحسين فقال: جعلني الله فداك، ما زال تزويجك هذه المرأة في نفسي وقلت: تزوّج عليّ بن الحسين امرأة مجهولة ويقول الناس أيضاً فلم أزل أسأل عنها حتّى عرفتها ووجدتها في بيت قومها شيبانية، فقال له عليّ بن الحسين عليه السلام: قد كنت أحسبك أحسن رأياً ممّا أرى، إنّ الله أتى بالإسلام فرفع به الخسيصة وأتمّ به



الناقصة وكرم به اللؤم، فلا لؤم على المسلم، إنما اللؤم لؤم الجاهلية.

٤ - الكافي بسنده: عن الثمالي قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام إذ استأذن عليه رجل فأذن له فدخل عليه، فسلم فرحّب به أبو جعفر عليه السلام وأدناه وسأله فقال الرجل: جُعلت فداك، إنّي خطبت إلى مولاك فلان بن أبي رافع ابنته فلانة فردّني ورغب عني وأزدراني لدمامتي وحاجتي وغربتي، وقد دخلني من ذلك غضاضة هجمة، عصر لها قلبي تمّيت عندها الموت.

فقال أبو جعفر عليه السلام: اذهب فأنت رسولي إليه وقل له: يقول لك محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب زوج منجح بن رماح مولاي بنتك فلانة ولا تردّه.

قال أبو حمزة: فوثب الرجل فرحاً برسالة أبي جعفر عليه السلام، فلما أن توارى الرجل قال أبو جعفر عليه السلام: «إنّ رجلاً كان من أهل اليمامة يُقال له جووير أتى رسول الله ﷺ منتجعاً للإسلام فأسلم وحسن إسلامه وكان رجلاً قصيراً دميماً محتاجاً عارياً، وكان من قباح السودان فضمّه رسول الله ﷺ لحال غربته وعريه، وكان يجري عليه طعامه صاعاً من تمر بالصاع الأوّل، وكساه شملتين وأمره أن يلزم المسجد ويرقد فيه بالليل، فمكث بذلك ما شاء الله حتى كثر الغرباء ممّن يدخل في الإسلام من أهل الحاجة بالمدينة وضاق بهم المسجد فأوحى الله تعالى إلى نبيّه أن طهّر مسجدك وأخرج من المسجد من يرقد فيه بالليل ومذر بسدّ أبواب كلّ من كان له في مسجدك باب إلاّ باب عليّ ومسكن فاطمة عليها السلام ولا يمرنّ فيه جنب ولا يرقد فيه غريب.

قال: فأمر رسول الله ﷺ عند ذلك بسدّ أبوابهم إلاّ باب عليّ عليه السلام وأقرّ مسكن فاطمة عليها السلام على حاله قال: ثمّ إنّ رسول الله ﷺ أمر أن يتخذ للمسلمين

سقيفة فعملت لهم وهي الصفة ثم أمر الغرباء والمساكين أن يظلوا فيها نهارهم وليلهم، فنزلوها واجتمعوا فيها وكان رسول الله ﷺ يتعاهدهم بالبرِّ والتمر والشعير والزبيب إذا كان عنده، وكان المسلمون يتعاهدونهم ويرقون عليهم لرقّة رسول الله ﷺ ويصرفون صدقاتهم إليهم.

وإن رسول الله ﷺ نظر إلى جويبر ذات يوم رحمة منه له ورقّة عليه، فقال له: يا جويبر لو تزوّجت امرأة فعففت بها فرجك وأعانتك على دنياك وآخرتك، فقال له جويبر: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ومن ترغب فيّ فوالله مالي من حسب ولا نسب ولا مال ولا جمال فأية امرأة ترغب فيّ؟ فقال له رسول الله ﷺ: يا جويبر إن الله قد وضع بالإسلام من كان في الجاهلية شريفاً، وشرف بالإسلام من كان في الجاهلية ضيعاً، وأعزّ بالإسلام من كان في الجاهلية ذليلاً، وأذهب بالإسلام ما كان من نخوة الجاهلية وتفاخرها بعشائرها وباسق أنسابها، فإنّ الناس اليوم كلّهم أبيضهم وأسودهم وقرشيهم وعربيهم وعجميهم من آدم وإنّ آدم خلقه الله عزّ وجلّ من طين، وإنّ أحبّ الناس إلى الله عزّ وجلّ يوم القيامة أطوعهم له وأتقاهم.

وما أعلم يا جويبر لأحدٍ من المسلمين عليك اليوم فضلاً إلا لمن كان أتقى لله منك وأطوع، ثمّ قال له: انطلق يا جويبر إلى زياد بن ليبيد فإنه من أشرف بني بياضة حسباً فيهم فقل له: إني رسول رسول الله ﷺ وهو يقول لك: زوّج جويبر ابنتك الذلفاء، قال: فانطلق جويبر برسالة رسول الله ﷺ إلى زياد بن ليبيد وهو في منزله وجماعة من قومه عنده فاستأذن فأذن له وسلّم ثمّ قال: يا زياد بن ليبيد إني رسول رسول الله ﷺ في حاجة لي فأبوح بها أم أسرها إليك؟ فقال له زياد: لا بل يح بها فإنّ ذلك شرف لي وفخر.

١٣٦ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

فقال له جوير : إن رسول الله ﷺ يقول لك : زوج جويراً بنتك الذلفاء ، فقال له زياد : أرسول الله أرسلك إليّ بهذا يا جوير ؟ فقال له : نعم ما كنت لأكذب على رسول الله ﷺ ، فقال له زياد : إنا لا نزوج فتياتنا إلا أكفاءنا من الأنصار فانصرف يا جوير حتى ألقى رسول الله ﷺ فأخبره بعذري ، فانصرف جوير وهو يقول : والله ما بهذا نزل القرآن ولا بهذا ظهرت نبوة محمد ﷺ .

فسمعت مقالته الذلفاء بنت زياد وهي في خدرها فأرسلت إلى أبيها أدخل إليّ فدخل إليها فقالت : يا أباه ما هذا الكلام الذي سمعته منك تحاور به جوير ؟ فقال لها : ذكر لي أن رسول الله ﷺ أرسله وقال : يقول لك رسول الله ﷺ : زوج جويراً ابنتك الذلفاء ، فقالت له : والله ما كان جوير ليكذب على رسول الله ﷺ بحضرته فابعث الآن رسولاً يردّ عليك جويراً .

فبعث زياد رسولاً فلاحق جويراً ، فقال له زياد : يا جوير مرحباً بك اطمئن حتى أعود إليك ، ثم انطلق زياد إلى رسول الله ﷺ ، فقال له : بأبي أنت وأمي إن جويراً أتاني برسالتك وقال : إن رسول الله ﷺ يقول لك : زوج جويراً ابنتك الذلفاء ، فلم أن له في القول ورأيت لقاءك ونحن لا نزوج إلا أكفاءنا من الأنصار ، فقال له رسول الله ﷺ : يا زياد ، جوير مؤمن والمؤمن كفو المؤمنة والمسلم كفو المسلمة ، فزوجّه يا زياد ولا ترغب عنه .

قال : فرجع زياد إلى منزله ودخل على ابنته فقال لها ما سمعه من رسول الله ﷺ ، فقال له : إنك إن عصيت رسول الله ﷺ فكرت ، فزوج جويراً ، فخرج زياد فأخذ بيد جوير ثم أخرجه إلى قومه فزوجّه على سنة الله وسنة رسول الله ﷺ وضمن صداقه ، قال : فجهّزها زياد وهيّئوها ثم أرسلوا إلى جوير ، فقالوا له : ألك منزل فنسوقها إليك ، فقال : والله ما لي من منزل ، قال :

فهَيَّوْها وهَيَّوْا لها منزلاً وهَيَّأوا فيه فراشاً ومتاعاً وكسوا جوَيْرَ تويين وأدخلت الذلفاء في بيتها وأدخل جوَيْرَ عليها مُغْتَمّاً فلَمَّا رآها نظر إلى بيت ومتاع وريح طيِّبة، قام إلى زاوية البيت فلم يزل تالياً للقرآن راکعاً وساجداً حتَّى طلع الفجر، فلَمَّا سمع النداء خرج وخرجت زوجته إلى الصلاة فتوضَّأت وصلَّت الصبح فسئلت هل مسَّك ؟

فقال: ما زال تالياً للقرآن وراكعاً وساجداً حتَّى سمع النداء، فخرج فلَمَّا كان الليلة الثانية فعل مثل ذلك وأخفوا ذلك من زياد، فلَمَّا كان اليوم الثالث فعل مثل ذلك فأخبر بذلك أبوها فانطلق إلى رسول الله ﷺ، فقال له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أمرتني بتزويج جوَيْرَ ولا والله ما كان من مناكحنا ولكن طاعتك أوجبت عليّ تزويجه، فقال له النبي ﷺ: فما الذي أنكرتم منه؟ فقال: إنا هيئنا له بيتاً ومتاعاً وأدخلت بنتي البيت وأدخل معها مغتَمّاً، فما كلمها ولا نظر إليها ولا دنا منها، بل قام إلى زاوية البيت فلم يزل تالياً للقرآن راکعاً وساجداً حتَّى سمع النداء، وخرج وفعل مثل ذلك في الليلة الثانية ومثل ذلك في الليلة الثالثة، ولم يدن منها ولم يكلمها إلى أن جئتكم وما نراه يريد النساء، فانظر في أمرنا.

فانصرف زياد وبعث رسول الله ﷺ إلى جوَيْرَ، فقال له: أما تقرب النساء؟ فقال له جوَيْرَ: أو ما أنا بفحل، بلى يا رسول الله إني لشبق نهم إلى النساء، فقال له رسول الله ﷺ: قد خبَّرت بخلاف ما وصفت به نفسك، وقد ذكر لي أنهم هيَّأوا لك بيتاً وفراشاً ومتاعاً وأدخلت عليك فتاة حسناء عطرة وأتيت مغتَمّاً فلم تنظر إليها ولم تكلمها ولم تدنُ منها فما دهاك إذا؟

فقال له جوَيْرَ: يا رسول الله أدخلت بيتاً واسعاً ورأيت فراشاً ومتاعاً وفتاة حسناء عطرة، وذكرت حالي التي كنت عليها وغربتني وحاجتي ووضيعتي

١٣٨ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

وكيونتني مع الغرباء والمساكين، فأحبيت إذ أولاني الله ذلك أن أشكره على ما أعطاني وأتقرب إليه بحقيقة الشكر، فنهضت إلى جانب البيت فلم أزل في صلاتي تالياً للقرآن راعياً وساجداً أشكر الله تعالى حتى سمعت النداء، فخرجت، فلما أصبحت رأيت أن أصوم ذلك اليوم ففعلت ذلك ثلاثة أيام ولياليها، ورأيت ذلك في جنب ما أعطاني الله عزّ وجلّ يسيراً، ولكنّي سأرضيها وأرضيهم الليلة إن شاء الله تعالى.

فأرسل رسول الله ﷺ إلى زياد فأتاه فأعلمه بما قال جووير فطابت أنفسهم، قال: ووفى لهم جووير بما قال، ثم إن رسول الله ﷺ خرج في غزوة له ومعه جووير فاستشهد ﷺ فما كان في الأنصار أيّم أنفق منها بعد جووير.

بيان :

« فرحّب به » رَحَّبَ به ترحيباً دعاه إلى الرحب أي المكان المتسع يُقال مرحباً أي رَحَّبَ الله بك ترحيباً فجعل المرحّب موضع الترحيب، وقيل معناه لقيت رحباً وسعة، و «الازدراء» الاحتقار والانتقاص، و «الدمامة» بالمهملة الحقارة والقبح والغضاضة الذلّة والهجمة البغته، والانتجاع الطلب، والسقيفة كسفينة الصفة كما فسّرت، والباسق المرتفع في علوّه، والبوح الإظهار والإعلان، والخدر بالكسر ستر يمدّ للجارية في ناحية البيت، «مناكحنا» أي مواضع نكاحنا والمناكح في الأصل النساء، و «الشبق» الشديد الغلظة يُقال شبق الرجل إذا هاجت به شهوة النكاح فهو شبق، والنهم الحريص، والدهاء النكر ودهاء أصابه بداهية وهي الأمر العظيم.

٥ - الكافي : بعض أصحابنا، عن التيملي، عن النخعي، عن محمّد بن

سنان، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «أتى رجل النبي ﷺ فقال :

يا رسول الله عندي مهيرة العرب وأنا أحب أن تقبلها مني وهي ابنتي، قال : فقال : قد قبلتها، قال : وأخرى يا رسول الله، قال : وما هي ؟ قال : لم يضرب عليها صُدغ قطّ، قال : لا حاجة لي فيها ولكن زوّجها من حليب، قال : فسقط رجلا الرجل ممّا دخله ثمّ أتى أمها فأخبرها الخبر فدخلها مثل ما دخله، فسمعت الجارية مقالته ورأت ما دخل أبويعها، فقالت لهما : ارضيا لي ما رضي الله ورسوله لي، قال : فتسلّى ذلك عنهما وأتى أبوها النبيّ ﷺ فأخبره الخبر، فقال ﷺ : قد جعلت مهرها الجنة» .

وزاد صفوان فيه قال : فمات حليب عنها فبلغ مهرها بعده مائة ألف درهم .  
بيان :

«المهيرة» الغالية المهر، «وأخرى» أي لها خصلة أخرى حسنة يرغب فيها، و «الصُدغ» بضمّ المهملة وإعجام الغين ما بين العين والأذن، وكانّ ضربها كناية عن الإصابة بمصيبة، و «حليب اسم رجل»، و «سقوط الرجلين» كناية عن تغيّر الحال وإصابته شدة الألم فإنّ ذلك ممّا يذهب بقوة المشي .

٦ - الكافي : محمّد، عن أحمد وعلي، عن أبيه، عن ابن فضال، عن ابن بكير، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال : «مرّ رجل من أهل البصرة شيبانيّ يقال له عبد الملك بن حرملة على عليّ بن الحسين عليه السلام فقال له عليّ بن الحسين عليه السلام : ألك أخت ؟ قال : نعم، قال : فتزوّجنيها ؟ قال : نعم، قال : فمضى الرجل وتبعه رجل من أصحاب عليّ بن الحسين عليه السلام حتّى انتهى إلى منزله فسأل عنه فقيل له فلان بن فلان وهو سيّد قومه .

ثمّ رجع إلى عليّ بن الحسين عليه السلام فقال له : يا أبا الحسن سألت عن صهرك هذا الشيبانيّ فزعموا أنّه سيّد قومه، فقال له عليّ بن الحسين عليه السلام : إنّي لأبديك

١٤٠ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

يا فلان عمّا أرى وعمّا أسمع، أما علمت أنّ الله تعالى رفع بالإسلام الخسيّة وأتمّ به الناقصة وأكرم به من اللؤم، فلا لؤم على مسلم، إنّما اللؤم على الجاهلية».

٧- الكافي : عليّ، عن أبيه، عن ابن فضال، عن ثعلبة بن ميمون، عمّن يروي، عن أبي عبد الله عليه السلام «أنّ عليّ بن الحسين عليه السلام تزوّج سرّية كانت للحسن بن عليّ عليه السلام، فبلغ ذلك عبد الملك بن مروان فكتب إليه في ذلك كتاباً: أنّك صرت بعلاً للإمام، فكتب إليه عليّ بن الحسين عليه السلام: إنّ الله رفع بالإسلام الخسيّة. وأتمّ به الناقصة وأكرم به اللؤم، فلا لؤم على مسلم، إنّما اللؤم لؤم الجاهلية، إنّ رسول الله ﷺ أنكح عبده ونكح أمته.

فلما انتهى الكتاب إلى عبد الملك قال لمن عنده: خبروني عن رجل إذا أتى ما يضع الناس لم يزدّه إلّا شرفاً؟ قالوا: ذاك أمير المؤمنين، قال: لا والله ما هو ذاك، قالوا: ما نعرف إلّا أمير المؤمنين، قال: فلا والله ما هو بأمرير المؤمنين ولكنّه عليّ بن الحسين عليه السلام».

٨- عن الحسين بن بشار، قال: كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام: إنّ لي ذا قربة قد خطب إليّ وفي خلقه سوء، قال: لا تزوّجه إن كان سيّء الأخلاق.

يعني ليس عنوان القرابة وأنّه ابن العم وابن الخال أو غير ذلك هو ملاك الزواج في الإسلام، إنّما الملاك حسن الأخلاق حتّى لو كان بعيداً، ومن كان سيّء الأخلاق فإنّه لا يزوّج حتّى ولو كان قريباً، وبهذا ينصّح الشاب الذي فيه سوء خلق، فإنّه يعلم أنّ المجتمع لا يرضى به حتّى أقربائه لا يزوّجونه.

٩- عن الحسين بن بشار أيضاً، قال: كتبت إلى أبي جعفر عليه السلام في رجل خطب إليّ، فكتب عليّ عليه السلام: من خطب إليكم فرضيتم دينه وأمانته كائناً من كان

فزوجوه ﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ (١).

وبهذه الآية الشريفة استدلل الإمام عليه السلام بأنه من يتصعب ويتعصب في أمر الزواج بأي سبب كان كغلاء المهور في عصرنا هذا، فإنه ممّا يساعد على نشر الفساد في الأرض، فإنّ الزواج صمام أمان لكثير من المزالق والذنوب والآثام الفردية والاجتماعية.

فمن يترك الزواج أو يتصعب في أمره، ولا يسهّل صعوباته ويذلل مشاكله، فإنه يكون مساهماً في الفتنة في الأرض وإشاعة الفساد الكبير.

والعمدة هي الكفاءة الدينية وحفظ الأمانة، وإن كان اليسار والسعة في المال من العوامل أيضاً، إلا أنه في الدرجة الثانية، فالمؤمن كفو المؤمن بالإيمان والتقوى.

١٠ - عن الصادق عليه السلام، قال: المؤمنون بعضهم أكفاء بعض، وقال عليه السلام:

الكفو أن يكون عفيفاً وعنده يسار.

وربما من العوامل التي تقرب الزواج، القرابة.

١١ - قال رسول الله ﷺ: إنما أنا بشر مثلكم، أتزوج فيكم وأزوّجكم، إلا

فاطمة فإنّ تزويجها نزل من السماء، ونظر رسول الله ﷺ إلى أولاد عليّ وجعفر فقال: بناتنا لبنينا وبنونا لبناتنا.

وربما يكون هذا حكم خاص ببيت النبوة، أو ببني هاشم، أو ذرية

الرسول الأكرم ﷺ. ومن هذا المنطلق تجد بعض العوائل الأشراف من السادة

العلويين لا يزوّجون بناتهم إلا من العلويين الأشراف.



١٤٢ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

ومن الملائكات الأساسية في الكفاءة الزوجية التقوى. وما أدراك ما التقوى؟ فإن خير الدنيا والأخرى فيها، وتظهر آثارها حتى في الحياة الزوجية.

١٢ - من كتاب تهذيب الأحكام، جاء رجل إلى الحسن عليه السلام يستشيريه في تزويج ابنته، فقال: زوّجها من رجل تقي، فإنه إذا أحبّها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها.

وهذا تذکر للمتقي أيضاً أنه عندما يحبّ زوجته عليه أن يكرمها، وإن أبغضها فلا يجحف بحقّها ولا يظلمها، بل يتعامل معها بالعدل والإحسان والمعروف.

١٣ - هذا لمن يزوّج بنته وكريمته من رجل متّقي، أمّا من زوّجها من رجل فاسق لا يراعي حقوق الله والناس، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من زوّج كريمته من فاسق فقد قطع رحمه»، ومعلوم قاطع الرحم في النار، فإنه يستحبّ صلة الأرحام، ويحرم قطعها كما هو مذكور في محله.

ومن المعاصي الزنا وشرب الخمر، وقد ورد النهي في خصوصهما.

١٤ - عن الحلبي، قال: قال الصادق عليه السلام: لا تتزوّجوا المرأة المستعلنة بالزنا، ولا تزوّجوا الرجل المستعلن بالزنا، إلا أن تعرفوا منهما التوبة.

١٥ - وعن زرارة، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله عزّ وجلّ: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ <sup>(١)</sup>؟ فقال: هي نساء مشهورات بالزنا ورجال مشهورون بالزنا ومعروفون به، والناس اليوم بتلك

(١) النور: ٣.

الكفاءة في الزواج ..... ١٤٣

المنزلة، من أقيم عليه حدّ الزنا أو شهر بالزنا لا ينبغي لأحد أن يناكحه حتّى يعرف منه توبة.

وبهذا المثل ضرب الأئمة عليهم السلام أروع مثال لسلامة المجتمع من المعاصي، ورجوع الناس دائماً لا سيّما الشباب إلى التوبة والاستغفار.

١٦ - قال عليه السلام: من شرب الخمر بعدما حرّمها الله فليس بأهل أن يزوّج إذا خطب.

تمّ من الملاكات الإسلامية في أمر الزواج هو الإسلام نفسه، لا الغنى والثروة كما فعل النبيّ في إثبات ذلك، فقال عليه السلام: أنكحت زيد بن حارثة - وكان فقيراً - زينب بنت جحش، وأنكحت المقداد ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب، وكانت من أشرف العرب وسادتهم، ليعلموا أنّ أشرف الشرف: الإسلام.

١٧ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنكحوا الأكفاء وأنكحوا منهم، واختاروا لنطفكم<sup>(١)</sup>.

١٨ - عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تسبّوا قريشاً ولا تبغضوا العرب، ولا تذلّوا الموالي، ولا تساكنوا الخوز، ولا تزوّجوا إليهم، فإنّ لهم عرقاً يدعوهم إلى غير الوفاء.

١٩ - عن فقه الرضا، إن خطب إليكم رجل رضيت دينه وخلقه فزوّجه، ولا يمنعك فقره وفاقته، قال الله تعالى: ﴿ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِنْ سَعَتِهِ ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال: ﴿ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾<sup>(٣)</sup>، ولا يتزوّج

(١) البحار ١٠٠: ٢٣٦، عن نوارد الراوندي: ١٢.

(٢) النساء: ١٣٠.

(٣) النور: ٣٢.

شارب الخمر، فإن من فعل فكأنما قادها إلى الزنا.

٢٠- قال بعض الخوارج لهشام بن الحكم: العجم تتزوج في العرب؟

قال: نعم. قال: فالعرب تتزوج في قريش؟ قال: نعم. قال: فقريش تتزوج في بني هاشم؟ قال: نعم. فجاء الخارجي إلى الصادق عليه السلام فقص عليه ثم قال: أسمعك منك. فقال عليه السلام: نعم، فقد قلت ذلك. قال الخارجي: فهذا أنا ذا قد جئتكم خاطباً، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: إنك لكفو في دينك وحسبك في قومك، ولكن الله عز وجل صاننا عن الصدقات وهي أوساخ أيدي الناس فنكره أن نشرك فيما فضلنا الله به من لم يجعل الله له مثل ما جعل لنا، فقام الخارجي وهو يقول: بالله ما رأيت رجلاً مثله ردني والله أقبح ردّ وما خرج من قول صاحبه<sup>(١)</sup>.

٢١- عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: لولا أن الله تبارك وتعالى خلق

أمير المؤمنين عليه السلام لفاطمة ما كان لها كفو على ظهر الأرض.

٢٢- عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: تزوجوا في الشكاك ولا تزوجوهم، لأنّ

المرأة تأخذ من أدب الرجل ويقهرها على دينه.

٢٣- عن ابن سنان، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: بكم يكون الرجل مسلماً

يحلّ مناكحته وموارثته وبما يحرم دمه؟ فقال: يحرم دمه بالإسلام إذا أظهره ويحلّ مناكحته وموارثته.

٢٤- عن زرارة، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أتخوف أن لا تحلّ لي أن

أتزوج صبيّة من لم يكن على مذهبي، فقال: ما يمنعك من البله من النساء اللاتي لا يعرفن ما أنتم عليه ولا ينصبن - أي لا تنصب عداوة آل محمّد في قلبها -.

٢٥- عن ابن سنان، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الناصب الذي قد عرف نصبه وعداوته، هل يزوجه المؤمن وهو قادر على رده؟ قال: لا يتزوج المؤمن ناصبة ولا يتزوج الناصب مؤمنة، ولا يتزوج المستضعف مؤمنة - أي لا يأخذ من أبناء العامة امرأة جعفرية -.

وتزويج اليهودية والنصرانية جائز، ولكنهما تمنعان من شرب الخمر وأكل لحم الخنزير وعلى من تزوجها في دينه غضاضة، كما ورد في الخبر الشريف.

٢٦- عن زرارة، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أتزوج المرجئة أو الحرورية أو القدرية؟ قال: لا، عليك بالبله من النساء، قال زرارة: فقلت: ما هي إلا مؤمنة أو كافرة؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: فأين أهل استثناء الله، قول الله أصدق من قولك: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾<sup>(١)</sup>.

٢٧- عن العبد الصالح، قال: سألتناه عن قوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، ما هنّ وما معنى إحصانهن؟ قال: هنّ العفاف من نسايمهم.

٢٨- عن أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>، وذلك إن المسلمين كانوا

(١) النساء: ٩٨.

(٢) المائدة: ٥٥.

(٣) البقرة: ٢٢١.

١٤٦ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

ينكحون في أهل الكتاب من اليهود والنصارى وينكحونهم حتى نزلت الآية، نهى أن ينكح المسلم من المشرك أو ينكحونه، ثم قال تعالى في سورة المائدة ما نسخ هذه الآية، فقال: ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾<sup>(١)</sup>، فأطلق عز وجلّ منّا كحتهن بعد أن كان نهى وترك قوله: ﴿ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا ﴾<sup>(٢)</sup>، على حاله لم ينسخه.

فمع هذه الروايات الشريفة والآيات الكريمة في بيان الكفاءة في الزواج ليت أن الآباء والأمهات يدققوا في أمر الزواج، وأن يدرسوه دراسة واعية ومتأنية، وأن لا يعتمدوا على المظاهر الخادعة أو الظواهر الكاذبة البراقة التي تعشي العيون، فلا بد من التأني في أمر الزواج لكي لا تكون النتيجة مأساوية ومؤسفة.

---

(١) المائدة : ٥ .

(٢) البقرة : ٢٢١ .

## الفصل الخامس

### الرضا شرط في الزواج

كلّ عمل وفعل إنساني إرادي مسبق بالإرادة، وهي تعني طلب المراد، ويتوقّف ذلك على مقدّمات : كتصوّر الشيء المراد، والتصديق بفائدته، والشوق إليه، والشوق المؤكّد المحرّك للعضلات نحو تحقّقه وإيجاده.

وأمر الزواج لا بدّ من إرادة سابقة لتحقّقه حتّى يتمّ بالاختيار والانتخاب، ومن لوازم إرادة التزويج أن يكون للشابّ والشابّة رضاً في ذلك، بأن يهوى الزواج ويبغيه بلا إكراه وإجبار، بل لو أكرهت المرأة على ذلك كان العقد باطلاً، والنكاح سفاحاً محرّماً حتّى ترضى، ويتمّ العقد من جديد أو كان فضولياً. فيرجع قبول الزواج ورفضه ابتداءً إلى المرأة :

١ - عن صفوان، عن منصور بن حازم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : تستأمر البكر وغيرها لا تنكح إلاّ بأمرها.

٢ - وقد روي عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنّه ذكر حديث تزويجه من فاطمة وأنّه طلبها من رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : يا عليّ، إنّ قد ذكرها قبلك رجال، فذكرت ذلك لها فرأيت الكراهة في وجهها، ولكن على رسلك حتّى أخرج إليك، فدخل عليها، فأخبرها وقال : إنّ عليّاً قد ذكر من أمرك شيئاً فما ترين ؟ فسكتت

١٤٨ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

ولم تول وجهها ولم يرفيه رسول الله ﷺ كراهة، فقام وهو يقول: الله أكبر سكوتهما إقرارها<sup>(١)</sup>.

٣- وذكر أن فتاة جاءت إلى رسول الله ﷺ تشكوا أباهما فقالت: يا رسول الله إن أبي زوجني من ابن أخ له ليرفع خسيسته وأنا له كارهة، فقال ﷺ: أجزبي ما صنع أبوك، فقالت: لا رغبة لي فيما صنع أبي، فقال: إذن فاذهبي وتزوجي من شئت، فقالت: لا رغبة لي عمّا صنع أبي.

والمستفاد من الأحاديث الشريفة في هذا الباب أن الثيب لها أن تزوج نفسها ولا دخل لولي أمرها في شأن زواجها، وأما البكر فإنها وإن تزوج بإذن وليها ولكن لا بد من رضاها أيضاً، فهو الأساس في أصل زواجها، فلها الحق في قرار الزواج ولها رفضه، ولا يصح إكراهها عليه، (تستأمر البكر وغيرها ولا تنكح إلا بأمرها) وحينئذ يصبح العقد باطلاً إذا أعلنت عن عدم موافقتها.

فالتشريع الإسلامي هو أول تشريع من نوعه، وأحدث نظام ارتفع بالمرأة إلى مكائنها السامية واللائقة في المجتمع الإنساني وقرّر كلّ ما لها من حقوق وبين كلّ ما عليها من واجبات، وكذلك الرجل.

فالشاب لا بد له من رغبة نحو الزواج بأن يرغب في أصل الزواج، كما يرغب في المورد والبنت أو المرأة التي يريد أن يتزوجها، وربما تكون هذه الرغبة موافقة لرغبة الوالدين أيضاً، فنعم المطلوب ويتمّ كلّ شيء على ما يرام. ولكن في بعض العوائل يقع الاختلاف بين الوالدين وبين اختيار الولد ورضاه، فمن يقدّم؟

(١) وسائل الشيعة ٧: ٢٠٦.

١ - عن ابن أبي يعفور، عن الصادق عليه السلام، قال: قلت: إني أردت أن أتزوج امرأة وإن أبوي أرادا غيرها، قال: تزوج الذي هويت ودع التي هوى أبواك. وهذا يعني أن الولد هو الذي يريد أن يعيش مع زوجته، فأرادته مقدّمة، إلا أنه لا مطلقاً، بل ربما العشق الكاذب والهوى المنحرف يعمي بصر الولد ويصمّ سمعه عن أن يرى حقيقة البنت، فربما جمالها الظاهري يغويه في هواها وهو غافل بأنّها في منبت سوء، والرسول الأعظم قال: إياكم وخضراء الدمن، قيل: وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في منبت سوء.

فالوالدان هنا يخالفان مثل هذا الزواج لمصلحة الولد، لأنّهما أكثر علماً وأكثر تجربةً في هذا الوادي، فالولد عليه أن ينتفع من خبرتهما وتجربتهما ويأخذ بقولهما إذا كان مصحوباً بالاستدلال والمنطق السليم، فلا يتبع هواه، فإنّه يضلّ بذلك الطريق الصحيح في الحياة الزوجية ويفقد أكبر رصيد عائلي واجتماعي في حياته، وأكبر عمودين في مستقبله، وهما الوالدان. وهذا ليس من الحكمة والعقل السليم.

فلا بدّ من ملاحظة المواقف والمنطق السليم والعقل الراجح والمشاورة الصادقة.



## السعي في الزواج

ربما لصعوبة الظروف الاقتصادية لا يتمكن الشاب أو الشابة من الإقدام على الزواج، وتبقى العزوبة حاکمة حتى يفوت الأوان، ففي مثل هذا الموقف لا بدّ من سعي وحركة من قبل الآخرين كالوالدين والأقرباء والمؤمنين أصحاب المال والخير، ولمن فعل ذلك ثواب عظيم، ومن خلال ذكر الثواب في الروايات نعرف مدى اهتمام الشارع المقدّس بأمر الزواج والسعي فيه :

١- عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: أربعة ينظر الله عزّ وجلّ إليهم يوم القيامة: من أقال نادماً، أو أغاث لهفاناً، أو أعتق نسمة، أو زوّج عزباً<sup>(١)</sup>.

٢- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من عمل في تزويج حلال حتى يجمع الله بينهما زوّجه الله من الحور العين، وكان له بكلّ خطوة خطاها وكلمة تكلم بها عبادة سنة<sup>(٢)</sup>.

٣- عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: أفضل الشفاعات أن يشفع بين اثنين في نكاح حتى يجمع شملهما<sup>(٣)</sup>.

ولا يخفى أنّ السعي لا بدّ أن يكون عن دراسة ووعي كامل حتى لا يندم على فعله وسعيه، كما يحدث لبعض سعاة الخير، فإنّه ليس على المحسنين من سبيل.

(١) البحار ١٠٠: ٢١٨.

(٢) المصدر: ٢٢١.

(٣) المصدر: ٢٢٢.

## الزواج المبكر

اختلفت الآراء في الزواج المبكر لا سيما في مثل عصرنا المكفهر، فمنهم من يحدّد ذلك ويحدّد عليه، ومنهم من لا يرى ذلك لعدم النضوج الفكري والمعاشي بين الشباب، والعلم وإن تطوّر في التكنولوجيا وغزو الفضاء، وأصبح العالم قرية صغيرة بحضور «الكومبيوتر والمعلوماتية»، إلا أنّ الأخلاق فسدت وانحطّت العقول وفقدت صوابها، وأصبح الشباب طائشاً لا يدري ماذا يفعل، ومثله لا يحسن إدارة العائلة ويقوم بحقوق المرأة والأولاد...

وبنظري إنّ الدين الإسلامي هو الدين الخالد وأحكامه وقوانينه أبدية، ولا تنحصر بعصر خاصّ أو مصر خاصّ، بل لكلّ الأجيال ولكلّ الأمصار والأعصار فهو حيّ يتماشى مع كلّ العصور.

وأما ميوعة الشباب وطيشه إنّما هو حصيلة ابتعاده عن الدين والأخلاق والقيم الإنسانية، فلو رجعنا إلى الدين وإلى القرآن الكريم والعترة الطاهرة لركبنا سفينة النجاة، ورسونا على ساحل الاطمئنان وشاطئ السلامة والسعادة.

فالإسلام يرى حسن الزواج المبكر سواء الذكر والأنثى، بل يرى أنّ ذلك من السعادة.

- ١ - عن النبي ﷺ، قال: من سعادة الرجل أن لا تحيض ابنته في بيته.
- ٢ - عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، عن النبي ﷺ، قال: ما من شاب تزوّج في حداثة سنّه إلاّ عبجّ شيطانه: يا ويله يا ويله، عصم منّي ثلثي دينه، فليتّق العبد في الثلث الباقي.

١٥٢ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

عن النبي ﷺ: من حقّ الولد على والده ثلاثة: يحسن اسمه، ويعلمه الكتابة، ويؤجّه إذا بلغ.

فالزواج المبكّر حسن وجميل ونافع...

أجل: «يجب أن لا يفتح قلب الفتاة لأحد قبل أن يفتح لزوجها الذي تعيش معه شوط الحياة كي لا تنغص حياتها ذكريات الماضي، وهذا لا يتحقّق إلاّ بالزواج المبكّر الذي تفتّح فيه للفتاة براعم أنوثتها في حياتها الزوجيّة وتحت سقف عشّه السعيد.

فالفتاة التي تبدأ حياتها بالغرام والتنقلّ بين أحضان الرجال لا تستطيع أن تتمتع بعد ذلك بحبّ شريف، فكم من فتاة فسدت حياتها على أيدي الوحوش الضارية من أبناء هذا العصر والماجنين من شبابه، إذ أنّهم يحبّونها ويعدونها بالزواج ثمّ يتركونها ولعلّ البعض منهم يطلبون منها صورتها أيّام الحبّ فإذا ما تزوّجت بعد تركهم شهّروا بها، أو قد يرسلون صورتها إلى زوجها، فيحطّمون حياتها الزوجيّة كما حطّموا عهد شبابها، فترجع إلى أهلها (بخفيّ حنين) وقد خسرت سعادتها الزوجية، وتفارقها زوجها بالطلاق أو بغيره، وما ذلك إلاّ نتيجة لعدم حرصنا على فتياتنا على بناتنا، بنات مجتمعا ونساء أمّتنا.

فكانّ المجتمع قد اختار للمرأة أحد طريقتين لا ثالث لهما، إمّا الجهل الدائم أو السقوط المهلك، لذلك أبعثها صرخةً مدويّة في ربوع الوطن الإسلامي إلى جميع الآباء والأمّهات، إلى جميع الفتيان والفتيات، من أجل الخلاص من السقوط وبناء المجتمع الصالح: إلى الزواج المبكّر وعدم المغالاة في المهور، فإنّ الزواج خير وسيلة للخلاص.

فإلى دفء أحضان الأزواج بالطريقة المشروعة أيّتها الفتيات، فهو أولى

لكنّ من التقلّب بين الأحضان بالطريقة المحرّمة، فإلى الزواج المبكر وإلى الاستجابة إلى الحاجة النفسية والإنجاب الشرعي، فإنّه أولى من ممارسة الحبّ الساقط وعمليات الإجهاض المحرّمة، فإلى الشرف وإلى العقّة وإلى الأمومة الشرعيّة... إلى الزواج المبكر»<sup>(١)</sup>.

---

(١) الزواج في الإسلام : ٧٧.

## الخطبة

من أحكام الزواج المستحبة في الشريعة الإسلامية المقدسة الخطبة قبل العقد، والمقصود من العقد هو الإيجاب والقبول كما سنذكر ذلك، والخطبة تعني أن يذكر العاقد بعض فضائل الزواج من خلال الآيات القرآنية والروايات الشريفة والعقل السليم وتحبيذه عند العقلاء.

وقد وردت خطب شريفة عن الرسول ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام في هذا الباب، ومن خلالها سوف نقف على مفاهيم جديدة، وعلى فلسفة الزواج في الإسلام، وفي منطق أهل البيت عليهم السلام، فإليك بعض النماذج من الخطب الشريفة.

١ - وخطب أبو طالب لما تزوج النبي ﷺ بخديجة بنت خويلد بعد أن خطبها من أبيها - ومن الناس من يقول إلى عمها - فأخذ بعضادتي الباب ومن شاهد من قريش حضور، فقال: «الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم عليه السلام وذرية إسماعيل عليه السلام، وجعل لنا بيتاً محجوباً وحرماً آمناً ﴿يُجَبِّي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾<sup>(١)</sup>، وجعلنا الحكام على الناس في بلدنا الذي نحن فيه، ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب لا يوزن برجل من قريش إلا رجح به، ولا يقاس به أحد وإن كان في المال قل، فإن المال رزق حائل وظل زائل، وله في خديجة رغبة ولها فيه رغبة، والصداق ما شئتم عاجلة وآجلة من مالي، وله خطر عظيم وشأن رفيع ولسان شافع جسيم، فزوجه، ودخل بها من الغد.

٢- ويستحبّ أن يخطب بخطبة الرضا عليه السلام تبرّكاً بها، لأنّها جامعة في معناها، وهي: الحمد لله الذي حمد في الكتاب نفسه، وافتتح بالحمد كتابه، وجعله أوّل محلّ نعمته وآخر جزاء أهل طاعته، وصلى الله على محمّد خير بريّته، وعلى آله أئمة الرحمة ومعادن الحكمة، والحمد لله الذي كان في نبئه الصادق وكتابه الناطق، إنّ من أحقّ الأسباب بالصلة، وأولى الأمور بالتقدمة، سبباً أوجب نسباً، وأمراً أعقب حسباً (غنى) فقال جلّ ثناؤه:

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال:

﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾<sup>(٢)</sup>.

ولو لم يكن في المناكحة والمصاهرة آية منزلة ولا سنة متّبعة، لكان فيما جعل الله فيها من برّ القريب وتآلف البعيد ما رغب فيه العاقل اللبيب، وسارع إليه الموفق المصيب، فأولى الناس بالله من اتّبع أمره، وأنفذ حكمه، وأمضى قضاءه، ورضي جزاءه، ونحن نسأل الله تعالى أن ينجز لنا ولكم على أوفق الأمور، ثمّ إنّ (فلان بن فلان)<sup>(٣)</sup> من قد عرفتم مروّته وعقله وصلاحه ونبيّته وفضله، وقد أحبّ شركتكم وخطب كريمتكم (فلانة)<sup>(٤)</sup> وبذل لها من الصداق

(١) الفرقان : ٥٤ .

(٢) النور : ٣٢ .

(٣) يذكر اسم الزوج .

(٤) يذكر اسم الزوجة .

١٥٦ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

كذا<sup>(١)</sup>... فشفعوا شافعكم وأنكحوا خاطبكم في يسر غير عسر، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم»<sup>(٢)</sup>.

في هذه الخطبة الشريفة الجامعة نكات لطيفة وإشارات ظريفة يقف عليها العاقل اللبيب، كقوله عليه السلام أخيراً (في يسر غير عسر) وهذا يعني تسهيل الأمر في مسألة الزواج، لكل ما لكلمة التسهيل من معنى ومصداق، وأنهما يختلفان باختلاف الأعصار والأمصار.

٣- ومن الخطب الشريفة: لما تزوج أبو جعفر محمد بن عليّ الرضا عليه السلام ابنة المأمون خطب لنفسه، فقال: «الحمد لله متمّ النعم برحمته، والهادي إلى شكره بمتّ، وصلى الله على محمد خير خلقه الذي جمع فيه من الفضل ما فرّقه في الرسل قبله، وجعل ترائه إلى من خصّه بخلافته وسلّم تسليمًا. وهذا أمير المؤمنين زوجني ابنته - قال أمير المؤمنين لمخاطبة الناس إياه بذلك لا لما هو الواقع، فإنّ المأمون أمير الفاسقين كما يشهد بذلك التأريخ الصحيح - على ما فرض الله عزّ وجلّ للمسلمات على المؤمنين من ﴿فَأَمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ﴾<sup>(٣)</sup>، وبذلت لها من الصداق ما بذله رسول الله صلى الله عليه وآله لأزواجه وهو اثنتا عشرة أوقية ونشّ (الأوقية عندهم أربعون درهماً، والنش: النصف من كلّ شيء) على تمام الخمسمائة، وقد نحلّتها من مالي مئة ألف درهم، زوجتني يا أمير المؤمنين؟ قال: بلى. قال: قبلت ورضيت.

(١) يذكر الصداق مبلغاً أو غيره ولا بدّ أن يكون معلوماً غير مجهول.

(٢) بحار الأنوار ١٠٠: ٢٦٦.

(٣) البقرة: ٢٢٩.

٤ - ومن الخطب : خطبة الإمام محمد التقي عليه السلام عند تزويجه بنت المأمون : الحمد لله إقراراً بنعمته ، ولا إله إلا الله إخلاصاً بوحدانيته ، وصلى الله على محمد سيد برئته ، وعلى الأصفياء من عترته ، أما بعد فقد كان من فضل الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام ، فقال سبحانه : ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ <sup>(١)</sup> ، ثم إنَّ محمد بن علي بن موسى يخطب أم الفضل ابنة عبد الله المأمون وقد بذل لها من الصداق مهر جدته فاطمة عليها السلام بنت محمد عليه السلام وهو خمسمائة درهم جيداً ، فهل زوّجتني يا أمير المؤمنين بها على الصداق المذكور ؟ قال المأمون : نعم قد زوّجتك يا أبا جعفر أم الفضل بنتي على الصداق المذكور ، فهل قبلت النكاح ؟ قال أبو جعفر عليه السلام : نعم قبلت النكاح ورضيت به .

٥ - من أمالي السيد أبي طالب الهروي ، عن زين العابدين عليه السلام ، قال : خطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين زوج فاطمة عليها السلام من علي عليه السلام ، فقال : الحمد لله المحمود بنعمته ، المعبود بقدرته ، المطاع بسلطانه ، المرهوب من عذابه وسطوته ، المرغوب إليه فيما عنده ، النافذ أمره في سمائه وأرضه ، ثم إنَّ الله عزَّ وجلَّ أمرني أن أزوّج فاطمة من علي بن أبي طالب ، فقد زوّجته على أربعمئة مثقال فضة ، إن رضي بذلك علي ، ثم دعا صلى الله عليه وآله وسلم بطبق من بسر ، ثم قال : انتهوا ، فبينما ننتهب إذ دخل علي عليه السلام فتبسّم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في وجهه ، ثم قال : يا علي ، أعلمت أن الله عزَّ وجلَّ أمرني أن أزوّجك فاطمة ، فقد زوّجتها على أربعمئة مثقال فضة إن رضيت ، فقال علي عليه السلام : رضيت بذلك عن الله وعن رسوله ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : جمع الله



شملكما، وأسعد جدكما، وبارك عليكما، وأخرج منكما كثيراً طيباً.

٦- عن الرضا، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: ويوم الجمعة يوم خطبة ونكاح.

وقبل الخطبة والعقد الشرعي أجاز الإسلام في أيام الخطوبة للخطاب أن ينظر إلى خطيبته ويسمع حديثها ليقف على مستواها العقلي والعلمي وثقافتها، فيجوز أن ينظر إلى وجهها ويديها وقدميها وطولها عندما تمشي أمامه، فإنه لما خطب المغيرة بن شعبة امرأة قال له النبي ﷺ: «أنظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»، أي يؤلف ويوفق بينكما.

وفرة الخطوبة فترة تمهيدية لكي يتعرف كلٌّ من الخاطبين على الآخر، ولهذا يجب أن يلتزم كلٌّ منهما المعيار الذي حدده الإسلام، فلا تترك لهما الحرية المطلقة في الخروج واللقاء، بلا إفراط ولا تفريط، بل تعارف وتعرف واختبار خلال ذلك الإطار الإسلامي السابق، ليسلم الزوجان من نكسة المفاجأة ليلة الزفاف، وتسلم الخطيبة من مغبة الحرية المطلقة والإسراف في المخالطة.

كما جعل الإسلام للمرأة حرية الاختيار، فجعل أمر زواجها بيدها سواء الثيب أو البكر، إلا أن البكر تستأذن والدها والثيب تستشير، فلا غضب ولا إكراه، ورغبة الفتاة هي المعتبرة كما هو الحق الطبيعي، فهي التي تتزوج لا والدها، فهي التي ستتحمل تبعات أسرتها المقبلة، فكان من حصافة الرأي أن يكون رضاها عن شريكها في مقدمة الأمور التي ينظر إليها المشرع المقدس بعين الاعتبار.

٧- عن محمد بن مسلم، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الرجل يريد أن يتزوج المرأة أينظر إليها؟ قال: نعم، إنما يشتريها بأغلى ثمن.

٨- عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: لا بأس أن ينظر إلى وجهها ومعاصمها إذا أراد أن يتزوجها.

٩ - عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت: أينظر الرجل إلى المرأة يريد تزويجها فينظر إلى شعرها ومحاسنها؟ قال: لا بأس بذلك إذا لم يكن متلذذاً.

١٠ - عن يونس بن يعقوب، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الرجل يريد أن يتزوج المرأة وأحب أن ينظر إليها؟ قال: تحتجز - أي تلبس إزار - ثم لتقعده وليدخل فلينظر، قال: قلت: تقوم حتى ينظر إليها؟ قال: نعم. قلت: فتمشي بين يديه؟ قال: ما أحب أن تفعل<sup>(١)</sup>.

وجاء في كتاب والدي العلامة تتمة (الجنسان) تحت عنوان الخطبة أيضاً،

قال:

من المسلم أن على الزوج أن يتقدم بخطبة، وذلك حسب المتعارف بالنسبة للزمان والمكان والوضع والأوضاع، ولا ينبغي أن يتخلف إنسان من هذا الطرز في الخطبة، كما لا ينبغي أن يعمل سراً بينه وبين من يحبها، فإن فيها ما لا يصلح، وكم رأينا من تفاهات سرية أدت إلى ما لا يمدح ذكره، ولا نستطيع إفشائه، وكل ذلك لا لشيء سوى عدم المشي الصحيح، ولأجل اللقاءات الغير العلنية، فعلى الآباء والأمهات أن يراعوا هذا الجانب من حياة أولادهم وبناتهم، فإنه أشد وأصعب وأزحم دور يجتازه الشباب، وها هو القرآن الكريم يعلمنا كل ذلك بإيجاز واختصار.

١ - ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْتَنْتُمْ فِيهَا أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ رَحِيمٌ ﴾ (١).

(١) الوسائل ٢٠، ٨٧، باب ٣٦ أنه يجوز للرجل النظر إلى وجه المرأة يريد تزويجها وبديها وشعرها ومحاسنها قاعدة واحدة وأن يأمئها بعين التلذذ وكراهة مشيها بين يديه.

## المهر أو الصداق

مما يجب في عقد الزواج الشرعي أن يكون للمرأة صداقاً ومهرأ، ولا يتم العقد إلا به، ولو كان شيئاً قليلاً:

١- قال الله تعالى: ﴿ وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴾ (١).

٢- ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَةَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْقَ عَلَيْكَ سِتِّجْدِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ \* قَالَ ذَلِكَ بَنِيَّ وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ فَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ (٢).

٣- ﴿ وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ (٣).

﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ \* وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَبِضْفِ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٤).

(١) النساء : ٤ .

(٢) القصص : ٢٧ - ٢٨ .

(٣) البقرة : ٢٤١ .

(٤) البقرة : ٢٣٦ - ٢٣٧ .

ويستحب أن يكون المهر قليلاً، وأن يكون بمقدار مهر السنّة، وهو خمسمائة درهم من الفضة، يقدر في كلّ زمان ومكان بقيمته، والظاهر أنّ خمسمائة درهم مسكوك في عصر النبيّ عبارة عن أربعمئة مثقال فضّة.

١ - عن الصادق عليه السلام، عن أبيه عليه السلام، قال: ما زوج رسول الله ﷺ شيئاً من بناته ولا تزوج شيئاً من نسائه على أكثر من اثني عشر أوقية ونش - يعني نصف أوقية -، وهو بمقدار خمسمائة درهم.

٢ - قال عليّ عليه السلام: إني لأكره أن يكون المهر أقلّ من عشرة دراهم لكي لا يشبه مهر البغيّ.

٣ - عن أبي عبد الله عليه السلام: أدنى ما يجزي من المهر تمثال من سكرة.

٤ - عن ابن بكير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: زوج رسول الله ﷺ علياً فاطمة صلوات الله عليها على درع له حطمية تسوي ثلاثين درهماً.

٥ - عن الحسين بن خالد، قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن مهر السنّة، كيف صار خمسمائة درهم؟ فقال: إنّ الله تبارك وتعالى أوجب على نفسه أن لا يكبره مؤمن مائة تكبيرة ويحمده مائة تحميدة ويسبّحه مائة تسيحة ويهلّله مائة تهليلة ويصليّ على محمّد وآل محمّد مائة مرّة ثمّ يقول: اللهمّ زوجني من الحور العين، إلّا زوجّه الله حوراء من الجنّة وجعل ذلك مهرها، فمن ثمّ أوحى الله عزّ وجلّ إلى نبيّه ﷺ أن يسنّ مهوور المؤمنات خمسمائة درهم ففعل ذلك رسول الله ﷺ (١).

٦ - وفي خبر آخر: وأيما مؤمن خطب إلى أخيه حرمة، وبذل له خمسمائة درهم فلم يزوجه فقد عقّه واستحقّ من الله عزّ وجلّ ألا يزوجه حوراء.

١٦٢ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

٧- عن أبي عبد الله عليه السلام : ما تزوج رسول الله شيئاً من نساته ولا زوج شيئاً من بناته على أكثر من اثني عشر أوقية ونش، والأوقية أربعون درهماً والنش عشرون درهماً.

وجاء في حكمة الصداق على الرجل دون المرأة :

٨- عن الرضا عليه السلام ، أنه كتب إليه : علّة المهر ووجوبه على الرجال ولا يجب على النساء أن يعطين أزواجهن، قال : لأنّ على الرجال مؤونة المرأة بايعة نفسها والرجل مشتري، ولا يكون البيع بلا ثمن ولا الشراء بغير إعطاء الثمن، مع أنّ النساء محظورات عن التعامل والمتجر، مع علل كثيرة.

٩- وروي في خبر آخر : أنّ الصادق عليه السلام قال : إنّما صار الصداق على الرجل دون المرأة وإن كان فعلهما واحداً، فإنّ الرجل إذا قضى حاجته منها قام عنها ولم ينتظر فراغها، فصار الصداق عليه دونها لذلك.

ويستحبّ أيضاً أن تهب الزوجة مهرها وصداقها لزوجها، كما ورد في النصوص الشرعية.

١٠- الكافي بسنده، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال النبي صلى الله عليه وآله : أيّما امرأة تصدّقت على زوجها بمهرها قبل أن يدخل بها إلاّ كتب الله لها بكلّ دينار عتق رقبة، قيل : يا رسول الله، فكيف بالهبة بعد الدخول ؟ قال : إنّما ذلك من المودة والألفة<sup>(١)</sup>.

والمهر دين في ذمّة الزوج يحرم عليه أن ينوي عدم إعطائها، فقد ورد :  
١٠- عن الإمام الصادق عليه السلام : من تزوج امرأة ولم ينو أن يوفئها صداقها

(١) الوافي ١٢ : ٥١٩.

فهو عند الله عزّ وجلّ زانٍ.

١١ - وقال أبو عبد الله عليه السلام : السراق ثلاثة : مانع الزكاة، ومستحلّ مهور النساء، وكذلك من استدان ولم ينو قضاءه.

١٢ - وقال أمير المؤمنين عليه السلام : إنّ أحقّ الشروط أن يوفي بها ما استحللتم به الفروج.

والسنّة المحمّدية في الصداق خمسمائة درهم، ومن زاد على السنّة ردّ إلى السنّة، فإن أخطأها من الخمسائة درهم درهماً واحداً أو أكثر من ذلك، ثمّ دخل بها فلا شيء لها بعد ذلك. إنّما لها ما أخذت منه، قبل أن يدخل بها، وكلّ ما جعلته المرأة من صداقها ديناً على الرجل فهو واجب لها عليه في حياته وبعد موته أو موتها، والأولى أن لا يطالب الورثة بما لم تطالب به المرأة في حياتها، ولم تجعله ديناً على زوجها، وكلّ ما دفعه إليها ورضيت به عن صداقها قبل الدخول بها فذاك صداقها. وإذا تزوّج الرجل ابنته فليس له أن يأكل صداقها.

١٣ - عن النبي صلى الله عليه وآله، قال : من ظلم امرأة مهرها فهو عند الله زانٍ، يقول الله عزّ وجلّ يوم القيامة : عبدي زوّجتك أمّتي على عهدي فلم توفّ بعهدي وظلمت أمّتي، فيؤخذ من حسناته فيدفع إليها بقدر حقّها، فإذا لم تبق له حسنة أمر به إلى النار بنكته للعهد، إنّ العهد كان مسؤولاً.

١٤ - عن عمر بن يزيد، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أخبرني عمّن تزوّج على أكثر من مهر السنّة، أيجوز له ذلك ؟ قال : إذا جاز مهر السنّة فليس هذا مهراً، إنّما هو نحل، لأنّ الله يقول : ﴿ وَأَتَيْنُمُ إِخْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً ﴾ (١)،

١٦٤ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

إنّما عنى النحل ولم يعنِ المهر، ألا ترى أنّه إذا أمهرها ثمّ اختلعت كان لها أن تأخذ المهر كاملاً، فما زاد على مهر السنّة فإنّما هو نحل كما أخبرتك، فمن ثمّ وجب لها مهر نساؤها لعلّة من العلل، قلت: كيف يعطي وكم مهر نساؤها؟ قال: إنّ مهر المؤمنات خمسمائة وهو مهر السنّة، وقد يكون أقلّ من خمسمائة ولا يكون أكثر من ذلك، ومن كان مهرها ومهر نساؤها أقلّ من خمسمائة أعطي ذلك الشيء، ومن فخر وبدخ بالمهر فازداد على خمسمائة ثمّ وجب لها مهر نساؤها في علّة من العلل لم يزد على مهر السنّة خمسمائة درهم.

١٥- عن زرارة، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل تزوّج امرأة أيحلّ له أن يدخل بها قبل أن يعطيها شيئاً؟ قال: لا، حتّى يعطيها شيئاً.

١٦- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله لمّا خلق الدنيا لم يخلق فيها ذهباً ولا فضّة، فلمّا أن أهبط آدم وحواء أنزل معهما ذهباً وفضّة فسلكهما ينابيع في الأرض منفعة لأولادهما من بعدهما، وجعل ذلك صدق آدم لحواء، فلا ينبغي لأحد أن يتزوّج إلّا بصدق.

١٧- وفي المجازات النبويّة للسيد الرضي، قال عليه السلام: لا تغالوا بمهور النساء، فإنّما هي سقيا الله سبحانه.

قال عليه السلام: هذه استعارة، والمراد إعلامهم أنّ وفاق النساء المنكوحات وكونهن على إرادات الأزواج ليس هو بأن يزداد في مهرهن ويغلى بصدقاتهن - كما يتصوّرهُ كثير من الناس في عصرنا هذا - وإنّما ذلك إلى الله سبحانه فهي كالأحاطي - أي حظوظ كلّ واحد وحظّه - والأقسام والحدود والأرزاق، فقد تكون المرأة منزورة الصداق وامقة بالوفاق - أي قليلة المهر ولكن متّفقة مع زوجها - وقد تكون ناقصة المقة وإن كانت زائدة الصدقة، فشبّه ذلك عليه السلام بسقيا

الله يرزقها واحداً ويحرمها آخر ويصاب بها بلد ويمنعها بلد، وهذه من أحسن العبارات عن المعنى الذي أشرنا إليه ودلنا عليه<sup>(١)</sup>.

١٨ - عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إذا طلق الرجل امرأته قبل أن يدخل بها فلها نصف مهرها، وإن لم يكن سمى لها مهراً فمتاع بالمعروف على الموسع قدره وعلى المقتر قدره وليس لها عدة، وتزوّج من شاءت في ساعتها.

فقه الرضا: كل من طلق امرأته من قبل أن يدخل بها فلا عدة عليها منه، فإن كان سمى لها صداقاً فلها نصف الصداق، وإن لم يكن سمى لها صداقاً يمتعها شيء قل أو كثر على قدر يساره، فالموسع يمتع بخادم أو دابة والوسط بثوب والفقير بدرهم أو خاتم كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَىٰ الْمَوْسِعِ قَدْرَهُنَّ وَعَلَىٰ الْمُقْتِرِ قَدْرَهُنَّ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ ﴾<sup>(٢)</sup>.

ولا مانع أن يقسم المهر إلى قسمين كما في بعض البلاد العربية إلى حاضر وغائب، والحاضر يشتري به ما يتعلق بالعروس ويكون ملكاً لها، والغائب يكون دين في ذمة الزوج يدفعه عند القدرة والاستطاعة أو عند مطالبة الزوجة حسب ما يقال في ضمن العقد، فيكون من العقد المشروط.

ويستحب للمرأة أن تصدق بمهرها وتهب صداقها لزوجها، فإن ذلك ممّا يوجب المودة والسعادة والألفة.

١٩ - عن الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: ما من امرأة تصدقت على زوجها بمهرها قبل أن يدخل بها إلا كتب الله لها بكل دينار

(١) البحار ١٠٠: ٣٥٣، عن المجازات: ١٨٢.

(٢) البقرة: ٢٣٦.



١٦٦ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

عتق رقبة، قيل: يا رسول الله، فكيف الهمة بعد الدخول؟ فقال: إنما ذلك من المودة والألفة.

كما يكره الغلاء في المهور، ومن آثاره الوضعية أنه يوجب العداوة والبغضاء:

٢٠- عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، قال: لا تغالوا في مهور النساء فيكون عداوة.

عن الصادق عليه السلام: شؤم المرأة كثرة مهرها وعقوق زوجها.

كما على الزوج أن يدفع المهر لو كان متمكناً حتى المهر الغائب:

٢١- عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: أقدر الذنوب ثلاثة: قتل البهيمة، وحبس مهر المرأة، ومنع الأجير أجره.

والظاهر من حبس المهر أن لا يدفع إليها عند مطالبتها.

٢٢- قال عليّ عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ (١):

أعطهن الصداق الذي استحلتتم به فروجهن، فمن ظلم المرأة صداقها الذي استحلت به فرجها فقد استباح فرجها زناً.

خطورة غلاء المهور:

ثم اعلم أن المقصود من الزواج هو حفظ النوع البشري، وسلامة المجتمع من الانحرافات الفكرية والسلوكية، إلا أن المجتمعات الإنسانية ومنها المجتمعات الإسلامية قد انحرفت عن الصواب عند عدم التزامهم بمبادئهم القيمة

والمقاييس الشرعية، فجعلوا المقياس المادّي مثلاً هو المعيار في أمر الزواج، ومن ثمّ لزمهم ارتفاع المهور وغلائها، والتفريق بين الناس على أساس من التفاوت الطبقي، كما قلّدوا الغرب المضمحلّ في مسيرته الانحرافية، وانخداعهم بشعاراتهم المزيفة من تحرير المرأة وإطلاق الحرّية بشكل اكتسح الكثير من الأعراف والتقاليد والعادات الطيبة والخيرة، ممّا أدّى إلى انخفاض نسبة الزواج بشكل ملحوظ من عدم الاعتناء بالزواج المشروع كرابطة إنسانية، وظاهرة اجتماعية لا غنى عنها، ممّا أدّى إلى الانفلات السلوكي والانحطاط الأخلاقي والاستهتار والضياع والانحرافات الجنسية.

«إنّ غلاء المهور وارتفاع مقاديرها والتباهي بالغلوّ فيها، من المشاكل الاجتماعية التي طغنت كرامة الأمة في الصميم، وحطّمت كرامة المرأة في حياتها الزوجية.

إنّ الآباء والأمّهات مسؤولون بالدرجة الأولى عن بناتهم من حيث يشعرون أو من حيث لا يشعرون وعمّا وصلن إليه من هبوط إلى مصاف الرقيق وبيع الإماء، بما مارسوا من نشاط في رفع مقادير المهور، فإنّهم في الوقت الذي يريدون فيه الارتفاع لبناتهم برفع مقادير الصداق يهبطون بهن إلى مصاف الإماء، جاهلين أو متجاهلين الأضرار الاجتماعية وغيرها من الأضرار الأخرى التي نجمت عن هذا الغلاء في المهور...

إنّ لبناتنا أسوة بفاطمة الزهراء سيّدة النساء عليها السلام، لقد كان بمقدورها أن تقبل أترى رجل في الحجاز ممّن خطبوها، لو شاءت أن تفضّل الحياة البرّاقة، وهي ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وقبله أنظار الخاطبين والراغبين في الزواج، ولكنها أبت

١٦٨ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعقيدة

إلا أن تختار الحياة الزوجية السعيدة وفضلت الراحة الروحية مع زوج مؤمن فقير على المتاعب المادية مع غيره من الأثرياء. فكان صداقها درعاً باعه زوجها أمير المؤمنين عليه السلام واشترى بثمنه مستلزمات بيتها.. وكفاها بذلك فخرأ أن تكون زوجة لعلّي عليه السلام ويكون لها زوجاً.

قالت المجاهدة الشهيدة بنت الهدى الصدر في مجلة (الأضواء) العدد

الثالث السنة الثالثة الصفحة ١٤٠ تحت عنوان (المغلاة في المهور):

أنا أريدكٍ معي في هذا اللقاء لتعالج معاً نقطة حساسة في حياتنا نحن المسلمات، تمسّ كرامتنا وعزّتنا بالصميم وتجعل من فتيات الإسلام سلعة رخيصة كالإماء في سوق الرقيق، فأنا أريد أن أتحدّث وإياك عن المهر والصدّاق، بعد أن أصبح الغلوّ فيه موضة ومظهراً من مظاهر البذخ والدلال والاعتزاز بالفتاة، ولكن متى أصبحت الفتاة سلعة يساوم عليها، وأيّ ضمير إنساني يسمح أن تكون للفتاة قيمة معيّنة قد تزيد وقد تنقص وهي المخلوقة الطاهرة التي جاءت لتنشئ أجيالاً وأجيالاً، وأنا إذ أكتب هذا إنّما أكتبه للآباء أولاً وبالذات فهم وحدهم المسؤولون عمّا وصلت إليه بناتهم من حيث يشعرون ولا يشعرون، فهم في الوقت الذي يريدون فيه أن يرتفعوا ببناتهم ينزلوهن إلى مصاف الإماء جاهلين أو متجاهلين جميع الأضرار الاجتماعية التي تنتج عن غلاء المهور في عصر كعصرنا، يظنّون أنّ البنت مهما غلت بنفسها غلت بمهرها في الوقت الذي يعلمنا فيه الإسلام وواقع الحياة أنّ الفتاة مهما غلت بنفسها رخصت بمهرها، وقبلت الزواج على أنّه شركة روحية لا أكثر ولا أقلّ، ولكن فتاتنا المسكينة لا تزال تحت بنايا الجاهلية فهي إمّا فتاة متحرّرة منطلقاً من كلّ قيد وشرط، وإمّا فتاة مسكينة

لا حول لها ولا طول ولا تتمكّن حتّى من إثبات وجودها وإيداء رأيها في هذا المضمّار، فأنا لا أكاد أصدّق بأنّ فتاة واحدة تقبل بكلّ عواطفها أن يحدّد لها قيمة عند الزواج، ولكن العرف الأعمى والتقاليد الظالمة التي انحرفت عن طريق إسلامنا وما جاء به من تعاليم. أو ليس لنا من رسول الله ﷺ وابنته أسوة حسنة إن كنّا مسلمين...»<sup>(١)</sup>.

---

(١) الزواج في الإسلام : ١١٢.

## العقد الشرعي

لكلّ قوم وملة نكاحهم الخاصّ، يمتاز به عن السفاح والزنا، فإنّ أهل الكتاب من اليهود والنصارى عقدهم الخاصّ يبني على ما عندهم في توراتهم وإنجيلهم، وكذلك الملل والطوائف الأخرى، وفي الدين الإسلامي أيضاً يتمّ الزواج المحلّل بعقد خاصّ وهو عبارة عن ألفاظ شرعية تدلّ على الزواج الشرعي لا بدّ، منها حتّى يكون النكاح محلّلاً، والعقد عبارة عن إيجاب من قبل الزوجة مع مهر معلوم بينهما متفق عليه، بأن تقول الزوجة في الزواج الدائم: زوّجتك نفسي على المهر المعلوم - بعد أن يعيّن المهر - والقبول من قبل الزوج، فيقول: قبلت أو رضيت، أو يقول وكيل المرأة بعد أن يأخذ الوكالة منها للزوج: زوّجتك موكلتي فلانة - ويذكر اسمها - على المهر المعلوم، فيقول الزوج: قبلت أو يقول وكيله: قبلت لموكلتي فلان، وكذلك يجوز العقد بألفاظ أخرى كأنكحتك أو متّعتك، كما ورد في الروايات الشريفة.

وفي عقد النكاح المنقطع يزيد في العقد - المدّة المعلومّة - التي يتّفان عليها من قبل، وتفصيل ذلك في الكتب الفقهية والرسائل العمليّة.

## ليلة الزفاف

من ليالي الذكريات الجميلة، ومن الخواطر التي لا ينساها الإنسان هي ليلة الزفاف، ولكل مجتمع وقوم وملة ونحلة آدابهم ورسومهم الخاصة يجرونها في ليلة الزفاف، وهي تتعلق بالزوجين تارة، وأخرى بحفلة الزفاف، وثالثة بمجلس العقد، والعجيب أن لكل قوم رسومه الخاصة إلا أنها تشترك كلها في إظهار الفرح والسرور وضبط الحياة الأسروية من اليوم الأول والليلة الأولى، حتى ضربت الأمثال الشعبية لتلك الليلة ولتلك الساعة ساعة اللقاء بين العروسين.

والواقع أن الإنسان يعيش لحظات حاسمة من قبيل موعد الزفاف، فإنه في مرحلة الانتقال من دنيا العزوبة إلى الحياة الزوجية، فإنه يستعرض الماضي ويفكر بالمستقبل، يفكر ويعد نفسه لاستقبال شريكة حياته وحببته عمره، وأنيسة لياليه. يفكر بالعشّ الذهبي الذي يكون فيه سكونه وارتياحه مع زوجته وأطفاله، فلا بدّ من الإعداد الكامل بكلّ جوانب الحياة، حتى يتمّ التلائم الروحي والتوافق النفسي حتى إكمال أشواط الحياة الزوجية السعيدة.

ولمّا كان المقصود هو أن نعرف آداب الإسلام وما يأمرنا لإعداد هذه الليلة الحاسمة، فلا بدّ لنا أن نعرف ذلك من خلال ما جاء في الروايات الشريفة في خصوص هذه الليلة الجميلة، وتقف على ذلك من خلال النقاط التالية :

### ١- الزفة في الليل :

زفة العروس تعني إعدادها لزوجها، ونقلها من بيت أبيها إلى بيت الزوج،

١٧٢ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

فتزيّن وتلبس ملابس العرس وفي موكب نسوي وربما رجالي ونسوي تنقل إلى دار الزوج وغرفته ويتمّ ذلك في الليل.

١- عن الصادق عليه السلام، قال: زفّوا عرائسكم ليلاً، وأطعموا ضحىً.

## ٢- الدعاء والصلاة :

من مستحبات ليلة الزفاف الدعاء والصلاة، وهذا يعني أنّه من الليلة الأولى أن يبني الزوجان حياتهما الأسرية على أساس الدين وعموده وهو الصلاة، وعلى أساس العبادة، فإنّه من أهداف الزواج الإسلامي كم مرّ ذلك، ومنعّ العبادة الدعاء.

فالزواج الإسلامي إنّما تظهر معالمه من البداية وذلك بالدعاء والصلاة، وإن كان من المؤسف والمؤلم أنّه في البلاد الإسلامية نجد الأعراف قد انقلبت، وتبدّلت المفاهيم الإسلامية والمصاديق الإلهية من الصلاة والدعاء إلى ارتكاب المحارم والمآثم من الأغاني والطرب المحرّم وحتىّ شرب الخمر والعياذ بالله.

٢- الفقيه بسنده: قال الصادق عليه السلام: إذا أتى أحدكم أهله فلم يذكر الله عند

الجماع وكان منه ولد كان شرك شيطان، ويعرف ذلك بحبنا وبغضنا<sup>(١)</sup>.

٣- الكافي... قال: أتى رجل أمير المؤمنين عليه السلام فقال: إني تزوّجت فادعُ

الله لي، فقال: قل: (اللهمّ بكلماتك استحللتها، وبأمانتك أخذتها، اللهمّ اجعلها ولوداً ودوداً لا تفرك، تأكل ممّا راح ولا تسأل عمّا سرح) - كأنّ المراد أنّها تأكل ممّا جاء وحصل عندها بالعشي كائناً ما كان ولا تسأل عمّا ذهب وغاب عنها -

(١) الوافي ١٢ : ٧١١.

وهذا غريب من معنى رواح الماشية وسراحها كما قال عز وجل: ﴿ حِينَ تَرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ .

٤- عن أبي عبد الله عليه السلام قال أمير المؤمنين عليه السلام : إذا جامع أحدكم فليقل : بسم الله وبالله ، اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتني ، فإن قضى الله بينهما ولدأ لا يضره الشيطان بشيء أبداً .

٥- عن أبي جعفر عليه السلام قال : إذا أردت الجماع فقل : ( اللهم ارزقني ولدأ واجعله تقياً زكياً ليس في خلقه زيادة ولا نقصان واجعل عاقبته إلى خير ) .

٦- عن الصادق عليه السلام ، أنه قال لبعض أصحابه : إذا أدخلت عليك أهلك فخذ بناصيتها واستقبل بها القبلة وقل : « اللهم بأمانتك أخذتها وبكلماتك استحللتها ، فإن قضيت لي منها ولدأ فاجعله مباركاً سوياً تقياً من شيعة آل محمد ، ولا تجعل للشيطان فيه شركاً ولا نصيباً » ، وفي رواية : « اللهم على كتابك تزوجتها وبأمانتك أخذتها » إلى آخره .

٧- من كتاب النجاة المروي عن الأئمة عليهم السلام : إذا قرب الزفاف يستحب أن تأمرها أن تصلي ركعتين (استحباباً) وتكون على وضوء إذا أدخلت عليك وتصلي أنت أيضاً مثل ذلك وتحمد الله وتصلي على النبي وآله وتقول : « اللهم ارزقني إلفها وودها ورضاها بي وأرضني بها ، واجمع بيننا بأحسن اجتماع وأيسر ائتلاف ، فإنك تحب الحلال وتكره الحرام » ، ثم قال : واعلم أن الإلف من الله والفرك - أي البغض - من الشيطان ليكره ما أحل الله .

٨- وقال أمير المؤمنين عليه السلام : إذا زقت إليه ودخلت عليه فليصل ركعتين ، ثم ليمسح يده على ناصيتها ، وليقل : « اللهم بارك لي في أهلي وبارك لها فيّ ، وما جمعت بيننا فاجمع بيننا في خير ويمن وبركة ، وإن جعلتها فرقة فاجعلها فرقة



إلى خير».

### ٣- التكبير :

شعار الأعراس الإيمانية هو التكبير والصلوات على محمد وآله والمدائح النبوية والولائية، وأما الأعراس غير الإسلامية وإن كان أصحابها من المسلمين في الهوية الشخصية، فإن شعاراتهم أغاني محرمة، وكلمات بذيئة وعريضة سكرية.

فيستحبّ في ليلة العرس التكبير تأسياً بالنبي وآله عليهم السلام، وبعمل الملائكة في عرس فاطمة الزهراء سيّدة النساء عليها السلام.

عن جابر الأنصاري، قال: لما زوج رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام من عليّ عليه السلام أتاه أناس من قريش فقالوا: إنك زوجت علياً بمهر خسيس، فقال: ما أنا زوجت علياً، ولكن الله زوجة ليلة أسري بي عند سدرة المنتهى، أوحى الله عزّ وجلّ إلى السدرة أن انثري، فنثرت الدرر والجواهر على الحور العين، فهن يتهادينه ويتفاخرن ويقلن: هذا من نثار فاطمة عليها السلام بنت محمد صلى الله عليه وآله، فلما كانت ليلة الزفاف أتى النبي صلى الله عليه وآله ببغلة الشهباء وثنى عليها قطيفة وقال لفاطمة: اركبي، وأمر سلمان رضي الله عنه أن يسوقها، والنبي صلى الله عليه وآله يقودها - أي يمشي خلفها - فيناهم في بعض الطريق إذ سمع النبي صلى الله عليه وآله وجبة - بفتح وسكون السقطة مع الهدة، أو صوت الساقط - فإذا هو بجبرائيل عليه السلام في سبعين ألفاً من الملائكة وميكائيل عليه السلام في سبعين ألفاً، فقال النبي صلى الله عليه وآله: ما أهبطكم إلى الأرض؟ قالوا: جئنا نزف فاطمة عليها السلام إلى زوجها، وكبّر جبرائيل عليه السلام وكبّر ميكائيل وكبّرت الملائكة وكبّر محمد صلى الله عليه وآله فوضع التكبير على العرائس من تلك الليلة.

٩- ويجوز السهر ليلة العرس كما ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: لا سهر إلا في ثلاث: تهجد بالقرآن، أو طلب علم، أو عروس تُهدى إلى زوجها<sup>(١)</sup>.

١٠- كما يجوز الأناشيد والمدائح وحتى ضرب الدفوف من دون آلات الملاهي وما يألّفه مجالس البطالين من الأغاني وكلمات اللغو واللعب واللهو.

١١- قال رسول الله ﷺ: فرق بين النكاح والسفاح ضرب الدف.

١٢- قال علي عليه السلام: قالت الأنصار: يا رسول الله ﷺ، ماذا نقول إذا زفنا النساء؟ فقال النبي ﷺ: قولوا: أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم، لولا الذهبية الحمراء ما حلّت فتاتنا بواديكم.

١٣- اجتاز النبي ﷺ بدار علي بن هبار فسمع صوت دفّ، فقال: ما هذا؟ قالوا: علي بن هبار أعرس بأهله، فقال ﷺ: حسن هذا النكاح لا السفاح، ثم قال ﷺ: أسندوا النكاح وأعلنوه بينكم واضربوا عليه الدفّ، فجرت السنّة في النكاح بذلك<sup>(٢)</sup>.

#### ٤- أعمال ليلة الزفاف :

١٤- روي عن أبي سعيد الخدري، قال: أوصى رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: يا علي إذا أدخلت العروس بيتك فاخلع خفها حين تجلس، واغسل رجلها، وصب الماء من باب دارك إلى أقصى دارك، فإنك

(١) البحار ١٠٠: ٢٦٧.

(٢) المصدر: ٢٧٥، عن أمالي الطوسي ٢: ١٣٢.

١٧٦ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

إذا فعلت ذلك أخرج الله من دارك سبعين ألف لون من الفقر، وأدخل فيها سبعين ألف لون من الغنى، وسبعين ألف لوناً من البركة، وتأمين العروس من الجنون والجذام والبرص أن يصيبها ما دامت في تلك الدار، وامنع العروس في أسبوعها - يعني الأسبوع الأول من الزواج - من الألبان والخلّ والكزبرة والتفاح الحامض من هذه الأربعة أشياء.

فقال علي عليه السلام: يا رسول الله، ولأني شيء أمنعها هذه الأشياء الأربعة؟  
قال: لأن الرحم تعقم وتبرد من هذه الأشياء عن الولد، والحصير في ناحية البيت خيرٌ من امرأة لا تلد.

فقال علي عليه السلام: يا رسول الله صلى الله عليه وآله، ما بال الخل تُمنع منه؟  
قال: إذا حاضت على الخلّ لم تطهر طهراً أبداً بتمام، والكزبرة تثير الحيض في بطنها وتشدّ عليها الولادة، والتفاح الحامض يقطع حيضها فيصير داء عليها.

#### ٥ - الإقامة سبعة أيام :

من حقّ الزوجة أن يقيم الزوج عندها سبعة أيام لو كانت بكرًا، وثلاثة أيام لو كانت ثيبًا، وهذه الأيام السبعة من ليلة الزفاف وإلى اليوم السابع يعدّ من أجمل الأيام بين الزوجين، حتّى عند العائمة يعبر عنها بشهر العسل، فإن كلّ واحد منهما يذوق عسيلة الآخر كما ورد في الروايات الشريفة لفظ (العسيلة) «ذاق عسيلتها وذوقت عسيلته».

فيستحبّ الإقامة عند العروس.

١٥ - عن أبي قلابة أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا تزوّج البكر أقام عندها سبعاً،

وإذا تزوّج الأيم أقام عندها ثلاثاً.

### ٦- الوليمة :

من مستحبات العرس كما هو المتعارف في أكثر البلاد الإسلامية وغيرها هو إطعام الطعام في ليلة العرس، ومنهم من يجعل الإطعام في ثلاثة أيام ومنهم في سبعة أيام، وأما ما ورد في الروايات :

١٦- عن النبي ﷺ أوصى علياً عليه السلام : يا عليّ، لا وليمة إلا في خمس : في عرس، أو خرس، أو إعدار، أو وكار، أو ركاز. فالعرس : التزويج، والخُرس : النفاس بالولد، والإعدار : الختان، والوکار : في شراء الدار (الوکر : عش الطائر الذي يأوي إليه، والوكيرة طعام يعمل عند الفراغ من البناء، والوکار شراء الدار)، والركاز : الرجل يقدم من مكة.

١٧- عن أنس، أن النبي ﷺ تزوّج حفصة أو بعض أزواجه، فأولم عليها بتمر وسويق.

وما يفعله النبيّ فهو من السنّة، ولكم في رسول الله أسوة حسنة.

١٨- عن أبي جعفر عليه السلام، قال : الوليمة يوماً أو يومين مكرمة، وثلاثة أيام رياء وسمعة.

١٩- قال رسول الله ﷺ : أوّل يوم حقّ، والثاني معروف، وما زاد رياء وسمعة.

٢٠- عن الإمام الرضا عليه السلام، أن النجاشي لما خطب لرسول الله ﷺ أمّ حبيبة آمنة بنت أبي سفيان فزوّجه دعا بطعام وقال : إن من سنن المرسلين

١٧٨ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة  
الإطعام عند التزويج.

٢١- عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله حين تزوج ميمونة بنت الحارث أولم عليها وأطعم الناس الحيس.

٢٢- عن جعفر الفلاني، عن أبيه، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنا نتخذ الطعام ونجيده ونتوق فيه فلا يكون له رائحة طعام العرس؟ قال: ذلك لأن طعام العرس تهب فيه رائحة الجنة، لأنه طعام اتخذ لحلال<sup>(١)</sup>.

٢٣- قال الإمام الرضا عليه السلام: إن الله جعل الليل سكناً وجعل النساء سكناً، ومن السنة التزويج بالليل وإطعام الطعام.

#### ٧- النثر:

ولا بأس أن ينثر على العروس، من الناس من ينثر النقود، ومنهم من ينثر الحلوى.

٢٤- عن الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: دخلت أم أيمن على النبي صلى الله عليه وآله وفي محلفتها شيء، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: ما معك يا أم أيمن؟ فقالت: إن فلانة أملكوها فنثروا عليها فأخذت من نثارهم، ثم بكت أم أيمن وقالت: يا رسول الله، فاطمة زوجتني ولم تنثر عليها شيئاً. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أم أيمن، لم تكذبين؟ فإن الله عز وجل لما زوجت فاطمة علياً أمر أشجار الجنة أن تنثر عليهم من حلبيها

(١) البحار ١٠٠: ٢٧٧، عن المحاسن: ٤١٨.

وحللها وياقوتها ودرّها وزمردّها واستبرقها فأخذوا منها ما لا يعلمون، ولقد نحل الله طويبي في مهر فاطمة صلوات الله عليها فجعلها في منزل عليّ صلوات الله عليه<sup>(١)</sup>.

٢٥- عن عليّ، عن أخيه الكاظم عليه السلام، قال: سألته عن النثار: السكر واللوز وغيره، أيحلّ أكله؟ قال: يكره أكل النهب.

٢٦- عن الصادق عليه السلام، أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: إذا دعيتم إلى العرسات فأبطئوا، فإنّها تذكّر الدنيا، وإذا دعيتم إلى الجنائز فأسرعوا، فإنّها تذكّر الآخرة.

## آداب المباشرة

من عظمة الإسلام أنه جعل لكلّ شيء حدوداً خاصّة، كما جعل له آداباً ورسوماً، حتّى المقاربة الجنسيّة التي ربما يتصوّر الإنسان أنّها من أبرز المظاهر الحيوانية، التي ينسى الإنسان نفسه حينها، وربما يخجل بعدها ممّا فعل، ولكن قبل ذلك تموج عنده الروح الحيوانية فتطفو إلى درجة يفعل ما يخجل منه في الحالات العادية، ولكن في الإسلام حتّى لمثل هذا العمل الحيواني جعل آداباً وحدوداً من تجاوزها فإنّه لا يفلح في حياته الزوجية، ثمّ لا بدّ من معرفة أصول المباشرة والمعاشرة الجنسيّة، والإسلام قد اهتمّ بهذا الجانب أيضاً، فإنّه « لا حياء في الدين »، ولأنّها تشكّل سبباً هاماً من أسباب الطلاق، إذ ترى الرجل يبخل على زوجته بالكلمة الطيبة وبالبسمة الحلوة، وكذلك الزوجة، ممّا يسيء العلاقة بينهما، وأخيراً الأطفال هم الذين يدفعون الثمن الباهظ.

ثمّ الإسلام يدعو إلى التقوى في الحياة الزوجية، والرسول الأكرم ﷺ ينصح زيد بن الحارث بأن يمسك زوجته ويتقي الله :

﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ ﴾<sup>(١)</sup>.

فالأسرة عماد المجتمع، والتربية الإسلامية هي أساس الاسرة، والإيمان بالله واليوم الآخر وكلّ ما يصدق عليه عنوان التقوى والورع هو رائد التربية الإسلامية، ومن ثمّ إنّما يفشل الأفراد وسائر المجتمعات عندما يتعدون عن هذه

القواعد الأساسية والصحيحة، ولا يكون النجاح والفلاح إلا بالرجوع إلى القرآن الكريم، والالتجاء إلى الله ورسوله وعترته الأبرار عليهم السلام، فلا صلاح ولا سعادة إلا بالسير على هداهم ونهجم القويم.

والحق يبقى ويخلد، كما أن الباطل يزهرق ويزول. وأما الزبد فيذهب جفاءً، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض، وهذا من السنن الإلهية التي لا تجد لها تبديلاً ولا تحويلاً.

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿ فَذَكَرْهُمْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ \* لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيِّرٍ ﴾<sup>(٣)</sup>.

والدين الإسلامي الذي جاء به الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله هو دين الفطرة:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ

اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

فهذا الدين هو الدين القيم الذي على الإنسان أن يختاره، إلا أن الجهل هو السبب الأساسي الذي يجعل الإنسان يسيء الاختيار فيترك الدين الذي فيه صلاحه وسعادته، إلى ما فيه الضلال والشقاء.

(١) التوبة : ١٢٨ .

(٢) الأعراف : ١٥٧ .

(٣) العاشية : ٢١ - ٢٢ .

(٤) الروم : ٣٠ .



هذا ولا بأس أن نشير إلى بعض أصول المباشرة في النقاط التالية :

### ١- ألدّ اللذائذ :

في منطق الإسلام جعل ألدّ اللذائذ المادية والجسدية التي تتعلّق بالغيرية الجنسية هو المقاربة والمجامعة.

### ٢- المداعبة والملاعبة :

إلّا أنّه قبل اللقاء الجنسي لا بدّ من مداعبة وهي الكلمات المثيرة للشهوة، فيكون باللسان والكلام، ثمّ المداعبة، وتكون بالجوارح من الملاعبة باليد والتقبيل والشمّ والعضّ الخفيف وما شابه ذلك، ثمّ المعانقة وضمّ أحدهما الآخر، ثمّ المجامعة، ووصولهما إلى اللذة والشهوة الجنسية سوياً، فلا يكون للرجل إنزال قبل المرأة، وإن فعل فلا يقوم بل ينتظر حتّى تفرغ هي وتصل إلى أوج لذّتها، وإلّا فإنّها تصاب بمرض الأعصاب أو تفعل ما لا يحمد عقباه.

١- عن الإمام الصادق عليه السلام، قال : إنّ أحدكم ليأتي أهله فتخرج من تحته ولو أصابت زنجياً لتشبّثت به - أي لم تشبع في لذّتها فربما في تلك الحالة تفكّر بالحرام والعياذ بالله - فإذا أتى أحدكم أهله فليكن بينهما مداعبة، فإنّه أطيب للأمر.

٢- والنساء بطبعهن أكثر شهوة من الرجال، حتّى قال الإمام الصادق عليه السلام : فضّلت المرأة على الرجل بتسع وتسعين جزءاً من اللذّة، ولكنّ الله عزّ وجلّ ألقي عليهن الحياء.

- ٣- قال رسول الله ﷺ : من الجفاء واقعة الرجل أهله قبل المداعبة<sup>(١)</sup>.
- ٤- عن النبي ﷺ قال : لا ترموا على نسائكم كالبهائم، بل اجعلوا بينكم وبينهن رسولاً، قيل : وما الرسول يا رسول الله ؟ قال : القبلة.
- ٥- وعن الرضا عليه السلام قال للمأمون : لا تجامع امرأةً حتى تلاعبها وتكثر ملاعبتها وتغمز ثدييها.
- ٦- عن النبي ﷺ : إذا جامع أحدكم أهله فليصدقها، ثم إذا قضى حاجته قبل أن تقضي حاجتها فلا يعجلها حتى تقضي حاجتها.
- ٧- عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : قال رسول الله : إذا جامع أحدكم فلا يأتيهن كما يأتي الطير، ليمكث وليلبث. قال بعضهم : وليلتئث<sup>(٢)</sup>.
- ٨- قال رسول الله ﷺ : إذا أراد أحدكم ان يأتي أهله فلا يعجلها. وفي خبر الأربعمائة : فإن للنساء حوائج.
- ٩- عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : ليس شيء تحضره الملائكة إلا الرهان وملاعبة الرجل أهله.
- ١٠- قال رسول الله ﷺ : ثلاثة من الجفا : أن يصحب الرجل الرجل فلا يسأله عن اسمه وكنيته، وأن يدعى الرجل إلى طعام فلا يجيب وإن يجيب فلا يأكل، ومواقعة الرجل أهله قبل المداعبة.
- ١١- عن إسحاق بن إبراهيم الجعفي، قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول :

(١) البحار ١٠٠ : ٢٨٥.

(٢) الوسائل (طبعة مؤسسة آل البيت) ٢٠ : ١١٠، باب ٤٩ استحباب إتيان الزوجة عند ميلها إلى ذلك.

١٨٤ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

إن رسول الله ﷺ دخل بيت أم سلمة فشمّ ريحاً طيبة، فقال: أتتكم الحولاء. فقالت: هو ذا هي تشكو زوجها، فخرجت عليه الحولاء، فقالت: بأبي أنت وأمي إن زوجي عني معرض، فقال: زدي به يا حولاء، فقالت: لا أترك شيئاً طيباً ممّا أتطيب له به وهو معرض، فقال: أما لو يدري ما له بإقباله عليك، قالت: وما له بإقباله عليّ؟ فقال: أما إنّه إذا أقبل اكتنفه ملكان وكان كالشاهر سيفه في سبيل الله، فإذا هو جامع تحاتّ عنه الذنوب كما يتحاتّ ورق الشجر، فإذا هو اغتسل انسلخ من الذنوب.

والانسلخ من الذنوب كانسلخ الحيّة من جلدها، فيغفر له ذنوبه.

١٢ - عن أبي عبد الله عليه السلام، في حديث يروى عن النبي ﷺ أنّ أبا ذر سأله عن هذا، فقال: ائت أهلك توجر، فقال: يا رسول الله آتيهم وأوجر؟ فقال رسول الله: كما إنك إذا أتيت الحرام ازرت - أي تعاقب من الوزر - وكذلك إذا أتيت الحلال أجت - أي تثاب من الأجر والثواب - (١).

١٣ - عليّ، عن أخيه الكاظم عليه السلام، قال: سألته عن الرجل هل يصلح له أن يقبل قبل المرأة؟ قال: لا بأس.

١٤ - عن الصادق عليه السلام، عن آبائه عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ لبعض أصحابه يوم الجمعة: هل صمت اليوم؟ قال: لا، قال له: فهل تصدقت اليوم بشيء؟ قال: لا، قال له: قم فأصب من أهلك، فإنّ ذلك صدقة منك إليها (٢).

١٥ - قال الصادق عليه السلام: ثلاث من سنن المرسلين: العطر وإحفاء الشعر

(١) الوسائل ٢٠: ١١٧.

(٢) المصدر، عن قرب الإسناد: ١٠٢.

وكثرة الطروقة .

وكثرة الطروقة كناية عن كثرة الجماع، إلا أنه ورد أن المؤمن ميّت شهوته، وورد عن الإمام الرضا عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال علي عليه السلام: من أراد البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء، ويجيّد الحذاء، ويخفف الرداء، وليقلّ غشيان النساء<sup>(١)</sup>.

ويمكن الجمع بين الطائفتين من الروايات الشريفة، بأنّ جماع المؤمن ليس لنفسه، إنّما هو للحصول على الولد الصالح، أو تطيب خاطر المرأة، أو ما شابه ذلك من النوايا الصالحة كما ذكرنا.

١٦ - عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: عذاب القبر يكون من النيمة والبول وعزب الرجل عن أهله.

١٧ - عن سماعة قال: سألته عن الرجل ينظر في فرج المرأة وهو يجامعها؟ قال: لا بأس به إلا أنه يورث العمى.

١٨ - قال أبو عبد الله عليه السلام: اتّقوا الكلام عند ملتقى الختانين فإنّه يورث الخرس.

١٩ - عن عبيد بن زرارة قال: كان لنا جار شيخ له جارية فارهة قد أعطى بها ثلاثين ألف درهم فكان لا يبلغ منها ما يريد وكانت تقول: اجعل يدك بين شعري فأني أجد لذلك لذّة - وهذا من استمناء النساء الذي يزيد في شهوتهنّ ووصولهن إلى أوج الشهوة وإلى الرعشة المختصّة بهن بعد الدخول والمباشرة - فكان الشيخ الذي لا يبلغ منها ما يريد - أي لا يقدر على وطئها - يكره أن يفعل ذلك فقال لزرارة: سل لي أبا عبد الله عليه السلام عن هذا فسأله فقال: لا بأس أن

(١) المصدر، عن العيون ٢: ٣٨.

١٨٦ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

يستعين بكل شيء من جسده عليها، ولكن لا يستعين بغير جسده عليها<sup>(١)</sup>.  
فاستمناء المرأة بنفسها لا يجوز، ولا يقال بالجواز بحجة أنه ليس لها منياً،  
فهذا من تحريف الكلم عن مواضعها، فإن الملاك هو اللذة غير المشروعة.  
٢٠- عن زرارة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الرجل تكون عنده جواري  
فلا يقدر على أن يطأهن يعمل لهن شيئاً يلدّهن به ء قال: أمّا ما كان من جسده  
فلا بأس به.

٢١- عن العجلي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الرجل يأتي جاريتيه في  
الماء؟ قال: ليس به بأس.

٢٢- عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سألته عن الرجل يقرأ في الحمام  
وينكح فيه؟ قال: لا بأس به.

٢٣- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا بأس أن ينام الرجل بين أمتين  
والحرّتين، إنّما نساؤكم بمنزلة اللُّعب - جمع لعبة وهي ما يلعب به -.

٢٤- سأل محمّد بن العيص أبا عبد الله عليه السلام فقال: أجامع وأنا عريان؟  
فقال: لا، ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها.

٢٥- عن أبي الحسن عليه السلام في الرجل يجامع فيقع عنه ثوبه؟ قال: لا بأس.

٢٦- عن إسحاق بن عمّار قال: قلت لأبي إبراهيم عليه السلام: الرجل يكون معه  
أهله في السفر ولا يجد الماء أيأتي أهله؟ قال: ما أحبّ أن يفعل ذلك إلا أن  
يخاف على نفسه - وفي آخر: إلا أن يكون شبقاً أي كثير الشهوة - أو يخاف على  
نفسه.

٢٧ - قال الإمام الصادق عليه السلام : ثلاث يهدمن البدن وربما قتلن : دخول الحمام على البطنة، والغشيان على الامتلاء، ونكاح العجائز.

### ٣- أوقات المباشرة المستحبة والمكروهة وأحوالها :

١ - في حديث عن النبي صلى الله عليه وآله يقول لعلي عليه السلام - ليعلم بذلك الناس :-  
يا علي، لا تجامع امرأتك في أوّل الشهر ووسطه وآخره، فإنّ الجنون والجذام والخبل يسرع إليها وإلى ولدها.

يا علي، لا تتكلم عند الجماع، فإنّه إن قضى بينكما ولد لا يؤمن أن يكون أخرس، ولا ينظرن أحد في فرج امرأته، وليغض بصره عند الجماع، فإنّ النظر إلى الفرج يورث العمى، يعني في الولد.

يا علي، لا تجامع امرأتك بشهوة امرأة غيرك، فإنّي أخشى إن قضى بينكما ولد أن يكون مختنأ، مؤثناً، مختلاً.

يا علي، من كان جنباً في الفراش مع امرأته فلا يقرأ القرآن، فإنّي أخشى عليهما أن تنزل نار من السماء فتحرقهما.

يا علي، لا تجامع امرأتك إلا ومعك خرقة ومع أهلك خرقة، ولا تمسحوا بخرقة واحدة فتقع الشهوة على الشهوة، فإنّ ذلك يعقب العداوة بينكما، ثمّ يؤدّيكما إلى الفرقة والطلاق.

يا علي، لا تجامع امرأتك من قيام، فإنّ ذلك من فعل الحمير، وإن قضى بينكما ولد كان بوالاً في الفراش، كالحمير البوالّة تبول في كلّ مكان.

يا علي، لا تجامع امرأتك في ليلة الفطر، فإنّه إن قضى بينكما ولد لم يكن ذلك الولد إلا كثير الشرّ.

١٨٨ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

يا عليّ، لا تجامع امرأتك في ليلة الأضحى، فإنّه إن قضى بينكما ولد يكون ذا ستّة أصابع أو أربعة.

يا عليّ، وعليك بالجماع ليلة الاثنين، فإنّه إن قضى بينكما ولد يكون حافظاً لكتاب الله راضياً بما قسم الله عزّ وجلّ له.

يا عليّ، إذا جامعته أهلك في ليلة الثلاثاء فقضى بينكما ولد، فإنّه يرزق الشهادة بعد شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله، ولا يعدّبه الله مع المشركين، ويكون طيب النكهة من الفم، رحيم القلب، سخّي اليد، طاهر اللسان من الغيبة والكذب والبهتان.

يا عليّ، وإن جامعته أهلك ليلة الخميس فقضى بينكما ولد، يكون حاكماً من الحكّام أو عالماً من العلماء.

يا عليّ، وإن جامعته يوم الخميس عند زوال الشمس عن كبد السماء فقضى بينكما ولد، فإنّ الشيطان لا يلزمه حتّى يشيب ويكون فهماً، ويرزقه الله عزّ وجلّ السلامة في الدين والدنيا.

يا عليّ، وإن جامعته ليلة الجمعة وكان بينكما ولد، فإنّه يكون خطيباً قوَّالاً مفوهاً، وإن جامعته يوم الجمعة بعد العصر فقضى بينكما ولد فإنّه يكون معروفاً مشهوراً عالماً، وإن جامعته في ليلة الجمعة بعد العشاء الآخرة فإنّه يرتجى أن يكون لك ولد من الأبدال إن شاء الله تعالى.

يا عليّ، لا تجامع أهلك في أوّل ساعة من الليل، فإنّه إن قضى بينكما ولد لا يؤمن أن يكون ساحراً مؤثراً للدنيا على الآخرة.

يا عليّ، احفظ وصيّتي هذه كما حفظتها عن أخي جبرئيل عليه السلام.

يا عليّ، لا تجامع امرأتك تحت شجرة مثمرة، فإنّه إن قضى بينكما ولد،

يكون جلاداً أو قتلاً أو عريفاً - الكاهن - .

يا عليّ، لا تجماع امرأتك في وجه الشمس وشعاعها إلا أن يرخى ستر فيستركما، فإنه إن قضي بينكما ولد لا يزال في بؤس وفقر حتى يموت.

يا عليّ، لا تجماع امرأتك بين الأذان والإقامة، فإنه إن قضي بينكما ولد يكون حريصاً على إهراق الدماء.

يا عليّ، إذا حملت امرأتك فلا تجماعها إلا وأنت على وضوء، فإنه إن قضي بينكما ولد يكون أعمى القلب، بخيل اليد.

يا عليّ، لا تجماع أهلك في ليلة النصف من شعبان، فإنه إن قضي بينكما ولد يكون مشوهاً ذا شامة في شعره ووجهه.

يا عليّ، لا تجماع أهلك في آخر الشهر إذا بقي منه يومان، فإنه إن قضي بينكما ولد يكون عشّاراً أو عوناً للظالم، ويكون هلاك فنام من الناس على يديه.

يا عليّ، لا تجماع أهلك على سقف البنيان، فإنه إن قضي بينكما ولد يكون منافقاً مرائياً مبتدعاً.

يا عليّ، إذا خرجت في سفر فلا تجماع أهلك تلك الليلة، فإنه إن قضي بينكما ولد ينفق ماله في غير حقّ. وقرأ رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ الْمُبَدَّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ (١)

يا عليّ، لا تجماع أهلك إذا خرجت إلى سفر مسيرة ثلاثة أيام ولياليهن، فإنه إن قضي بينكما ولد يكون عوناً لكلّ ظالم.

٢ - عن الصادق عليه السلام، قال: لا تجماع في أوّل الشهر ولا في وسطه ولا في



بالهوى فيها، وقد عيّر الله أقواماً بما فعلوا في كتابه فقال: ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴾ فَدَرَّهُمْ ﴿ (يخوضوا ويلعبوا) ﴾ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿<sup>(١)</sup>.

٩- قال أمير المؤمنين عليه السلام: إذا أراد أحدكم أن يأتي زوجته فلا يعجلها، فإن للنساء حوائج، إذا رأى أحدكم امرأة تعجبه فليأت أهله، فإن عند أهله مثل ما رأى، ولا يجعلن للشيطان إلى قلبه سبيلاً، ليصرف بصره عنها، فإن لم تكن له زوجة فليصل ركعتين ويحمد الله كثيراً ويصلي على النبي وآله، ثم ليسأل الله من فضله، فإنه يبيح له برأفته ما يغنيه، إذا أتى أحدكم زوجته فليقل الكلام، فإن الكلام عند ذلك يورث الخرس، لا ينظرن أحدكم إلى باطن فرج امرأته لعله يرى ما يكره ويورث العمى.

١٠- وقال عليه السلام: إذا أراد أحدكم أن يأتي أهله فليتوق أول الأهلّة وأنصاف الشهور، فإن الشيطان يطلب الولد في هذين الوقتين والشياطين يطلبون الشرك فيهما فيجئون ويحبسون<sup>(٢)</sup>.

١١- عن الصادق عليه السلام، عن أبياته عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا تجامع الرجل والمرأة فلا يتعريان فعل الحمارين، فإن الملائكة تخرج من بينهما إذا فعلا ذلك.

١٢- في تفسير علي بن إبراهيم، في قوله تعالى: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنْتُمْ شِئْتُمْ ﴾<sup>(٣)</sup>، أي متى شئتم، وتأولت العامة قوله: أنتى شئتم، أي

(١) الطور: ٤٤-٤٥.

(٢) البحار: ١٠٠: ٢٨٧.

(٣) البقرة: ٢٢٣.

بالهوى فيها، وقد عيّر الله أقواماً بما فعلوا في كتابه فقال: ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴾ فذَرَهُمْ ﴿ (يخوضوا ويلعبوا) ﴾ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿<sup>(١)</sup>.

٩- قال أمير المؤمنين عليه السلام: إذا أراد أحدكم أن يأتي زوجته فلا يعجلها، فإن للنساء حوائج، إذا رأى أحدكم امرأة تعجبه فليأت أهله، فإن عند أهله مثل ما رأى، ولا يجعلن للشيطان إلى قلبه سبيلاً، ليصرف بصره عنها، فإن لم تكن له زوجة فليصل ركعتين ويحمد الله كثيراً ويصلي على النبي وآله، ثم ليسأل الله من فضله، فإنه يبيح له برأفته ما يغنيه، إذا أتى أحدكم زوجته فليقل الكلام، فإن الكلام عند ذلك يورث الخرس، لا ينظرن أحدكم إلى باطن فرج امرأته لعله يرى ما يكره ويورث العمى.

١٠- وقال عليه السلام: إذا أراد أحدكم أن يأتي أهله فليتوق أول الأهلّة وأنصاف الشهور، فإن الشيطان يطلب الولد في هذين الوقتين والشياطين يطلبون الشرك فيهما فيجئون ويحبلون<sup>(٢)</sup>.

١١- عن الصادق عليه السلام، عن أبياته عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا تجامع الرجل والمرأة فلا يتعريان فعل الحمارين، فإن الملائكة تخرج من بينهما إذا فعلا ذلك.

١٢- في تفسير علي بن إبراهيم، في قوله تعالى: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْتُمْ شِئْتُمْ ﴾<sup>(٣)</sup>، أي متى شئتم، وتأولت العامة قوله: أنى شئتم، أي

(١) الطور: ٤٤-٤٥.

(٢) البحار: ١٠٠: ٢٨٧.

(٣) البقرة: ٢٢٣.

١٩٢ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

حيث شتم في القبل أو الدبر، قال الصادق عليه السلام : أتى شتم، أي حيث شتم في الفرج، والدليل على قوله في الفرج قوله : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثُ لَكُمْ ﴾ فالحرث الزرع، والزرع في الفرج في موضع الولد.

١٣- قال الصادق عليه السلام : من أتى امرأته في الفرج في أول حيضها فعليه أن يتصدّق بدينار، وعليه ربع حدّ الزنا خمسة وعشرون جلدة، وإن أتاها في آخر أيام حيضها فعليه أن يتصدّق بنصف دينار ويضرب اثني عشر جلدة ونصفاً. والمقصود من الدينار هو مثقال من الذهب في يومنا هذا.

١٤- ونهى النبي صلى الله عليه وآله عن وطئ الحبالى حتى يضعن.

١٥- قال الصادق عليه السلام : إيتاك والجماع في الليلة التي يهلّ فيها الهلال، فإنك إن فعلت ثم رزقك ولدًا كان مخبوطاً، قلت : جعلت فداك، ولم تكروهون ذلك يا بن رسول الله ؟ قال : أما ترى المصروع أكثرهم لا يصرع إلا في رأس الهلال.

١٦- كره رسول الله صلى الله عليه وآله الجماع في الليلة التي يريد فيها الرجل سفراً، وقال : إن رزق ولدًا كان حواله.

١٧- قال أبو جعفر عليه السلام : إيتاك والجماع حيث يراك صبيّ يحسن أن يصف حالك. قلت : يا بن رسول الله، كراهة الشنعة ؟ قال : لا، فإنك إن رزقت ولدًا كان شهرةً وعلمًا في الفسق والفجور، وإيتاك أن تجامع أهلك وصبيّ ينظر إليك، فإن رسول الله كان يكره ذلك أشدّ كراهة. قال رسول الله : إيتاكم وأن يجامع الرجل امرأته والصبيّ في المهد ينظر إليهما.

١٨- عن أبي عبد الله عليه السلام، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : والذي نفسي بيده لو أن رجلاً غشي امرأته وفي البيت صبيّ مستيقظ يراهما ويسمع كلامهما ونفسهما ما أفلح أبداً، إن كان غلاماً كان زانياً، أو جارية كانت زانية، وكان عليّ

ابن الحسين عليه السلام إذا أراد أن يغشى أهله أغلق الباب وأرخص الستور وأخرج الخدم.

١٩- قال الصادق عليه السلام : لا بأس أن ينظر الرجل إلى امرأته وهي عريانة. وفي خبر آخر: وهل اللذة إلا ذلك.

٢٠- عن علي عليه السلام ، قال: يستحب للرجل أن يأتي أهله أول ليلة من شهر رمضان، يقول الله تعالى: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ (١)، الرفت: المجامعة.

ويكره في نصف الشهر وآخره، فإنه يتخوف على ولد من يفعل ذلك الخبل، كما يسرع الخبل إليها، فإنه من فعل الجن.

٢١- نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يكثر الكلام عند المجامعة، قال: ويكون منه خرس الولد.

٢٢- ونهى أن يجامع الرجل أهله مستقبل القبلة وعلى ظهر طريق عام، فمن فعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

٢٣- عن حنان بن سدير، عن أبيه، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لا يجامع الرجل امرأته ولا جاريتها وفي البيت صبي، فإن ذلك ممّا يورثه الزنا. المراد من البيت في لسان الروايات: الغرفة، فيكره الجماع في غرفة فيها صبي أو صبيّة.

٢٤- عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال: ثلاث يهدمن البدن وربما قتلن: أكل القديد القاب، ودخول الحمّام على البطنة، ونكاح العجائز.

٢٥- وربما الجماع ممّا يوجب تسكين الأوجاع، قال أمير المؤمنين عليه السلام:

١٩٤ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعروة

إذا كان بأحدكم أوجاع في جسده وقد غلبته الحرارة فعليه بالفراش، قيل للباقر عليه السلام : يا بن رسول الله، ما معنى الفراش؟ قال : غشيان النساء، فإنه يسكنه ويطفئه<sup>(١)</sup>.

٢٦ - وفي حكم ترك المقاربة فيما زاد عن أربعة أشهر، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام ، أنه سأله عن الرجل يكون عنده المرأة الشابة فيمسك عنها الأشهر والسنة لا يقربها ليس يريد الإضرار بها يكون لهم مصيبة أيكون في ذلك آثماً؟ قال : إذا تركها أربعة أشهر كان آثماً بعد ذلك. وفي خبر آخر زاد فيه : إلا أن يكون بإذنها.

٢٧ - عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : من جمع من النساء ما لا ينكح فزنى منهن شيء فالإثم عليه.

٢٨ - وفي نكاح الدبر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : محاش النساء على أمتي حرام، وحمل على الكراهية جمعاً بين الروايات<sup>(٢)</sup>.

٢٩ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن إتيان النساء في أعجازهن فقال : هي لعبتك لا تؤذيها.

ويكره الجماع ومعه خاتم فيه ذكر الله، أو شيء من القرآن.

٣٠ - عن عليّ، عن أخيه الإمام الكاظم عليه السلام ، قال : سألته عن الرجل يجامع أو يدخل الكنيف وعليه خاتم فيه ذكر الله أو شيء من القرآن أ يصلح ذلك؟ قال : لا<sup>(٣)</sup>.

(١) البحار ١٠٠ : ٢٩١.

(٢) الوسائل ٢٠ : ١٤٣.

(٣) الوسائل ٢٠ : ١٤٨.

٤- وأما حكم العزل :

٣١- عن محمد بن مسلم، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العزل ؟ فقال :  
ذاك إلى الرجل يصرفه حيث شاء .

٣٢- وعن محمد بن مسلم، عن أحدهما عليهما السلام ، أنه سئل عن العزل ؟ فقال :  
أما الأمة فلا بأس ، وأما الحرّة فإني أكره ذلك ، إلا أن يشترط عليها حين  
يتزوجها .

٣٣- وعن يعقوب الجعفي ، قال : سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول : لا بأس  
بالعزل في ستّة وجوه : المرأة التي تبيّنت أنّها لا تلد ، والمستة ، والمرأة السليطة ،  
والبدية ، والمرأة التي لا ترضع ولدها ، والأمة .

٥- الدعاء عند المقاربة :

ويستحبّ لمن أراد المباشرة والجماع أن يدعو ربّه بالدعاء المأثور .

٣٤- عن أمير المؤمنين عليه السلام : إذا أراد أحدكم مجامعة زوجته فليقل : اللهم  
إني استحللت فرجها بأمرك ، وقبلتها بأمانتك ، فإن قضيت لي منها ولداً فاجعله  
ذكراً سوياً ، ولا تجعل للشيطان فيه نصيباً ولا شركاً .

٣٥- عن أبي الربيع الشامي ، قال : كنت عنده ليلة فذكر شرك الشيطان  
فعظّمه حتّى أفرغني ، فقلت : جعلت فداك ، فما المخرج منها وما نضع ؟ قال : إذا  
أردت المجامعة فقل : « بسم الله الرحمن الرحيم الذي لا إله إلا هو بديع السماوات  
والأرض ، اللهم إن قصدت منّي في هذه الليلة ولداً فلا تجعل للشيطان فيه نصيباً  
ولا شركاً ولا حظاً ، واجعله عبداً صالحاً مصفياً وذريته جلّ تناؤك » .

١٩٦ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

٣٦- عن سليمان بن خالد، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما قول الله ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ <sup>(١)</sup>؟ فقال: قل في ذلك قولاً: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم».

٣٧- عن أحدهما عليهما السلام، قال: شرك الشيطان ما كان من مال حرام فهو من شركه، ويكون مع الرجل حين يجامع فيكون نطفته مع نطفته إذا كان حراماً، قال: كليهما جميعاً يختلطه، وقال: ربما خلق من واحدة وربما خلق منهما جميعاً.

٣٨- صفوان الجمال، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فاستأذن عيسى بن منصور عليه فقال له: ما لك ولفلان يا عيسى أما إنه ما يحبك، فقال: بأبي وأمي يقول قولنا ويتولى من تتولى، فقال: إن فيه نخوة إبليس، فقال: بأبي وأمي أليس يقول إبليس: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ <sup>(٢)</sup>، فقال أبو عبد الله عليه السلام: وقد يقول الله: ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ <sup>(٣)</sup>، فالشيطان يباضع ابن آدم هكذا، وقرن بين إصبعيه.

٣٩- عن أبي جعفر عليه السلام قال: لا يدخل بالجارية حتى يأتي لها تسع سنين أو عشر سنين <sup>(٤)</sup>.

٤٠- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من وطئ بامرأة قبل تسع سنين فأصابها عيب فهو ضامن.

(١) الإسراء: ٦٤.

(٢) الأعراف: ١٢.

(٣) الإسراء: ٦٤.

(٤) الوافي ١٢: ٧٥٨.

## الفصل السادس

### حقوق الزوجين المشتركة

تمتاز الحياة الزوجية عن غيرها بأن الله سبحانه قد جعل بين الزوجين المودة والرحمة، وهما عنصران أساسيان في صفاء الأسرة، وكمال الوئام والتفاهم وتمشية الأمور على ما يرام، وحلّ المشاكل والتغلب على الصعاب، وحكومة السعادة والوفاق والعيش الرغيد والهناء، كلّ هذا ببركة المودة أي المحبة مع الإطاعة والرحمة.

فالحياة التي يسودها الحبّ والرحمة إنّما هي حياة الجنّة، والجنّة إنّما هي دار استراحة المؤمنين تحوطها الرحمة الإلهية والمودة الأبدية، فلا حزن فيها ولا لغوب ولا قيل ولا قال، كذلك البيت الذي يفوح منه عطر المودة وطيب الرحمة.

ولكن مع هذا جعل الله سبحانه حقوقاً تخصّ الرجال، كما جعل حقوقاً تخصّ النساء، حتّى يعرف كلّ واحد حدّه، فلا يتجاوز ذلك طغياناً وبطراً وأشراً، فهناك ثوابت تلزم الزوج ويجب عليه أن يراعيها، كما أنّ هناك حقوقاً تلزم الزوجة ويجب عليها أن تحفظها ولا تتعدّها، كما هناك خصال يشترك الزوجان فيها، نذكر نبذة منها كما ورد في الروايات الشريفة، إلّا أنّه نقول مقدّمةً من باب التوضيح: إنّ الحقّ لغةً بمعنى الشيء الثابت، وأنّه اسم من أسماء الله سبحانه، كما



في قوله تعالى :

﴿ سُنُّرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (١).

واصطلاحاً بمعنى الشيء الذي ثبت بالعقل والشرع، وفي الفقه يفرّق بين الحقّ والحكم بأنّ الحقّ ما كان إثباته بيد الشرع المقدّس، ولكن إسقاطه ربما يكون بيد صاحب الحقّ، كحقّ خيار المجلس في البيع، فإنّ الله جعل للبائع والمشتري خيار المجلس، ولكن جعل إسقاط هذا الحقّ بيدهما عند توافقهما، بخلاف الحكم الشرعي، فإنّ إثباته وإسقاطه إنّما هو بيد الشارع المقدّس.

وحقوق الزوجين تارةً شرعيّة، كما يقال ليس من حقّ الرجل أن يستخدم زوجته لغسل ملابسه وطهي الطعام، بل وحتىّ إرضاع طفله دون الرضعة الأولى، فيجوز للزوجة أن تطالب بأجرة رضاعها، ولكن من حقّ الرجل أن يتزوّج أربعة حرائر دائميّات فيجوز لكلّ منهما أن يسقطا حقّهما بأن تشتغل الزوجة في دار زوجها، وتخدمه بكلّ ما يحبّ ويريد، وهو يتعهّد لها بعدم تعدّد الزوجة مثلاً.

والمقصود من بيان حقوق الزوجين المشتركة أو المختصّة بأحدهما في هذا الفصل، ليس الحقوق الشرعية وحسب بل الحقوق الأخلاقية والتربوية التي استنبطناها من الأحاديث الشريفة، ويمكن للمحقّق أن يستنبط أكثر من هذا بكثير، وفي الأخبار غنى وثقافة ثريّة ومعطاء ومعين لا ينضب، فتدبّر وتأمل.

وأما الحقوق المشتركة بين الزوجين، فمنها :

#### ١- الصبر :

قال النبي ﷺ : من صبر على سوء خلق امرأته، أعطاه الله من الأجر

ما أعطى أيوب عليه السلام على بلائه، ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطها الله مثل ثواب آسية بنت مزاحم - زوجة فرعون -.

وزوّج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امرأةً من رجل، فرأت منه بعض ما كرهت، فشكت ذلك إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: لعلك تريدن أن تختلعي - تبذل له مالاً ليطلقها، وهو الطلاق الخلعي - فتكوني عند الله أنتن من جيفة حمار.

عن أبي جعفر عليه السلام، قال: إن الله عزّ وجلّ كتب على الرجال الجهاد، وعلى النساء الجهاد، فجهاد الرجل أن يبذل ماله ودمه حتّى يقتل في سبيل الله، وجهاد المرأة أن تصبر على ما ترى من أذى زوجها وغيرته.

ومن الواضح أنّ غيرة الرجل إيمان، إلّا أنّه لا يتجاوز الحدّ المعقول، كما ذكرنا.

## ٢ - عدم الظلم وترك الأذى :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أيما امرأة آذت زوجها بلسانها لم يقبل الله منها صرفاً ولا عدلاً ولا حسنةً من عملها حتّى ترضيه، وإن صامت نهارها وقامت ليلها، وأعتقت الرقاب، وحملت على جياذ الخيل في سبيل الله، فكانت أوّل من يرد النار، وكذلك الرجل إذا كان لها ظالماً.

ما أروع هذه الأحاديث الشريفة، فإنّها تحذّر الزوجين عن إيثار الأذى والظلم على الآخر، وما أعظم التخويف والتحذير أنّه لا يقبل منهما عملاً صالحاً إذا كان البيت فيه اللغظ والاختلاف والعصيان والقتيل والقال وعدم العفة في الكلام من الفحش والسبّ وأذى اللسان بكلّ ما له من مصاديق.

## حقوق الزوجة

المرأة شريكة الحياة، ولها ما للرجال من الحقوق، وعلى الزوج أن يراعي حقوقها، حتى تستحکم أواصر العلاقات الزوجية، فمن تجاوز الحد ينقلب إلى الضد، فيلزم المضادة بين شخصين يعيشان تحت سقف واحد، وعلى عاتقهما مسؤولية الأسرة ونظامها وتربيتها، وكل من الشريكين إذا تجاوز حده ولم يعمل بما يجب عليه من رعاية حقوق الآخر، فإنه بلا شك سيؤدي ذلك إلى فشل الحياة المشتركة وتشتتها وتمزقها ومن ثم سيكون حصيلة الفشل هو ضياع الأسرة وتسيب الأولاد وضياعهم، وورود الآلام على الزوجين بل الأقرباء من كل واحد منهما، ويترتب على ذلك توالي فاسدة كثيرة، ربما توجب سفك الدماء وهتك الأعراض ونهب الأموال، وانحطاط المجتمع وفساده.

فلا بد للزوج أولاً أن يتعامل مع زوجته وأسرته بالموودة والرحمة، ثم عليه أن يراعي حقوق زوجته بلطف وإحسان، ويقتدي بذلك بالأنبياء وخاتمهم الرسول الأعظم محمد ﷺ وبعترته الطاهرين عليهم السلام.

قال النبي ﷺ: خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي.

وهذا يعني أن الزوج عليه أن يكون من أهل الخير، وأفعال الخير كثيرة، يعرفها كل ذي فطرة سليمة، ثم أولى الناس بالخير أقرباء الإنسان، وأقرب الناس إليه زوجته بعد والديه. فخير المؤمنين (لكاف الخطاب وميم الجمع في قوله: خيركم) خيركم لأهله، وضرب النبي ﷺ أروع مثال في سيرته وحياته في هذا الباب.

وكذلك الأئمة الأطهار عليهم السلام، فإن حياتهم شعلة وهاجة في طريق السعادة والعيش الرغيد، وكلماتهم النورانية تطفح علماً وثقافة لمن أراد أن يعيش سعيداً ويموت سعيداً. وقد بينوا الحقوق والحدود في كل شيء، وما أروع ما قاله الإمام السجاد عليه السلام في رسالة الحقوق، فإنه يذكر الحقوق العامة والخاصة: الإنسان مع ربه، ومع نفسه، ومع غيره.

١ - وفي حقّ الزوجة يقول عليه السلام بما هو الجامع والأساس لكلّ الحقوق الزوجية: وأما حقّ الزوجة: فإن تعلم أنّ الله عزّ وجلّ جعلها لك سكناً وأنساً، فتعلم أنّ ذلك نعمة من الله عليك، فتكرمها وترفق بها، وإن كان حقك عليها أوجب فإن لها عليك أن ترحمها لأنّها أسيرك وتطعمها وتسقيها وتكسوها، وإذا جهلت عفوت عنها.

فما أروع هذه الأصول والقواعد الأولية في الحياة الزوجية: أولاً: أن تعلم أنّ الله عزّ وجلّ جعلها لك سكناً: وهذا يعني أن تصل إلى حدّ العلم واليقين بأنّ الهدف من الزواج هو السكونة والارتياح، ويحصل هذا بالجوار من زوجتك، فكما يرتاح الإنسان في داره التي يسكن فيها، وعليه أن يسعى في صلاحها وبنائها وزينتها، فكذلك الزوجة ممّن تسكن إليها، فلا بدّ أن تباريها وتراعي شعورها وتسعى في إصلاحها وصلاحها.

وثانياً: وأنساً: فربما هناك من تسكن إليه ولكن لا تأنس به، فأردف الإمام عليه السلام السكونة بالأنس الروحي والجسدي - للإطلاق - كما أردف الله البرد بالسلامة في نار نمرود لإبراهيم الخليل عليه السلام، فلو لم تكن السلامة لربما كان البرد القارس المؤلم المهلك، فقال عزّ وجلّ: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾<sup>(١)</sup>.

٢٠٢ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

ثالثاً: تعلم أن ذلك نعمة من الله عليك: فالمرأة التي تسكن إليها وتأنس بها وتأنفها وتأنفك هذه من نعم الله وآلائه، بل من اللطف الإلهي بالرجل، وكذلك بالنسبة إلى المرأة فإن الزوج الصالح من نعم الله سبحانه، وحقّ النعمة أن تشكرها. رابعاً: فتكرمها: فبين الإمام عليه السلام شكر هذه النعمة بأن تكرم الزوجة بكلّ ما للكلمة الإكرام من معنى ومصداق، فمن الإكرام الاحترام والعطف والحنان والمعاملة الجيدة.

خامساً: وترفق بها: الرفق بالكلام وبالسماحة والمحبة، وتكون رفيقها في الحياة في الحضر والسفر، فتراعي آداب المرافق والمجاورة بأن لا تجرح الأحاسيس والمشاعر والعواطف، بل بكلّ رفق وحنان وإحسان ومعروف.

سادساً: وإن كان حقك عليها أوجب: يعني عندما تستعمل هذه الأساليب الدالة على الرحمة والعطوفة لا تتصور أنها أكثر منك حقاً، بل للرجل حقوق أكثر ممّا للمرأة كما سنذكر، إلا أن كثرة الحقوق وبعض المميّزات الاجتماعية باعتبار الرجولة وباعتبار تكوين الرجل في خلقته وطبيعته، لا يعني أنه يتناول على الزوجة ويبيع عليها فخراً، ممّا يؤدي إلى جرح المشاعر وتهيج روح العناد والخصام ومطالبته الحقوق، بل وإن كنت أكثر حقاً، ولكن هذا يعني أن تبالغ بالجانب العاطفي أكثر فأكثر، فإن للمرأة على الرجل أن يرحمها، وبرهان هذا المعنى وهذا الأمر، أنها بحكم الأسيرة للزوج، والأسير يحتاج إلى المدارة والملاطفة حتى تكسب قلبه، هذا باعتبار الأمور الروحية والمعنوية، وأمّا من الجانب الاقتصادي والقضايا المادية، فمن حقوقها كما يلي:

سابعاً: الإطعام والسقاية والملابس: وهذه الأمور تدرج تحت النفقة؛ إذ تجب نفقة الزوجة على زوجها بما يناسب شأنها في دار أبيها ودار الزوج، فعليه

أن يراعي هذا الأمر، وأمّا في الارتباط الثنائي في الحياة المشتركة، فربما يصدر ما لا يرضى به الزوج جهلاً منها لا بقصد التعمّد والإيذاء، فحينئذٍ. ثامناً: إذا جهلت عفوت عنها: فلا شكّ إذا دخل العفو والسماح في الحياة الزوجية ستكون حياة سعيدة، ويتبدّل الجهل إلى العلم، والشرّ إلى الخير، والعداء إلى الصداقة الحميمة.

والعجيب أنّه يحرم الكذب وأنّه من الصفات الذميمة، إلّا أنّه من أجل حفظ كيان الأسرة ربما تطلب المرأة من الرجل شيئاً لا يقدر عليه، فيجوز أن يعدها بالشراء، وعند رجوعه إلى الدار يتناسى ذلك، وهكذا الموارد الأخرى، فقد ورد في الخبر الشريف عن الإمام الصادق عن آبائه، قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاثة يحسن فيهن الكذب: المكيدة في الحرب، وعدتك زوجتك، والإصلاح بين الناس<sup>(١)</sup>.

### أمّا حقوق الزوجة فكما يلي:

#### ١- غفران الخطايا (العفو والتسامح):

من حقوق الزوجة الأخلاقية، أن يغفر لها زوجها حين تخطئ، فلقلّة التجارب منها، وربما لأُميتها وجهلها يصدر منها ما يؤذي الزوج، فعليه أن يغفر لها سيّما لو اعتذرت.

#### ٢- سأل إسحاق بن عمّار أبا عبد الله عليه السلام عن حقّ المرأة على زوجها؟

(١) البحار ١٠٠: ٢٤٢.

٢٠٤ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

قال : يشبع بطنها، ويكسو جنتها، وإن جهلت غفر لها - أي عليها أولاً أن لا تجهل، بل تستعمل العقل والعلم في حياتها الزوجية، ولكن لو صدر منها ما صدر جهلاً - غفر لها، إن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام شكى إلى الله عزّ وجلّ خلق سارة، فأوحى الله إليه أن مثل المرأة مثل الضلع، إن أقمته انكسر، وإن تركته استمتعت به، قلت : من قال هذا ؟ فغضب، ثمّ قال : هذا والله قول رسول الله صلى الله عليه وآله، وعنه قال : كان لأبي عبد الله عليه السلام امرأة وكانت تؤذيه فكان يغفر لها.

## ٢- تحمّل الأذى :

من الصفات الحميدة، بل يعدّ من أمّهات الأخلاق الحسنة وأساس الأخلاقيات كلّها هو الصبر، والمؤمن صبور وقور عند الهزاهز، ويتجلّى صبره مع زوجته لو كانت سيّئة الأخلاق، فإنّه يغفر لها جهلها، بل ويتحمّل أذاها، لا سيّما في كلماتها البذيئة وتصرفاتها المؤلمة، وما أعظم الثواب المترتب على هذا الصبر الجميل.

٣- قال عليه السلام : من احتمل من امرأته ولو كلمة واحدة، أعتق الله رقبتة من النار، وأوجب له الجنّة، وكتب له مائتي ألف حسنة، ومحا عنه مئتي ألف سيّئة، ورفع له مائتي ألف درجة، وكتب الله عزّ وجلّ له بكلّ شعرة على بدنه عبادة سنة. ومع مثل هذا الأجر والثواب العظيم، كيف لا يتحمّل المؤمن أذى زوجته، وكيف لا تكون الحياة سعيدة، فإنّ المرأة مهما كانت فهي عاقلة وعندها عاطفة وشعور وإحساس، فإذا رأت الزوج كيف يتحمّلها، فإنّه لا بدّ في المرّة الثالثة والرابعة بل ولو في المرّة المائة تشعر بخطئها وتحاول أن تخفّف أو أن لا تعود لمثل ذلك أبداً، بل وتتعامل معه بالمثل من المعروف والإحسان فتكفّ عنه الأذى

والكلام الخشن إذا كان، بل تعرف قيمة هذا الزوج الحليم والصبور فلا تعوضه بالدنيا وما فيها..

### ٣- الإنفاق والسعة :

من حقوق الزوجة والأسرة الإنفاق، وإذا وسّع الله على عبد، فعليه أن يوسّع على عياله، حتّى تحسّ الأسرة (الزوجة والأولاد) بالرّفاه في ظلّ والدها والقائم بشؤونها، ويزيد على ما وجب عليه شرعاً من المأكل والملبس وغير ذلك.

٤- قال رسول الله ﷺ: ما من عبد يكسب، ثمّ ينفق على عياله، إلّا أعطاه الله بكلّ درهم ينفقه على عياله سبعمائة ضعف.

٥- عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: من كانت عنده امرأة فلم يكسبها ما يوارى عورتها، ويطعمها ما يقيم صلبها - أي يقوّيها ولا يجوّعها - كان حقّاً على الإمام أن يفرّق بينهما - وهذه كناية عن أنّ مثل هذه الحياة لا تدوم بشكل مريح وسعيد، بل من حقّ الحاكم الشرعي أن يفرّق بينهما بالطلاق - فيما إذا رفعت أمرها إلى الحاكم.

٦- عن أبي عبد الله عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ﴾<sup>(١)</sup>، قال: إن أنفق عليها ما يقيم ظهرها مع كسوة - أي رعاية الأكل واللباس - وإلّا فرّق بينهما.

فدوسعة في المال يلزم أن يوسع على عياله ولا يقتر عليهم، بل لا بدّ من

(١) الطلاق: ٧.



٢٠٦ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعتره

الفرق بين غرفة الرجل وغرفة المرأة، كما ورد في الخبر الشريف :

٧- عن عبد الله بن عطا، قال : دخلت على أبي جعفر عليه السلام فرأيت في منزله

نضداً ووسائد وأنماط ومرافق، فقلت له : ما هذا ؟ قال عليه السلام : متاع المرأة .

النضد - بالتحريك - : ما نضد من متاع البيت وضمّ بعضه إلى بعض متسقاً أو

مركوماً، والأنماط جمع نمط : ما يفرش من مفارش الصوف الملونة . والمرافق

جمع مرفق : التي تجعل تحت المرفق من المخدة والمتكأ، والنمارق جمع نمرق

ونمرقة : الوسادة يتكأ عليها .

٨- عن جابر، عن الباقر عليه السلام، قال : دخل قوم على الحسين بن علي عليه السلام

فقالوا : يا بن رسول الله، نرى في منزلك أشياء مكروهة - وقد رأوا في منزله

بساطاً ونمارق - فقال : إنما تزوج النساء فنعطيهن مهورهن فيشترين بها ما شئن

ليس لنا منه شيء .

وهذه السنّة لا زالت موجودة، فإنّه يعطى المهر أو بعضه لأسرة العروس

ليشتروا أثاث المنزل ويكون ملكاً للزوجة . وهي التي تريد أن تعيش في محيط

خاصّ من الدار والغرفة والمطبخ، فليكن ترتيب الأثاث وانتخاب الأمتعة

والحاجيات المنزليّة على ذوقها، فإنّ الرجل أكثر حضوره خارج البيت، وتنظيم

أجواء البيت إنّما هي لسيدة البيت، ويقال : تتجلّى إمبراطورية المرأة في مطبخها،

وفي إعداد الطعام وطهيه .

٤ - الحنان وعدم الظلم :

على الزوج أن يحنّ على زوجته وأسرته، فلا يظلمهم، فإنّ الظلم قبيح عقلاً

وشرعاً، وأولى الناس بترك ظلمهم وأذاهم أسرة الرجل وعائلته .

٩- قال رسول الله ﷺ: خير الرجال من أمتي الذين لا يتناولون على أهلهم ويحتون عليهم، ولا يظلمونهم، ثم قرأ: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾<sup>(١)</sup>... الآية. وسنذكر تفصيل ذلك.

#### ٥- عدم الضرب المبرح :

من أكبر المشاكل في الحياة الزوجية، ضرب الزوج لزوجته - فكثير من الطلاق وكثير من الاختلافات في الأسرة إنما ينشأ من ضرب الزوج - ومن الرجال من يحمل الروح الهمجية والحيوانية حتى يفقد صوابه في حالة الغضب ويضرب المرأة الريحانة بأسلوب وحشي لا يقبله الشرع المقدس ولا الثقافة المثزنة، وحقاً بعض الرجال إنهم كالأنعام بل أضل سبيلاً، فإذا كانت المرأة بحكم الأسيرة والضعيفة وإنها الوردية التي تشيع في البيت الأنس والحب والتي لا تستحق إلا أن تُشم برفقٍ وتوتى بلين ورقّة وحنان، وما أقيح أولئك الرجال الذين يسودون أبدان نساءهم اللطيفة تشقياً لغضبهم وانتقامهم، وصاحب المثل يقول: (لا يقدر أبي إلا على أُمي)، فمثل هؤلاء الرجال يخنعون أمام الظالمين، بل يكونون من أعوانهم وزمرتهم، ولا يكونون للظالم خصماً وللمظلوم عوناً، بل يصب غضبه على زوجته المسكينة، ويفتخر وكأنه قتل مرحب الخيبري وعمرو بن ودّ العامري وعنترة بن شدّاد.

نعم، ورد الضرب في مقام التريية، لا في مقام الانتقام والتشقي وإطفاء ثورة الغضب، وإنما ورد ضمن حدود خاصّة، بأن لا يتجاوز الاحمرار والاسوداد

(١) النساء : ٣٤.

والورم والجرح والكسر وغير ذلك<sup>(١)</sup>، بل يضرب بالضغث وأعواد تخليل الأسنان

(١) فمثل هذه الأمور يوجب الدية، وإن لم يكن بين الزوج والزوجة القصاص، ففي أرش اللطمة ورد في الكافي بسنده عن إسحاق بن عمّار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قضى أمير المؤمنين عليه السلام في اللطمة يسود أثرها في الوجه أن أرشها ستة دنانير، فإن لم تسود واخضرت فإن أرشها ثلاثة دنانير، فإن احمرت ولم تخضرت فإن أرشها دينار ونصف، ورواه الصدوق نحوه وزاد: وفي البدن نصف ذلك (الوسائل ٢٩: ٣٨٥).

والدينار هو المثقال من الذهب.

وفي الوسائل أبواب في ديات الضرب كالباب الثاني من أبواب ديات المنافع من كتاب الديات، في من ضرب فتنقص بعض كلامه قسمت الدية على الحروف وأعطي بقدر ما نقص، والباب الرابع في من ضرب إنساناً فذهب بصره وشمّه ولسانه لزمه ثلاث ديات، والباب السادس في من ضرب إنساناً فذهب سمعه وبصره ولسانه وعقله وفرجه وجماعه لزمه ست ديات كاملة أي مائة بعير مثلاً، والباب السابع حكم من ذهب عقله وعاد ومن ضرب ضربة فجنت جنابيتين فصاعداً، والباب الثامن في من ضرب فذهب بعض بصره فله بنسبة ما نقص من دية العين، وغير ذلك من أبواب وحكم الجراحات والشجاج وأقسامها ودياتها، فراجع.

ومن يضرب زوجته أو ولده قبل البلوغ أو بعده لا بد أن يعوّض ذلك لو كان ممّا يوجب الدية بأن يسود مكان الضرب أو يحمرّ أو يخضّر، وإلا فإنه يبقى في ذمته إلى يوم القيامة، وإنه من حقّ الناس الذي لا يسقط إلا بإسقاطهم، فلا بد أن يسقط ذلك في الدنيا بالمحبّة والمودّة والملاطفة، وإلا فيوم القيامة يوم يفترّ المرء من أبيه وأخيه وبنيه وزوجته وفصيلته التي تؤويه وكلّ ينادي: وا نفساه، ويبحث عن حقّ على أحد حتّى يخلص نفسه، إمّا أن يأخذ من حسناته في مقابل الحقّ إن كان له حسنات وإلا يلقي من سيئاته في ميزان أعمال من عليه الحقّ ليخفف عن نفسه من العذاب والمكث في نار جهنّم، كما ورد في الروايات الشريفة. فلا بدّ للأباء أن يتحلّلوا من الضرب الذي أوردوه على أبنائهم في صغرهم وقبل

الصغيرة واللطيفة .

كما لا يحقّ له أن يرعد في وجه زوجته ويصيح ، بل بسكونة ووقار ومنطق  
رصين يريها الحقّ ويسمعها الحقيقة ، ويعرفها ما يجب عليها وما يلزمها من  
الوظائف الخاصة والعامة .

١٠ - قالت خولة لرسول الله ﷺ : فما حقّي عليه - على الزوج - ؟ قال ﷺ :

حقّك عليه أن يطعمك ممّا يأكل ويكسوك ممّا يلبس ولا يلمطم ولا يصيح في  
وجهك ...

١١ - خطب النبي ﷺ ، فقال : أيّها الناس ، إنّ النساء عندكم عوارٍ لا يملكن  
لأنفسهن ضرّاً ولا نفعاً ، أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله ،  
فلكن عليهن حقّ ولهن عليكم حقّ ، ومن حقّكن عليهن أن لا يوطؤوا فرشكم  
ولا يعصينكم في معروف ، فإذا فعلن ذلك فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف  
ولا تضربوهن<sup>(١)</sup> .

١٢ - وقال النبي ﷺ : إنّي أتعجب ممّن يضرب امرأته وهو بالضرب أولى  
منها ، لا تضربوا نساءكم بالخشب فإنّ فيه القصاص ، ولكن اضربوهن بالجوع

---

بلوغهم كما يتحلّل الأزواج من زوجاتهم لو بدر منهم الضرب الموجب للديّة ، والأولى  
للأولاد وإن كبروا وصاروا أصحاب أولاد أن يتجاوزوا عن ضرب آبائهم ويعفو عنهم بإسقاط  
الحقّ ، فإنّ الله يحبّ هذا العفو ، ويعفو عمّن يعفو عن الغير ، لا سيّما إذا كان من  
ذوي الأرحام ، وإنّ من مكارم الأخلاق في الدنيا والآخرة أن تعفو عمّن ظلمك وتعطي من  
حرمك وتصل من قطعك ، ومن يعفو عن والده يعفو أولاده عنه ، كما تدين ثدان .

٢١٠ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

والعري حتى تريحوا في الدنيا والآخرة، وأيما رجل تتزيّن امرأته وتخرج من باب دارها فهو ديّوث، ولا يأتّم من يسمّيه ديوثاً، والمرأة إذا خرجت من باب دارها متزيّنة متعطّرة والزوج بذلك راضٍ يبنى لزوجها بكلّ قدم بيت في النار، فقصّروا أجنحة نسائكم ولا تطوّلوها، فإنّ في تقصير أجنحتها رضئاً وسروراً ودخول الجنّة بغير حساب، احفظوا وصيّتي في أمر نسائكم حتى تنجوا من شدة الحساب، ومن لم يحفظ وصيّتي فما أسوأ حاله بين يدي الله<sup>(١)</sup>.

وهذا معنى الضرب الذي ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ﴾<sup>(٢)</sup>، فالضرب بالجوع والعري، كما هذا الأمر مع المرأة التي يصدر منها الأذى الذي لا يتحمّل ولا يطاق عادة، ويفسّر هذا المعنى روايات أخرى، فإنّها كالقرآن الكريم يفسّر بعضها بعضاً. وإيما تضرب المرأة على أمور الخير :

١٣ - عن الإمام الكاظم عليه السلام ، قال : قال رسول الله ﷺ : اضربوا النساء

على تعليم الخير .

١٤ - قال عليّ عليه السلام : أتى النبي ﷺ رجل من الأنصار بابنة له ، فقال :

يا رسول الله ، إنّ زوجها فلان بن فلان الأنصاري ، فضربها فأثر في وجهها فأفئده لها ؟ فقال رسول الله ﷺ : لك ذلك ، فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾<sup>(٣)</sup> ... الآية ، فقال رسول الله ﷺ : أردت أمراً وأراد الله تعالى غيره<sup>(٤)</sup> .

(١) المصدر : ٢٤٩ .

(٢) و (٣) النساء : ٣٤ .

(٤) البحار ١٠٠ : ٢٥١ .

فإذا سقط القصاص تكون الدية حينئذٍ أو ترضى الزوجة بذلك .

١٥ - وإليكم هذه القصة من حياة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام : بينما كان عليه السلام في طريقه إلى الخروج من المسجد ذات يوم ، رأى امرأة تقف على باب المسجد باكية منكسرة ، فسألها قائلاً : « ما لك يا امرأة ؟ » قالت : « إن زوجي ضربني يا أمير المؤمنين . »

ومن المؤسف أيها الإخوة والأبناء أن يصل مستوى الخلق ببعض الأزواج إلى حدّ ضرب زوجاتهم ولأتفه الأسباب ، وهذا خلق لئيم ذميم لا يليق بالمؤمن فضلاً عن أنه كثيراً ما يدمر الأسرة ، فعلى الأزواج أن يتحللوا بطول الأناة في التعامل مع زوجاتهم ولا سيما في شهر رمضان المبارك ، قال جلّ من قائل :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (١)

بعد أن استمع أمير المؤمنين عليه السلام إلى ظلامة المرأة وعرف أن زوجها ضربها وطردها من البيت وأنها تركت أطفالها ليكون فجاءت إليه ليشفع لها ، قال لها عليه السلام : « إنّ الجوّ عاصف كما ترين ، انتظري حتى تسكن الريح فأذهب معك إلى زوجك » ، فقالت المرأة : « وإلى أن تسكن الريح أين أذهب ؟ » ، قال عليه السلام : « صدقت المسكينة » ، ثم سار معها إلى بيت زوجها ، فلما وصلاه طرقت الإمام عليه السلام الباب فخرج منه شاب سيماء الغرور والعنجهية بادية عليه فقال له عليه السلام : « ما هذا يا رجل ؟ ! اتق الله في هذه المسكينة ، لماذا أخفتها

٢١٢ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

وأخرجتها من مسكنها؟» فقال الشاب وقد بدا أنه لم يعرف أن الذي يكلمه هو أمير المؤمنين عليه السلام : «وما أنت وهي؟ لماذا تتدخل بيني وبين زوجتي؟ والله لأحرقها في بيتها»، فجرد الإمام عليه السلام سيفه، وصادف وفي نفس اللحظة أن مرّ مالك الأستر وجماعة بالمكان فرأوا الإمام عليه السلام يجرّد سيفه، فاندفع مالك نحو الإمام عليه السلام وقال له: «مولانا أمير المؤمنين، ما الأمر؟»، وما أن سمع الشاب قول مالك حتّى وقع على قدمي أمير المؤمنين عليه السلام يقبلهما قائلاً: «مرني سيدي، والله لأكوننّ لها أرضاً تطوّها برجليها»، فقال له الإمام عليه السلام : «انهض، لا هذا ولا ذاك، بل كن طيباً معها، إنّها زوجتك شريكة حياتك فأعطاها حقوقها، ألم تسمع بقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾<sup>(١)</sup>»<sup>(٢)</sup>.

وإذا حدثت مشادة بين الزوجين كما حدث لأيوب الصابر عليه السلام حيث أقسم بالله إن بري من علته فسوف يضربها مائة جلدة، فهذا لا يعني أن الإسلام أباح مائة جلدة، كما أن جبرئيل جاء بضغث وهو (نبات هس طري) حزمة فيها مائة عود صغيرة كعود الخلال. وإنما أباح الإسلام الضرب الخفيف تأديباً لا انتقاماً وغضباً فيما إذا نشزت الزوجة، وذلك في المرحلة الثالثة لإصلاحها:

﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ﴾<sup>(٣)</sup>.

فبعد الوعظ والهجر يكون الضرب الخفيف بهدف التأديب لا الأذى،

(١) النساء : ١٩.

(٢) اعلموا أنّي فاطمة : ١٠ : ٤٣.

(٣) النساء : ٣٤.

والمرأة المؤمنة تمتاز أنها من الأولياء :

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ <sup>(١)</sup>.

١٦ - الكافي بسنده، قال رسول الله ﷺ : أ يضرب أحدكم المرأة ثم يظلّ

معانقها .

١٧ - والنبوي ﷺ يقول : « من رفع يده على زوجته، مدّت له يد في النار » .

فإنّ في ضرب الزوج لزوجته تهديم لبناء الأسرة، ممّا ينعكس سلباً على الأبناء والأطفال، والبيت يحتاج إلى محبة وحنان ورأفة وشفقة ورحمة :

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ <sup>(٢)</sup>.

٦ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

ربّ البيت لا بدّ أن يكون مهذباً أولاً، مؤمناً يعمل بوظائفه الدينية، ويتمسك بعروة الله، ويؤدّي ما وجب عليه من العبادات وفي المعاملات، كما يتجنّب عن المحرّمات بل والمكروهات، ومثل هذا الأب الناجح سيكون هو المعلّم الأوّل في الأسرة، ويقتدى به ويتأسى بأخلاقه قولاً وعملاً، كما يكون واعظاً وناصحاً، فدائماً ينصح زوجته وأولاده ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويهديهم سواء السبيل والصراط المستقيم، إلّا أنّ الظروف ربما لم تكن مؤاتية، وربما المحيط خارج الدار يؤثّر على المرأة والأولاد، ممّا يوجب انهيار الأعصاب، ونكد العيش ومرارته، حتّى يفرّ المرء من صاحبتة وبنيه، وربما يفقد توازنه وينحرف عن

(١) التوبة : ٧١ .

(٢) الروم : ٢١ .



٢١٤ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

الجادة فيطبع زوجته في معاصي الله - والعياذ بالله - والطامة الكبرى لو كانت الزوجة سالحة أو الأولاد أو أحدهم والأب كان فاسداً ومنحرفاً، كأن تصلي الزوجة أو يكون الولد مهذباً صالحاً يمشي مع الأولاد الصالحين فيصلّي ويصوم، ولكن الأب تارك الصلاة ويشرب الخمر ويرتكب الآثام، وهنا تحدث الفجوة العميقة بين أعضاء الأسرة ويشتد الصراع والمقاومة بين الحق والباطل، وكثيراً ما تضاع الحقوق ويلتبس الأمر، وإلى الله المشتكى.

فرب البيت هو المعلم الأول، ولا بدّ أن يكون هو المترّي أولاً والمتأدّب حتى يكون مؤثراً في مقام النصيحة والموعظة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن الكلام إذا خرج من القلب دخل في القلب، وإذا خرج من اللسان فإنه لم يتجاوز الآذان، وفاقد الشيء لا يعطيه، فالأب المؤمن المهذب عليه أن يحفظ الأسرة من الانحطاط والسقوط، وإذا أراد أن يعرف مقدار وظيفته الدينية في هذا الباب :

١٨ - فعن أبي عبد الله عليه السلام، قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً ﴾ (١)، جلس رجل من المسلمين يبكي وقال : أنا قد عجزت عن نفسي كلّفت أهلي، فقال رسول الله ﷺ : حسبك أن تأمرهم بما تأمر به نفسك، وتنهاهم عما تنهى عنه نفسك.

١٩ - عن النبي ﷺ، قال : عظوهن بالمعروف قبل أن يأمرنكم بالمنكر.

ومن المعروف أن يغيّر الفجور الذي يحدث في بيته كما ورد :

٢٠ - قال رسول الله ﷺ : أيما رجل رأى في منزله شيئاً من الفجور فلم

(١) التحريم : ٦.

يغيّر بعث الله تعالى طيراً أبيض يظلّ عليه أربعين صباحاً فيقول كلما دخل وخرج : غيّر غيّر، فإن غيّر وإلا مسح رأسه بجناحيه على عينيه، فإن رأى حسناً لم يستحسنه، وإن يرى قبيحاً لم ينكره<sup>(١)</sup>. فيكون بحكم الأنعام بل أضلّ سيلاً.

فالوالد وكذلك الوالدة يأمران الأولاد بالمعروف وينهونهم عن المنكر،

كما قال سبحانه :

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وكذلك بالتكاليف الشرعية الأخرى.

#### ٧- الصيانة :

المرأة كلّها عورة حتّى صوتها، وتحتاج إلى الصيانة حفظاً عليها من السراق والحثالات والأراذل في المجتمع، وأحقّ الناس بصيانتها - بعد أن تصون هي نفسها - زوجها، وقبل الزواج والدها وإخوتها وعشيرتها وأقرباؤها.

كما أنّ المرأة بمنزلة الدمية واللعبة، فتحتاج إلى حفظها والملاطفة والملاعبة معها.

٢١ - قال رسول الله ﷺ : إنّما المرأة لعبة، فمن اتّخذها - أي تزوّجها -

فليصنها.

٢٢ - قال رسول الله ﷺ : إنّما المرأة لعبة من اتّخذها فلا يضيّعها<sup>(٣)</sup>.

(١) البحار ١٠٠ : ٢٥١.

(٢) طه : ١٣٢.

(٣) الوافي ١٢ : ٧٨٨.

٢١٦ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

من صياتها أن تحفظ في البيوت.

٢٣ - عن النبي ﷺ، قال: النساء عي وعورات، فداووا عيهن بالسكوت، وعوراتهن بالبيوت.

٢٤ - وقال ﷺ: النساء عورة، احبسوهن في البيوت، واستعينوا عليهن بالعرى.

فلا تخرج من دارها إلا للضرورات.

#### ٨- الإحسان :

ينبغي للزوج أن يحسن على عياله، ولا سيما وهو القائم عليهم، والقيّم على زوجته، وإذا كان رب البيت ويتجلّى فيه صفات الربوبية، فإنّ الله الأسماء الحسنى والصفات العليا، فهو المحسن المطلق وله مطلق الإحسان، والعبد يتشبه بمولاه، فيحسن على من كان تحت يده، حتّى عبّر عنهم بالأسراء، وكأتما هو الأمير ومملك رقاب هؤلاء حتّى صاروا أسراءه.

٢٥ - عن رسول الله ﷺ، قال: عيال الرجل أسراؤه، وأحبّ العباد إلى الله عزّ وجلّ أحسنهم صنيعاً إلى أسراؤه.

٢٦ - قال الإمام الكاظم عليه السلام: إنّ عيال الرجل أسراؤه، فمن أنعم الله عليه نعمة فليوسّع على أسراؤه، فإن لم يفعل أوشك أن تزول عنه تلك النعمة.

٢٧ - قال الصادق عليه السلام: رحم الله عبداً أحسن فيما بينه وبين زوجته، فإنّ الله عزّ وجلّ قد ملكه ناصيتها وجعله القيّم عليها.

ومن الإحسان عدم الغضب عليها.

٢٨ - قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لولده الحسن عليه السلام: وأقلّ الغضب

عليهن، إلا في عيب أو ذنب.

والتعبير عن العيال بالأسراء لبيان شدة استحقاقهم العطف والمحبة والحنان من رب الأسرة، فلا بد من أن يوسع عليهم بما أنعم الله عليه ولا يحرمهم الرفاه والعيش الرغيد، وإلا فإنه مما يوجب كفران النعمة لو لم يوسع عليهم، فإن لم يفعل أو شك أن تزول عنه تلك النعمة.

٢٩- الكافي بسنده: عن يونس بن عمّار قال: زوجني أبو عبد الله عليه السلام جارية كانت لاسماعيل ابنه، فقال: «أحسن إليها»، فقلت: وما الإحسان إليها؟ فقال: أشبع بطنها واكس جنبيها واغفر ذنبها، ثم قال: اذهبي وسطك الله ماله. بيان: أي جعلك في وسطه بأن تكوني أمينة على ماله، فيعتمد عليك ويجعله في يدك.

٣٠- قال الصادق عليه السلام: رحم الله عبداً أحسن فيما بينه وبين زوجته، فإن الله تعالى قد ملكه ناصيتها، وجعله القيم عليها.

ومن مصاديق الإحسان أن يبني الرجل عند أهله لو كان في مصره.

٣١- قال الصادق عليه السلام: هلكت يدي المروءة أن يبني الرجل عن منزله بالمصر الذي فيه أهله.

بيان: هلكت بتشديد اللام وتخفيفها بمعنى أهلكت، فإنه لازم ومتعدّ آتته باعتبار البيتوتة أو الخصلة أو نحوها.

وفي بعض النسخ (هلك) ويحتمل أن يكون يد المروءة مرفوعاً فكتب الألف بصورة الياء فلا يحتاج إلى التكليف، وإنما أوقعه على اليد لأنها الأصل في الأفعال، وللتنبية على أنه لم يعدد المروءة رأساً وإنما حيل بينه وبين فعلها.

## ٩- المداراة المطلقة :

صفو العيش والهدوء والسكينة والوقار والمحبة والوئام والاحترام المتبادل والعيش الرغيد أمنية كلّ زوج وزوجة منذ اليوم الأوّل من حياتهما المشتركة، فإنّما قالت البنت لوكيلها: (نعم أنت وكيلي)، أو قالت للخاطب: زوّجتك نفسي على المهر المعلوم، لترى الحياة المتنّعة، لا الغُصص والآهات والحسرات وحياة الجحيم، فكلمة (نعم) إشارة لحصولها على نعمة عظيمة من نعم الله، وهو الزوج الذي يتجلّى فيه صفات الربوبية، وإنّما قالت: (بلى) فيما لو قيل لها ألا ترضين فلاناً زوجاً لك، ليدفع الزوج عنها البلاء والكرب وتتنعم في ظلّه وفيئه، ولما كانت المرأة من الجنس اللطيف الناعم كما أنّ الرجل من الجنس الخشن، ولما كانت الأنوثة تعني الوردية التي تشمّ ويحافظ عليها بكلّ ما للكلمة من معاني ومصاديق. إنّها ريحانة وليست قهرمانة، حتّى يتصارع معها في حلبة الحياة، ويتمرنّ عليها بالملاكمة والوحشية، فهي تحتاج إلى المداراة مطلقاً على كلّ حال - كما مرّ هذا المعنى - ونتيجة هذه المداراة التي يستعملها الزوج أولاً، فهو بحكم السماء الممطرة على الأرض الخصبة في بداية الحياة لتخضّرّ وتسره في مستقبل الحياة بياقة من الزهور والرياحين من الأولاد المهذّبين والطيبين - ذكوراً وإناثاً - يفتخر بهم في المجتمع لما يحملونه من تربية صالحة أسّسها الوالد بتربية الوالدة، فكانت المدرسة الأولى بمديرها اللبيب لتربية أولادها، فدواء الحياة الزوجية هو المداراة وحسن الصحبة والمعاشرة بالمعروف والإحسان.

٣٢- فما أروع ما يقوله أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ينصح ولده محمّد بن

الحنفية، قائلاً: يا بني، إذا قوّيت فأقو على طاعة الله، وإن ضعفت فاضعف عن

معصية الله، وإن استطعت أن لا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها فافعل - أي الشيء الذي يتعلّق بنفسها فهي مختارة، وأما غير ذلك فأمرها بيدك فلا تعطها ما تشتهي - فإنه آدم لجمالها، وأرعى لبالها، وأحسن لحالها، فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة، فدارها على كلّ حال وأحسن الصحبة لها، فيصفو عيشك.

٣٣ - عن الصادق عليه السلام، قال: اتقوا الله في الضعيفين: يعني المملوك والمرأة.

فالضعيف يحتاج دائماً إلى مداراة، وليس لك نداءً حتى تتوقّع منه وتنتظر منه ما تنتظر من نذك، فهي وإن كانت شريكة الحياة، إلا أنها شريكة تحتاج إلى الإحسان والرفق والخير والرعاية وحسن الصحبة والمداراة المطلقة على كلّ حال.

وهذا يعني مراعاة شعور النساء وضعفهن في الحياة، فإن المرأة في تكوينها الأوّل وطبيعتها خلقت أضعف من الرجال، وإن كان أصل خلق الإنسان مطلقاً كذلك، فقد خلق ضعيفاً تولمه البقّة وتقتله الشرقة... ولكنّ الخلق الأنوثي بصورة عامة يمتاز بالنعومة واللين واللطافة والضعف، كما ورد في الأخبار الشريفة:

٣٤ - عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: أكثر أهل الجنّة من المستضعفين النساء، علم الله ضعفهن فرحمهن.

وعلى الرجل ربّ البيت أن يتّصف بصفات الله وتتجلّى أسماء الله فيه، فيرحم من في الأرض كي يرحمه من في السماء، فيرحم المرأة كما رحمها الله. ويحافظ على رجولته وقيوميّته فلا يعطي من نفسه حتى تملكه المرأة.

٣٥ - قال أمير المؤمنين لولده الحسن عليه السلام: ولا تطيلن الخلوة مع النساء فيملائنك، واستبق من نفسك بقيّة، وإن رأيت منهن الريبة فعجّل النكير.

٢٢٠ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

أي لا ترضى بما فيه الريبة والشك، بل تعمل معهن على الكاشف والواضح.

#### ١٠- حسن السمات والصورة :

إذا كانت المرأة تترين لزوجها لا سيما في الليل وللمباشرة، فكذلك الرجل، فإن من حقّ الزوجة أن يتهيأ لها، والزوجة تحبّ أن يكون الزوج شاباً دائماً حتّى ولو أصبح كهلاً، واشتعل الرأس شيباً، لكن في قرارة نفسها تودّ أن ترى زوجها شاباً أو بحكم الشباب.

والإسلام يراعي كلّ جوانب الحياة، كما يراعي الحالات النفسية عند الرجال والنساء، فحبذا للرجال أن يختضبوا بالسواد لتسكن الزوجة إليه.

٣٦- قال رسول الله ﷺ: اختضبوا بالحناء، فإنه يجلو البصر وينبت الشعر ويطيبّ الريح ويُسكن الزوجة.

٣٧- قال الصادق عليه السلام: الحنّاء يذهب السهك - ريح كريهة ممّن عرق - ويزيد في ماء الوجه، ويطيبّ النكحة، ويحسن الولد.

٣٨- عن ذروان المدائني، قال: دخلت على أبي الحسن الثاني - موسى بن جعفر عليه السلام - فإذا هو قد اختضب، فقلت: جعلت فداك، قد اختضبت؟ فقال: نعم، إنّ في الخضاب لأجراً، أما علمت أن التهيئة تزيد في عقّة النساء؟ أيسرّك أنّك إذا دخلت على أهلِكَ فرأيتها على مثل ما تراك عليه إذا لم تكن على تهيئة؟ قال: قلت: لا. قال: هو ذاك. قال: ولقد كان لسليمان عليه السلام ألف امرأة في قصر، ثلاثمائة مهيرة - أي حرّة، لأنّها تنكح بمهر، فهي فعيلة بمعنى مفعولة - وسبعمائة سرّيّة - أي مملوكة - وكان يطيف بهنّ في كلّ يوم وليلة.

والمراد بالتهيئة هنا: إصلاح الرجل بدنه من الوسخ وإزالة الشعر والتدهين

ووضع الطيب ونحو ذلك.

ثم الإمام عليه السلام يجعل المقابلة بين الزوج والزوجة، وهذا أصل من أصول الأسرة، فكما تحب أن تحترمك زوجتك كذلك الزوجة تحب أن تحترمها، إلا أن هناك قضايا تختص بالرجال، كما هناك قضايا تختص بالنساء، فطوبى لمن عرف قدر نفسه، ولم يتجاوز حدّه، ومن لم يقف عند حدّه فإنه سيلقي بنفسه في دوامة الفوضى والغوغائية، ومن ثم تنفك الأسرة ويلزمها الانحطاط والانعدام.

٣٩- عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فنظر في الشيب في لحيته، فقال النبي صلى الله عليه وآله: نور، من شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة، قال: فخضب الرجل بالحنّا، ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله، فلمّا رأى الخضاب قال: نور وإسلام. قال: فخضب الرجل بالسواد، فقال النبي صلى الله عليه وآله: نور وإسلام وإيمان ومحبة إلى نساءكم ورهبة في قلوب عدوكم.

٤٠- عن الحسن بن جهم، قال: دخلت على أبي الحسن عليه السلام وهو مختضب بسواد، فقلت: جعلت فداك، قد اختضبت بالسواد؟ قال: إن في الخضاب أجراً، إن الخضاب والتهيئة ممّا يزيد في عفة النساء، ولقد ترك النساء العفة لترك أزواجهن التهيئة لهن.

وهنا أمر عظيم، إن ترك التهيئة يعدّ النساء لترك العفة، ومفهوم ذلك أن التهيئة ممّا يزيد في عفة النساء، وعفة النساء ممّا يوجب السعادة والهناء. فمن سعادة المرء أن يكون له زوجة إذا غاب عنها عفت وأحصنت.

٤١- عن الإمام الصادق عليه السلام: الخضاب بالسواد مهابة للعدوّ وأنس للنساء.

٤٢- عن أبي جعفر عليه السلام، قال: النساء يحببن أن يرين الرجل في مثل ما يحبّ الرجل أن يرى فيه النساء من الزينة.



٢٢٢ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

فمن الإجماع بحق النساء أن يدخل الرجل بلباس عمله وبروائح العمل، والأمر والأدهى أن يدخل البيت ويدخل الفراش برائحة السيكار الكريهة، فإذا أرادت أن تقبله أو تنام عنده تتعذب من رائحته الكريهة، فما أقسى قلب الرجال الذين يشربون السجائر وأمثال ذلك ممّا فيه الروائح الكريهة، والطامة الكبرى يدخل البيت والفراش وفمه تفوح منه رائحة الخمر، فالويل له من عذاب الله وخزيه في الدنيا والآخرة.

٤٣ - عن أبي الحسن عليه السلام، قال: في الخضاب ثلاث خصال: هيبة في الحرب، ومحبة إلى النساء، ويزيد في الباه.

٤٤ - عن الحسن بن جهم، قال: قلت لعليّ بن موسى عليه السلام: خضبت؟ قال: نعم بالحناء والكتم، أما علمت أنّ في ذلك لأجراً، إنّها تحبّ أن ترى منك الذي تحبّ أن ترى منها (يعني المرأة في التهيئة)، ولقد خرجن نساء من العفاف إلى الفجور، ما أخرجهن إلا قلة تهيو أزواجهن.

وهذا يعني استحباب كثرة التهيو أولاً، كما أنّه لو كان في أيام الشيب يتهياً الزوج بالخضاب، فبالأولوية يتهياً في أيام شبابه بكلّ ما للكلمة التهيو من معنى ومصاديق، وكلّ شيء بحسب زمانه ومكانه كما هو واضح ومعلوم.

٤٥ - وفي الحديث الشريف: إنّها تشتهي منك الذي تشتهي منها. وحتى بيت المرأة، أي غرفتها، يختلف عن بيت الرجل وغرفته، فلا يزهده الرجل في غرفة زوجته، فإنّها تحبّ الرفاه والزينة.

٤٦ - عن الحسن بن الزيات، قال: دخلت على أبي الحسن عليه السلام وهو في بيت منجد، ثمّ عدت إليه من الغد وهو في بيت ليس فيه إلا حصر، فبرز وعليه قميص غليظ، فقال: البيت الذي رأيتم أمس ليس هو بيتي، إنّما هو بيت المرأة وكان أمس يومها.

ومرّة أخرى نعود إلى الخضاب الذي هو مثال من أمثلة التهيؤ للزوجة .  
 ٤٧ - عن أمير المؤمنين عليه السلام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : اختضبوا بالحنّاء ، فإنّه يزيد في شبابكم وجمالكم ونكاحكم وحسن وجوهكم ويباهي الله بكم الملائكة . والدرهم في سبيل الله بسبعمائة ، والدرهم في الخضاب بسبعة آلاف ، فإذا مات أحدكم وأدخل قبره دخل عليه ملكاه ، فإذا نظر إلى خضابه قال أحدهما لصاحبه : أخرج عنه ، فما لنا عليه من سبيل .

وبهذا الخبر الشريف نكشف أنّ الخضاب وأمثاله له فوائد دنيوية وأخروية ، ففي الدنيا ويتعلّق بالأسرة وخصوص الزوجة أنّه :

أولاً : يزيد في شبابكم ، وهذا ملاك يستفاد منه تحييد واستحباب كل شيء يزيد في القوّة والشباب ما دام لم يكن محرّماً ومكروهاً .

ثانياً : وجمالكم ، فإنّ الله جميل ويحبّ الجمال ، ويا حبّذا أن يكون الرجل جميلاً فيخضّب ليزيد في جماله ، ويحدّد لحيته وشاربه ليزيد في جماله ، لا أن يحلقها ، فإنّه لا يجوز ذلك . ويلبس الملابس النظيفة والمعطرّة ليزيد في جماله ، وهكذا المصاديق الأخرى .

ثالثاً : ويزيد في نكاحكم ، فإنّه المباشرة والنكاح من العوامل المهمّة في الحياة الزوجية ، فكم من زوجين متخاصمين أصلح الجماع بينهما . وزاد في الحبّ حبّاً ، وفي التفاهم تفاهماً ، فعلى الزوج أن يفعل ما يزيده قوّة في النكاح بشرط أن يراعي آدابه ومقدّماته كما مرّ ، حتّى تصل الزوجة إلى أوج لذّتها ، فتتسى هموم الدنيا ومتاعبها ومصاعب الحياة وآلامها ، ويزيد في نشاطها وحيويّتها لتواكب مسيرة الحياة بمعنويات عالية وقلب مسرور ومبتهج - واللييب من الإشارة يفهم - .

رابعاً : ويزيد في حسن وجوهكم ، فإنّ الوجه الحسن البشاش يزيد في

٢٢٤ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

نشاط الأسرة وابتهاجها، ومن ثمّ لازمه ظهور استعدادات أعضائها من القوّة إلى الفعل.

وأما من الآثار الأخرويّة :

أولاً: إنّ يباهي الله بكم الملائكة، فما أعظم هذا الأمر الذي يستوجب أنّ الله يتباهى به وذلك على الملائكة الذين هم عباد مكرمون.

ثانياً: الأجر والثواب، ويزيد على الصدقة، وهذا يعني أنّه أفضل من الصدقة، فإنّها الدرهم بسبعمئة في الآية الشريفة، وهذا الخضاب الذي هو من مصاديق التهيؤ للزوجة ولمارب أخرى كلّ درهم يصرف فيه يعادل سبعة آلاف درهم في سبيل الله.

ثالثاً: وفي عالم القبر والبرزخ يأتيه الملكان - منكر ونكير - ليستنطقانه عقائده وأعماله، ولكن بهذا الخضاب الذي يدلّ على اعتقاده وآدابه وإسلامه يتساهلان معه، بل يخرجان فما لهما عليه من سبيل، فإنّ الظاهر يدلّ على الباطن، ولمثل هذا نقول: من مات وهو حليق اللحية فإنّه يحاسب أكثر من غيره ويعاقب أكثر من غيره.

فالتزيّن والتجمل مطلوب من الرجال كما هو مطلوب من النساء في مكارم الأخلاق :

عن النبي ﷺ كان ينظر في المرأة ويرجل جمته - مجتمع شعر الناصية - ويتمشّط، وربما نظر في الماء وسوى جمته فيه. ولقد كان يتجمل لأصحابه، فضلاً عن تجمله لأهله - وهذا يعني أنّ التجمل للأهل مفروغ عنه - وقال: إنّ الله يحبّ من عبده إذا خرج إلى إخوانه أن يتهيأ لهم ويتجمل<sup>(١)</sup>.

(١) مكارم الأخلاق : ٣٤.

## حقوق الزوج

وأما حقّ الزوج على الزوجة :

### ١- الإطاعة الخالصة :

لا بدّ أن تطيع زوجها خالصاً ما لم يطلب منها الحرام، كترك الصلاة الواجبة أو شرب الخمر وما شابه ذلك. وآية الخضوع والإطاعة هو السجود، ولهذا لا يصحّ السجود لغير الله سبحانه ولكن ورد في الحديث :

١- عن الصادق عليه السلام ، قال : إنّ قوماً أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا : يا رسول الله ، إنّنا رأينا أناساً يسجد بعضهم لبعض ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : لو كنت أمر أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها .

٢- وقال صلى الله عليه وآله : لو أنّ امرأة وضعت إحدى يديها طيخة - كناية عن غاية الفداء والتضحية - والآخر مشوية ، ما أدّت حقّ زوجها ، ولو أنّها عصت مع ذلك زوجها طرفة عين أقيت في الدرك الأسفل من النار ، إلّا أن تتوب وترجع .

٣- وقال صلى الله عليه وآله : حقّ الزوج على الزوجة : ... أن تطيعه ولا تعصيه ...

٤- وقالت خولة - وخولة جماعة من الصحابيات تسمى بهذا الاسم ، ولعلّ المراد بها هنا هي خولة بنت عاصم زوجة هلال بن أمية التي لاعنها ففرّق النبي بينهما - ، قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله : إنّني أتعطر لزوجي كأني عروس أرفّ إليه - وهذا يدلّ أنّ على المرأة أن تتعطر دائماً لزوجها لا سيّما في الليل - فآتية في لحافه فيولّي عني ، ثمّ آتية من قبل وجهه فيولّي عني ، فأراه قد أبغضني يا رسول الله ؟

٢٢٦ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

فماذا تأمرني؟ قال: اتقي الله وأطيعي زوجك...

٥- عن عليّ، عن الإمام الكاظم عليه السلام، قال: سألته عن المرأة العاصية

لزوجها هل لها صلاة وما حالها؟ قال: لا تزال عاصية حتى يرضى عنها<sup>(١)</sup>.

٦- عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ملعونة ملعونة امرأة تؤذي زوجها وتغمّه،

وسعيدة سعيدة امرأة تكرم زوجها ولا تؤذيه، وتطيعه في جميع أحواله<sup>(٢)</sup>.

٧- الكافي بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله يوم النحر

- أي يوم عيد الأضحى - إلى ظهر المدينة على جمل عاري الجسم فمرّ

بالنساء فوقف عليهن، ثم قال: يا معاشر النساء تصدّقن وأطعن أزواجكن فإنّ

أكثركنّ في النار، فلما سمعن ذلك بكين، ثمّ قامت إليه امرأة منهنّ، فقالت:

يا رسول الله في النار مع الكفّار؟! والله ما نحن بكفّار فنكون من أهل النار، فقال

لها رسول الله صلى الله عليه وآله: إنكنّ كافرات بحقّ أزواجكن<sup>(٣)</sup>.

والكفر يأتي بمعنيين: فتارةً كفر في العقيدة يوجب النجاسة ودخول النار،

وأخرى كفر في العمل كتارك الصلاة كافر، وتارك الحجّ كافر، والمرأة التي لا تطيع

زوجها كافرة أي بكفر عملي لا كفر عقيدة.

٨- الفقيه بسنده عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: خطب

رسول الله صلى الله عليه وآله النساء فقال: يا معاشر النساء تصدّقن ولو من حليتنكن ولو بتمرة

ولو بشقّ تمرة، فإنّ أكثركنّ حطب جهنّم، إنكنّ تكثرن اللعن وتكفّرن العشير - أي

(١) البحار ١٠٠: ٢٤٤.

(٢) البحار ١٠٠: ٢٥٣.

(٣) الوافي ١٢: ٧٨٠.

الزوج - فقالت امرأة من بني سليم لها عقل - أي ذكية وفاهمة وتعقل الأمور جيداً - يا رسول الله أليس نحن الأمهات الحاملات المرضعات، أليس منّا البنات القيمات والأخوات المشفقات، فرق لها رسول الله ﷺ فقال : حاملات والذات مرضعات رحيمات، لولا ما يأتين إلى بعولتهن ما دخلت مصلية منهن النار.

## ٢- الإذن في التصرف وفي الأعمال :

من لوازم الإطاعة أن تستأذن في تصرفاتها وأعمالها حتى العبادية، فيما لو كانت مستحبة، فإن رضا الله في رضا الزوج، فإن لم يرضَ بعمل مستحبٍ يحرم عليها ذلك.

٩- روى الحسن بن محبوب، عن مالك بن عطية، عن محمد بن مسلم، عن الباقر عليه السلام، قال : جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله، ما حق الزوج على المرأة؟ فقال لها : أن تطيعه ولا تعصيه، ولا تتصدق من بيتها بشيء إلا بإذنه، ولا تصوم تطوعاً إلا بإذنه، ولا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب - أي الراحلة وهذا كناية عن شدة استجابتها لطلب زوجها المقاربة والعمل الجنسي - ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه، فإن خرجت بغير إذنه لعنتها ملائكة السماء وملائكة الأرض وملائكة الغضب وملائكة الرحمة حتى ترجع إلى بيتها، فقالت : يا رسول الله، من أعظم الناس حقاً على الرجل؟ قال : والداه، قالت : فمن أعظم الناس حقاً على المرأة؟ قال : زوجها، وقالت : فما لي عليه من الحق مثل ما له علي؟ قال : لا، ولا من كل مائة واحدة. فقالت : والذي بعثك بالحق لا يملك رقبتني رجل أبداً. وهذا كناية عن عدم طاقتها لأداء حقوق الزوج، فرأت أن تترك ذلك، ولكن هذه الحقوق قابلة للإسقاط، فلو نوت المرأة المخلصة والمطيعية أن تطيع زوجها على

٢٢٨ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

كلّ حال ما دام في الحلال فإنّها توفّق لذلك، وإذا صدر ما يخالف ذلك فسرعان ما ترجع وتعتذر، والزوج يدرك الموقف حينئذٍ ويشكر الله على مثل هذه الزوجة التي تعدّ من نعم الله وآلائه العظيمة عليه.

١٠ - كما ورد في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾<sup>(١)</sup>، عن أمير المؤمنين عليه السلام<sup>(٢)</sup>: الحسنه في الدنيا المرأه الصالحة المطيعة، وعذاب النار المرأه سيئة الخلق.

١١ - عن الصادق عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أيما امرأة خرجت من بيتها بغير إذن زوجها فلا نفقة لها حتّى ترجع - أي تكون المرأه ناشزاً حينئذٍ ولا يجب على الزوج نفقتها كما أفتى بذلك الفقهاء -.

١٢ - وفي رواية عن أنس، قال: خرج رجل غازياً في سبيل الله، وأوصى امرأته أن لا تنزل من فوق بيته إلى حين يقدم، وكان والدها في الأسفل فاشتكى - أي مرض والدها وهو في الحجرة التحتانية، فبين البنت والوالد سقف كما هو الظاهر - فأرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله تخبره وتستأمره - أي ماذا يأمرها النبي - فأرسل إليها أن اتقى الله وأطيعي زوجك.

١٣ - وعنه صلى الله عليه وآله، قال: إن رجلاً من الأنصار على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله خرج في بعض حوائجه وعهد إلى امرأته عهداً أن لا تخرج من بيتها حتّى يقدم، قال: وإن أباه مرض، فبعثت المرأه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: إن زوجي خرج وعهد إليّ أن لا أخرج من بيتي حتّى يقدم، وإنّ أبي مرض أفتأمرني أن أعوده؟

(١) البقرة: ٢٠١.

(٢) تفسير شبرّ في ذيل الآية الشريفة.

فقال ﷺ: لا، اجلسي في بيتك وأطيعي زوجك. قال: فمات، فبعثت إليه فقالت: يا رسول الله، إن أبي قد مات فتأمرني أن أحضره؟ فقال ﷺ: لا، اجلسي في بيتك وأطيعي زوجك، قال: فدفن الرجل فبعث إليها رسول الله ﷺ: إن الله تبارك وتعالى قد غفر لك ولأبيك بطاعتك لزوجك.

١٤ - في حديث، سألت خولة رسول الله ﷺ: فما حقّه - الزوج - عليّ؟ قال: حقّه عليك أن لا تخرجي من بيته إلا بإذنه، ولا تصومي تطوعاً إلا بإذنه، ولا تتصدّقي من بيته إلا بإذنه، وإن دعاك على ظهر قتب تجيبه.

ونهى النبي ﷺ أن تخرج المرأة من بيتها بغير إذن زوجها، فإن خرجت لعنها كلّ ملك في السماء وكلّ شيء تمرّ عليه من الجنّ والإنس حتّى ترجع إلى بيتها.

ونهى أن تتزيّن لغير زوجها، فإن فعلت كان حقاً على الله عزّ وجلّ أن يحرقها بالنار.

ونهى أن تتكلّم المرأة عند غير زوجها وغير ذي محرم منها أكثر من خمس كلمات ممّا لا بدّ لها منه، ومعنى النهي هنا الكراهة، فالنهي تنزيهي لا تحريمي كما هو المشهور عند الفقهاء، فالإسلام يكره لهذه المرأة ذلك.

١٥ - قال رسول الله: أربعة لا تقبل لهم صلاة: ... والمرأة تخرج من بيت زوجها بغير إذنه.

١٦ - سأل عليّ بن جعفر أخاه موسى بن جعفر عليه السلام: عن المرأة لها أن تخرج من بيت زوجها بغير إذنه. قال: لا. وسأله عن المرأة هل لها أن تعطي من بيت زوجها بغير إذنه؟ قال: لا إلا أن يحلّها.

فالمراة لا يصحّ منها التصرف بما لزوجها فيما لا يريد، ولكنّها إذا علمت



٢٣٠ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة  
عدم الممانعة منه وأنه لا يمنع الخير فيجوز لها أن تتصدق وأن تتصرف على ضوء  
ذلك وبإذن الفحوى.

### ٣- الرفق بالزوج :

على المرأة أن تتعامل مع زوجها برفق فلا تحمل عليه ما لا يقدر عليه،  
وأكثر من طاقته.

١٧- قال النبي ﷺ: أيّ امرأة لم ترفق بزوجها وحملته على ما لا يقدر  
عليه وما لا يطيق، لم تقبل منها حسنة، وتلقى الله وهو عليها غضبان - نعوذ بالله  
من غضبه وسخطه - .

وإذا غضب الله على شخص يعني انتهت حياته، وأصبحت دنياه وآخرفته  
جحيماً وسعيراً، وأنه خسر الدنيا، وله عذاب في الآخرة أليم، وذلك هو الخسران  
المبين.

### ٤- الاهتمام بداخل الدار ولوازم البيت :

فإنّ من حقّ الزوج على الزوجة أن تهَيئ له الدار على أحسن ما يرام من  
نظافة البيت والطبخ الجيّد والاستقبال والترحيب والابتسام لرفع التعب عن كاهل  
الزوج، بل وحتى تغسل يديه ورجله عند الرجوع من العمل أو الإدارة، ثمّ  
لا تمنعه من نفسها إذا رغب إليها إلا إذا كانت ذات علّة كأن تكون في أيام الحيض،  
بل في هذه الحالة هناك طرق شرعيّة لإفراغ شهوته كالتفخيد.

١٨- عن النبي ﷺ، قال: حقّ الرجل على المرأة إنارة السراج وإصلاح  
الطعام، وأن تستقبله عند باب بيتها فترحبّ به، وأن تقدّم إليه الطشت والمنديل

- كما كان من وسائل الزمان القديم، ولكلّ زمان وسائله وآلاته وأدبه الخاصّ كما هو واضح، فإنّ المقصود بيان بعض الأمثلة في الروايات الشريفة لا خصوص المورد - وأن توضحه - أي تغسل يده، فإنّ الوضوء لغةً بمعنى الغسل - وأن لا تمنعه نفسها إلاّ من علة .

#### ٥ - الاهتمام بأداء الحقوق :

المراة الصالحة والمؤمنة بالله واليوم الآخر هي التي تفكر دائماً أن تعمل بتكليفها ووظيفتها الشرعيّة من أداء الحقوق الإلهيّة وحقوق الزوج والعائلة، فلا تنتظر من بعها أن يعمل بوظيفته الأسروية، وما يجب على ربّ البيت من الحقوق، فلا تريد المبادلة بالمثل، بل تفكر أن تؤدّي حقوق الزوج على كلّ حال، لأنّها تعلم أنّها بذلك تسعد وتفوز في الدنيا والآخرة، سواء عمل الزوج بوظائفه أو لم يعمل، فالهدف هو أداء الوظيفة والتكليف، وهذا من معالي الهمم وأسنّى الأمور.

١٩ - قال النبي ﷺ : لا تؤدّي المرأة حقّ الله عزّ وجلّ حتّى تؤدّي حقّ

زوجها.

٢٠ - وقال الإمام الصادق عليه السلام : ولا شفيع للمرأة أنجح عند ربّها من رضا

زوجها.

#### ٦ - الجماع :

عندما نرجع إلى الآيات والروايات الشريفة نجد التأكيد الخاصّ على مسألة المقاربة وآدابها، وأنّ الجماع من الأركان الأساسية في الحياة الزوجية

٢٣٢ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

لما عند الله من الحكمة في هذا الباب، من بقاء النوع الإنساني، وصفاء محيط العائلة، وإشباع الغريزة الجنسية، ولما رب أخرى.

وكأنما الجانب الرجولي قد لوحظ أكثر من الجانب النسوي في هذا المجال، ربما لأن الرجل هو صاحب النطفة، وأنه أكثر انفتاحاً من المرأة لشدة حيائها، فالرجل يطالب بالمقاربة مطلقاً في كل الحالات والأزمان، إلا ما خرج بالدليل كأيام الحيض، بل وحتى أيام الحيض يجوز له الاستمتاع ما دون الفرج، وإفراغ شهوته بأي نحو كان دون الإدخال في القبل.

وعندما نرى لسان الروايات في هذا الباب يتعجب الإنسان من لزوم سرعة استجابة الزوجة لطلب الزوج، ولا يجوز لها أن تمتنع حتى ولو كانت على جمل وفي الهودج، أو في عصرنا في السيارة أو القطار أو أي مكان آخر يؤمن رؤية الآخرين.

فلا يصح من الزوجة أن تسوّف عندما يطلب الزوج منها الجماع، حتى تنتهي شهوته، بل الشهوة ربما تأتي لدقائق فيميل الزوج إلى المجامعة، فعلى الزوجة أن تهتئ الظروف، بأي حيلة وطريقة.

٢١- عن الصادق عليه السلام، قال: إن امرأة أتت رسول الله ﷺ لبعض الحاجة، فقال لها: لعلك من المسوّفات - وكأنما النبي هو يتعرّض بها ليعلمها ما يجب عليها - فقالت: يا رسول الله، وما المسوّفات؟ فقال: المرأة يدعوها زوجها لبعض الحاجة فلا تزال تسوّفه حتى تنقضي حاجة زوجها فينام، فتلك لا تزال الملائكة تلعنها حتى يستيقظ زوجها.

التسوييف من (سوف) فعندما يطالب الرجل تقول زوجته سوف أفعل فتؤخر حاجته (سوف للاستقبال البعيد والسين للاستقبال القريب كما في اللغة

العريّة) والتسوية كناية عن التأخير.

٢٢- عن رسول الله ﷺ في حديث: من حقّ الزوج... وإن دعاك على قتب

- ظهر الجمل - تجيبه.

٢٣- ومن وظيفة المرأة في كلّ ليلة يحلّ فيها المقاربة أن تفعل بما سنّ لها

النبي ﷺ في قوله: لا يحلّ لامرأة أن تنام حتّى تعرض نفسها على زوجها، تخلع ثيابها، وتدخل معه في لحافه فتلرزق جلدها بجلده، فإذا فعلت ذلك فقد عرضت نفسها.

ومعلوم أنّ إصاق الجلد والجسد بالزوج يولد الحرارة، ومن ثمّ الشهوة

والرغبة في الرجل، وهذا يعني أنّ المرأة هي التي تتحرّش بزوجها، لينال منها ما ينال الرجال من النساء، كما تفعله الحمامة، فكيف إذا طلب الزوج ذلك، فهل يحقّ لها أن تمنع، بل تسوّف ذلك حتّى ينام؟!

هذا بالنسبة إلى المرأة، وأمّا الرجل فقد ورد في الحديث الشريف: كثرة

الطروق من سنن الأنبياء، وهذا يعني استحباب الطروقة الكثيرة والمتكرّرة في الظاهر، إلّا أنّه ورد أيضاً: المؤمن ميّت شهوته، وجمعاً بين الخبرين نقول: إنّهُ إنّما

يطرق لا لنفسه، بل ليدخل السرور على زوجته وليطفئ شهوتها، فإنّها أكثر من الرجل بكثير كما ورد، وعن رسول الله ﷺ: الجماع من مصاديق الصدقة، حتّى

يتعجّب السامع من ذلك فيقول له رسول الله: «أما تدخل عليها السرور؟»

فاقترب المؤمن من زوجته يكون حينئذٍ لله سبحانه، وإلّا فهو ميّت الشهوة ومشغول القلب بما هو أهمّ، وإن كان يومه يقسّمه إلى ثلاث أقسام: ثمان ساعات

للنوم، وثمان ساعات للمعاش، وثمان ساعات للعبادة.

وفي حديث: يخلو مع أهله في الحلال...

٢٣٤ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

٢٤- ثم ورد عن الإمام الرضا عليه السلام : لا تجامع إلا من سبق (أي مع اشتداد الشهوة وشدة الميل إلى الجماع).

ثم من محسنات المرأة أن تكون ذات غلظة أي كثيرة الشهوة، ويظهر من الروايات الشريفة أن للمرأة أضعاف من الشهوة، فجعل استجابة الطلب في كل وقت وحال معقول ومشروع للمرأة، لأنها في طبيعتها كأنما هي مستعدة للمباشرة والمقاربة دائماً، فماذا يعني أن للمرأة تسعة وتسعين شهوة وللرجل شهوة واحدة؟ وإليك جملة من الأحاديث الشريفة في هذا الباب :

٢٥- في الكافي : قال أمير المؤمنين عليه السلام : خلق الله الشهوة عشرة أجزاء، فجعل تسعة أجزاء في النساء وجزءاً واحداً في الرجال، ولولا ما جعل الله فيهن من الحياء على قدر أجزاء الشهوة لكان لكل رجل تسع نسوة متعلقات به .

٢٦- وأيضاً قال أبو عبد الله عليه السلام : إن الله جعل للمرأة صبر عشرة رجال، فإذا هاجت لها كانت لها قوة شهوة عشرة رجال .

٢٧- عن ضريس عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : إن النساء أعطين بضع اثني عشر وصبر اثني عشر. (البضع) بالضم الجماع .

٢٨- عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : فضّلت المرأة على الرجل بتسعة وتسعين من اللذة ولكن الله ألقى عليهم الحياء .

٢٩- عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله جلّ وعزّ جعل للمرأة أن تصبر صبر عشرة رجال، فإذا حملت - أي الشهوة - زادها قوة عشرة رجال .

وقد ورد تخصيص لهذه الروايات الشريفة :

٣٠- الفقيه بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن الله تعالى خلق الشهوة عشرة أجزاء تسعة في الرجال وواحدة في النساء وذلك لبني هاشم وشيعتهم، وفي نساء

بني أمية وشيعتهم الشهوة عشرة أجزاء، في النساء تسعة وفي الرجال واحدة.  
 ٣١- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله تعالى نزع الشهوة من رجال بني أمية وجعلها في نسائهم وكذلك فعل بشيعتهم، وإن الله تعالى نزع الشهوة من نساء بني هاشم وجعلها في رجالهم وكذلك فعل بشيعتهم.

#### ٧- التزيين :

من حقّ الزوج على الزوجة أن تتزيّن له، تارةً بزينة دائمية ومستمرّة كالخضاب بالحنّا، وأخرى بزينة الليل، وكلّ بلد كما في كلّ زمان أعرافه وآدابه الخاصة، فالمقصود هو التزيّن وما يصدق عليه عنوان الزينة، وأمّا المصاديق فهي تابعة للأعراف والآداب الأسرورية تارةً والمحلية أخرى، والقبائلية ثالثةً، وهكذا. وفي صدر الإسلام كانت الزينة للمرأة أن تخضب يدها، وهذا الاستحباب مستمرّ إلى يوم القيامة، فإنّ ما جاء في الإسلام يتلاءم مع الفطرة الإنسانية، فما دامت الفطرة السليمة والعقل السليم، فهناك الإسلام وأحكامه وديناته، فالإسلام يتماشى مع كلّ عصر وفي كلّ مصر، فهو دين أبدي أراد الله للناس جميعاً جيلاً بعد جيل إلى يوم القيامة :

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ <sup>(١)</sup>.  
 فعلى المرأة أن تتزيّن لزوجها.

٣٢- عن جعفر بن محمّد، عن آبائه عليهم السلام، قال: رخص رسول الله صلى الله عليه وآله للمرأة أن تخضب رأسها بالسواد، قال: وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله النساء بالخضاب

٢٣٦ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

- ذات البعل وغير ذات البعل - أمّا ذات البعل - أي من لها زوج - فتتزيّن لزوجها، وأمّا غير ذات البعل فلا تشبه يدها يد الرجال.

٣٣ - عن محمّد بن مسلم، عن أحدهما - الباقر أو الصادق عليه السلام - قال: لا ينبغي للمرأة أن تدع يدها من الخضاب، ولو تمسحها بالحناء مسحاً، ولو كانت مسنة.

وهذا يعني حتّى المرأة العجوز يستحبّ لها أن تتخضب بالحناء.

٣٤ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الحنّاء سيّد ريحان أهل الجنّة، النائم في الحنّاء كالمتشحط في سبيل الله.

٣٥ - قال عليه السلام: إني لأبغض من النساء السلّاء والمرهءاء، فالسلّاء التي لا تختضب، والمرهءاء التي لا تكتحل. وهناك مصاديق أخرى للزينة:

٣٦ - عن أبي بصير، قال: سألته عن قصّ النواصي - تريد به المرأة الزينة لزوجها - وعن الحفّ - إصلاح الشعر وحفّت المرأة وجهها من الشعر أن زينتته - والقرامل - جمع قرمل كزبرج: ما تشدّ المرأة على رأسها من الصوف والخيوط وما شابه - والصوف وما أشبه ذلك؟ قال: لا بأس بذلك كلّه، قال محمّد: قال يونس: يعني لا بأس بالقرامل إذا كانت من صوف، وأمّا الشعر فلا يوصل الشعر بالشعر لأنّ الشعر ميّت.

ومن المصاديق لبس الذهب والفضّة والتزيّن بالحليّ والأسورة:

٣٧ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قلّدوا النساء ولو بسير.

٣٨ - عن محمّد بن مسلم، عن أحدهما عليه السلام، وسئل عن حليّ الذهب للنساء؟ فقال: ليس به بأس ولا ينبغي للمرأة أن تعطل نفسها ولو أن تعلّق في

رقتها قلادة، ولا ينبغي لها أن تدع يدها من الخضاب ولو أن تمسحها بالحنّا مسحاً ولو كانت مستّة.

ومن المصاديق الثياب الجميلة :

٣٩ - عن أبي عبد الله، عن أبيه، عن عليّ عليه السلام، قال : الدهن يظهر الغنى، والثياب تظهر الجمال، وحسن الملكة يكبت الأعداء. وهذا عام للرجال والنساء.

قال الله تعالى :

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ <sup>(١)</sup>.

فألبس وأتجمل، فإنّ الله جميل يحبّ الجمال وليكن من حلال.

والموسر لا يكون مسرفاً في اتّخاذ الثياب الكثيرة، فإنّ الله يقول :

﴿ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ ﴾ <sup>(٢)</sup>.

أي على قدر وسعه.

وممّا يدلّ على أنّ الزينة بحسب الزمان والمكان، ما جاء في الخبر

الشريف :

٤٠ - عن سفيان الثوري، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أنت تروي أنّ عليّ

بن أبي طالب عليه السلام كان يلبس الخشن وأنت تلبس القوي ( ثياب بيض ينسب إلى

قوهستان أو قوها كورة بين نيسابور وهرات ) - أي من الألبسة الخارجية آنذاك -

والمروي قال : ويحك إنّ عليّ بن أبي طالب كان في زمان ضيق، فإذا اتّسع

(١) الأعراف : ٣٢.

(٢) الطلاق : ٧.



٢٣٨ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

الزمان فأبرار الزمان أولى به .

٤١ - عن أمير المؤمنين عليه السلام ، قال : ليتزين أحدكم لأخيه إذا أتاه كما يتزين للغريب الذي يحب أن يراه في أحسن الهيئة .

وبالملاك نقول : بطريق أولى يتزين الزوج لزوجته ، وأولى من هذا أن تتزين المرأة لزوجها .

٤٢ - عن إسحاق بن عمار ، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : يكون للمؤمن عشرة أقمصه ؟ قال : نعم . قلت : عشرين ؟ قال : نعم ، وليس ذلك من السرف ، إنما السرف أن يجعل ثوب صونك ثوب بذلتك .

ثياب الصون : التي تلبس للتجمل وللضيافة والحفلات وما شابه ذلك ، والبذلة : الثوب الرث الخلق و ثوب الخدمة والعمل وما يلبس كل يوم . يقال : بذل الثوب وابتذله أي لبسه في أوقات الخدمة والامتهان والعمل . فالسرف أن تلبس ثوب صونك في المكان القذر .

٤٣ - عن أبي عبد الله عليه السلام : أدنى الإسراف هراقة فضل الإناء وابتذال ثوب الصون وإلقاء النوى .

ثم للباس ولبسه آداب خاصة كما في كتب السنن ومكارم الأخلاق ، كما للنساء ألبسة وكذلك للرجال ، ولا يتشبه أحدهما بالآخر .

٤٤ - عن أبي عبد الله ، عن آبائه عليهم السلام ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله يزجر الرجل يتشبه بالنساء ، وينهى المرأة أن تتشبه بالرجال في لباسها .

وعلى الزوج أن يوسع المنزل لعائلته ، فإنه من السعادة الدنيوية كما ورد في روايات كثيرة .

٤٥ - عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : من السعادة سعة المنزل .

٤٦- وقال عليه السلام : للمؤمن راحة في سعة المنزل .

٤٧- وسئل أبو الحسن عليه السلام عن أفضل عيش في الدنيا ؟ قال : سعة المنزل وكثرة المحبين .

٤٨- قال النبي صلى الله عليه وآله : من سعادة المرء المرأة الصالحة والمسكن الواسع والمركب البهي والولد الصالح .

٤٩- وقال صلى الله عليه وآله : أربع من السعادة وأربع من الشقاوة، فالأربع التي من السعادة : المرأة الصالحة والمسكن الواسع والجار الصالح والمركب البهي، والأربع التي من الشقاوة : الجار السوء والمرأة السوء والمسكن الضيق والمركب السوء .

ولا يخفى أن الدار لها حدود في الإسلام، ولا بد أن يكون بالكفاف .

٥٠- فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام : كلّ بناء ليس بكفاف فهو وبال على صاحبه .

فالزينة بأيّ نحوٍ كان من الزوجة لزوجها حسن على كلّ حال، والويل كلّ الويل لامرأة تتزين لغير زوجها، أو تخرج من دارها متزينة من دون أن تغسل ذلك، وما أقبح بالرجل الذي تمشي معه زوجته متزينة بأنواع الزينة من صبغ الشعر وكحل العيون واحمرار الوجه والشفاه والعمود، فهذا هو الديوث حقاً، وإنّ فعله كفعل الخنزير الذي تعتمد عليه زوجته ليفعل بها خنزيراً آخر، ولمثل هذا يحرم أكل لحم الخنزير، فإنّ من يأكله يسلب منه الغيرة ويكون ديوثاً .

٥١- قال رسول الله صلى الله عليه وآله : وأيّما رجل تتزين امرأته وتخرج من باب دارها فهو ديوث، ولا يَأْتَمُّ من يسميه ديوثاً، والمرأة إذا خرجت من باب دارها متعطّرة والزوج بذلك راضٍ، يُبْنَى لزوجها بكلّ قدم بيت في النار .

فالتزین إنّما يحلّ ويمدح إذا كان للزوج، فإنّ الإنسان بطبيعته يحبّ

٢٤٠ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

الجمال كما يحبّ النظافة والزينة، وربّ رجل يفارق زوجته لوساقتها  
واغبرارها، أو أن تكون خلقة الوجه من غير عجزٍ وكبرٍ كما ورد في الخبر :  
٥٢ - عن أمير المؤمنين عليه السلام، أن النبي صلى الله عليه وآله قال : مرّ أخي عيسى بمدينة  
وفيها رجل وامرأة يتصايحان، فقال : ما شأنكما ؟ قال : يا نبيّ الله، هذه امرأتي  
وليس بها بأس، صالحة، ولكنّي أحبّ فراقها. قال : فأخبرني على كلّ حال  
ما شأنها ؟ قال : هي خلقة الوجه من غير كبر، قال لها : يا امرأة، أتحيين أن يعود  
ماء وجهك طرياً ؟ قالت : نعم. قال لها : إذا أكلتِ فإياك أن تشبعي، لأنّ الطعام إذا  
تكاثر على الصدر فزاد في القدر، ذهب ماء الوجه، ففعلت ذلك فعاود وجهها  
طرياً<sup>(١)</sup>.

#### ٨ - عفة الكلام :

العفة من كلّ شخص حسن، ومن المرأة أحسن، ولا سيّما عفة الكلام،  
فيقبح بالمرأة أن تكون بذيئة اللسان، تفحش في قولها وتؤذي زوجها بلسانها  
وبكلماتها الجارحة، وكذلك الرجل، فما أجمل الحياة التي تسودها العفة والسداد  
والمحبّة والرشاد.

٥٣ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أيما امرأة آذت زوجها بلسانها لم يقبل الله منها  
صرفاً ولا عدلاً ولا حسنة من عملها حتى ترضيه، وإن صامت نهارها وقامت  
ليلها واعتقت الرقاب وحملت على جياذ الخيل في سبيل الله، وكانت أوّل من يرد  
النار، وكذلك الرجل إذا كان لها ظالماً<sup>(٢)</sup>.

(١) البحار ١٠٠ : ٢٥٩، عن علل الشرائع : ٤٩٧.

(٢) البحار ١٠٠ : ٢٤٤.

## الرجال قوامون

لا شك ولا ريب أنه لا فرق بين الرجل والمرأة في أصل الخلقة، فهما خلقا من نفس واحدة، كما في قوله تعالى :

﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾<sup>(١)</sup>.

كما لا فرق بينهما في أصل التربية والتعليم والعلم والتقوى والسير والسلوك إلى الله سبحانه، إلا أنه لا اختلاف خلقهما البدني والفسولوجي، وكذلك الاختلاف في العواطف والتعلّقات، جعل لكلّ منهما طبائع خاصة ورتّب عليها أحكاماً عرفية وشرعية، فجعل إمامة الجماعة والقضاء والمرجعية وما شابه ذلك للرجل، فكان هو القوام على المرأة، وبهذا الاعتبار فضّل الرجال على النساء، وهذا لا يعني التفضيل الذاتي وفي كلّ الأحوال، بل في بعض المسؤوليات الاجتماعية الثقيلة التي لا تتلائم مع عاطفية المرأة ولينها ونعومتها<sup>(٢)</sup>، وإلا فإنه إذا أغلق عليها

(١) الأعراف : ١٨٩.

(٢) لقد ركّزت على هذا المعنى تكراراً - في طيّ هذا الكتاب وأكرّر في الهامش لتسريح الفكرة في ذهن القارئ الكريم - بأن الإسلام دين الله التويم لم يفرّق بين الرجل والمرأة في أصل الخلقة والإنسانية، فخلقهما من نفس واحدة وألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من الرجل أو المرأة - زكّاهما، فلا فرق بينهما في مادتهما وعنصرهما، فإن البشرية جمعاء تنتسب إلى أبوين آدم وحواء عليهما السلام، فلا تفاضل في الأنساب (الناس من جهة التمثال أكفاء أبوهم آدم والأمّ حواء) فلا فضل لأحد على الآخر إلا بالتقوى ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ ﴾ من الرجال والنساء ﴿ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات : ١٣)، فلا يضيع عمل عامل ﴿ إِنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ

عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَغْضِكُمْ مِنْ بَغْضٍ ﴿ (آل عمران : ١٩٥) ، ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿ (المدثر : ٣٨) ، فالعمدة في الحياة البشرية هو الفضيلة التي يرتقي بها كل من الناس - الرجل أو المرأة - فيصل إلى كماله وهو مقام الفناء في الله سبحانه .

ثم سبحانه ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿ (الأعلى : ٢-٣) ، ﴿ الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ حَلْفَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿ (ط : ٥) ، جعل وظائف عامة يشترك فيها الرجال والنساء ، كما أتاح للمرأة الإسهام في الوظائف الاجتماعية أيضاً إلا أنه في نطاق خاص ينتهي من حيث تصنيفها وتوزيعها إلى طبيعة كل من الرجل والمرأة ، وهذا يشهد به الفطرة الإنسانية ، فعاشت المرأة طوال التاريخ الإسلامي في ظلّ الشريعة الإسلامية بكلّ عزّ واقتدار إلى جنب الرجل تحسّ بالسعادة في حياتها ، هانئة في عيشها ، فهي والرجل في رحاب الإسلام وظلّه الوارف على حدّ سواء . وإنما فرّق بينهما في بعض الوظائف الاجتماعية والتكاليف الدينية باعتبار أحد أمرين ، بعد الاعتقاد أنّ الكمال المطلق هو الله سبحانه وحده لا شريك له ، وما سواه فيه النقص ، وكلّ من الرجل والمرأة فيهما جانب كمال وجانب نقص فأحدهما يكمل الآخر ، من أجل تربية الأسرة وبقاء النظام والنوع الإنساني . فالمرأة تساوي الرجل في إنسانيته وفي حملهما المثل العليا والصفات الإنسانية إلا أنّ لكلّ واحد خواصّ نفسية وجسدية ، فالرجل يمثّل الخشونة والمرأة تمثّل النعومة ، ومن خواصّ المرأة النفسية والروحية غزارة العاطفة لا سيما عاطفة الأمومة التي تجعلها تتحمّل مشاقّ الولادة وصعاب التربية الأولى من ملازمة السرير والمهد وتغذية الطفل وتنظيفه والسهر معه ، ولولا هذه العاطفة لما استطاعت أمّ أن تتحمّل وليدها ، ولما حضى طفل برعاية الدفء والحنان .

« وبتريادة حجم العاطفة عند المرأة تصبح فعاليات المرأة العاطفية أكثر من فعاليات العقلية ، بل إنّ زيادة الفعاليات العاطفية تنقص من الفعاليات العقلية حيث تتناسب معها تناسباً عكسياً .

باب النبوة والإمامة، فقد فتح الله لها أبواب الولاية العظمى، فإنه بإمكانها أن تكون وليّة من أولياء الله، صاحبة كرامات ومقامات شامخة وسامية، كما فتح لها أبواب الإيمان والعمل الصالح والعلم والمعرفة والتقوى والأخلاق كلّها، حتّى تكون مثلاً في كلّ هذه المجالات، ومن هذا المنطلق يضرب الله في كتابه الكريم للمؤمنين الرجال مثلاً، امرأة فرعون آسية بنت مزاحم، وهذا يدلّ على عظمة المرأة ومقامها الشامخ، كما أنّ القرآن عندما يذكر التائبين يذكر التائبات وهكذا

---

كما أنّ نفس المرأة تتأثر بالحالات الأخرى كالحيض والنفاس والاستحاضة، وهي في مثل تلك الحالات أعني الحمل والنفاس والحيض والاستحاضة تكون خاضعة للتأثر بسرعة بالمؤثرات الخارجية، فتكون بذلك إلى الإحساس العاطفي أقرب منها إلى التعقل والتروي في الأمور المهمة، للسبب الذي ذكرناه في التناسب العكسي. لذلك جعل الإسلام مجال عملها الحضانة والتدبير المنزلي وما يقاربهما مراعاة لتخصّصها. أمّا الرجل فهو وإن كان لديه الإحساس العاطفي ولا يمكن أن يتفاعل أو يتعامل مع الناس، خصوصاً أفراد عائلته وزوجته وأولاده، إلا على أساس من هذا الإحساس، إلا أنّه إلى التعقل أقرب منه إلى العاطفة، وإنّ الفعاليات العقلية لديه أقوى من الفعاليات العاطفية، لذلك خصّه الإسلام بالولاية والقضاء والقتال والعمل الشاقّ وحمله نفقة المرأة وجبر ذلك له بالسهمين في الإرث ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ خِطِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ (النساء: ١١)، ولكنّ النتيجة تكون في الحقيقة أنّ الرجل والمرأة يقتسمان الميراث نصفين، تعطي المرأة ثلث سهمها للرجل في مقابل نفقتها، أي الانتفاع بنصف ما في يده فيرجع في الحقيقة إلى أنّ ثلثي المال في الدنيا للرجال ملكاً وعيناً، وثلثيها للنساء انتفاعاً، فالتدبير الغالب إنّما هو للرجال لعلبة تعقلهم والانتفاع والتمتع الغالب للنساء لعلبة إحساسهن «(الزواج في الإسلام: ٢٣، عن تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي ٢: ٢٨٨).

٢٤٤ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

في الصفات الحميدة الأخرى، فالرجال يشتركون مع النساء في هذه الفضائل، وإن كان هناك أخلاق حميدة يُحبذ للرجال دون النساء، كالشجاعة والزهو والسخاء، فحفظاً على المرأة من الضياع يرجح لها الخوف والبخل وعدم الزهو كما ورد في الأخبار الشريفة والله سبحانه أعلم بخلقه وبروحيات الرجال والنساء، فما قاله وما حكم به هو الحقّ الحقيق، وعلى ضوئه تفسّر القضايا وتعالج المشاكل في الحياة. فإذا فضّل الرجال على النساء فعن حكمة، كما في تفضيل الأنبياء بعضهم على بعض.

قال سبحانه :

﴿ الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ (١).

إن إعطاء القوامة للرجال دون النساء لم يكن أمراً اعتباطياً وعفويّاً ولا تشهياً وانحيازاً من قبل الله سبحانه وتعالى في استثثار البعض على الآخرين، بل هي نتيجة الحكمة الرصينة والدقة الفائقة في تنظيم المجموعة البشرية المبنية على علم الله عزّ وجلّ، وضرورة إعطائها للرجال دون النساء... فإن الرجل الذي يتحمّل مسؤولية الأسرة في الكسب والإنفاق ويكدح في الحرّ والبرد، من أجل تغطية نفقاتها ورفع مستواها الاقتصادي في العيش باذلاً من أجل ذلك كلّ ما يملك من جهد، لهو أعرف بمقدار دخلها وكيفية التدبير والإنفاق عليها، ومعالجة مشاكلها، وبذلك كانت القوامة حقاً طبيعياً له (٢)، تتناسب وتكوّنه النفسي

(١) النساء : ٣٤.

(٢) الزواج في الإسلام : ٧٨.

والفسيولوجي من جهة، وقدرته على تدبير الأسرة وإدارتها من جهةٍ أخرى .  
والدليل العقلي على ذلك، أنّ القضية لا تخرج في نطاق القيام بها عن  
فروض أربعة :

- ١- إمّا أن تستقلّ المرأة بالقوامة دون الرجل، وهو غير راجح لعدم تناسب القوامة مع تكوينها، كما يلزم احتجاج الرجال عليهن .
- ٢- وإمّا أن يشترك الرجل والمرأة معاً، فيلزم الفوضى وتعاसे الحياة الزوجية ونشوب الاختلاف والتجاوز على الحقوق .
- ٣- وإمّا أن لا توجد القوامة أصلاً، وهذا خلاف ما تقتضيه طبيعة الحياة الاجتماعية والتنظيم البشري .

٤- وإمّا أن يستقلّ بها الرجل دون المرأة، وهو المطلوب، كما صرّح الوحي والقرآن الكريم بذلك في قوله تعالى : ﴿ الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾ وإِنَّه يتناسب مع طبيعة كلّ من الرجل والمرأة، وإِنَّه ضامن لحياة أفضل يعمّها الهدوء والسكينة والاطمئنان والسعادة والهناء .

١- عن الحسن بن عليّ عليه السلام، قال : جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسأله عن مسائل فكان فيما سأله : أخبرني ما فضل الرجال على النساء ؟ قال النبيّ صلى الله عليه وآله : كفضل السماء على الأرض، أو كفضل الماء على الأرض، فبالماء تحيي الأرض، وبالرجال تحيي النساء، لولا الرجال ما خلق النساء، لقول الله عزّ وجلّ : ﴿ الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ ، قال اليهودي : لأيّ شيء كان هكذا ؟ قال النبيّ صلى الله عليه وآله : خلق الله عزّ وجلّ آدم من طين، ومن فضله وبقية خلقه حواء، وأوّل من أطاع النساء آدم فأنزله الله من الجنة، وقد بيّن فضل الرجال على النساء في الدنيا، ألا ترى إلى النساء كيف يحضن



٢٤٦ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

ولا يمكنهنَّ العبادة من القذارة، والرجال لا يصيبهم شيء من الطمث، قال اليهودي : صدقت يا محمد<sup>(١)</sup>.

وفي تفسير علي بن إبراهيم : ﴿ الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ ، يعني فرض الله على الرجال أن ينفقوا على النساء، ثم مدح النساء فقال : ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ يعني تحفظ نفسها إذا غاب عنها زوجها .

٢ - وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : (قانتات) أي مطيعات<sup>(٢)</sup>.

فالرجل وإن كان أفضل، ولكن هذا لا يعني أنه مقدّم على المرأة على كلّ حال، بل إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم، فالملاك هو التقوى، فإذا عملت المرأة بما أمر الله سبحانه من الوظائف والحقوق والمسؤوليات، فإنّها أفضل من الرجل الذي لا يعمل بما ألقى على عاتقه كرجل، وهذا لا يتنافى مع أفضلية الرجال، وأنّهم قوامون على النساء.

٣ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما من رجل رديء إلا والمرأة الرديئة أردى منه، ولا من امرأة صالحة إلا والرجل (الصالح) أفضل منها، وما ساوى الله قط امرأة برجل إلا ما كان من تسوية الله فاطمة بعلي عليه السلام وإحاقها به وهي امرأة بأفضل رجال العالمين<sup>(٣)</sup>.

(١) البحار ١٠٠ : ٢٤١ .

(٢) المصدر : ٢٤٧ .

(٣) المصدر : ٢٦٠ .

٤- قال رسول الله ﷺ: خير رجالكم من أمتي الذين لا يتناولون على أهلهم ويحنون عليهم ولا يظلمونهم، ثم قرأ: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ الآية.

وبهذا التفسير المبارك يعلم أن معنى قوامية الرجال على النساء ليس الدكتاتورية والحكومة المطلقة للرجل، بل بمعنى العطف والحنان وعدم التطاول والدكتاتورية عليهم، وترك الظلم والإجحاف بحقهم، وأن يراعى شعورهم وأحاسيسهم. فإن قَوَامٍ من صيغ المبالغة، أصله من (قام يقوم قائم قَوَامٍ) على وزن فعّال، أي يقوم كثيراً، فمعنى قَوَامِيَةِ الرجل على المرأة أن يقوم دائماً بشؤونها ويتكفل بقضاء حاجاتها من منطلق الربويّة، فإنه ربّ البيت، وكما قال عبد المطلب في جواب أبرهة في هجومه على بيت الله بالفيلة وواقعة أبيبيل كما في سورتها في القرآن الكريم، قال: (أنا ربّ الإبل، وللبيت ربّ يحميه) فمن مقتضيات الربويّة حماية البيت وأهله، فربّ البيت قَوَامٍ بشؤونه، وإنه الحامي لزوجته وأطفاله من الأذى واعتداء الآخرين، كما هو القائم بحياتهم الثقافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية، فليس معنى القوامية التجبر والتطاول والتهكّم والاستكباريّة والروح الاستعلائية الطاغوتية، فإذا كان صدام طاغوت العراق، فربما الرجل يكون صدام البيت وطاغوته، فلا يكون قَوَاماً بل صداماً، وهذا يتنافى مع روح القرآن الكريم، فالقَوَامُ من القيموميّة، والقيوم من صفات الله سبحانه فهو الحيّ القيوم، وإنّ ما سواه يتقوّم به في وجوده حدوثاً وبقاءً بالله عزّ وجلّ.

فربّ البيت تتجلّى في قَوَامِيَتِهِ أسماء الله الحسنی وصفاته العليا، وإنّ لله سبحانه ألف وواحد من الأسماء المقدّسة - بناءً على أنّ أسماءه توقفيّة متوقّفة على

٢٤٨ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

إذن من الشارع فما ورد في القرآن (٩٩) تسمى بالأسماء الحسنى، وغيرها ورد في الأحاديث الشريفة والأدعية والزيارات المأثورة - وهذه الأسماء كلها تدلّ على الرحمة الرحمانية والرحيمية، إلا بعضها وتعدّ بالأصابع، تدلّ بظاهرها على النعمة، كالمنتقم والقهار، وهذه في باطنها من الرحمة أيضاً، فالرجال قوامون على النساء، أي تتجلّى فيهم أسماء الله وصفاته، فتعيش النساء في كنفهم بارتياح واطمئنان وسعادة، وأيّ امرأة لا ترضى بهذا الأمر المقدّس ...

فيجب على ربّ البيت أن يتعامل مع أهله وأسرته بالرحمة والرأفة والشفقة والعطف والحنان والعقل والتدبير والإدارة الحسنة، فهو المحامي الأوّل لأسرته، حتّى تشعر بحماته وجواره بالاطمئنان والراحة النفسية والجسدية، فإنّه عمود خيمة العائلة، وقوام الخيمة بعمودها، فهو القوام لأسرته.

ثمّ أكرّم ما أقبح الرجال - هم أشباه الرجال - أن يضربوا نساءهم.

ففي التهذيب قال: ألا أخبركم بخير رجالكم؟ فقلنا: بلى، قال: إنّ من خير رجالكم التقيّ النقيّ السمح الكفّين، السليم الطرفين، البرّ بالديه ولا يلجئ عياله إلى غيره، ثمّ قال: أفلا أخبركم بشرّ رجالكم؟ فقلنا: بلى، قال: إنّ من شرّ رجالكم اليهّات الفاحش الآكل وحده، المانع رفته، الضارب أهله وعبده، البخيل الملجئ عياله إلى غيره، العاقّ بالديه<sup>(١)</sup>.

(١) الوافي ١٢: ٥٨.

## رئاسة الأسرة

الأسرة مجمع صغير لا يستقيم أمره إلا برئيس وأمير يشرف على إدارته وشؤونه، ويُدان له بالطاعة مختلف أفراد العائلة، وإلا ينتهي الأمر إلى الفوضى والاضطراب، ولذلك التزمت النظم الاجتماعية بتعيين رئيس الأسرة، واتفق معظمها على إسناد هذه المسؤولية والوظيفة الثقيلة على عاتق الزوج، كما عليه معظم القوانين الأوربية، فلا توجب طاعة الأولاد لأبيهم فحسب، بل على الزوجة طاعة زوجها، كما جاء ذلك في الشريعة الإسلامية، فإنها تجعل الرجال قوامون على النساء كما في قوله تعالى :

﴿ الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾<sup>(١)</sup>.

وتكاد المادتان الثالثة عشرة بعد المائتين والرابعة عشرة بعد المائتين من القانون المدني الفرنسي تكونان ترجمة للآية الشريفة. فالمادة الأولى منهما تقرّر: (إنّ الزوج يجب عليه صيانة زوجته، وإنّ الزوجة يجب عليها طاعة زوجها). والمادة الثانية تقرّر: (إنّ الزوجة ملزمة أن تسكن مع زوجها، وأن تنتقل معه إلى أيّ مكان يؤثر الإقامة فيه، والزوج ملزم أن يعاشرها وأن يقدم لها كلّ ما هو ضروري لحاجات الحياة في حدود مقدرته وحالته).

وهذا المعنى سارٍ في الأمم التي تلحق الأولاد بالأب. وأما في النظام الأمّي

٢٥٠ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

فإن رئاسة الأسرة تكون بيد الأم<sup>(١)</sup>. كما ذكرنا تفصيل ذلك، فراجع.  
ويبدو لي كما يظهر من الروايات والسيرة الصالحة، أن الرئاسة العامة من حيث المجموع هو بيد الأب، فهو رب الأسرة أولاً، إلا أنه في القضايا الداخلية في المنزل يفوض الأمر من قبل الأب إلى الأم لتكون مسموعة الكلمة عند الأولاد من أجل تربيتهم ومن أجل تمشية الأمور، كما يذكر مثل هذا المعنى في حياة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وسيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام، فاتّفا بعد الزواج المبارك، أن يأتي بالماء إلى باب الدار، ثم بعد ذلك يكون بعهدة فاطمة الزهراء عليها السلام، فالعمل خارج الدار لأمير المؤمنين عليه السلام وداخل الدار لسيدة النساء عليها السلام.  
نعم في القضايا المشتركة لأعضاء الأسرة كالسفر، فمن الأولى للوالد أن يستشير أفراد أسرته، فإن المشورة هنا لها الدور الكبير في بناء الشخصية، فيدخل كلّ واحد من أعضاء الأسرة في دائرة المشورة والاستشارة حتّى الطفل الصغير - ذكوراً وإناً - ويبقى القول الحاسم والصائب بعد أخذ الآراء لعميد الأسرة وربّها، أي الأب العاقل والمدير والمدبّر، ومن ثمّ تضمن سعادة العائلة، وقد جرّبت ذلك تكراراً ومراراً والحمد لله على التوفيق والتسديد، فإنّي وعيالي نشعر من أسعد الناس في الحياة.

## الفصل السابع

### عوامل ديمومة الزواج الناجح

يُعدّ قانون العلة والمعلول من أقوى القوانين الكونية، فإنّ لكلّ معلول علة، كما لكلّ علة معلول، والشيء الممكن الذي يتساوى فيه الوجود والعدم بحيث لو وجد يسأل عن علة وجوده، كما لو عدم يسأل عن علة عدمه، فالوجود والعدم ليسا في الممكن ضرورياً كما في واجب الوجود لذاته وممتنع الوجود لذاته. فهذا الشيء الممكن - كما يحتاج في حدوث وجوده إلى علة، وتسمّى بالعلة المحدثة، كذلك يحتاج في بقاءه - لتحقيق الإمكان فيه - إلى علة مبقية، فكلّ ما في الطبيعة إنّما يحتاج في وجوده وبقاءه إلى علة محدثة وعلة مبقية.

ويشبه هذا المعنى في مسألة الزواج، فكما يكون لها علل محدثة والتي عبّرنا عنها بأهداف الزواج وبواعثه، فلها علل مبقية أيضاً تحافظ على كيان الأسرة وديموميتها وبقيائها. ولو زالت هذه البواعث والعلل لأدّى ذلك إلى انعدام الزواج وتحطيم الأسرة ونقض العشّ الذهبي وتخريبه، وهو عبارة عن الطلاق والفراق الحلال المبعوض عند الله سبحانه.

فلا بدّ أن نشير إلى هذه العوامل والعلل كما جاء في الآيات الكريمة والروايات الشريفة، فمن أهمّها:

### ١- الحب المتبادل :

أجمل كلمة في الحياة الزوجية هي كلمة الحب، كما يشير الإمام الصادق عليه السلام إلى هذا المعنى الرائع البديع :

١- الكافي بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قول الرجل للمرأة : إني أحبك ، لا يذهب من قلبها أبداً .

والعجيب أن حب النساء له تأثير في زيادة الإيمان وفضله .

٢- قال الإمام الصادق عليه السلام : العبد كلما ازداد في النساء حباً ازداد في الإيمان فضلاً .

٣- قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أحب من دنياكم ثلاث : الطيب والنساء وقرّة عيني الصلاة .

وهذا يعني أن حب النساء إنما يكون ممدوحاً إذا كانت مقدّمة للصلاة ، وليس مطلق حب النساء ، كما مرّ بيانه .

### ٢- إكثار الخير :

فإن المؤمن يحبّ الخير لغيره كما يحبّ لنفسه ، وأولى الناس بالخير الأقربون ، وأقرب الناس في الحياة العائلية هي الزوجة ، فهي أولى بالخير والإحسان والمحبة والعطف والحنان .

٤- قال الإمام الصادق عليه السلام : أكثروا الخير بالنساء .

### ٣- النظافة والطيب :

٥- قال عليه السلام : « خير نسائكم الطيبة الريح ، الطيبة الطعام » ، ومن الواضح أن الله سبحانه كما أنّه جميل ويحبّ الجمال ، كذلك نظيف ويحبّ النظافة ، بما لكلمة

النظافة من المعاني والمصاديق، كالنظافة الروحية من أوساخ الآثام والذنوب والأخلاق الذميمة، وكالطهارة الجسدية من القاذورات والأوساخ، كما أمر بالوضوء للصلوات وللطواف وغير ذلك من العبادات الروحية، وإنّ النظافة من الإيمان، وأولى الناس برعاية النظافة الجسدية والروحية ونظافة الدار والأكل هما الزوجان.

#### ٤- إدخال السرور :

٦- قال عليه السلام: « ما استفاد امرؤ بعد الإسلام أفضل من زوجة مسلمة، تسره إذا نظر إليها، »، فإدخال السرور في قلب الزوج وتبادل المشاعر والأحاسيس بينهما يوجب بقاء الحرارة الشوقية، وتبقى شعلة العشق وهاجة في الأسرة ممّا يزيد في نشاطها، وتجدد قواها واستعداداتها المكونة في وجودها إلى الفعل والواقع التطبيقي والتقدم والازدهار في المجال العلمي.

#### ٥- الإطاعة ورضا الزوج :

٧- قال عليه السلام : وتطيعه إذا أمرها... تسمع قوله وتطيع أمره... العزيزة في أهلها الذليلة مع زوجها... وأطاعت بعلها فلندخل من أيّ أبواب الجنة... لا يقبل الله منها إلاّ أن يرضى عنها زوجها... إلاّ أن تتوب وترجع... وقد مرّ تفصيل ذلك.

#### ٦- المحافظة على العرض والمال :

٨- قال عليه السلام : وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله... المتبرجة مع زوجها الحصان مع غيره... وإذا اطمانّ الزوج بزوجه بأنّها أمينة وسيّدة عفيفة



٢٥٤ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

وحصينة، لا تخونه في غيبته في ماله وعرضه وناموسه، فإنّ الزوج يفارقها وهو مطمئنّ البال، سعيد بزوجته التي يشعر أنّها تقدّر ظروفه، وتشكر متاعبه من أجلها وأجل أولادها.

#### ٧- العون والمساعدة :

٩- قال عليه السلام : تعين زوجها على دهره وتساعده على دنياه وآخرته ولا تعين الدهر عليه... أعانت زوجها على الحجّ والجهاد أو طلب العلم أعطاه الله من الثواب ما يعطي امرأة أيوب عليه السلام من الثواب والأجر وجنّات عرضها السماوات والأرض كما أنّ الزوج يعين زوجته حتّى في قضايا المنزل والحياة الخاصة بالنساء، فقد ورد في الحديث الشريف :

١٠- قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأمر المؤمنين عليه السلام بعدما رآه في البيت ينقي العدس، وفاطمة عليها السلام جالسة عند القدر: اسمع منّي يا أبا الحسن، وما أقول إلا من أمر ربّي: ما من رجل يعين امرأته في بيتها إلا كان بكلّ شعرة على بدنه عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها، وأعطاه الله من الثواب مثل ما أعطاه الصابرين وداود النبي ويعقوب وعيسى عليهم السلام. يا علي، من كان في خدمة العيال ولم يأنف، كتب الله اسمه في ديوان الشهداء، وكتب له بكلّ يوم وليلة ثواب ألف شهيد. والحديث طويل وأخاف على المطالع أن أذكر ما فيه من الثواب والأجر، ومما جاء فيه: يا عليّ، ساعة في خدمة البيت خير من عبادة ألف سنة وألف... ولا يخرج من الدنيا حتّى يرى مكانه في الجنّة. يا عليّ، من لم يأنف من خدمة العيال دخل الجنّة بغير حساب. يا عليّ، خدمة العيال كفارة للكبائر وتطفئ غضب الربّ ومهور حور العين وتزيد في الحسنات والدرجات. يا عليّ لا يخدم العيال إلاّ صديق أو شهيد

أو رجل يريد الله به خير الدنيا والآخرة<sup>(١)</sup>.

أقول: كلّ هذا الثواب بشرطه وشروطه كالإيمان الكامل والتقوى والولاية والإخلاص والتقرب إلى الله سبحانه وغير ذلك.

#### ٨- الاستقبال والتوديع الحسن :

١١- قال عليه السلام: ... إن لي زوجة إذا دخلت تلقّني وإذا خرجت شيّعني.

فتستقبل الزوج بابتسامة وترحيب وحفاوة، حتّى تزيل همّه وغمّه الذي أصابه خارج الدار، وبكلّ لهفة ينتظر الزوج أنّه متى ينتهي من عمله حتّى يذهب إلى عشّه الذهبي، ويسكن بجوار زوجته، وينسى الهموم والغموم، فيحسّ السعادة واللذة الروحية التي لا توصف.

#### ٩- الكلام العقائدي الجميل والمنطق الرصين :

١٢- قال عليه السلام: ... وإذا رأيتي مهموماً قالت: ما يهّمك؟ إن كنت تهتمّ

لرزقك فقد تكفّل به غيرك - وهو الله سبحانه - وإن كنت تهتمّ بأمر آخرتك فزادك الله همّاً... وهذا يعني صحّة عقيدة المرأة وثقافتها الدينية وأنها متعلّقة بالمبدأ والمعاد، وتؤمن بالله واليوم الآخر، فتخاطب زوجها بمفاهيم عقائدية رائعة، وبمنطق سليم يتلاءم مع الفطرة السليمة، فيرتاح الزوج، ويبادلها الشعور الصادق والعقيدة الحقّة، ويكمل النقص بفعاله الحسنة وعلمه النافع وعمله الصالح.

(١) جامع السعادات ٢: ١٤٢، وفي جامع الأخبار الباب ٨ الفصل ٣، ومستدرک الوسائل في

مقدّمات التجارة الباب ١٧، فراجع.

١٠- قبول الاعتذار والاعتذار المتبادل :

من الواضح أنّ غير المعصوم عليه السلام غير معصوم، وأنّ الإنسان معرّض للخطأ والنسيان، والزوجان بطبيعتهما متعرّضان للخطأ، إلّا أنّ المفروض أولاً أن يحاول كلّ منهما اجتناب الأخطاء والسهو والنسيان، وإذا بدر من أحدهما ذلك فمما يوجب صفو العيش وهناءه أن يعتذر المسيء سواء الرجل أو المرأة، وعلى الطرف الآخر أن يقبل العذر، ومن ثمّ تنقطع جذور الاختلاف والعناد واللجاجة التي في الغالب تكون سبباً للعراك والقييل والقال ولائثة الضباب في حياة الأسرة، ومن ثمّ الالتجاء إلى الفرقة والطلاق، فالمفروض على كلّ واحد عند خطئه أن يسرع في الاعتذار حتّى يقطع جذر الاختلاف وردّ الفعل من الطرف الآخر.

١٣ - قال النبي صلى الله عليه وآله في ذمّ النساء: ولا تقبل له عذراً، ولا تغفر له ذنباً، ولازمه اعتذار الزوج... وقال صلى الله عليه وآله في امتنان الزوجة بمالها والنهي عن ذلك: إلّا أن تتوب وتعتذر إلى زوجها...

١١- المداراة مطلقاً :

١٤- قال عليه السلام: فداروهنّ على كلّ حال. وقد مرّ تفسير وبيان ذلك، فالذي يبدأ بالمداراة هو الزوج، إلّا أنّ الزوج تتفاعل معه وتداريه أيضاً، كما ورد في الروايات الشريفة، فكلّ واحد يفكر بمداراة الآخر بل يفكر بأنّ يقدم هوى صاحبه وشريكه على هوى نفسه، فتكون الحياة حياة إيثار وصفاء ووفاء وهناء والعيش الرغيد والمسابقة في الفضائل والمكرّمات، كما جرّبنا ذلك.

١٢ - حسن المقال دائماً :

١٥ - قال علي عليه السلام: «وأحسنوا لهنّ المقال»، فالزوج يحسن المقال

عوامل ديمومة الزواج الناجح ..... ٢٥٧

وكذلك الزوج لا تؤذي زوجها بكلام خشن بل بكلّ لطافة ونعومة، كما من طبيعتها وأنوئتها ذلك، فتستميل قلب الزوج بكلمات الحبّ والإخلاص، وبكلمات جميلة يفوح منها عطر المحبّة والمودّة والمفاهمة.

١٣ - عدم انتظار حسن الفعال مئة بالمئة من الزوجة :

١٦ - قال عليّ عليه السلام : لعلهنّ يحسن الفعال. أي على أمل ورجاء حسن العمل والفعال.

وكلمًا قلّ الانتظار والتسوِّقات، ازدادت المفاهمة والوئام والمحبّة والاحترام المتبادل، وأن يفهم كلّ واحد الآخر، فيتحقّق التسلاخ الروحي والفكري والسلوكي، ويكونان روحاً واحدة في جسدين.

١٤ - عدم التكلفة في الحياة :

ليس كلّ زوج يكون موفّقاً في حياته التجارية وفي العمل، فلا بدّ للزوجة أن تدرك ذلك عند ضيق الظروف.

١٧ - قال عليه السلام : أيما امرأة أدخلت على زوجها في أمر النفقة وكلفته ما لا يطيق لا يقبل الله منها صرفاً ولا عدلاً، إلا أن تتوب وترجع وتطلب منه طاقته.

١٥ - عدم المنّة على الزوج :

١٨ - قال عليه السلام : أيما امرأة منّت على زوجها بما لها فتقول : إنّما تأكل أنت من مالي، لو أنّها تصدّقت بذلك المال في سبيل الله لا يقبل الله منها إلا أن يرضى عنها زوجها، فلا تطبل العمل بالمنّ والأذى، وكذلك الزوج فهو أولى بهذا الأمر

فإنه يجب عليه نفقة زوجته وعياله، وإذا وسع الله عليه فيوسع عليهم في مأكلهم وملبسهم ودارهم ويروح عن أنفسهم وغير ذلك، إلا أنه لا يبطل ذلك بالمن والأذى، فيمن عليهم بآتي صرفت عليكم كذا وكذا، فإنه يوجب سقوط العمل وسقوط قيمته من عين الأسرة، فيتمنون عندئذ لو أنهم لم يتحملوا مئة أبيهم، وإن كان المفروض منهم ذلك، إلا أن الإنسان بعض الأحيان يصاب بالفروور وعزة النفس، فلا يرضى بالمئة حتى من أبيه، كما يحدثنا التاريخ بنماذج من ذلك كالشريف الرضي صاحب نهج البلاغة عليه الرحمة، فإن للمؤمن والمؤمنة كرامة عند الله وعند الناس وأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقون لا يعلمون شيئاً.

١٦ - عدم الهجران في أمر الفراش :

١٩ - قال ﷺ: أيما امرأة هجرت زوجها وهي ظالمة حشرت يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون في الدرك الأسفل من النار، إلا أن تتوب وترجع.

٢٠ - وقال: من شرّ نسائكم... المتبرجة إذا غاب عنها زوجها، الحصان معه إذا حضر، التي لا تسمع قوله ولا تطيع أمره، فإذا خلا بها تمتعت تمنع الصعبة عند ركوبها...

٢١ - قال رسول الله ﷺ: ألا أخبركم بخير نسائكم... الذليلة مع زوجها - أي المتواضعة - الحصان مع غيره، التي تسمع له وتطيع أمره وإذا خلا بها بذلت ما أراد منها.

٢٢ - وقال ﷺ: خير نسائكم التي إذا دخلت مع زوجها خلعت درع الحياء.

وقد ذكرنا هذا المعنى في الجماع وآداب المباشرة، فراجع.

١٧- مشورة النساء وعدم الطاعة :

من شاور العقلاء كسب عقولهم، ولكن المرأة لحكمة ربانية تحمل العاطفة أكثر من العقل، وبهذا لا تشاور بل لو استشيرت فإنه لما تحمل من العاطفة تشير غالباً إلى ما يتنافى مع العقل المدير والمدبر، ومن ثمّ ورد أنه في الحرب إذا استشيرت النساء فالخير في مخالفتهن، فربما من منطلق العاطفة تأخذ جانب الخوف والاحتياط، وتترك الشجاعة والبسالة والإقدام في ساحات القتال، كما هو الغالب ولا يقاس بالنساء النوادر، فإن النادر بحكم المعدوم.

٢٣- كان رسول الله ﷺ إذا أراد الحرب دعا نساءه فاستشارهن ثمّ خالفهن.

٢٤- قال رسول الله ﷺ : طاعة المرأة ندامة.

٢٥- قال عليّ بن أبي طالب: كل امرئ تدبره امرأته فهو ملعون، وقال عليّ بن أبي طالب: في

خلافهن البركة.

٢٦- عن أبي جعفر عليه السلام: لا تشاورهن في النجوى، ولا تطيعوهنّ في

ذي قرابة.

٢٧- عن أبي عبد الله عليه السلام، عن آبائه عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: من

أطاع امرأته أكبه الله على وجهه في النار، قيل: وما تلك الطاعة؟ قال: تطلب منه الذهاب إلى الحمّامات والعرائس والأعياد والنائحات والثياب الرقاق فيجيبها.

وهذه الموارد إنما هي من باب المثل وبيان بعض المصاديق للإطاعة

المذمومة والتي توجب دخول النار، وكثير من موارد بيتلي الرجل بها، لا سيّما العرائس التي أصبحت في عصرنا هذا محلّ لعرض الأزياء والموديلات الحديثة المستوردة من الغرب الذي يغزونا في عقر دارنا عبر هذه القنوات ونحن في غفلة عن هذا.

٢٨- عن أبي جعفر عليه السلام، قال: لا تخرج المرأة إلى الجنّازة، ولا تؤمّ

٢٦٠ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

الخروج إلى الحلية من النساء، فأما الأبقار فلا.

٢٩- قال النبي ﷺ: لا يفعلن أحدكم أمراً حتى يستشير، فإن لم يجد من يستشير فليستشر امرأته ثم يخالفها، فإن في خلافها بركة.

٣٠- قال أمير المؤمنين عليه السلام: اتقوا شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر، إن أمرتكم بالمعروف فخالفوهن كيلا يطمعن منكم في المنكر<sup>(١)</sup>.

٣١- قال رسول الله ﷺ: أربعة مفسدة للقلوب: الخلو بالنساء والاستمتاع منهن والأخذ برأيهن ومجالسة الموتى، فقيل: يا رسول الله، وما مجالسة الموتى؟ قال: مجالسة كل ضال عن الإيمان وجائر عن الأحكام<sup>(٢)</sup>.

٣٢- وفي وصية أمير المؤمنين علي عليه السلام لولده الحسن عليه السلام: إياك ومشاورة النساء، فإن رأيهن إلى أفن وعزمهن إلى وهن، فاكفف عليهم من أبصارهن بحجابك إياهن، فإن شدة الحجاب أبقى عليهن، وليس خروجهن بأشد من إدخالك من لا يوثق به عليهن، وإن استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل. ولا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها، فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة، ولا تعد بكرامتها نفسها، ولا تطمعها أن تشفع لغيرها<sup>(٣)</sup>.

## ١٨- التحذّر واليقظة :

من علامة العاقل أن يتحذّر في حياته ويأخذ دائماً جانب الاحتياط والورع، فيمشي بكلّ حذر وتأمل، ويحسب لكلّ شيء حساباً الخاصّ.

(١) البحار ١٠٠: ٢٢٤.

(٢) المصدر: ٢٢٦.

(٣) البحار ١٠٠: ٢٥٢، من النهج ٣: ٦٣.

٣٣- عن أبي عبد الله عليه السلام، عن أبيه عليه السلام، قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله النساء فقال: عظوهن بالمعروف قبل أن يأمرنكم بالمنكر، وتعوّذوا بالله من شرارهن وكونوا من خيارهن على حذر.

وهذا يعني أنّ المرأة الشريرة ممّا يتعوّذ منها، كما يتعوّذ من البلاء والشیطان والمصيبة، كما أنّ الرجل يكون على حذر تام من خيار النساء والفاضلات منهن، فكيف بالسيّئات وأهل الشرّ؟!

ومن التحذّر أن يسبق المرأة بالمعروف والأمر به قبل أن تأمر بالمنكر، فإنّها إن لم تأخذ زمام الأمر بيدك فسرعان ما تطلب الركوب والاستيلاء على كلّ شيء، وتصرخ بطبيعتها عندما تخاطب: هل امتلئت؟ فتقول: هل من مزيد؟ فدائماً تريد الزيادة، والكثير تراه قليلاً، فكيف بالقليل؟!

فالزوج لا بدّ أن يكون حذراً في حياته الأسروية، ولكن لا يعني ذلك ظلم العائلة وكتبهم وتولّيهم بالضغوط الروحية والجسدية، بل في عين أنّه حذر وكيس وفطن فهو سمح وكريم ورؤوف.

#### ١٩- التعلّل :

إدارة الشؤون العامّة للأسرة إنّما قرارها بيد ربّ البيت، فهو القائم على العائلة والقيّم على أمورهم، فلا بدّ أن يتعلّل الأمور جيّداً، ويضع الأشياء في مواضعها، وكلّما كبر ازداد عقله من خلال العلم والتجارب، وعرف أخلاق زوجته وحقيقة النساء، فيتعامل معها على نحو يحافظ على هدوء الدار ووقار الأسرة، والتوازن المعقول بين أعضاء الأسرة، فيستحكم أمره ويقلّ جهله ويثبت عقله.

٣٤- عن أبي جعفر عليه السلام، قال: إنّ المرأة إذا كبرت ذهب خير شطريها وبقي شرّها: ذهب جمالها، وعقّم رحمها، واحتدّ لسانها، وإنّ الرجل إذا كبر ذهب شرّ



٢٦٢ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعتره

شطريه وبقي خيرها : ثبت عقله ، واستحكم رأيه ، وقلّ جهله .

٣٥ - ومن ثمّ لا يسلم زمام الأمر بيدها لأنّه ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام

أنّه قال : كلّ امرئ تدبّره امرأته فهو ملعون ، أي بعيد عن رحمة الله سبحانه . ومن كان بعيداً عن رحمة ربّه كيف يسعد وكيف تسعد أسرته ؟ !

## ٢٠ - الزوج عزّ الزوجه :

من العوامل المهمّة في ديموميّة الحياة الزوجية بنجاح واطمئنان ومودّة ورحمة ، هو أن تشعر المرأة دائماً أنّ عزّتها وكيانها إنّما يتمّ بقيموميّة زوجها وكيانه وعزّته ، فعزّتها من عزّته وفخرها من فخره ، وكيانها من كيانه ، فهي الظلّ وهو النور ، وهي الضوء وهو الشمعة ، وهي الغصن وهو الشجر ، ومن كانت تفكّر بهذا النحو من التفكير ، وبمثل هذا النمط من الشعور ، بلا شكّ تحاول الحفاظ على كيان زوجها وشخصه وشخصيته ، وتكون هي المدافعة الأولى ، وتمهّد الطريق من أجل إعلاء كلمته في المجتمع ، ومن هذا المنطلق يقال : ما من رجل عظيم إلاّ وخلفه امرأة ، فهي التي تهبّي الطريق لصعوده وبروزه وظهوره على ساحة الاشتهار والتألّق والنجم اللامع في مسرحيات الحياة .

٣٦ - عن الصادق عليه السلام ، قال : انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله من سرية كان أصيب

فيها كثير من المسلمين ، فاستقبلته النساء يسألن عن قتلاهن ، فذنت منهن امرأة فقالت : يا رسول الله ، ما فعل فلان ؟ قال : وما هو منك ؟ فقالت : أخي . فقال :

احمدي الله واسترجعي فقد استشهد ، ففعلت ذلك ثمّ قالت : يا رسول الله ، ما فعل

فلان ؟ فقال : وما هو منك ؟ قالت : زوجي ، قال : احمدي الله واسترجعي فقد

استشهد . فقالت : وا ذلّاه . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما كنت أظنّ أنّ المرأة تجد

بزوجها ( هذا كلّه ) حتّى رأيت هذه المرأة .

٢١- الغيرة :

إنَّ الله سبحانه وتعالى غيور ويحبُّ الغيرة، إلاَّ أنَّه من الرجال دون النساء، فإنَّ المؤمن غيور على دينه، كما هو غيور على عائلته وأسرته ولا سيَّما زوجته، والمرأة إنَّما تحسُّ بالأمن والاطمئنان والرفاه عندما تعيش في ظلِّ رجل غيور، لا يرضى بالهوان والذلِّ لزوجته، وبهذا ترى المرأة عزَّتها وكيانها وحماها هو الزوج.

فالمؤمن غيور، وغيرته من الايمان، ولكنَّ المرأة إنَّما تكون غيورة على دينها وأخلاقها، أمَّا على زوجها فلا يحقُّ لها ذلك، فإنَّ الله جعل من حقِّ الرجل أن يتزوَّج بالزواج الدائم أربعة من النساء، وبالمقطع بما شاء، فغيرة المرأة على زوجها في هذا الباب كفران لحكم الله ورخصته، وهي غير ملتفتة إلى هذا اللزوم الخطير، فمرَّةً يعترض الإنسان على الله لساناً وهو الكفر النظري الذي يدان به الإنسان بالكفر الذي تترتَّب عليه أحكام عدَّة، ومرَّةً يعترض على الله بعمله وسلوكه مع اقتناعه نظرياً بحكم الله إلاَّ أنَّه يخالفه عملياً ومنه كفران النعمة ومن هذا الباب ما ورد أنَّ تارك الصلاة كافر وكذلك في آية الحجِّ ﴿ وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ ﴾ إلى قوله ﴿ وَمَنْ كَفَرَ ﴾ أي ترك الحجِّ.

٣٧- قال النبي ﷺ: كان إبراهيم عليه السلام أبي غيوراً وأنا أغير منه، وأرغم الله أنف من لا يغار من المؤمنين.

٣٨- عن الباقر عليه السلام، قال: غيرة النساء الحسد، والحسد هو أصل الكفر، إنَّ النساء إذا غرْنَ غضبن، وإذا غضبن كفرن، إلاَّ المسلمات منهن.

روى جابر عنه عليه السلام، قال: قال عليُّ رضي الله عنه: إنَّ الله تبارك وتعالى لم يجعل الغيرة للنساء، وإنَّما جعل الغيرة للرجال، لأنَّ الله قد أحلَّ للرجال أربع حرائر وما ملكت يمينه، ولم يحلَّ للمرأة إلاَّ زوجها وحده، فإنَّ بغت مع زوجها غيره

٢٦٤ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

كانت عند الله زانية، وإنما تغار من المنكرات، وأما المؤمنات فلا.  
٣٩- هذا، ولا يخفى أن كل شيء إذا جاوز حده انقلب إلى ضده، فالغيرة الممدوحة لها حدودها، فمن تجاوزها، كانت مذمومة كما ورد في وصية أمير المؤمنين لولده الحسن عليه السلام : وإياك والتغاير في غير موضع غيره، فإن ذلك يدعو الصحيحة إلى السقم، والبريئة إلى الريب<sup>(١)</sup>.  
إن من الأمور التي تهدم الأسرة هدماً مريعاً سوء ظن الزوج بزوجه، فإن هذا الخلق الشنيع يهدم أعز ركن من أركان الأسرة وهو الثقة، فمن دونها لا يمكن أن تقوم علاقة مطمئنة بين اثنين أبداً.

## ٢٢- التعاون :

إن الله يحبّ التعاون بين المؤمنين، فقال عزّ وجلّ :

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾<sup>(٢)</sup>.

والمرء يحسّ بضرورة التعاون في الحياة الزوجية، فكما الزوجة تعين زوجها على أمور الدين والدنيا، كذلك الزوج، فالحاكم في الأسرة روح التعاون.  
٤٠- قال أبو عبد الله عليه السلام : ثلاثة أشياء لا يحاسب الله عليها المؤمن : طعام يأكله، وثوب يلبسه، وزوجة صالحة تعاونه وتحصن فرجه<sup>(٣)</sup>.

٤١- وعنه عليه السلام : ثلاثة للمؤمن فيهن راحة : دار واسعة تواري عورته وسوء حاله من الناس، وامرأة صالحة تعينه على أمر الدنيا والآخرة، وابنة أو

(١) البحار ١٠٠ : ٢٥٢، عن النهج ٣ : ٦٣.

(٢) المائدة : ٢.

(٣) البحار ١٠٠ : ٢١٧.

أخت يخرجها من منزله بموت أو بتزويج .

### ٢٣- التزويج على العيال :

٤٢- قال أبو عبد الله عليه السلام : ثلاثة هي من السعادة : الزوجة المؤاتية - أي السمحة السهلة وأن لا تكون صعبة الفراش والمراس - والولد البار ، والرزق يرزق معيشة يغدو على صلاحها - أي رزق واسع يصلح به حياته ومعيشته - ويروِّح على عياله<sup>(١)</sup> .

والظاهر أن التزويج زيادة في النفقة الواجبة ، أي إضافة على ما يجب عليه من النفقات الواجبة شرعاً ، فإنه يستحب للرجل أن يروِّح على عياله .

٤٣- عن الباقر صلوات الله عليه أنه قال : « أنفقوا ممّا رزقناكم ) قال : ممّا رزقكم الله على ما فرض الله عليكم فيما ملكت أيمانكم واتّقوا الله في الضعيفين النساء واليتيم ، فإنما هم عورة<sup>(٢)</sup> .

٤٤- عن النبي صلى الله عليه وآله ، قال : إن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم لنسائهم<sup>(٣)</sup> .

### ٢٤- حسن البرّ :

التعاون والتزويج على العيال وحسن البرّ والإحسان وما شابه ذلك كلّها إنّما تدلّ على مودّة الرجل ولطفه بأهله ، وهي مصاديق تختلف باعتبار الزمان

(١) البحار ١٠٠ : ٢١٩ .

(٢) المصدر : ٢٢٦ . عن أمالي الطوسي ١ : ٣٨٠ .

(٣) المصدر والمرجع .

٢٦٦ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعتره

والمكان والأحوال، وإلا فالجوهر واحد وهو قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾<sup>(١)</sup>، فمن الرحمة في الحياة الأسرية أن يُحسن الرجل برّه بأهله، فيبرّههم ولا يعقّمهم بترك ما يلزم عليه من الوظائف الدينية والإنسانية والعائلية.

٤٥- عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: من صدق لسانه زكا عمله، ومن حسنت

نيتته زاد الله في رزقه، ومن حسن برّه بأهله زاد الله في عمره<sup>(٢)</sup>.

فمن الآثار الدنيوية المترتبة على حسن البرّ بالأهل هو زيادة العمر.

#### ٢٥- الإدارة بيد الزوج :

في علم الاجتماع بالنسبة إلى الحاكم في الأسرة تختلف الأقوال والثقافات، فبعض يرى حكومة الدار إنما تكون بيد الأمّ، ومنهم من يرى أنها بيد الأب، ومنهم من يعتقد أنّ الجوّ الحاكم على الأسرة لا بدّ أن يكون عبارة عن المشورة والتي يعبر عنها بالديمقراطية، فلا دكتاتورية الأب ولا دكتاتورية الأمّ. والإسلام يرى أنّ الرجال قوامون على النساء، وأنّ إدارة المنزل وأمور الأسرة كسياسة كئيّة وخطوط عامة إنّما هي بيد الأب، وأمّا القضايا التي ترتبط بداخل الدار والقضايا الجزئية التي تتعلّق بالأولاد كالملابس مثلاً والطعام والطبخ وتنظيف المنزل وما شابه ذلك فهو بيد الأمّ فهي ربّة البيت، كما أنّ الأب ربّ البيت، ولكنّ سياسة الأسرة والإدارة العامة إنّما هي بيد الأب، وكذلك الأمر في المجتمع الكبير، لا بدّ أن تكون سياسة البلد بيد الرجال، والرجل الذي تدبّره المرأة هو بعيد عن رحمة الله وخيره.

(١) الروم: ٢١.

(٢) البحار: ١٠٠: ٢٢٥.

٤٦- قال أمير المؤمنين عليه السلام: كل امرئٍ تدبّره امرأة فهو ملعون<sup>(١)</sup>.

### ٢٦- التكتّم المالي :

لقد ثبت بالتجربة أنّ المرأة لو أطلعت على ما يملك الرجل وعلى أحواله الشخصية والاجتماعية فإنّها تريد أن تدبّر أمره، فتتدخل في شؤونه الخاصة وقضاياها الرجالية، فتتجاوز حدّ النسوة فتتقلب الأمور إلى أضدادها، فلا بدّ للرجل من حزم وعزم، ومن إدارة وتدبير ووضع الشيء في موضعه.

٤٧- قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا تطلعوا النساء على حال، ولا تأمنوهنّ على مال، ولا تتقوا بهنّ في الفعال، فإنّهن لا عهد لهن عند عاهدنّ، ولا ورع لهن عند حاجتهن، ولا دين لهن عند شهوتهن، يحفظن الشرّ وينسين الخير، فاطفوا لهن على كلّ حال، لعلّ يحسن الفعال.

### ٢٧- حسن التبعل :

البعل يعني الزوج، والحليلة يعني الزوجة، فمن عوامل ديمومة الزواج الناجح حسن التبعل، أي الزوجة تراعي شؤون وعواطف الزوج، وعملها هذا بمنزلة الجهاد في سبيل الله، وهذا يعني أنّه من الأمور الصعبة، والذي تستحقّ عليه التقدير الإلهي والأجر العظيم وحسن التبعل يعني لباقة الزوجة ولطافتها في التعامل مع زوجها والذي يحتاج إلى ثقافة واضطلاع لكي تكون المرأة ناجحة كزوجة.

٤٨- قال أمير المؤمنين عليه السلام: جهاد المرأة حسن التبعل.

٤٩- وقال: لتطيب المرأة المسلمة لزوجها<sup>(١)</sup>.

حيث إنَّ اهتمام المرأة بنفسها له دور كبير في انجذاب الزوج إليها، فهي تعتني بهندامها فتكون أنيقة المظهر رشيقة التصرف حلوة الأسلوب عذبة اللهجة تبدو كلَّ يوم في صورة أحلى وأجمل وأليق وأبقر.

٢٨- ترك السحر والشعبذة :

من المؤسف لا زال بعض النساء يلجأن في حلِّ مشاكلهن العائلية إلى السحر والكهانة والشعبذة، فتصرف الأموال على أمل أن تستميل قلب زوجها، أو يطلق زوجته الثانية، وما شابه ذلك، ويحصل مثل هذه الأمور في القرى والأرياف والعوائل الأمية والتي هي بعيدة عن الثقافة والتمدن.

بل تجد أن بعض المثقفات عندما يصلن إلى الطريق المسدود فإنهن يلجأن إلى ما تلجأ إليه النسوة الأميات الجاهلات.

والإسلام العظيم أنكر هذا الأمر غاية الإنكار.

٥٠- قال عليٌّ عليه السلام: أقبلت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: يا رسول الله،

إنَّ لي زوجاً وله عليٌّ غلظة وإني صنعت به شيئاً لأعطفه عليّ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أف لك، كدّرت دينك لعنتك الملائكة الأخيار، لعنتك ملائكة السماء، لعنتك ملائكة الأرض. فصامت نهارها وقامت لياليها - بالعبادة والصلاة - ولبست المسوخ، ثمَّ حلقت رأسها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ حلق الرأس لا يقبل منها إلا أن يرضى الزوج<sup>(٢)</sup>.

(١) البحار ١٠٠ : ٢٤٥ .

(٢) البحار ١٠٠ : ٢٥٠ .

### ٢٩- الخدمة المتواصلة :

تتقرَّب المرأة بخدمة زوجها إلى الله سبحانه، فالحياة الزوجية ليس مجرد حقوق وأداء وظائف من قبل الزوج والزوجة، بل الحياة الزوجية تعني الحب المتبادل والاحترام المتبادل والخدمة المتبادلة.

٥١ - عن الصادق عليه السلام، قال : سألت أم سلمة رسول الله صلى الله عليه وآله عن فضل النساء في خدمة أزواجهن، فقال : أيما امرأة رفعت من بيت زوجها شيئاً من موضع إلى موضع تريد به صلاحاً إلا نظر الله إليها، ومن نظر الله إليه لم يعذبه.

فقالَت أم سلمة رضي الله عنها : زدني في النساء المساكين من الثواب بأبي أنت وأمي ؟ فقال صلى الله عليه وآله : يا أم سلمة، إن المرأة إذا حملت كان لها من الأجر كمن جاهد بنفسه وماله في سبيل الله عزَّ وجلَّ، فإذا وضعت قيل لها : قد غفر لك ذنبك فاستأنفي العمل، فإذا أرضعت فلها بكلِّ رضعة تحرير رقبة من ولد إسماعيل <sup>(١)</sup>.

فأيُّ ظلم يلحق المرأة من هذا ؟ وأيُّ انتقاص عندما تعمل في بيتها بنية خدمة أولادها وزوجها الذي يعتبر شخصاً مهماً في حياتها، فهل إذا أعطت المرأة شيئاً من عواطفها تجاه زوجها وأبنائها تكون حرّية المرأة في خطر داهم كما يزعم دعاة تحرّر المرأة ورفع الظلم عنها.

### ٣٠- الشكر :

من غرائز الإنسان الشكر، فإنّه بطبيعته وجزئته يشكر من يحسن إليه، والمحسن الأوّل والمنعم الأوّل هو الله سبحانه، فيجب شكر المنعم، وكلّ النعم تنتهي إليه سبحانه فهو أولى بالشكر والحمد، إلاّ أنّه من شكره شكر المخلوق إذا



٢٧٠..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

أحسن إليك أيضاً، فإنه من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق، ولا بدّ من تحقّق الشكر بين الزوجين وفي حياة الأسرة، فالرجل يشكر زوجته على ما تبذل من الجهد في طهي الطعام وتنظيف الملابس والدار وتربية الأولاد وغير ذلك من المسؤوليات والوظائف التي في عهدتها في عالم الزوجية والأمومة.

ويجب على الرجل أن يشعر في قرارة نفسه أنّ هذا تفضّل من زوجته وحسن أخلاق منها لا أنّه يقول هذا واجبها فلا بدّ أن تقوم به راغمة.

وكذلك المرأة عليها أن تشكر الزوج لما يبذل من جهد في العمل من أجل راحتها وراحة أولادها ورفاهيتهم وسعادتهم. إلا أنّ بعض النساء وربما الأعم الأغلب يفقدن الشكر، بل ينكرن المعروف.

٥٢- أنت امرأة إلى النبي ﷺ، فقالت: ما بال المرأتين برجل في الشهادة والميراث؟ فقال: لا تكن ناقصات الدين والعقل، قالت: يا رسول الله ﷺ، وما نقصان ديننا؟ قال: إنّ إحداكن تقعد نصف دهرها لا تصلي، وإنّكن تكثرن اللعن وتكفرن العشرة تمكث إحداكن عند الرجل عشر سنين فصاعداً يحسن إليها وينعم عليها، إذا ضاقت يده يوماً أو خاصمها قالت له: ما رأيت منك خيراً قطّ، ومن لم تكن من النساء هذا خلقها فالذي يصيبها من هذا النقصان محنة عليها لتصبر فيعظم الله ثوابها، فأبشري<sup>(١)</sup>.

### ٣١- العشق المتبادل :

مما يديم العلائق الزوجية ويعدّ من أهمّ العرى هو الحبّ، وهو عبارة عن الميل القلبي نحو المحبوب، وهذا العامل لا بدّ أن يكون على نحو التبادل

(١) البحار ١٠٠: ٢٥٩.

والمفاعلة بينهما، وإلا فالحبّ من طرف واحد ممّا يوجب الصداع في الحياة، ويخلق المشاكل، فلا ترغب في من زهد فيك، ولا تزهدي في من رغب فيك، فلا بدّ من التفاعل العاطفي بين الزوجين، وإذا ازداد الحبّ فإنّه يصل إلى مرحلة العشق، فإنّه زيادة في الحبّ، وهذا التعبير الجميل قد ورد في لسان الروايات الشريفة.

فقد قال ﷺ: **إِنَّ الْجَنَّةَ لِأَعَشَقَ لِسُلْمَانَ مِنْ سُلْمَانَ لِلْجَنَّةِ**. وإن ورد في ذمّ العشق أيضاً إلاّ أنّه من العشق المحرّم والباطل فعندما سئل الإمام الصادق عليه السلام عن العشق قال: **قلوب خلت عن ذكر الله فأذاقها محبة غيره، فالاختلاف في المحتوى والمفاهيم ومتعلقات العشق، فمن العشق الممدوح ما كان بين الزوجين.**

٥٣ - في فقه الرضا عليه السلام: **واعلم أنّ النساء ستّى، فمنهن الغنيمة والغرامة وهي المتحبّبة لزوجها والعاشقة له<sup>(١)</sup>.**

والحبّ ينشأ بين الزوجين عندما يكون الاختيار مناسباً أولاً فهو اللبنة الأولى في صرح الحبّ المشيّد، ثمّ التفاهم الذي لا بدّ منه ثانياً، والأول هو الباب الواسع للدخول إلى الثاني، فإنّ من يحبّ شخصاً يفتح عليه ويصغي إليه بسمعه وقلبه من دون ملل أو تعب، فإذا ما وجد الخاطب الصفات العامة التي يطلبها في الزوجة متوقّرة في إنسانة معيّنة وهي كذلك، وتمّ الأمر بينهما فيكونان قد بذرا بذرة الحبّ التي تحتاج إلى عناية ورعاية واهتمام، وإتّما يكون ذلك بالتفاهم المتبادل، فالحبّ يكون بالزواج المؤسس على أساس علميّ متين، ولا يحتاج الزوجان إلى حبّ عاصف قبل الزواج يدوم سنة أو سنوات، ولهذا حديث ذو شجون.

## لقطتان من البيت العلوي الفاطمي

أفضل سيرة تربوية للأسرة هي سيرة أمير المؤمنين مع فاطمة الزهراء عليها السلام، فإنها سيرة زوجين معصومين، فأقوالهما وأفعالهما وتقريرهما كلها من السنة الشريفة، ولا توجد أسرة تحمل العصمة الذاتية الكلية الواجبة بكل أبعادها وجوانبها إلا الأسرة العلوية الفاطمية، أي الأسرة المتكوّنة من زوجين معصومين (عليّ وفاطمة عليهما السلام)، فحياتهما الزوجية والأسرية خير مثال وخير قدوة وأسوة يهتدى به، وفي حياتهما لقطات تشعّ نوراً وجمالاً وبهاءً وحيويةً ونشاطاً، تعلّمنا كيف نعيش وكيف نفكر كزوجين ناجحين في الحياة الزوجية وفي عالم الأسرة والتربية والتعليم.

ومن تلك اللقطات :

لما أراد الأول والثاني أن يعودا فاطمة الزهراء عليها السلام في مرضها، فاستأذنا علياً عليه السلام، فدخل عليها وقال لها: أيتها الحرّة فلان وفلان بالبواب يريدان أن يسلمّا عليك فما تريدان؟ قالت: البيت بيتك والحرّة زوجتك، افعل ما تشاء.

هذه لقطة رائعة في الحياة الزوجية، فإنها توحى للزوجين كيف يكون التفاهم بينهما وكيف يتعاملان، في من يريد أن يدخل البيت معتذراً أو ضيفاً أو لقضايا سياسية أو غير ذلك، على الزوج أن يخبر زوجته ويعرف رأيها في الموضوع، فإن لها حقّ في البيت وما يجري فيه.

والزوجة بالمقابل تدرك الموقف، ولا ترى لنفسها وجوداً في رحاب زوجها، بل البيت بيتك، والحرّة وإن كانت حرّة، إلا أنّها زوجتك فهي في قيد

الزوجيّة والإطاعة للزوج، فافعل ما تشاء<sup>(١)</sup>.

ومن اللقطات البديعة ما جاء في وصيّة الزهراء عليها السلام، فإنّها بيّنت الأركان الأساسية في الحياة الزوجية، وعلمت البشرية ونساء العالم كيف تكون الزوجة في بيت زوجها، وما هي وظائفها الدينية والإنسانية، وإنّها لو تحلّت بهذه الصفات لعاشت سعيدة وماتت سعيدة وساد الحبّ والحنان حياتها، فيعزّز فراقها على زوجها.

لمّا مرضت فاطمة مرضاً شديداً ومكثت أربعين ليلة في مرضها، فلمّا نعت إليها نفسها قالت لعليّ عليه السلام : يا بن عمّ، إنّه قد نعت إليّ نفسي وإنّي لا أرى ما بي إلاّ أنّي لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة، وأنا أوصيك بأشياء في قلبي.

قال لها عليّ عليه السلام : أوصي بما أحببت يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فجلس عند رأسها وأخرج من كان في البيت، ثمّ قالت : يا بن عمّ، ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني.

فقال عليه السلام : معاذ الله، أنت أعلم بالله وأبرّ وأكرم وأشدّ خوفاً من الله من أن أوبّخك بمخالفة، وقد عزّ عليّ مفارقتك وفقدك إلاّ أنّه أمرٌ لا بدّ منه، والله جدّدت عليّ مصيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وقد عظمت وفاتك وفقدك، فإنّا لله وإنا إليه راجعون من مصيبة ما أعظمها وآلمها وأمضاها وأحزنها، هذه والله مصيبة لا عزاء لها، ورزّيّة لا خلقت لها، ثمّ بكيا جميعاً ساعة<sup>(٢)</sup>.

لقد لخصت فاطمة الزهراء في هذا الحوار الملكوتي حياتها الزوجية في

(١) البحار ٤٣ : ١٩١.

(٢) البحار ٤٣ : ١٩١.

هذه الأركان الثلاثة :

١ - عدم الكذب .

٢ - عدم الخيانة .

٣ - عدم المخالفة .

فذكرت الأمير عليه السلام بإخلاصها وطهارتها وإطاعتها لزوجها، وشكر الإمام عليه السلام وفاءها وأتتى على طهارتها وقدسيتها ومعاناتها وتقواها وأبدى لها حبه وودّه وتعلّق بها .

لقد كانت كلماته عليه السلام تفيض بالحبّ وتجيش بالاحترام والتقدير لزوجته التي لا تماثلها زوجة بل امرأة في العالمين ، كلماتٌ محبّة متعلّقة يعرف تماماً قدرَ محبوبه .

وهاجت بهما الذكريات وجاشت الخواطر وتذكّرا حياتهما السعيدة التي غمرتها الغبطة والدفء والحنان والوقوف جنباً إلى جنب في مواجهة الأحداث والمشاكل وتذليل الصعاب ، فانهمرت لذلك عيناها بالدموع لعلّها تطفئ نار القلب التي تقضي على الجسد .

وبعد أن بكيا ساعة أخذ عليه السلام رأسها وضّمّها إلى صدره، ثمّ قال : أوصيني بما شئت ، فإنّك تجديني فيها أمضي كما أمرتيني به ، وأختار أمرك على أمري .

أجل هكذا الحياة الزوجية السعيدة أن يختار الزوج تقديم هوى زوجته على هواه ما دامت الزوجة متّقية خائفة من الله وتعلم بالله ومن أهل البرّ والكرامة ، كما أنّ الزوجة تقدّم هوى زوجها على هواها ، ما دام مطيعاً لله كريماً مخلصاً برّاً وفتياً متّقياً ، وإلى مثل هذه الحياة الزوجية ندعو الناس قاطبة ، فإنّهم ينالون سعادة الدارين ، خير الدنيا والآخرة .

## الفصل الثامن

### تربية الأولاد

وفيه مقامات :

#### المقام الأول

#### حبّ الأطفال والأولاد

الحبّ هو الميل القلبي والرغبة الباطنية نحو المحبوب، فالحبّ رابط بين المحبّ والمحبوب، ويختلف باختلاف الدواعي وتمعّلاته، فتارةً يكون ممدوحاً وأخرى مذموماً، فحبّ الخير ممدوح، وحبّ الشرّ مذموم كمذمومية الشرّ نفسه. ومن الحبّ الممدوح والذي يقرّ العقل السليم والفترة السليمة عليه، ويعدّ من الأحاسيس والعواطف الإنسانية، بل حتّى يجري في الحيوانات، وقد أقرّه الشرع المقدّس، ورُتب عليه الأجر والثواب، هو حبّ الأطفال بصورة عامة، وحبّ الإنسان أولاده بالخصوص بصورة خاصّة.

ففي الشرائع السماوية يعدّ حبّ الأطفال من أفضل الأعمال.

١ - من كتاب المحاسن، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال موسى عليه السلام:

٢٧٦ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

يا ربّ، أيّ الأعمال أفضل عندك؟ قال: حبّ الأطفال، فأني فطرتهم على توحيدني، فإن أمّتهم أدخلتهم جنتي برحمتي.

وكلّ مولود يولد على الفطرة، فإنما المحيط والبيئة كالأبوين يهودانه أو يمجّسانه أو ينصرّانه، وهذا يعني أنّ كلّ طفل حتّى أطفال الكفّار باعتبار فطرتهم التوحيدية يكون محبوباً، وأنّ المؤمن الموحد الذي يرى الله في كلّ شيء، ولا يرى شيئاً إلّا ورأى الله قبله ومعه وبعده، بلا شكّ يحبّ الأطفال ويودّهم، بل يدعو لهم بالهداية والتوفيق في الحياة.

## المقام الثاني الولد<sup>(١)</sup> أو البنت

كان المجتمع الجاهلي قبل الإسلام يميل إلى الذكور ليكونوا المستقبل في حروبهم وغاراتهم، ويبدون البنات فيدفنونهنَّ أحياء اعتقاداً منهم أنَّهم عار عليهم، وفي الحروب غنائم للأعداء والخصوم، أو لأسباب اقتصادية. جاء الإسلام ليرفع من مستوى المرأة، ويذمَّ فعل الجاهليين، ويحرِّك ضميرهم بهتاف قرآني في قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾<sup>(٢)</sup>.

ويذمُّ أولئك الذين إذا بشرُوا بالأنثى أسودَّ وجهه وهو كظيم كما أخبرنا الله تعالى في قوله :

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾<sup>(٣)</sup>.

جاء نبي الرحمة ليعلن ثورته الإصلاحية ضدَّ الأعراف والتقاليد الجاهلية، ويحارب العادات السيئة، ويكسر الأصنام ويحطم القيود والأغلال ليتحرَّر الإنسان من عبودية نفسه أو عبودية غير الله، ويهديه الصراط المستقيم، وإلى

(١) الولد تارةً يقصد منه الذكر ويقابله البنت. وأخرى بمعنى المولود أعمَّ من الذكر والأنثى كما في الروايات.

(٢) التكوير : ٨ - ٩.

(٣) النحل : ٥٨.



عبادة الله الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

جاءت التعاليم الإسلامية لتعطي حق المرأة، وتبين مكانتها السامية في المجتمع الإسلامي والأسرة المتديّنة.

جاء ليبيّن للناس أنّ المقصود من الحمل والولادة والمولود أن يكون سالماً هو وأمه، ولا فرق بين الذكر والأنثى، فإنّ المقصود تثقيل الأرض بكلمة لا إله إلاّ الله سواء قال ذلك الوالد الصالح أو البنت الصالحة، فالعمدة التربوية الصحيحة وحكومة الدين والتقوى والعمل الصالح والعلم النافع في الأسرة والمجتمع.

وفي هذا المعنى نصوص كثيرة نذكر جملةً منها طلباً للاختصار.

١ - عن الصادق عليه السلام، قال: البنات حسنات والبنون نعمة، والحسنات يثاب عليها، والنعمة يُسأل عنها.

٢ - بُشّر النبي صلى الله عليه وآله بابنة، فنظر في وجوه أصحابه فرأى الكراهية فيهم، فقال: ما لكم؟ ريحانة أشمّها ورزقها على الله.

٣ - وقال صلى الله عليه وآله: نعم الولد البنات المخدّرات، من كانت عنده واحدة جعلها ستراً له من النار، ومن كانت عنده اثنتان أدخله الله بهما الجنة، وإن كنّ ثلاثاً أو مثلهن من الأخوات وضع عنه الجهاد والصدقة.

٤ - وقال صلى الله عليه وآله: خير أولادكم البنات.

٥ - قال عمر بن يزيد للإمام الصادق عليه السلام: إنّ لي بنات، فقال له: لعلك تتمنى موتهن، أما إنك لو تمنيت موتهن، ومتن لم تؤجر يوم القيامة، ولقيت ربك حين تلقاه وأنت عاصٍ.

٦ - وروي عن حمزة بن حرمان، بإسناده، أنّه أتى رجل النبي صلى الله عليه وآله وعنده رجل فأخبره بمولود له فتغيّر لون الرجل، فقال النبي صلى الله عليه وآله: ما لك؟ فقال: خير.

قال : قل . قال : خرجت والمرأة تمخض - أي تريد وضع حملها - فأخبرت أنها ولدت جارية - أي بنتاً - فقال له النبي ﷺ : الأرض تقلها والسماء تظلمها والله يرزقها، وهي ريحانة تشمها، ثم أقبل على أصحابه فقال : من كانت له ابنة واحدة فهو مقروح، ومن كان له ابنتان فيا غوثاه، ومن كان له ثلاث بنات وضعه عنه الجهاد وكلّ مكروه، ومن كان له أربع بنات فيا عباد الله أعينوه، يا عباد الله أقرضوه، يا عباد الله ارحموه .

٧- وقال ﷺ : من عال ثلاث بنات أو ثلاث أخوات وجبت له الجنة، قيل : يا رسول الله واثنين؟ قال : واثنين، قيل : يا رسول الله وواحدة؟ قال : وواحدة . هذا في فضل البنات، حتى يعلم أنّ المقصود ليس الذكور وحسب بل العمدة سلامة المولود كما ورد من كتاب المحاسن :

٨- كان عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام إذا بُشّر بولد لم يسأل أذكر هو أم أنثى، بل يقول : أسويّ؟ فإذا كان سوياً - أي لا عيب فيه ويخرج بسلامة - قال : « الحمد لله الذي لم يخلقه مشوّهاً » .

٩- الكافي : عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : نعم الولد البنات ملطفات مجهّزات - أي مهيات الأمور - مؤنسات مباركات مفلّيات .

١٠- قال رسول الله ﷺ : إنّ الله تعالى على الإناث أرف منه على الذكور وما من رجل يدخل فرحة على امرأة بينه وبينها حرمة إلاّ فرّحه الله يوم القيامة .

١١- عن الجارود بن المنذر قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : بلغني أنّه ولد لك ابنة فتسخطها، وعليك منها ريحانة تشمها وقد كفيت رزقها وقد كان رسول الله أباً بنات<sup>(١)</sup> .

(١) الوافي ١٢ : ١٢٩٨ .

٢٨٠ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

١٢ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن إبراهيم عليه السلام سأل ربه أن يرزقه ابنة تبيكه وتندبه بعد موته.

بيان: (تندبه) أي تبيكه وتعدّد محاسنه بالبكاء ولعلّ الفائدة في البكاء وتعداد المحاسن تذكّر الناس به وبمحاسنه، فلعلّهم يرقّون له ويدعون فيصل إليه بركة دعائهم ومن هذا القبيل ما سأله عليه السلام في دعائه بقوله: ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾.

١٣ - الكافي بسنده عن الكرخي عن ثقة من أصحابنا قال: تزوّجت بالمدينة فقال لي أبو عبد الله عليه السلام: كيف رأيت؟ قلت: ما رأى رجل من خير في امرأة إلا وقد رأيتها فيها ولكن خانتني، فقال: وما هو؟ قلت: ولدت جارية، قال: لعلك كرهتها إن الله تعالى يقول: ﴿أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾.

بيان: يعني كما أن الآباء والأبناء لا يدري مقدار نفعهم وإنّ أيّهم أنفع، كذلك الابن والبنت، ولعلّ بنتاً تكون أنفع لوالديها من الابن، ولعلّ ابناً يكون أضّر لهما من البنت، فينبغي أن يرضيا بما يختار الله لهما.

١٤ - الكافي بسنده عن الحسن بن سعيد اللحمي قال: ولد لرجل من أصحابنا جارية فدخل علي أبي عبد الله عليه السلام فرآه متسخطاً فقال له أبو عبد الله عليه السلام: رأيت لو أنّ الله أوحى إليك أن أختارك أو تختار لنفسك ما كنت تقول؟ قال: كنت أقول يا ربّ تختار لي، قال: فإنّ الله قد اختار لك ثمّ قال: إنّ الغلام الذي قتله العالم الذي كان مع موسى عليه السلام وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ أبدهما الله به جارية ولدت سبعين نبياً.

١٥ - الفقيه عن الصادق عليه السلام قال م من عال ابنتين أو أختين أو عمّتين أو خالنتين حجبتاه من النار - من أعال أي أنفق وتكفل بحياتهما المعيشية - .

١٦ - الفقيه : قال عليه السلام : إذا أصاب الرجل ابنة بعث الله عزّ وجلّ إليها ملكاً فأمرّ جناحه على رأسها وصدورها وقال : ضعيفة خلقت من ضعف ، المنفق عليها مُعان<sup>(١)</sup> .

---

(١) الوافي ١٢ : ١٣٠٢ .

## المقام الثالث طلب الولد

بعد تشكيل الأسرة والزواج المبارك والميمون يأتي حكم العضو الثالث في الأسرة وهو الطفل - الذكر والأنثى - فإن من أهمّ عوامل الزواج كما مرّ هو الولد الصالح، وتقع أحكام الطفل ضمن أدوار عديدة من قبل تكوين النطفة بما أعطاه من تعاليم وإرشادات في مسألة اختيار الزوجة والزواج فإن لهذا الاختيار دوراً كبيراً وأثراً مهماً في الولد، فقد حدّد صفات المرأة التي تصلح أمّاً لولدٍ صالح سليم وكذلك صفات الرجل الذي يصلح لأن يكون أباً لذلك الولد. ثمّ له تعاليم بعد الزواج قبل الحمل ثمّ أثناء الحمل ثمّ أثناء الولادة وما بعدها إلى أن يصبح الولد مؤهلاً لإدارة شؤونه بمفرده.

ويمكن أن يقال إنّ أوّل دور للأبوين في عالم الأولاد هو طلب الولد، وقد وردت نصوص كثيرة في ذلك، وفلسفة الطلب وأهدافه.

١- قال رسول الله ﷺ: الولد الصالح ريحانة من رياحين الجنة.

٢- عن الصادق عليه السلام، قال: ميراث الله من عبده المؤمن، ولد صالح يستغفر له.

٣- عن الرضا عليه السلام، قال: إنّ الله تبارك وتعالى إذا أراد بعبدٍ خيراً لم يمته حتى يُريه الخلف - أعمّ من الذكر أو الأنثى -، والخلف بالفتح أي الولد الصالح.

٤- وروى: أنّ من مات بلا خلف فكأن لم يكن في الناس، ومن مات وله خلف فكأن لم يمته.

ولهذا يقال : من عنده الولد - البنت أو الذكر - فإنه حيّ بين الناس وإن مات .

٥ - وعن الصادق عليه السلام ، قال : إن الله عزّ وجلّ ليرحم الرجل لشدة حبه لولده .

٦ - من كتاب المحاسن ، عن بكر بن صالح ، قال : كتبت إلى أبي الحسن الثاني عليه السلام : إني اجتنبت طلب الولد من خمس سنين ، وذلك أن أهلي كرهت ذلك وقالت : إنه يشتدّ عليّ تربيتهم لقلّة الشيء فما ترى ؟ فكتب عليه السلام : اطلب الولد فإنّ الله يرزقهم .

وهذا جواب لمن يقول في عصرنا : من السعادة قلّة الأولاد ، وأنّ من الحياة الأفضل قلّة الأولاد ، لصعوبة التربية والمشاكل الاقتصادية ، فجوابهم : إن الله يرزقهم ، وورد عن الإمام السجّاد : « وأعني على تربيتهم » ...

٧ - عن الفردوس ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : اطلبوا الولد والتمسوه ، فإنه قرّة العين وريحانة القلب ، وإياكم والعجز والعقر .

العُجْزُ : بضمّتين جمع عجوز أي المرأة المسنّة ، والعقر : كركع ، جمع عاقر كراكع المرأة التي لا تلد والتي انقطع حملها .

ولمّا كان طلب الولد يتحقّق بالدعاء والطلب من الله سبحانه ، فهناك روايات كثيرة تشير إلى بعض الأدعية الواردة في هذا الباب .

٨ - عن عليّ بن الحسين عليه السلام ، أنّه قال لبعض أصحابه : قل في طلب الولد : « ربّ لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين » واجعل لي من لدنك ولياً يبرّ بي في حياتي ويستغفر لي بعد وفاتي ، واجعله خلقاً سويّاً ولا تجعل للشيطان فيه شركاً ولا نصيباً ، اللهمّ إني أستغفرك وأتوب إليك إنك أنت الغفور الرحيم ( سبعين مرّة ،

فإن من أكثر هذا الدعاء رزقه الله ما يتمنى من مال وولد، ومن خير الدنيا والآخرة، فإنه تعالى يقول: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا \* يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا \* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾<sup>(١)</sup>.

٩- من كتاب طب الأئمة، عن سليمان الجوزي، عن شيخ مدائني، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: وفدت إلى هشام بن عبد الملك، فأبطأ عليّ الإذن حتى اغتمت، وكان له حاجب كثير الدنيا لا ولد له. فدنا أبو جعفر عليه السلام فقال له: هل لك أن توصلني إلى هشام فأعلمك دعاء يولد لك ولد؟ فقال: نعم. وأوصله إلى هشام ففضى حوائجه، فلما فرغ قال له الحاجب: جعلت فداك، الدعاء الذي قلت لي علمني؟ فقال: نعم، تقول في كل يوم إذا أصبحت وإذا أمسيت: «سبحان الله» سبعين مرة، وتستغفر الله عز وجل عشر مرات، وتسبحه تسع مرات وتختتم العاشرة بالاستغفار لقوله تعالى: ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا \* يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا \* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾، فقالها الحاجب فرزق ذرية كثيرة، وكان بعد ذلك يصل أبو جعفر وأبا عبد الله عليهما السلام، قال سليمان: فقلتها وقد تزوجت ابنة عمي وقد أبطأ عليّ الولد منها وعلمتها أهلي فرزقت ولداً، وزعمت المرأة أنها حين تشاء أن تحمل حملت إذا قالتها، وعلمتها غيرها ممن لم يكن يولد له فولد لهم ولد كثير.

١٠- عن أبي بكر بن الحرث البصري، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إني أهل بيت قد انقرضوا وليس لي ولد، قال: فادعُ الله عز وجل وأنت ساجد وقل:

«رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدَّعَاءِ»، «رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ»، قال: فقلتها فولد لي عليّ والحسين.

١١ - وبرواية عنه عليه السلام لطلب الولد قال: إذا أردت المباشرة فلتقرأ ثلاث مرّات: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا﴾ <sup>(١)</sup> إلى ثلاث آيات فإنك سترزق ولدًا إن شاء الله.

١٢ - من كتاب نوادر الحكمة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: دخل رجل عليه فقال: يا بن رسول الله ولد لي ثمان بنات رأس علي رأس ولم أر قط ذكراً، فادع الله عزّ وجلّ أن يرزقني ذكراً؟ فقال الصادق عليه السلام: إذا أردت المواقعة وقعدت مقعد الرجل من المرأة، فضع يدك اليمنى على يمين سُرّة المرأة واقراً ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ <sup>(٢)</sup> سبع مرّات، ثم واقع أهلك، فإنك ترى ما تحبّ، وإذا تبيّنت الحمل فمتى ما انقلبت من الليل فضع يدك اليمنى على يمين سرّتها واقراً ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ سبع مرّات. قال الرجل: ففعلت ذلك فولد لي سبع ذكور رأس على رأس. وقد فعل ذلك غير واحد - أي كثير - فرزقوا ذكوراً.

١٣ - عن الحسن بن عليّ عليه السلام، أنه وفد على معاوية، فلمّا خرج تبعه بعض حجابيه وقال: إني رجل ذو مال ولا يولد لي فعلمني شيئاً لعلّ الله يرزقني ولداً؟ فقال: عليك بالاستغفار، فكان يكثر الاستغفار حتّى ربما استغفر في اليوم سبعمئة مرّة، فولد له عشرة بنين، فبلغ ذلك معاوية فقال: هلا سألته ممّ قال ذلك؟ فوفده وفدة أخرى (علي معاوية) فسأله الرجل فقال: ألم تسمع قول الله عزّ اسمه

(١) الأنبياء: ٨٧.

(٢) القدر: ١.



٢٨٦ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

في قصة هود عليه السلام : ﴿ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> ، وفي قصة نوح عليه السلام : ﴿ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

١٤ - عن أبي بصير قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : إذا أبطأ على أحدكم الولد فليقل : ﴿ اللَّهُمَّ لَا تَذِرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ وحيداً وحشاً فيقصر شكري عن تفكري بل هب لي عاقبة صدق ذكوراً وأناثاً أنس بهم من الوحشة وأسكن إليهم من الوحدة وأشكرك عند تمام النعمة ، يا وهَّاب يا عظيم يا معظَّم ، ثم اعطني في كلِّ عاقبةٍ شكراً حتَّى تبلغني منها رضوانك في صدق الحديث وأداء الأمانة ووفاء العهد .

١٥ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من أراد أن يحبل له فليصل ركعتين بعد الجمعة يطيل فيهما الركوع والسجود ثم يقول : (اللهم إني أسألك بما سألك به زكريا إذ قال : رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين اللهم هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء ، اللهم باسمك استحلتتها ، وفي أمانتك اخذتها فإن قضيت في رحمها ولداً فاجعله غلاماً مباركاً زكياً ولا تجعل للشيطان فيه شركاً ولا نصيباً) .

١٦ - عن أبي عبد الله عليه السلام أنه شكى إليه رجل أنه لا يولد له فقال له أبو عبد الله عليه السلام : استغفر ربك في السحر مئة مرة فإن نسيت فاقضه .

١٧ - وروى في كتاب الصلاة : ممَّا يكثر الولد رفع الصوت بالأذان <sup>(٣)</sup> .

(١) هود : ٥٢ .

(٢) نوح : ١٢ .

(٣) المصدر : ١٣٠٨ .

١٨ - عن الصادق عليه السلام، قال: إذا كان بامرأة أحدكم حمل وأتى عليها أربعة أشهر فليستقبل بها القبلة وليقرأ آية الكرسي وليضرب على جنبها وليقل: (اللهم إني قد سميتك محمداً)، فإن الله عز وجل يجعله غلاماً - أي ولدأً مذكراً - فإن وفي بالإسم - أي بقي على الاسم ولم يغيره - بارك الله له فيه، وإن رجع عن الاسم كان لله فيه الخيار إن شاء أخذه، وإن شاء تركه.

### إشارة ودعوة :

لعل بعض المختصين في العلوم المادية - كالطب مثلاً - يستغرب مثل هذا العلاج لحالة تستعصي حتى على الطب الذي بلغ شأواً رفيعاً في التقدّم والتطور ولعل البعض والعياذ بالله يستهزئ ويعتبر هذه الوصفة دروشة وبساطة دينية واضحة، ولكنّ الإنسان الذي يعتبر نفسه واعياً مثقفاً لا بدّ أن يكون موضوعياً منصفاً فيتحقّق ولا تأخذه العزّة بالتطور «التكنولوجي» بعيداً عن جادة الإنصاف فهؤلاء لماذا لا يتناولون مثل هذه الأخبار بالدراسة والتجربة فإنهم سوف يكتشفون ولا شك اكتشافاتٍ باهرة مذهشة وقف أمامها العلم الحديث لا يدري ما يفعل، فلو عدنا إلى خبر أبي جعفر عليه السلام مع حاجب هشام بن عبد الملك ودرسنا هذه الوصفة بشكل علمي من الناحية النفسية ومن الناحية البدنية ولا أحد ينكر ما للحالة النفسية من أثر كبير على البدن، وقد كتب الكثيرون في ذلك وهي حقيقة مذكورة بشكل واضح ومكرّر في روايات الأئمة عليهم السلام حيث أنّ الحالة النفسية لها أثر على البدن، والحالة البدنية لها أثر على النفس، والإسلام جاء بما يصلح النفس والبدن لينتج مزيجاً إنسانياً سليماً ومعافى، فلماذا تؤثر على البدن فتحدث فيه تغييرات معيّنة تساعد على عملية الإنجاب.

٢٨٨ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

فما على أصحاب الاختصاصات إلا أن يشمروا عن سواعد الجدّ والعمل، وأن يتناولوا مثل هذه الروايات التي تحوي على أسرار مذهبة ومعجزة، وأمّا دور رجال الدين في هذا هو أن يثبت أن صاحب هذا القول معصوم، وأنّ المعصوم يصيب الواقع فلا يخطأ أبداً، وكذلك لرجل الدين دور آخر وهو إثبات صدور هذه الرواية عن المعصوم، وله مساهمة في دراسة بعض ما يشكل من مفردات في متن الرواية، وأمّا التجربة والاختبار فهذا ليس من صميم عمله، فكلُّ يقوم بدوره بحسب اختصاصه العلمي والعملية.

## المقام الرابع

### الحمل وآدابه

الدور الثاني في تربية الأولاد الذي يختص بالنساء هو دور الحمل، وله معالم عديدة من تكوين النطفة، وخلق الجنين، والولادة، وفي المهد طفلاً، والرضاعة، والفظام، ثم يأتي دور الأب المباشر ليدخل مع الأم في تربية المولود سواء كان ولداً أو بنتاً كما ذكرنا.

والمرأة بوّدها أن تعرف ما لها من الأجر والثواب في تحمّل صعب هذه الأدوار والمعالم، ولنا طوائف من الروايات الشريفة تذكر لنا بوضوح عن الأجر والثواب لتحمل عبء هذه المسؤولية الخطيرة المزدحمة بالآلام والأوجاع والمتاعب.

١ - عن زيد بن عليّ، عن آبائه عليهم السلام، قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله الجهاد، فقالت امرأة: يا رسول الله، ما للنساء من هذا شيء؟ - يعني ليس لهم من فضائل الجهاد وثوابه - فقال: بلى، للمرأة ما بين حملها إلى وضعها، ثم إلى فطامها من الأجر كالمرباط في سبيل الله، فإن هلكت فيما بين ذلك - أي ماتت - كان لها مثل منزلة الشهيد.

٢ - قال عليه السلام: إن للمرأة في حملها إلى وضعها إلى فصالها من الأجر كالمرباط في سبيل الله، فإن هلكت فيما بين ذلك فلها أجر شهيد. ولا بدّ لمن يحوم حول الحامل أن يراعي شعورها وعواطفها وأحاسيسها، لا سيّما الزوج، فإنّ له الدور الفعّال في عواطف الحامل، فما يفعله من الخير أو

٢٩٠ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

الشرّ من اللطف والمحبة أو الأذى والإيلام يؤثر في تكوّن الجنين وفي خلقه وخُلُقهِ، وهذا يعني أنّ الجنين يتغذّى بالغذاء المادّي والمعنوي من أمّه، فلا بدّ أن يتقدّم للطفل الغذاء الجيّد للطفل.

٣- قال الإمام الباقر عليه السلام: لا تخيفوا المرأة الحامل، فإنّ ذلك يؤثر على الجنين.

ثمّ سبحانه يزيد لها قوّة عند الحمل.

٤- عن الصادق عليه السلام، عن أبيه عليه السلام، قال: إنّ الله تبارك وتعالى جعل للمرأة صبر عشر رجال، فإذا حملت زادها قوّة عشرة رجال أخرى.

## المقام الخامس

### أثر الطعام على الحوامل والأولاد والجماع

إنّ للطعام التأثير البالغ في جسم الإنسان وروحه كما يشهد بذلك الوجدان وعلم الطبّ وما جاء في الأخبار الشريفة. وإليكم جملة من الأطعمة ذات التأثير الخاصّ على الحوامل والأولاد، كما ورد في الروايات :

١ - قال رسول الله ﷺ : كلوا السفرجل وتهادوه بينكم، فإنّه يجلو البصر وينبت المودّة في القلب، وأطعموه حبلاكم، فإنّه يحسّن أولادكم، وفي رواية : يحسّن أخلاق أولادكم.

٢ - عن الصادق عليه السلام، أنّه نظر إلى غلام جميل، فقال : ينبغي أن يكون أبو هذا أكل سفرجلاً ليلة الجماع.

٣ - الكافي عبد أبي عبد الله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : خير تموركم البرني فأطعموه نساءكم في نفاسهن يخرج الولد ذكياً حليماً، وفي خبر آخر : حكيماً.

٤ - عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : ليكن أوّل ما تأكل النفساء الرطب فإنّ الله تعالى قال لمريم : ﴿ وَهَزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقُطُ عَلَيْكِ رُطْبًا جَنِيًّا ﴾ قيل : يا رسول الله فإن لم يكن أوّان الرطب ؟ قال : تسع تمرات من تمرات المدينة، فإن لم تكن فتسع تمرات من تمر أمصاركم فإنّ الله تعالى يقول : وعزّتي وجلالي وعظمتي وارتفاع مكاني لا تأكل نفساء يوم تلد الرطب فيكون غلاماً إلاّ كان حليماً وإن كانت جارية كانت حليمة.

٢٩٢ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

٥- قال رسول الله ﷺ: كلوا التين الرطب واليابس، فإنه يزيد في الجماع...

٦- عن الصادق عليه السلام: في البصل ثلاث خصال: يطيب النكهة، ويشد اللثة، ويزيد في الجماع.

٧- عن داود بن فرقد، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وبين يديه جزر، قال: فناولني جزرة وقال: كل. فقلت: إنه ليس لي طواحن، فقال: أما لك جارية. قلت: بلى. قال: مرها أن تسلقه وكله، فإنه يسخن الكليتين ويقدم الذكر.

٨- وقال عليه السلام: الجزر أمان من القولنج والبواسير ويعين على الجماع.

٩- عن الصادق عليه السلام، قال: كلوا البطيخ فإن فيه عشر خصال مجتمعة: ... ويزيد في الباه...

١٠- قال النبي ﷺ: أطمعوا نساءكم الحوامل اللبان، فإنه يزيد في عقل الصبي.

١١- عن الرضا عليه السلام، قال: أطمعوا حبالكم اللبان، فإن يكن في بطنهن غلام خرج ذكياً القلب عالماً شجاعاً، وإن يكن جارية حسن خلقها وخلقها وعظمت عجيزتها وحظيت عند زوجها - أي سعدت به ودنت من قلبه وأحبها، واللبان: الكندر..

١٢- قال أبو الحسن عليه السلام: لا تدع العشاء ولو بكعكة، فإن فيه قوة الجسد ولا أعلمه إلا قال: وصلاح للزواج بل للجماع.

١٣- قال أبو الحسن عليه السلام: من أكل البيض والبصل والزيت زاد في جماعه، ومن أكل اللحم بالبيض كبر عظم ولده.

١٤- عن بعض أصحاب أبي عبد الله عليه السلام، قال له: جعلت فداك، إنني

أثر الطعام ودوره على الحوامل والأولاد والجماع ..... ٢٩٣

أشترى الجوّاري فأحبّ أن تعلّمني شيئاً أتقوّى به عليهن؟ قال: خذ بصلاً وقطّعه صغاراً صغاراً وأقله بالزيت، وخذ بيضاً فافقصه في صفحة وذّر عليه شيئاً من الملح فاذرره على البصل والزيت وأقله شيئاً ثمّ كل منه، قال: ففعلت فكنت لا أريد منهن شيئاً إلّا وقدّرت عليه.

١٥- نهى النبي ﷺ عن الأكل على الجنابة، وقال: إنّه يورث الفقر.

فلو أنّ طبيباً تناول هذه الروايات بالدراسة والتجربة فإنّه سيحظى باكتشافات لم يسبقه إليها أحد، ولو سبقه فإنّه سيعلم أنّ ما اكتشفه غيره موجود مذخور في روايات المعصومين عليهم السلام من مئات السنين وهذا اكتشاف رائع يعزّز موقعيّة الإسلام في النفوس، لا سيّما في زماننا هذا، حيث راحت تقاس فيه الأمور بقياسات مادية بحتة.



## المقام السادس وضع الحمل

هناك آداب في وضع الحمل ولها آثار وضعيّة، فمن طبيعة الوضع أنّ النساء الأقارب يجتمعن مع القابلة حول المرأة التي تريد الولادة وأخذها المخاض، بقصد المساعدة والمعونة وتقوية القلب وما شابه ذلك ممّا هو عند النساء من الأغراض النسوية.

١- إلّا أنّ الإمام الباقر عليه السلام قال: كان عليّ بن الحسين عليه السلام إذا حضرت ولادة المرأة قال: أخرجوا من في البيت من النساء لا تكون المرأة أوّل ناظر إلى عورته.

٢- وقال عليه السلام: إذا ولدت المرأة فليكن أوّل ما تأكل الرطب، فإن لم يكن رطب فتمر، فإنّه لو كان شيء أفضل منه أطعمه الله مريم عليها السلام حين ولدت عيسى عليه السلام.

في قوله تعالى: ﴿ وَهَزَيٰٓ اِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴾ فكلّي وأشربني وقرّي عينا <sup>(١)</sup>.

٣- الكافي بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا ولد لكم المولود أي شيء تصنعون به؟ قلت: لا أدري ما يصنع به قال: فخذ عدسة جاوشير فديقه بماء، ثمّ قطر في أنفه في المنخر الأيمن قطرتين وفي الأيسر قطرة واحدة، وأذن في أذنه

وضع الحمل ..... ٢٩٥

اليمنى وأقم في اليسرى تفعل به ذلك قبل قطع سرّته فإنّه لا يفرع أبداً ولا تصيبه أمّ الصبيان.

بيان : (عدسة) أي مقدار عدسة، والديف والدوف الخلط والبّل بقاء ونحوه، و (أمّ الصبيان) علّة تعترّيهم.

## المقام السابع الرضاعة

من الأمور التي اهتمّ بها الإسلام غاية الاهتمام في الحياة الزوجية وفي مسألة التربية، قضية الرضاعة، فجعل لها حدوداً وآداباً ومقدمات ونتائج، ممّا يدعو المطالع والسامع أن يتعمّق فيها، ويعطي لها قسطاً كبيراً من الاهتمام في حياته، ويراعي مسألة الرضاعة قبل زواجه لما يترتب عليها من آثار وضعية حميدة أو سيئة.

وما أكثر الأخبار الشريفة والقصص التاريخية في هذا الباب.

١- عن الإمام الصادق عليه السلام، عن أبيه عليه السلام، قال: إنّ علياً عليه السلام كان يقول - وهذا يدلّ على الاستمرار، أي كان دائماً يقول -: لا تسترضعوا الحمقاء، فإنّ اللبن يغلب الطباع.

٢- وقال النبي صلى الله عليه وآله: لا تسترضعوا الحمقاء، فإنّ الولد يشبّ عليه.

٣- وفي خبر آخر: ولا القماء، فإنّ اللبن يعدي.

٤- وقال صلى الله عليه وآله: توقّوا على أولادكم من لبن البغية والمجنونة، فإنّ اللبن

يعدي.

قال الله تعالى:

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ

تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرْضْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١﴾.

﴿ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾ (٢).

﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ (٣).

﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمِرُوا بِئِنَّكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُم فَاسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى \* لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ ﴾ (٤).

وحديثنا عن الرضاعة لا باعتبار أحكامها الفقهية والشرعية كتحریم أخت الرضاعة والأُمّ وغير ذلك، بل باعتبار الجانب الأخلاقي والمعنوي، كأن لا تسترضع الحمقاء فإن اللبن يؤثّر ويعدّي فينقل الحماسة إلى الولد.

٥- قال رسول الله ﷺ: ليس للصبّي لبن خير من لبن أمّه.

وقد ثبت هذا المعنى أيضاً في الطبّ الحديث.

٦- قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: ما من لبن يرضع به الصبّي أعظم بركةً عليه من لبن أمّه (٥).

٧- الكافي بسنده عن محمّد بن العباس بن الوليد عن أبيه عن أمّه أمّ إسحاق بنت سليمان قالت: نظر إليّ أبو عبد الله عليه السلام وأنا أرضع أحد ابني محمّداً أو

(١) البقرة: ٢٣٣.

(٢) لقمان: ١٤.

(٣) الأحقاف: ١٥.

(٤) الطلاق: ٦-٧.

(٥) الوافي ١٢: ١٣٦٣، وكذلك الروايات الأخرى.

٢٩٨ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

إسحاق فقال : يا أمّ إسحاق ، لا ترضعيه من ثدي واحد وارضعيه من كليهما يكون أحدهما طعاماً والآخر شرباً .

بيان : لما كان في الجديد لذة كان اللبن الجديد ممّا يسيغ القديم كما أنّ الشراب يسيغ الطعام فصحّ بهذا الاعتبار أن يكون أحدهما بمنزلة الطعام والآخر بمنزلة الشراب .

٨ - عن أبي عبد الله عليه السلام : الرضاع واحد وعشرون شهراً ، فما نقص فهو جور على الصبي .

٩ - الفقيه عن سعد بن سعد عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : سألته عن الصبي هل يرضع أكثر من ستين ؟ فقال : عامين . قلت : فإن زاد على الستين هل على أبويه من ذلك شيء ؟ قال : لا .

١٠ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن مظاهرة المجوسي ؟ قال : لا ولكن أهل الكتاب .

١١ - عن الحلبي قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : امرأة ولدت من الزنا اتخذها ظئراً ؟ قال : لا تسترضعها ولا ابنتها .

١٢ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا تسترضعوا الحمقاء والعمشاء فإنّ اللبن يعدي وإنّ الغلام ينزع إلى اللبن يعني إلى الظئر في الرعونة والحمق .

١٣ - عن أبي جعفر عليه السلام : استرضع لولدك بلبن الحسان وإياك والقباح فإنّ اللبن قد يعدي .

١٤ - وقال عليه السلام : عليكم بالوضاء من الظؤورة فإنّ اللبن يعدي .

١٥ - قال الصادق عليه السلام : يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب ، ولا يحرم من الرضاع إلا رضاع خمسة عشر يوماً ولياليهن ليس بينهن رضاع .

## المقام الثامن

### تسمية المولود

من الأمور التي أشار إليها الإسلام بل وركز عليها هي قضية الاسم وما له من أثر كبير على نفسيّة وشخصيّة الولد.

وفي بعض المجتمعات الغربية والشرقية آداب خاصة لوضع الاسم على المولود، ففي حفلة يجتمع فيها أقرباء الرجل والمرأة كالأباء والأمهات والأعمام والأخوال ليختاروا اسماً على مولود الأسرة لا سيّما المولود الأوّل.

والإسلام قد اهتمّ بمسألة الاسم أيضاً، فإنّ الأسماء تنزل من السماء، وتخبر عن البواطن، ولها علاقة بالمستيات، كما أنّ صاحب الاسم الرديء ربما يخجل من اسمه عندما ينادى به، وكذلك الكلام في اللقب والكنية.

ومن هذا المنطلق للولد حقّ على الوالد في تحسين اسمه، فإنّه إذا لم يختار له الاسم الحسن والجميل، فقد قصر بحقّ ولده وعقّه، كما أنّ الولد يعقّ الوالد، والعاقّ مطلقاً بعيد عن رحمة الله سبحانه.

وهذه نبذة من الروايات في هذا الباب :

١ - عن النبي ﷺ، قال : من حقّ الولد على والده ثلاثة : يحسن اسمه، ويعلمه الكتابة، ويزوجه إذا بلغ.

٢ - وقال ﷺ : سمّوا أولادكم أسماء الأنبياء، وأحسن الأسماء عبد الله وعبد الرحمن.

٣ - الكافي بسنده، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال : حدّثني أبي

٣٠٠ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

عن جدِّي، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: سمّوا أولادكم قبل أن يولدوا فإن لم تدرؤا أذكر أم أنثى فسّمّوهم بالأسماء التي تكون للذكر والأنثى، فإن أسقاطكم إذا لقوكم يوم القيامة ولم تسّمّوهم يقول السقط لأبيه: ألا سمّيتني وقد سمّى رسول الله صلى الله عليه وآله محسناً قبل أن يولد.

بيان: المسمّى بمحسن هو ولد فاطمة الزهراء سيّدة النساء عليها السلام الذي ألقته بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله حين ضرب عليها الباب من حقّ عليه كلمة العذاب<sup>(١)</sup>.

٤- عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: أوّل ما يبرز الرجل ولده أن يسمّيه باسم حسن فليحسن أحدكم اسم ولده.

٥- عن أبي عبد الله عليه السلام: لا يولد لنا ولد إلاّ سمّيناه محمّداً، فإذا مضى سبعة أيام فإن شئنا غيرنا وإن شئنا تركنا.

٦- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن النبي صلى الله عليه وآله قال: من ولد له أربعة أولاد لم يسمّ أحدهم باسمي فقد جفاني<sup>(٢)</sup>.

٧- الكافي عن العرزمي قال: استعمل معاوية مروان بن الحكم على المدينة وأمره أن يفرض لشباب قريش ففرض لهم فقال عليّ بن الحسين عليه السلام فأتيته فقال: ما اسمك؟ فقلت: عليّ بن الحسين. فقال: وما اسم أخيك؟ فقلت: عليّ. فقال: ثمّ فرض لي فرجعت إلى أبي فأخبرته فقال: ويل على ابن الزرقاء دباغة الأدم، لو ولد لي مئة لأحببت أن لا أسمّي أحداً منهم إلاّ عليّاً.

٨- عن الجعفري قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: لا يدخل الفقر بيتاً فيه

(١) الوافي ١٢: ١٣٢٢.

(٢) المصدر، عن التهذيب ٧: ٤٣٨.

اسم محمّد أو أحمد أو علي أو الحسن أو الحسين أو جعفر أو طالب أو عبد الله أو فاطمة من النساء صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمْ.

وربما بهذه الأسماء المباركة أراد الأئمة عليهم السلام إحياء أمر هؤلاء العظماء، وإحياء مذهبهم الحقّ الذين هؤلاء الأعاضم رموزه، وعلى كلّ شيعيّ أن يختار هذه الأسماء فإنّ فيها البركة والغنى كما فيها إحياء المذهب وتثبيت كيانه ورموزه الخالدة.

٩- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، ولد لي غلام فماذا أسميه؟ قال: سمّه بأحبّ الأسماء إليّ حمزة.

١٠- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: استحسّنوا أسماءكم فإنّكم تدعون بها يوم القيامة، قمّ يا فلان بن فلان إلى نورك، وقم يا فلان بن فلان لا نور لك.

١١- عن جابر قال: أراد أبو جعفر عليه السلام الركوب إلى بعض شيعته ليعوده فقال: يا جابر الحقني، فتبعته فلمّا انتهى إلى باب الدار خرج علينا ابن له صغير، فقال: ما اسمك؟ فقال: محمّد، قال: فيما تكنّى؟ قال: بعليّ، فقال أبو جعفر عليه السلام: لقد احتظرت من الشيطان احتظاراً شديداً إنّ الشيطان إذا سمع منادياً يتنادي باسم عدوّ من أصحابنا اهتزّ واختال.

١٢- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله دعا بصحيفة حين حضره الموت يريد أن ينهى عن أسماء يتسمّى بها فقبض ولم يستمّها، ومنها: الحكم والحكيم وخالد ومالك وذكر أنّها ستّة أو سبعة ممّا لا يجوز أن يتسمّى بها.

١٣- عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله نهى عن أربع كُنّى عن أبي عيسى وعن أبي الحكم وعن أبي مالك وعن أبي القاسم إذا كان الاسم محمّداً.



٣٠٢ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

١٤ - عن أبي جعفر عليه السلام : إنَّ أبغض الأسماء إلى الله عزَّ وجلَّ حارث ومالك وخالد.

١٥ - عن زرارة قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إنَّ رجلاً كان يغشى عليَّ ابن الحسين عليه السلام وكان يكتني أبا مرّة وكان إذا استأذن عليه يقول : أبو مرّة بالباب فقال له عليّ بن الحسين عليه السلام : بالله إذا جئت بابنا فلا تقولنَّ : أبو مرّة . ( يغشى بمعنى يأتي وأبو مرّة كنية إبليس اللعين ) .

١٦ - عن أبي هارون مولى آل جعدة قال : كنت جليساً لأبي عبد الله عليه السلام في المدينة ففقدني أياماً ثمَّ إنِّي جئت إليه فقال لي : لم أرك منذ أيام يا أبا هارون ؟ فقلت : ولد لي غلام ، فقال : بارك الله لك فيه فما سمّيته ؟ قلت : محمّداً ، قال : فأقبل بخدّه نحو الأرض وهو يقول : محمّد محمّد محمّد ، حتّى كان يلصق خدّه بالأرض - وهذا معنى أن الأسماء تذكّرنا بالمسمّيات الرمزيّة في حياتنا - ثمَّ قال : بنفسي وبولدي وبأهلي وبأبوي وبأهل الأرض كلّهم جميعاً الفداء لرسول الله صلى الله عليه وآله ، لا تسبّه ولا تضربه ولا تسيء إليه واعلم أنّه ليس في الأرض دار فيها اسم محمّد إلا وهي تقدّس كلّ يوم ... (١) .

١٧ - عن الرضا ، عن أبيه ، عن آبائه عليهم السلام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما من قوم كانت لهم مشورة فحضر معهم من اسمه محمّد أو أحمد فأدخلوه في مشورتهم ، إلا كان خيراً لهم .

١٨ - قالوا لأبي طالب : لأيّ شيء سمّيته أحمد - في تسمية النبيّ صلى الله عليه وآله - ؟ قال : ليحمده أهل السماء والأرض .

(١) الوافي ١٢ : ١٣٢٧ .

١٩- الكافي بسنده عن علي بن الحكم عن الحسين بن سعيد قال : كنت أنا وابن غيلان المدائني دخلنا على أبي الحسن الرضا عليه السلام فقال له ابن غيلان : أصلحك الله ، بلغني أنه من كان له حمل فنوى أن يسميه محمداً ولد له غلام فقال : من كان له حمل فنوى أن يسميه علياً ولد له غلام . ثم قال : علي محمداً ومحمد علي شيئاً واحداً ، قال : أصلحك الله إني خلقت امرأتي وبها حمل فادع الله أن يجعله غلاماً ، فأطرق إلى الأرض طويلاً ثم رفع رأسه فقال له : سمّه علياً فإنه أطول لعمره ، وخلصنا مكة فوافانا كتاب من المدائن أنه قد ولد له غلام .

بيان : ( شيئاً واحداً ) أي كانا عليه السلام شيئاً واحداً ، وورد عن النبي صلى الله عليه وآله : علي مني وأنا من علي ، كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام : أنا من محمد ومحمد من أنا . فهما مظهران للحقيقة المحمدية التي هي الولاية الإلهية العظمى .

#### ملاحظة :

لقد ظهر من خلال الروايات السابقة اهتمام الإسلام بمسألة الاسم لما له من أثر على نفسية الطفل ، فالاسم الحسن يشد المسمى إلى أجواء تتناسب مع حسن هذا الاسم ، فالتى تسمى فاطمة مثلاً فإن هذا الاسم يشدها إلى عالم فاطمة عليها السلام ، وكذلك من تسمى بمریم أو زينب أو من يُسمى بمحمد أو حسين أو أحمد ، وأما التي تسمى (كاترين) أو (نيرمين) أو (ميرفت) أو (هيام) أو غيرها من أسماء الاناث التي تأخذ السامع فضلاً عن المسمى إلى أجواء مشابهة لمعاني تلك الأسماء وكذلك بالنسبة للذكور مثل سمير أو عذاب .

ونجد أن الإسلام وقف موقفاً حازماً من التنابز بالألقاب التي تشعر بالإهانة ، وواقفنا مليء بهذه العادة السيئة لا سيما في القرى حيث سرعان

٣٠٤ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

ما يلصق بالولد لقب سيئ ينسحب عليه وعلى ذريته إلى يوم القيامة.  
وللطرفة فقد ذكر لي من أعرفه قصّة في هذا المجال حيث نزل ضيفاً على جماعة لهم طفل صغير اسمه إبراهيم وقد كان كثير الحركة مشاكساً على ضالة جسمه، فقد كان والده يلقّبه بـ(الدّبّور) أي الزنبور فاعترض عليه صاحبنا وبين له الآثار السلبية لهذا التصرف مع هذا الطفل، فإنّه سيكون علماً يعرف به هو وذريته ومن يتعلّق به، فيقال ابن وابنة وزوجة وحفيد... الدّبّور، وهذا يسبّب أذيةً للكلّ، ثمّ نصح صاحبنا مضيفه بأن يكتّبه كنيةً تزيل ذلك اللقب البغيض فأوكل الأب هذا لصاحبنا، فكتّاه بأبي خليل، ثمّ عاد صاحبنا بعد سنة ونزل ضيفاً عند هؤلاء، فسأل الأب عن الاتفاق فأجابه الأب: إنّنا نعمل بالاتفاق عندما نكون راضين عليه - أي على الطفل - فنناديه بأبي خليل، وعندما يشاغب ويشاكس فإنّنا نناديه بـ(الدّبّور).

٢٠ - الكافي بسنده عن معمر بن خيثم قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام:  
« ما تُكْنِي؟ » قال: قلت: ما اكنيت بعد وما لي ولد ولا امرأة ولا جارية، قال:  
فما يمنعك من ذلك؟ قال: قلت: حديث بلغنا عن عليّ عليه السلام. قال: وما هو؟  
قلت: بلغنا عن عليّ عليه السلام أنّه قال: من اكنني وليس له أهل فهو أبو جعر - ما يبس  
من الثقل في الدبر أو خرج يابساً - فقال أبو جعفر عليه السلام: شوّه - كلمة نفرة -  
ليس هذا من حديث عليّ عليه السلام، إنّنا لنكّني أولادنا في صغرهم مخافة النبز أن  
يلحق بهم - النبز أي اللقب السوء - .

## المقام التاسع التهنئة بالمولود

من الآداب الاجتماعية التي أقرّها الإسلام، أنّه بعد الولادة ينبغي على الأقرباء والأصدقاء والجيران أن يهنئوا الأسرة بالمولود الجديد، وهذه السيرة الحسنة جارية في البلاد بصورة عامّة، إنّما الاختلاف في الكيفية والأشكال ومحتوى التهناني والتبريكات والألفاظ التي يستعملونها في ذلك.

جاء الإسلام العظيم ليؤدّب معتنقيه بالآداب الاجتماعية، ومنها كيفية تقديم التهناني والكلمات التي ورائها المعاني التي تخبر عن المعتقدات والمبادئ. فلا بدّ من ألفاظ إسلامية خاصّة تنبئ عن معتقدات المتكلّم وإيمانه.

١ - عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: هنأ رجل رجلاً أصاب ابناً، فقال: أهنتك الفارس. فقال له الحسن بن علي عليه السلام: ما أعلمك أن يكون فارساً أو راجلاً؟ - أي هذا من المستقبل المجهول لعامة الناس - فقال له: جعلت فداك فماذا نقول؟ قال: تقول: شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب وبلغ أشدّه وورزقت برّه.

وبهذا علّمنا الإمام روعي فداه أن نشكر الله أولاً على آلائه ونعمه، ومنها المولود الجديد، وثانياً ندعو له من اليوم الأوّل من حياته بأنّه يبارك له الله سبحانه في حياته العلمية والعملية ويكون المولود الذي وهب الله إليه لقوله: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الدُّكُورَ﴾<sup>(١)</sup>، مباركاً، كما يطيل الله في عمره حتّى

٣٠٦ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

يبلغ أشده، كما يرزق برّه أي يكون بارّاً بوالديه ولم يكن جباراً شقيّاً بعقوق الوالدين .

فما أروع الإسلام العظيم، وحقاً كلام الإمام إمام الكلام، وإنّ كلام الأئمة الأطهار عليهم السلام نور يستضاء به في كلّ مجالات الحياة في الدنيا والآخرة .

## المقام العاشر العقيدة وما يتعلّق بها

من الآداب الإسلامية (العقيدة)، بأن يعقّ عن المولود بذبيحة، وفي هذا المضمار روايات كثيرة تدلّ على أنّ للعقيدة آثاراً وضعية في الدنيا والآخرة. وقد اختلف الأعلام في حكمها فمنهم من أوجبها ومنهم من قال بالاستحباب المؤكّد كما هو المختار، فإنّه ورد في الأحاديث كما في الفقيه (٣: ٤٨٤) بسنده قال عليه السلام: «العقيدة واجبة إذا ولد له ولد»، إلّا أنّ المراد من الوجوب هو تأكّد الاستحباب.

قال في الكفاية: اختلف الأصحاب في وجوبها واستحبابها، فذهب السيّد المرتضى وابن الجنيد القديم إلى وجوبها، وادّعى السيّد إجماع الإمامية واستدلّ بظواهر الأوامر الواردة بذلك في غير واحد من الأخبار أنّها واجبة، إلّا أنّها قابلة للتأمّل سنداً ودلالة.

وذهب الشيخ ومن تأخّر عنه إلى استحبابها استضعافاً لأدلة الوجوب، وفي بعض الأخبار الصحيحة أنّها أوجب من الأضحية، والأضحية مستحبة عند أكثر أصحابنا.

وفي موثقة عمّار الساباطي عن الفقيه أنّه إن لم يعقّ عنه حتّى ضحّى فقد أجزأته الأضحية، ويستفاد منها الاستحباب إذ لو كانت العقيدة واجبة لم يكن يجزي عنها الأضحية.

وإليك جملة من الروايات الشريفة:

٣٠٨ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعقيدة

١ - عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: كلّ امرئ يوم القيامة مرتهن بعقيقته، والعقيقة أوجب من الأضحية. أي أهمّ منها.

٢ - وعنه عليه السلام، قال: كلّ إنسان مرتهن بالفطرة - فإنّ كلّ مولود يولد على فطرة التوحيد والإيمان الكامل - وكلّ مولود مرتهن بالعقيقة.

٣ - عن عمر بن يزيد، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: إنّي والله ما أدري أكان أبي عَقَّ عَتِي أم لا؟ فأمرني فعققت عن نفسي وأنا شيخ.

٤ - عن عليّ بن أبي حمزة، عن العبد الصالح عليه السلام، قال: العقيقة واجبة إذا ولد للرجل ولد، فإن أحبّ أن يسمّيه في يومه فليفعل.

٥ - عن الصادق عليه السلام، قال: العقيقة لازمة لمن كان غنياً، ومن كان فقيراً إذا أيسر فعل، فإن لم يقدر على ذلك فليس عليه، وإن لم يعقّ عنه حتّى ضحّى عنه فقد أجزأته الأضحية، وكلّ مولود مرتهن بعقيقته.

٦ - وقال عليه السلام في العقيقة: يذبح عنه كبش، فإن لم يوجد كبش أجزأ ما يجزئ في الأضحية وإلاّ فحمل، أعظم ما يكون من حملان السنة.

٧ - وعنه عليه السلام، سئل عن العقيقة؟ قال: شاة أو بقرة أو بدنة - الجمل أو الناقة - ثمّ يسمي ويحلق رأس المولود يوم السابع، ويتصدّق بوزن شعره ذهباً أو فضّة، فإن كان ذكراً عَقَّ عنه ذكراً وإن كانت أنثى عَقَّ عنه أنثى.

٨ - وعقّ أبو طالب عن رسول الله صلى الله عليه وآله يوم السابع فدعا آل أبي طالب، فقالوا: ما هذه؟ فقال: عقيقة أحمد، قالوا: لأي شيء سمّيته أحمد؟ فقال: ليحمده أهل السماء والأرض.

ومن مستحبّات العقيقة أن يعطى منها للقبيلة، والباقي يطعم بها المسلمون الموالون لأهل البيت عليهم السلام.

العقيقة وما يتعلّق بها ..... ٣٠٩

٩- عن الصادق عليه السلام، قال: يعطى للقابلة ربعا، فإن لم تكن قابلة فلاّمه تعطيها من شاءت وتطعم منها عشرة من المسلمين، فإن زاد فهو أفضل.

١٠- وعنه عليه السلام، قال: يسمّى الصبيّ يوم السابع ويحلق رأسه ويتصدّق بزنة الشعر فضّة ويعقّ عنه بكبش فحل، ويقطع أعضائه ويطبخ ويدعى عليه رهط من المسلمين، فإن لم يطبخه فلا بأس أن يتصدّق به أعضاء، والغلام والجارية في ذلك سواء، ولا يأكل من العقيقة الرجل ولا عياله، وللقابلة رجل العقيقة، وإن كانت القابلة أمّ الرجل أو في عياله فليس لها منها شيء، فإن شاء قسمها أعضاء، وإن شاء طبخها وقسم معها خبزاً ومرقاً ولا يطعمها إلا لأهل الولاية...  
ومن المستحبّات دعاء العقيقة.

١١- عن الباقر عليه السلام، قال: إذا ولد لأحدكم ولد فكان يوم السابع فليعقّ عنه كبشاً وليطعم القابلة من العقيقة الرجل بالورك، وليحنّكه بماء الفرات، وليؤدّن في أذنه اليمنى وليقم في اليسرى ويسمّيه يوم السابع، ويحلق رأسه ويوزن شعره فيتصدّق بوزنه فضّة أو ذهباً، فإن الله ينزل اسمه من السماء، فإذا ذبحت فقل: (بسم الله وبالله والحمد لله والله أكبر إيماناً بالله وثناءً على رسول الله صلى الله عليه وآله وشكراً لرزق الله، وعصمةً بأمر الله، ومعرفةً بفضلته علينا أهل البيت)، فإن كان ذكراً فقل: (اللهم أنت وهبت لنا ذكراً وأنت أعلم بما وهبت، ومنك ما أعطيت ولك ما صنعنا، فتقبّله منّا على سنّتك وسنّة رسولك صلى الله عليه وآله وأخسئ عنا الشيطان الرجيم، لك سفكت الدماء لا شريك لك، الحمد لله ربّ العالمين).

١٢- وعنه عليه السلام، قال: إذا أردت أن تذبح العقيقة فقل: (يا قوم إني بريء ممّا تشركون، إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض خنياً وما أنا من المشركين) (إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين لا شريك له



٣١٠ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

وبذلك أمرت وأنا من المسلمين) اللهم منك وإليك بسم الله والله أكبر اللهم صلّ على محمد وآل محمد، تقبل من فلان بن فلان) ويمسّي المولود باسمه ثم يذبح (باسم الله).

١٣- عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام، قال: عقّ رسول الله صلى الله عليه وآله عن الحسن والحسين عليهما السلام كبشاً يوم سابعهما وقطعه أعضاء ولم يكسر منه عظماً، وأمر فطبخ بماء وملح وأكلوا منه بغير خبز وأطعموا الجيران.

١٤- وقال عليه السلام: سبع خصال في الصبي إذا ولد من السنّة: أولاهنّ يسمّى، والثانية يحلق رأسه، والثالثة يتصدّق بوزن شعره ورقاً - الدراهم المضروبة من فضّة - أو ذهباً إن قدر عليه، والرابعة يعقّ عنه، والخامسة يلطخ رأسه بالزعفران، والسادسة يطهر بالختان، والسابعة يطعم الجيران من عقيقته.

١٥- سئل أبي عبد الله عليه السلام: ما الحكمة في حلق رأس المولود؟ قال: تطهيره من شعر الرحم.

١٦- وسأل عليّ بن جعفر أخاه موسى عليه السلام عن مولود لم يحلق رأسه يوم السابع؟ فقال: إذا مضى سبعة أيام فليس عليه حلق.

### مستحبات أخرى

ومن السنن والآداب أن يحنّك المولود بأن يطعم شيئاً من التمر أو تربة سيّد الشهداء، كما ورد:

١٧- عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، قال: حنّكوا أولادكم بالتمر، هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وآله بالحسن والحسين عليهما السلام.

العقيقة وما يتعلّق بها ..... ٣١١

١٨ - عن الصادق عليه السلام، قال : حنكوا أولادكم بماء الفرات وبترية قبر الحسين عليه السلام، فإن لم يكن فبماء السماء .

وهذا يعني أنّه من اليوم الأوّل يكون محبّاً لسيد الشهداء عليه السلام ومن شيعته، فإنّه يتذوّق تربته التي فيها الشفاء .

ومن الآداب أن يؤدّن في أذن المولود اليمنى ويقام في اليسرى كما ورد :

١٩ - أن رسول الله صلى الله عليه وآله أدّن في أذن الحسن بن علي عليه السلام حين ولدته فاطمة عليها السلام .

٢٠ - وعن الصادق عليه السلام، قال : المولود إذا ولد يؤدّن في أذنه اليمنى ويقام في اليسرى .

وفي خبر آخر : فإنّها عصمة من الشيطان، وفي آخر : لا يصيبه لُحم أي جنون .

وهذا له تأثير بالغ على روح الطفل ومستقبله، كما أنّ الأذان إعلان عن الإيمان الكامل عندما يقال بالشهادات الثلاثة - التوحيد والنبوة والإمامة - كما أنّه يؤثّر في حسن الخلق وذكاء الطفل .

٢١ - فقد ورد عن الصادق عليه السلام، أنّه : من لم يأكل اللحم أربعين يوماً ساء خلقه، ومن ساء خلقه فأدّنوا في أذنه .

وهذا يعني أنّ الأذان يؤثّر على الإيمان والأخلاق، فيبدّل السيء إلى الحسن .

## المقام الحادي عشر الختان

من الآداب الإسلامية بعد الولادة ختان المولود، ومن السنة أن يختن الذكر يوم السابع من ولادته، كما تخفض البنت.

١- عن النبي ﷺ: الختان سنة للرجال.

٢- وكتب عبد الله بن جعفر الحميري إلى أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام: أنه روي عن الصالحين أن اختنوا أولادكم يوم السابع يطهروا، فإن الأرض تضج إلى الله من بول الأغلف، وليس - جعلني الله فداك - في حجامي لدا حدق بذلك - أي يعرف هذه المهنة جيداً - ولا يختنونه يوم السابع وعندنا حجام من اليهود، فهل يجوز لليهود أن يختنوا أولاد المسلمين أم لا؟ قال: فوقع عليه السلام: يوم السابع، فلا تخالفوا السنن إن شاء الله.

٣- من طب الأئمة، عن النبي ﷺ، قال: اختنوا أولادكم في السابع فإنه أطهر وأسرع لنبات اللحم، فقال: إن الأرض تنجس ببول الأغلف أربعين يوماً.

٤- عن الصادق عليه السلام، قال: ثقب أذن الغلام من السنة، وختانه لسبعة أيام من السنة، وخفض النساء مكرمة، وليست من السنة، وأي شيء أكرم من المكرمة.

السنة هنا بمعنى الوجوب، فلا بد للولد أن يختن لأنه يشترط في بعض عباداته أن يكون مختوناً، كالطواف الواجب، ويستحب أن يكون يوم السابع، وبعض العوائل تتماهل في ذلك ويختنون بعد سنين وحتى قبل البلوغ. وأما خفض

النساء فيستحبّ على كلّ حال، ولا يجب، وهذا معنى المكرمة.

٥ - ومن تهذيب الأحكام، عن الصادق عليه السلام، قال: لما هاجرت النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، هاجرت فيهن امرأة يقال لها: أمّ حبيبة، وكانت خافضة تخفض الجواري، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وآله قال لها: يا أمّ حبيبة، العمل الذي كان في يدك هو في يدك اليوم؟ قالت: نعم يا رسول الله، إلا أن يكون حراماً فنتهاني عنه. قال: لا، بل هو حلال، فادني مني حتى أعلمك، فدنت منه فقال: يا أمّ حبيبة، إذا أنت فعلت فلا تنهكي أي لا تستأصلي وأسمي - النهك المبالغة في كلّ شيء، وأسمت الخافضة البظر أي أخذت منه قليلاً - فإنه أشرق للوجه وأحظى عند الزوج. قال: فكانت لأمّ حبيبة أخت يقال لها: أمّ عطية، وكانت مقيّنة، يعني قاشطة، فلما انصرفت أمّ حبيبة إلى أختها أخبرتها بما قال لها رسول الله صلى الله عليه وآله فأقبلت أمّ عطية إلى النبي صلى الله عليه وآله فأخبرته بما قالت لها أختها، فقال لها: أدني مني يا أمّ عطية، إذا أنت قينت الجارية - أي زينت الجارية - فلا تغسلي وجهها بالخرقة، فإن الخرقة تذهب بماء الوجه.

٦ - وإذا ولد المولود مختوناً فإنه يستحبّ أن يمرّر موسى عليه، كما ورد عن موسى بن جعفر عليهما السلام، قال: لما ولد ابنه الرضا عليه السلام: إن ابني هذا ولد مختوناً طاهراً مطهراً، ولكننا سنمرّ موسى عليه لإصابة السنّة واتباع الحنيفية.

ثمّ من مستحبات الختان، الدعاء:

٧ - عن الصادق عليه السلام، في الصبي إذا ختن، قال: يقول: اللهم هذه سنّتك وسنّة نبيّك صلواتك عليه وآله، واتباع لمثالك وكتبك ولنبيّك بمشيتك وإرادتك وقضائك، لأمرٍ أردته وقضاءٍ حتمته وأمرٍ أنفذته، فأذقته حرّ الحديد في ختانه وحجامته لأمرٍ أنت أعرف به منّا، اللهمّ فطهّره من الذنوب وزد في عمره وادفع

٣١٤ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعتره

الآفات من بدنه والأوجاع عن جسمه، وزده من الغنى وادفع عنه الفقر، فإنك تعلم ولا تعلم).

٨ - وعنه عليه السلام، قال: أي رجل لم يقلها على ختان ولده، فليقلها عليه من قبل أن يحتلم، فإن قالها كفي حرّ الحديد من قتل أو غيره.  
والختان بعد البلوغ واجب حتى من أسلم فيلزمه الختان.

٩ - قال أمير المؤمنين عليه السلام: إذا أسلم الرجل اختتن ولو بلغ ثمانين سنة<sup>(١)</sup>.  
وجرت سنة الختان من عصر إبراهيم الخليل عليه السلام.

١٠ - الكافي بسنده عن محمد بن قزعة، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن من قبلنا يقولون: إن إبراهيم ختن نفسه بقدم على دنّ - قدوم من بلاد الشام - فقال عليه السلام: سبحان الله ليس كما يقولون كذبوا على إبراهيم عليه السلام، قلت: كيف ذلك؟ فقال: إن الأنبياء عليهم السلام تسقط عنهم غلغهم مع سرّهم في اليوم السابع فلما ولد لإبراهيم عليه السلام من هاجر عيّرت سارة هاجر بما يعيّره الإمام - ربما عدم خفضهن - فبكت هاجر واشتدّ ذلك عليها، فلما رآها إسماعيل عليه السلام تبكي بكى لبكائها، فدخل إبراهيم عليه السلام فقال: ما يبكيك يا إسماعيل؟ فقال: إن سارة عيّرت أمي بكذا وكذا فبكت فبكي لبكائها، فقام إبراهيم عليه السلام إلى مصلاه فنادى فيه ربّه وسأله أن يلقي ذلك عن هاجر فألقاه الله عنها، فلما ولدت سارة إسحاق وكان اليوم السابع سقطت عن إسحاق سرّته ولم تسقط عنه غلغته، فجزعت من ذلك سارة فلما دخل إبراهيم عليه السلام عليها قالت له: يا إبراهيم ما هذا الحادث الذي حدث في آل إبراهيم وأولاد الأنبياء؟ هذا ابنك إسحاق قد سقطت عنه سرّته ولم

تسقط غلفته؟ فأوحى الله إليه: أن يا إبراهيم هذا ما عيّرت سارة هاجر فأليت أن لا أسقط ذلك عن أحد من أولاد الأنبياء لتعير سارة هاجر فاختن إسحاق بالحديد وأذقه حرّ الحديد قال: فختنه إبراهيم بالحديد وجرت السنّة بالختان في أولاد إسحاق بعد ذلك.

## المقام الثاني عشر شابهة الولد بالوالد

من الطبيعي أنّ الوالد يحبّ أن يشبهه ولده في صورته، حتّى يذكرّ الناس بأبيه، ويشعر الإنسان أنّه باقٍ بذلك، وبهذا يملأ فراغاً ولو وهمياً في غريزة حبّ البقاء التي تعدّ من الغرائز في الإنسان.

وقد ورد الشباهة بالوالد وأنّه ممدوح، إلّا أنّه عند عدم ذلك لا يحقّ لأحد أن يرتّب آثاراً سلبية عليه، فصحيح أنّه من يشبه أباه فما ظلم كما يقول الشاعر، إلّا أنّه لا يعني أنّه من لم يشبهه فقد ظلم، فلا ملازمة في ذلك، ولإثبات هذا المعنى نجد الروايات الشريفة تنصّ على الأمرين، إنّ الشبه وإن كان حسناً، إلّا أنّ عدم الشبه لا يعني السوء والخيانة وما شابه ذلك.

١- عن الصادق عليه السلام: من نعم الله عزّ وجلّ على الرجل أن يشبهه ولده.

٢- وعنه عليه السلام، قال: إنّ الله تبارك وتعالى إذا أراد أن يخلق خلقاً جمع كلّ صورة بينه وبين آدم، ثمّ خلقه على صورة إحداهن، فلا يقولن أحد لولده هذا لا يشبهني ولا يشبه شيئاً من آبائي.

٣- وسأل رجل عن النبيّ ﷺ فقال: ما لنا نجد بأولادنا ما لا يجدون بنا؟ قال: لأنّهم منكم ولستم منهم.

٤- من كتاب المحاسن، عن الصادق عليه السلام، قال: من سعادة الرجل أن يكون الولد يعرف بشبهه وخلقته وخلقته وشمائله - وهذا يعني أنّ الوالد لا بدّ أن يكون متخلقاً أولاً بأخلاق الإسلام وله شمائل أهل الخير والصلاح -.

وهناك شمائل تدلّ على الخير كما عند علماء العاقّة .

٥ - عن أمير المؤمنين عليه السلام ، قال : إذا نظرت إلى الغلام فرأيتَهُ حلو العينين ، عريض الجبهة ، نامي الوجنتين ، سليم الهيئة ، مسترخي العزلة - بالتحريك الحرقفة وهي عظم الحجة أي رأس الورك - فارجه لكلّ خير وبركة - أي مثل هذه القيافة تدلّ على أنّه سيكون في المستقبل من أهل الخير والبركة وتأمّل فيه خيراً ، وهذا الأمر لا على نحو الموجبة الكلية بل قضية مهملة فهي بحكم الجزئية ، وربما الغالب هكذا - وإن رأيتَهُ غائر العينين ، ضيقّ الجبهة ، ناتئ الوجنتين ، محدّد الأرنبة كأنّما جبينه صلابة ، فلا ترجمه .

٦ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنّ الله عزّ وجلّ خلق للرحم أربعة أوعية فما كان في الأوّل فللأب وما كان في الثاني فللأمّ ، وما كان في الثالث فللعمومة ، وما كان في الرابع فلخؤولة .

بيان : لعلّ المراد أنّ النطفة إن استقرّت في الوعاء الأوّل فالولد يشبه الأب وهكذا في البواقي <sup>(١)</sup> .

٧ - عن أبي الحسن عليه السلام قال : سمعته يقول : سعد امرؤ لم يمت حتّى يرى خلفاً من نفسه .

بيان : الخلف بالتحريك الولد الصالح ، فإذا كان فاسداً أسكنت اللام .



## المقام الثالث عشر مراحل تربية الأولاد

لَمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ مَرْكَبًا مِنْ رُوحٍ وَجَسَدٍ، فَقَدْ جَعَلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَا يَرْبِيهِ وَيَزِيدُ فِيهِ وَيَنْمِيهِ، فَهَنَّاكَ عَوَامِلٌ لِلتَّرْبِيَةِ الرُّوحِيَّةِ، كَمَا هَنَّاكَ عَوَامِلٌ لِلتَّرْبِيَةِ الْجَسَدِيَّةِ، وَالتَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ بِأَقْسَامِهَا - كَمَا مَرَّ - لَهَا زَمَانٌ عَامٌ وَزَمَانٌ خَاصٌّ، فَلَمَّا كَانَ الْعِلْمُ يَنْقَسِمُ إِلَى قَسْمَيْنِ: الْعِلْمُ الْقَلْبِيَّ وَالْعِلْمُ الْكُسْبِيَّ. وَمَنْ الْأَوَّلُ «لَيْسَ الْعِلْمُ بِكَثْرَةِ التَّعَلُّمِ إِنَّمَا الْعِلْمُ نُورٌ يَقْذِفُهُ اللَّهُ فِي قَلْبِ مَنْ يَشَاءُ أَنْ يَهْدِيَهُ».

فالتعليم والتربية بالعلم القلبي وبالذكر والروحانيات إنما يكون طيلة الحياة ولا يختص بزمان دون زمان بل من المهد إلى اللحد، وأما العلم الكسبي الجسدي النظري فإن تعلمه في الصغر كالتقش على الصخر، والعلم في الكبر كالتقش على البحر، فهناك سنون خاصة للتعليم وكذلك التربية الروحية والجسدية كحرفة الرياضة البدنية الخاصة. وهذا ليس دائماً وفي كل حالة بل غالباً يكون ذلك، وإلا فهناك قصص تروى عن أشخاص طلبوا العلم في سن متأخرة ووصلوا إلى مقامات علمية رفيعة.

وعلماء النفس يذكرون أدواراً خاصة للتربية، وإن الإنسان قابل للتربية إلى سنّ الأربعين، ويبدأون بالتربية والتعليم من السنّ السابعة.

والإسلام له منطقته ونظريته وحكمه الخاص، ومن الواضح أنه عند التعارض يقدّم ما جاء في الإسلام، فإنه من الوحي الواقف على سرائر الإنسان

وضميره وبواطنه، فهو الذي خلقه، فيعرف حقيقته وما ينفعه وما يضره، وكيفية التربية والتعليم. فجاء النبي الأكرم ﷺ ليزكّهم ويعلمهم الكتاب والحكمة. وبالنسبة إلى تربية الأولاد، فقد جعلها في مراحل ثلاثة:

**الأولى:** يترك الطفل ويعطى له ما يبغيه ويشتهي ما دام لا يضره، لأنه في طفولته يكون سيّداً وأميراً، فيعطى له ما يحبّ ما دام لا يضرّ ولا يورد الخسارة الفادحة، ولا بدّ من إعطاء حرّيته حتّى تشبع عنده هذه الرغبة، رغبة الإمارة والملوكيّة والسيادة، وإلّا فإنه سيطنى في المراحل الأخرى ويحاول أن يفرض رغباته التي اختفت في الضمير اللاشعوري في المرحلتين الآخرتين، وإنّما يعلم ويدرّب بشكل غير مباشر من خلال الجوّ العامّ للبيت.

**الثانية:** الإطاعة، فيؤدّب وحينئذٍ يأخذ القول ويستمع له، لأنه أشبعت رغباته وغرائزه في المرحلة الأولى، والآن يشعر أنّه عبد ولا بدّ له من إطاعة المعلّم والمؤدّب والوالد والناصح والمربّي والقانون.

**الثالثة:** الوزارة، فبعد أن يطوي المرحلتين ويكتسب المعلومات والتجارب ويتفتحّ ذهنه، ويكبر عقله، فإنّه يكون للوالد بحكم الوزير، فعلى الوالد أن يستشيريه في أمور الحياة وأمور الأسرة وقضايا العائلة، حتّى يعتمد الولد على نفسه ويشعر أنّه ذو شخصية أولاً، كما يشعر أنّ له وجوداً في الأسرة، ويؤخذ بقوله الصائب عند المشورة، وبهذه الوزارة تكشف على أنّ الحياة حينئذٍ تكون حياة شوراثة وبلغة اليوم (ديمقراطية)، فلا يكون الوالد دكتاتوراً يفرض رأيه على كلّ حال وفي جميع الأحوال، بل يتبادل النظر مع أولاده ومع الأسرة، مثلاً إذا أراد السفر العائلي للترهة أو الزيارة فإنّه يطرح الموضوع على العائلة ويستشيرهم في ذلك في أصل السفر وفي كيفيته ومدّته وكلّ ما يتعلّق به وما شابه

٣٢٠ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

ذلك، فهذه مرحلة الوزارة والاستشارة ولا منافاة بينها وبين أن يكون الرجال قوامين على النساء - كما مرّ تفصيل ذلك -، فإنّه في عين القواميّة بوظائف الأسرة يستشيرهم فإنّه من القواميّة أيضاً.

١ - قال النبي ﷺ: الولد سيّد سبع سنين، وعبد سبع سنين، ووزير سبع سنين. فإن رضيت أخلاقه لإحدى وعشرين، وإلّا فاضرب على جنبه، فقد أعذرت إلى الله تعالى.

أي إن عملت بوظيفتك ومسؤوليتك في هذه المراحل الثلاث، فعندئذٍ إذا رضيت بأخلاقه فيها، وإلّا فأنت معذور في تربيته، فقد أدّيت ما وجب عليك.

٢ - عن الصادق عليه السلام: دع ابنك يلعب سبع سنين، ويؤدّب سبعاً، وألزمه نفسك سبع سنين، فإن فلع، وإلّا فلا خير فيه.

ما أعجب هذه الروايات الشريفة، فإنّها تخبر عن حقيقة الشباب، أنّه حتّى الواحدة والعشرين من عمره لو كان مفلحاً صالحاً ففيه الخير والبركة وتعتد به الآمال، وإلّا فلا خير فيه.

٣ - وقال عليه السلام: احمل صبيك حتّى يأتي عليه ستّ سنين، ثمّ أدّبه في الكتاب ستّ سنين، ثمّ ضمّه إليك سبع سنين فأدّبه بأدبك، فإن قبل وصلح، وإلّا فخلّ عنه.

٤ - ولا يخفى ما ورد في حديث أمير المؤمنين عليه السلام: أدّبوا أولادكم بآداب زمانهم، فإنّهم خلقوا لزمان غير زمانكم، وهذا لا ينافي أنّه يؤدّبه بآداب نفسه، ولكن مطابقاً لمقتضى زمان ولده، فإنّ الآداب الإسلاميّة من عصر النبي والأئمة عليهم السلام وإلى يوم القيامة هي آداب واحدة، وهي الآداب التي يتجلّى فيها التوحيد الإلهي والسنن النبويّة والأخلاق الولويّة، فإنّ الصغير يحترم الكبير،

ويبدأ القائم بالسلام، وتغسل اليدين قبل الأكل، وغير ذلك من الآداب والسنن والسيرة النبوية الشريفة، فإنها لا تختص بزمان دون زمان، نعم التعليم كان في زمان الآباء على السبورة، واليوم على الكمبيوتر، فالتربية والتعليم نفس التربية والتعليم، إلا أنه بوسائل العصر وآلات الزمن ومقتضياته وتمدّنه وحضارته وتقدّمه.

فالإسلام أوصى بأدب الأولاد غاية التوصية.

٥ - عن النبي ﷺ، قال: لأن يؤدّب أحدكم ولده خير له من أن يتصدّق بنصف صاع كلّ يوم.

٦ - وعنه عليه السلام: أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم يغفر لكم.

ما أروع هذه الكلمة الخالدة «أكرموا أولادكم»، وبهذا نحلّ عقدة الحقارة التي تتولّد عند الأبناء من خلال تحقير الآباء والأمهات أولادهم، فلا يحقّ للوالد أن يكسر معنويات الولد، ولا يحقّ للأمّ أن تحطّم شخصيّة بنتها، لا سيّما أمام الآخرين، فإنّ هذا ممّا يولّد عندهما عقدة الحقارة التي تنتج الجرائم والطغيان والانحرافات الأخلاقية والاجتماعية المؤسفة النتائج الوخيمة العواقب.

فالإسلام أمر أمته المثقفة أن تكرم أولادها بكلّ ما للكلمة الإكرام من معانٍ ومصاديق لما في الخبر الشريف من الإطلاق والعموم.

ومن مصاديق الأدب أن يعلم الصبيّ على غسل يديه من دسومة الأكل لما يحمل من مكروبات وجرائم تؤلمه في نومه ورقاده، والجرائم شياطين متمرّدة.

٧ - عن الرضا عليه السلام، قال: قال النبي ﷺ: اغسلوا صبيانكم من الغمر - زنج

اللحم وما يتعلّق باليد من دسومة - فإنّ الشيطان يشمّ الغمر فيفزع الصبي في رقاده

٣٢٢ ..... تربية الأسرة على صوء القرآن والعترة

- أي يؤذيه في نومه - ويتأذى به الكاتبان - الملكان عن اليمين والشمال - .

ومن الأحاديث الجامعة في تربية الأولاد حتى سن الأربعين :

٨- عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ، قال : يرخى الصبي سبعاً - أي دعه يلعب

واحمله وإنه سيّد نفسه - ويؤدّب سبعاً - كما يؤدّب العبد - ويستخدم سبعاً كوزير

يستشار ويحمل قسماً من ثقل الأسرة في المعاش وغيره - وينتهي طوله في ثلاث

وعشرين وعقله في خمس وثلاثين - أي إلى هذا السن يستوعب العقل

المعلومات الواردة - وما كان بعد ذلك فبالتجارب - والتجربة أكبر برهان وفوق

العلم .

ثم إنّما يرَبِّي ولده على العمل الصالح وعلى الإيمان والتوحيد من اليوم

الأوّل ومنذ نعومة أظفاره ، فإنّه بعد ولادته يستحبّ الأذان في أذنه اليمنى والإقامة

في اليسرى ، كما هناك مستحبات أخرى تخبر عن هذا المعنى وعن العلم القلبي

الذي ينمو بالذكر والبصيرة ، لا العلم الحسي الذي يزداد بالفكر والنظر . ثم بعد ذلك

يعلّمه ألفاظ التوحيد . كما ورد :

٩ - عن أبي عبد الله أو أبي جعفر عليه السلام ، قال : سمعته يقول : إذا بلغ الغلام

ثلاث سنين فقل له سبع مرّات : لا إله إلا الله ، ثم يترك حتى يبلغ ثلاث سنين

وسبعة أشهر وعشرين يوماً ، ثم يقال له : قل « محمد رسول الله » ، سبع مرّات ،

ويترك حتى يتمّ له أربع سنين ثم يقال له سبع مرّات قل : صلّى الله على محمد

وآل محمد - أي في أوّل الأمر يعلّم التوحيد ثم النبوة ثم الإمامة والولاية المتمثلة

بآل محمد عليه السلام - ويترك حتى يتمّ له خمس سنين ، ثم يقال له : أيّهما يمينك

وأيّهما شمالك ، فإذا عرف ذلك حوّل وجهه إلى القبلة ويقال له : اسجد ثم يترك

حتى يتمّ له ستّ سنين ، فإذا تمّ له ستّ سنين قيل له : صلّ وعلم الركوع والسجود

حتى يتم له سبع سنين، فإذا تم له سبع سنين قيل له : اغسل وجهك وكفّيك، فإذا غسلهما قيل له : صلّ، ثم يترك حتى يتم له تسع سنين، فإذا تمّت له علّم الوضوء وضرب عليه، وأمر بالصلاة وضرب عليها - فيما إذا أراد أن يتماهل أو يتكاسل فيها - فإذا تعلّم الوضوء والصلاة غفر الله لوالديه إن شاء الله .

هذه نماذج من التربية الإسلامية منذ نعومة الأظافر، وكما أنّ للوالدين حقوقاً على أولادهم، لا يجوز للأولاد أن يتجاوزوها، بل من تجاوز الحقوق كان عاقباً لوالديه، ومن كان عاقباً، فإنه يحرم من الجنّة وريحها، كذلك للأولاد حقوقاً على الآباء والأمهات، لا يحقّ لهما أن يتجاوزا ذلك .

١٠ - وما أجمل ما يقوله الإمام السجّاد في رسالة الحقوق في بيان جملة من حقوق الولد، فقال عليه السلام : وأما حقّ ولدك، فإن تعلم أنّه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره، وأنّه مسؤول عمّا وليته به من حسن الأدب والدلالة على ربّه عزّ وجلّ والمعونة له على طاعته، فاعمل في أمره عمل من يعلم أنّه مثاب على الإحسان إليه، معاقب على الإساءة إليه .

«إنّ التمعّن في الآيات القرآنية والأحاديث الإسلامية الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأئمة المسلمين من أهل بيته عليهم السلام»، وكذلك دراسة التاريخ وما تدلّ عليه التجربة أثبتت جميعاً أنّ للأب والأمّ تأثيرهما الفعّال والمباشر في مصير الأولاد ومستقبلهم، سواء أكان ذلك في مرحلة الطفولة أو الفتوة أو الشباب . وبعبارة أكثر تفصيلاً: نرى أنّ للوالدين تأثيرهما الحاسم في مستقبل الأولاد خلال مراحل العمر المختلفة، من الطفولة إلى الفتوة فالشباب، لا فرق في أن يكتسب هذا المستقبل لون السعادة والازدهار، أو الشقاء المرّ والتعاسة، إذ يؤكّد القرآن الكريم وكذلك الأحاديث الشريفة، كما يدلّ على ذلك تاريخ البشرية

٣٢٤ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعقيدة

والتجربة الاجتماعية، على أن الوالدين الملتزمين بأصول الحياة الإسلامية والذين يحيطان أولادهما بأشكال الرعاية والتربية والرقابة والتوجيه، إنما يقودان بذلك أولادهم نحو المستقبل الزاهر السعيد، ويوقران لهم إمكانية واسعة لحياة رغيدة هادئة. أمّا تلك الأمّ وذلك الأب اللذان يسودهما الزيغ والانحراف عن أصول الإسلام، وتشتمل حياتهما على الإهمال، ثمّ يتكاسلان عن تنشئة أولادهما على أصول التربية الإسلامية، فإنهما في الواقع يؤثران على مصير الأولاد سلبياً، ويجعلونهم عرضة للشقاء والانحراف والابتعاد عن جادة الحقّ والصواب. إنّ تأثير الوالدين على مصير الأولاد ومستقبلهم في مراحل الحياة المختلفة هو بدرجة من الجذرية والعمق، حتّى جاء عن رسول الله ﷺ قوله: «السعيد من سعد في بطن أمّه، والشقي من شقي في بطن أمّه»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية: إنّ رسول الله ﷺ مرّ يوماً مع مجموعة من أصحابه من مكانٍ ما، فشاهد مجموعة من الأطفال يلعبون، نظر إليهم وقال: ويل لأولاد آخر الزمان من آبائهم. فقيل: يا رسول الله من آبائهم المشركين؟ فقال: لا من آبائهم المؤمنين ما لا يعلمونهم شيئاً من الفرائض، وإذا تعلّموا أولادهم منعوهم ورضوا عنهم بعرض يسير من الدنيا، ثمّ أظهر نفوره وعدم رضاه عن أمثال هؤلاء الآباء فقال: فأنا منهم بريء وهم منّي براء<sup>(٢)</sup>. إنّ حديث الرسول يشمل الآباء والأمّهات الذين يقتصر اهتمامهم على الشؤون المادّية والدينيّة لأولادهم، دون ما يتعلّق بمصيرهم الأخروي. فمثل هؤلاء لا ينتسبون إلى رسول الله ﷺ ورسالته ودينه

(١) تربية الطفل: ١٤.

(٢) المصدر، عن جامع الأخبار: ١٢٤.

بصلة، وهو براء منهم وإن تسموا شكلياً بالإسلام.

إنّ على الوالدين أن يتحمّلا مسؤولية التربية الصحيحة للأولاد في البيت وداخل محيط الأسرة، وأن يُغذّوهم بالعاطفة والحبّ والحنان في إطار الأخلاق الإسلامية، حتّى يتّسم سلوكهم الاجتماعي وتعاملهم مع الآخرين باللين والفضيلة والاستقامة، فضلاً عن سلوكهم داخل البيت. فترية الوالدين وإن لم تكن هي العلة التامة أو الشرط الوحيد لمستقبل الطفل، ولكن هي من المقتضيات الأولية والأساسية لبناء أرضية مناسبة لمستقبل الطفل في مراحل حياته المختلفة، فالترية الأبوية كما لها التأثير على نحو الاقتضاء، فكذلك إرادة الفرد نفسه وعوامل المحيط والبيئة والمجتمع، فربّ مجتمع يعاكس ما في البيت فيتأثر الولد به فينحرف أو يستقيم.



## المقام الرابع عشر العدالة بين الأولاد

العدل يعني وضع الشيء في موضعه وإعطاء ذي الحق حقه، كما أن (العقل والعامل) فسّر بهذا التفسير، فالعادل عادل، والعاقل عاقل، وربما يكون من مصاديق العدل المساواة بين الأفراد أو الأشياء.

والإسلام قد اهتمّ بمسألة العدالة غاية الاهتمام، لا سيّما أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام، فإنهم يذهبون إلى أنّ من أصول دينهم هو الإيمان بعدل الله سبحانه، خلافاً للأشاعرة، كما هو مذكور في كتب علم الكلام.

ومن مظاهر العدل الإلهي: العدالة الاجتماعية، ومن مظاهرها أنّ كلّ مسلم ومسلمة يتّصفان بالعدالة، فإنّه يقابلها الفسق، فإنّما أن يكون الإنسان عادلاً أو فاسقاً - وهذا في الفقه وأصوله، كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾<sup>(١)</sup>، فيستدلّ به على حجّية قول الثقة بالمفهوم إنّه إن جاءكم عادل - أي ثقة - فلا تبيّنوا، فالعادل تارةً يقابله الظالم وأخرى الفاسق، وثالثة غير الثقة، فتدبّر -.

ولا بدّ للوالدين من رعاية العدالة بين الأولاد.

١ - قال النبي صلى الله عليه وآله: اعدلوا بين أولادكم (في السرّ) كما تحبّون أن يعدلوا بينكم في البرّ واللطف.

ومن العدل الوفاء بالوعد والمحبة والرحمة :

٢- عن النبي ﷺ، قال : أحبوا الصبيان وارحموهم، فإذا وعدتموهم ففوا لهم، فإنهم لا يرون إلا أنكم ترزقونهم.

وهذا من أعظم آيات التربية في الإسلام، ومنه يقاس الموارد الأخرى والمصاديق الأخرى.

فالعدل كما ذكرنا يعني وضع الشيء في موضعه، لا أنه بمعنى المساواة في كل مورد ومكان، بل يمكن أن يفرق في الفضل بين الأولاد الذكور في بعض القضايا، كما يفرق بين الذكور والإناث، فإنك لو أتيت بمتاع إلى الدار فابدأ بالبنت لأنها أكثر عاطفة وإحساساً، وسرعان ما يجرح مشاعرها وأحاسيسها مما يولد فيها عقدة الحقد التي يترتب عليها أمراض نفسية كثيرة كما في علم النفس.

٣- عن رفاة، قال : سألت أبا الحسن عليه السلام عن الرجل يكون له بنون وأئمه ليست بواحدة، أيفضل أحدهم على الآخر؟ قال : نعم، لا بأس به، قد كان أبي عليه السلام يفضلني على أخي عبد الله.

والتفضيل إنما يكون بالعلم والأخلاق والأعمال الصالحة كما هو واضح، لا بقضايا تافهة لا أساس لها في الدين والإنسانية، كأن يكون أحدهما أطول من الآخر، فيقدم الطويل لطوله، فهذه موازين تافهة، ومقياس غير صحيح، ولا ينبع من العقل السليم والشرع المقدس.

ومن العدل المحفوف بالرحمة :

٤- قال النبي ﷺ : من دخل السوق فاشتري تحفة فحملها إلى عياله، كان كحامل صدقة إلى قوم محاويج، وليبدأ بالإناث قبل الذكور، فإن من فرح ابنته فكأنما أعتق رقبة من ولد إسماعيل، ومن أقر عين ابن فكأنما بكى من خشية الله،

٣٢٨ ..... تربية الأسرة على صوء القرآن والعترة

ومن بكى من خشية الله أدخله الله جنّات النعيم.

قرّة العين هي الدمعة الباردة التي تنزل من شدّة الفرح والسرور، ولهذا يقال في مقام الدعاء: أقرّ الله عينك، وأمّا الدموع الحارّة والساخنة التي تنزل في الحزن والألم والمصاب فإنّه يقال له: أسخن الله عينه. فمعنى إقرار عين الولد هو إدخال السرور عليه.

## المقام الخامس عشر القبلة من مظاهر الحب

لقد ركز الإسلام على الحب الطاهر غاية التركيز، حتى صار من أبرز المفاهيم الإسلامية في قاموس الدين الإسلامي، فما أكثر الآيات الكريمة والروايات الشريفة في حب الله ورسوله والأولياء، وحب العمل الصالح والعلوم النافعة والفنون الجميلة، كاد أن يكون الحب هو الأساس في كل شيء. ويتجلى هذا المعنى في بناء الأسرة الإسلامية، فجعل بينكم المودة والرحمة، جعل بينكم الحب، فهو الحاكم في محيط العائلة، فالأبوان يحبّان الأبناء، والأبناء يحبّون الأبوين، والإخوة يحبّون الأخوات، والأخوات يحبّين الإخوة، وهكذا الحب يسري كالدم في شرايين الأسرة.

ولهذا الحب مظاهر، من أجملها القبلة، فإنها تنبئ عن الميل الباطني نحو المحبوب.

١- قال أمير المؤمنين عليه السلام: قبلة الولد رحمة، وقبلة المرأة شهوة، وقبلة الوالدين عبادة، وقبلة الرجل أخاه دين، وزاد عنه الحسن البصري: وقبلة الإمام العادل طاعة.

٢- وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله قبل الحسن والحسين عليهما السلام، فقال الأقرع بن حابس: إن لي عشرة من الأولاد ما قبلت واحداً منهم، فقال: ما عليّ إذا نزع الله الرحمة منك. أو كلمة نحوها.

٣- وعنه صلى الله عليه وآله، أنه نظر إلى رجل له ابنان، فقيل أحدهما وترك الآخر، فقال

٣٣٠..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

النبي ﷺ : فهلا ساويت بينهما.

٤- وقال ﷺ : قبلوا أولادكم، فإن لكم بكلّ قبلة درجة في الجنة، ما بين

كلّ درجتين خمسمائة عام.

## الفصل التاسع

### أحكام النساء والأولاد

المرأة تشترك مع الرجل في كثير من الأحكام الشرعية في العبادات كالصلاة والصوم، وفي المعاملات، وإن لها أحكاماً خاصة، تمتاز عن الرجل بطبيعتها الأنثوية، كعدم الصلاة أيام الحيض، ولتعميم الفائدة نذكر بعض الموارد التي وردت في القرآن الكريم والسنة الشريفة، ومن أراد التفصيل فعليه أن يراجع كتب الفقه، لا سيما الرسائل العملية في المسائل التقليدية لمراجعنا العظام (رحم الله الماضين وحفظ الباقيين).

١ - ومن أهم الأحكام الحجاب، فإنه يجب عليها عند بلوغها بإكمال تسع سنين أن تحتجب عن الأجنبي ومن لم يكن من محارمها، كما في سورة النور وآيات الحجاب، وما أكثر الروايات في هذا الباب.

من كتاب المحاسن، عن أبي عبد الله عليه السلام، في قوله جل ثناؤه: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾<sup>(١)</sup>، قال: الوجه والذراعان، وعنه عليه السلام أيضاً في قوله

٣٣٢ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

عزّ وجلّ: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾، قال: الزينة الظاهرة: الكحل والخاتم، وفي رواية أخرى، قال: الخاتم والمسكة - وهي القلب أي السوار للمرأة - وهو الذي يظهر من الزينة. ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾<sup>(١)</sup> القلائد والقرطة والدماليج - جمع دملوج بالضم: ما يلبس في المعصم من الحلي - والخلاخيل - جمع خلخال وهو ما يلبس من الذهب في الرجل -.

عن أم سلمة، قالت: كنت عند النبي ﷺ وعنده ميمونة، فأقبل ابن أم مكتوم وذلك بعد أن أمر بالحجاب، فقال: احتجبا، فقلنا: يا رسول الله أليس أعمى لا يبصرنا؟ فقال: أفعميا وان أتما، أستمأ تبصرانه.

٢ - عن أبي عبد الله عليه السلام، في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يَغْضِبَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾<sup>(٢)</sup>، قال: المعروف أن لا يشققن جيباً - في المصيبة يكون ذلك غالباً أو عند الغضب - ولا يلطمن وجهاً، ولا يدعون ويلاً، ولا ينحن عند قبر، ولا يسودن ثوباً، ولا ينشرن شعراً.

وعنه عليه السلام، قال: أخذ رسول الله ﷺ على النساء أن لا ينحن ولا يخمشن ولا يقعدن مع الرجال في الخلاء - أي في مكان خلوة، فإنه مصيدة الشيطان -.

٣ - وعنه عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ في الحديث الذي قالته فاطمة عليها السلام: «خير النساء أن لا يرين الرجال ولا يراهن الرجال»، فقال رسول الله ﷺ: إنها مني.

(١) النور: ٣١.

(٢) الممتحنة: ١٢.

قال الصادق عليه السلام : لا تجلس المرأة بين يدي الخصي مكشوفة الرأس .

٤ - عن الصادق عليه السلام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تسكنوا النساء الغرف . ولا تعلموهن الكتابة ، ومروهن بالغلز ، وعلموهن سورة النور - لما فيها من آيات الحجاب - .

بيان : قوله عليه السلام : « لا تعلموهن الكتابة » ، بناءً على صحة السند وظاهر الخبر يدل على النهي عن الكتابة ومحظورية تعليمها للنساء ، ولا يخفى أن النهي هنا نهى تنزيهي لا تحريمي . فيدل على كراهة تعليم الكتابة لهن ، والظاهر إنما يكره ذلك لما فيه من الفتن والمفاسد ، فلو أمن الشخص تلك الفتن ، بل لو كانت المرجحات على الكتابة ، فإنه ترتفع الكراهة والمرجوحية ، وربما يكون المقام من الراجح والاستحباب وحتى يصل إلى درجة الوجوب ، ويكون بمعنى أقل ثواباً كما في النهي عن الصلاة في الحمام في قولهم : « لا تصل في الحمام » فيدل على قلة ثواب الصلاة بالنسبة إلى المسجد أو خارج الحمام لأن الصلاة في نفسها مرجوحة ، فيكون معنى « لا تصل » بمعنى أقل ثواباً ، وكذلك الكتابة للنساء ، فإذا كان « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » فيجب تعلم المسائل المبثلى بها للنساء أيضاً ، وإذا كان « قيدوا العلم بالكتابة » فينبغي للمرأة حينئذ أن تتعلم الكتابة لتقيد العلم الذي هو من الفرائض عليها ، وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ربما يكون متوقفاً على الكتابة ، ومن باب مقدمة الواجب واجب تلزم الكتابة حينئذ ، ومن ناحية « أدبوا أولادكم - الذكور والإناث - بأداب زمانهم لا آداب زمانكم » فإن لكل زمان أدبه ، فيختلف زمانكم عن زمانهم ، ففي عصرنا هذا لو أردنا منع النساء عن الكتابة ، فإنه يلزم أن نفلج نصف المجتمع أولاً ، ومن ثم



٣٣٤ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

مع تطوّر الزمن وتقدّم التكنولوجيا والصناعة الحديثة يلزم التخلف بين المسلمين والمسلمات، وممّا يوجب تخريب سمعة الإسلام ووهنه والحال لم يكن في الشرائع ولا في الملل والنحل مثل الإسلام العظيم مثيلاً في دعوة الناس إلى العلم، فما أكثر النصوص الدينية من الآيات الكريمة والروايات الشريفة تحثّ المسلمين رجالاً ونساءً على طلب العلوم والفنون، فكيف يمنع عن تعليم النساء الكتابة مطلقاً في كلّ الأعصار والأمصار، بل لا بدّ من قيد هذا الحكم بحسب الظروف الخاصّة وفيما يلزم من الفتن والفساد، كما لو علمنا أنّ هذه البنت بالخصوص لو تعلّمت الكتابة فإنّها تستعملها في ما حرّم الله من مغازلتها مع عشيقها بالرسائل والكتابة، أمّا إذا علمنا أنّها بالكتابة تخدم البشرية وتأمّر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتهدي الناس إلى سواء السبيل، كما فعلت الشهيذة المعاصرة السيّدة بنت الهدى الصدر عليها الرحمة بمؤلفاتها القيّمة، فإنّه بلا ريب يكون تعليم الكتابة إيّاهما عملاً راجحاً ومستحبّاً وربما واجباً من باب المقدّمة، فلا بدّ من دراية الأحاديث، ولا نكتفي بروايتها وتحميل آراءنا وأفكارنا عليها، فتدبر.

٥- عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: لا يباشر الرجل الرجل إلّا وبينهما ثوب، ولا تباشر المرأة المرأة إلّا وبينهما ثوب، ولعن رسول الله ﷺ المخنثين وقال: أخرجوهم من بيوتكم.

وعنه ﷺ، قال: لا تبيت المرأتان في ثوب واحد إلّا أن تضطرّاً إليه.

وعنه ﷺ، قال: لا ينام الرجلان في لحاف واحد إلّا أن يضطرّاً، فينام كلّ واحد منهما في إزاره، ويكون اللحاف بعدُ واحداً، والمرأتان جميعاً كذلك، ولا تنام ابنة الرجل معه في لحاف ولا أمّه.

٦- عن النبي ﷺ، قال: السحق في النساء بمنزلة اللواط في الرجال، فمن فعل من ذلك شيئاً فاقتلوهما ثم اقتلوهما.

٧- قال ﷺ: صلاة المرأة وحدها في بيتها كفضل صلاتها في الجامع خمساً وعشرين درجة.

٨- كان أمير المؤمنين عليه السلام يسلم على النساء، وكان يكره أن يسلم على الشابة منهن، وقال: أتخوف أن يعجبني صوتها فيدخل علي من الإثم أكثر مما أطلب من الأجر.

وفي هذا الخبر الشريف مداليل حكيمة، فإن الإمام عليه السلام معصوم، وإتته يعلمنا ويعلم الشباب كيف يفكر وكيف يعيش بورع وتقوى والاجتناب عن المحارم والابتعاد عن حماها.

٩- سأل أبو بصير أبا عبد الله عليه السلام: هل يصفح الرجل المرأة ليست بذى محرم؟ قال: لا، إلا من وراء الثوب.

١٠- وعنه عليه السلام، سأله الساباطي عن النساء، كيف يسلمن إذا دخلن على القوم؟ قال: المرأة تقول: عليكم السلام، والرجل يقول: السلام عليكم.

وهذا يعني أن الأئمة عليهم السلام حدّوا كلّ شيء للمرأة حتى كيفية سلامها وتحيتها على القوم.

١١- عن الصادق عليه السلام، قال: من نظر إلى امرأة فرفع بصره إلى السماء أو غمض بصره لم يرتد إليه بصره حتى يزوجه الله من الحور العين.

وقال عليه السلام: أوّل النظرة لك، والثانية عليك، والثالثة فيها الهلاك.

١٢- قال عليه السلام: المغزل في يد المرأة الصالحة كالرمح في يد الغازي المرید

٣٣٦ ..... تربية الأسرة على سوء القرآن والعترة

وجه الله .

وقال عليه السلام : مروا نساءكم بالغزل، فإنه خيرٌ لهنّ وأزين .

وقال النبي صلى الله عليه وآله : نعم اللهو المغزل للمرأة الصالحة .

١٣ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الصبي والصبي والصبي، والصبيّة والصبيّة

والصبيّة، يفرّق بينهم في المضاجع لعشر سنين . وروي : إذا بلغوا سبع سنين، وروي : أنه يفرّق في المضاجع لستّة سنين .

١٤ - وعنه عليه السلام ، قال : إذا بلغت الجارية - فيما إذا كانت أجنبية - ستّ سنين

فلا تقبلها، والغلام - أي الولد الذكر - لا تقبله المرأة إذا جاوز سبع سنين .

١٥ - وعنه عليه السلام ، سأله أحمد بن النعمان، فقال : عندي جويرية ليس

بيني وبينها رحم - أي أجنبية - ولها ستّ سنين ؟ قال : فلا تضعها في حرك ولا تقبلها .

١٦ - قال علي عليه السلام : مباشرة المرأة ابنتها - أي تباشرها وهي عارية في

تنظيفها - إذا بلغت ستّ سنين، شعبة من الزنا .

١٧ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله : اتّخذوا في بيوتكم الدواجن، يتشاغل بها

الشیطان عن صبيانكم .

١٨ - قال النبي صلى الله عليه وآله : ليس للنساء من سروات الطريق، يعني من وسطه، إنما

لهن جوانبه .

أي يحسن بالمرأة أن تمشي بشكل لا تكون مكشوفة الخلف للأجانب

فتمشي بجانب الطريق لا في وسطه حيث تكون عرضةً للأنظار .

١٩ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من قذف امرأته بالزنا، خرج من حسناته

كما تخرج الحيّة من جلدها، وكتب له بكلّ شعرة على بدنه ألف خطيئة.

٢٠- وقال عليه السلام: لا تقذفوا نساءكم بالزنا، فإنّه شبه بالطلاق، وإيّاكم والغيبية

فإنّها شبه بالكفر، واعلموا أنّ القذف والغيبية يهدمان عمل مائة سنة<sup>(١)</sup>.

٢١- وقال عليه السلام: لا يقذف امرأته إلاّ ملعون، أو قال: منافق، فإنّ القذف

من الكفر، والكفر في النار، لا تقذفوا نساءكم فإنّه في قذفهن ندامة طويلة وعقوبة شديدة.

٢٢- عن الباقر: لا تخرج المرأة إلى الجنّزة.

أي يكره لها لذلك ولا يحرم.

٢٣- قال النبيّ صلى الله عليه وآله: صلاة المرأة وحدها في بيتها كفضل صلاتها في الجمع

خمساً وعشرين درجة.

٢٤- الكافي بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام سئل: أكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقوت

عياله قوتاً معروفاً؟ قال: نعم، إنّ النفس إذا عرفت قوتها قنعت به ونبت عليه اللحم.

٢٥- التهذيب بسنده عن منصور بن حازم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن

الرجل يتزوّج المرأة فيموت عنها قبل أن يدخل بها؟ قال: لها صداقها كاملاً وترثه وتعتدّ أربعة أشهر وعشراً كعدّة المتوفّى عنها زوجها<sup>(٢)</sup>.

٢٦- عن محمّد قال: سألت أبا جعفر عليه السلام: متى يجب المهر؟ قال: إذا

(١) البحار ١٠٠: ٢٤٩.

(٢) الوافي ١٢: ٥٠٤.

٣٣٨ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعتره

دخل بها<sup>(١)</sup>.

٢٧- الكافي بسنده عن غياث بن ابراهيم قال : سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول : قال رسول الله ﷺ : لا جلب ولا جنب ولا شغار في الإسلام، والشغار أن يزوّج الرجل ابنته أو أخته ويتزوّج هو ابنة المتزوّج أو أخته ولا يكون بينهما مهر غير تزويج هذا من هذا وهذا من هذا<sup>(٢)</sup>.

٢٨- عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لا تحلّ الهبة - الهبة أن تهب المرأة نفسها للرجل من دون مهر فهذا لا يصحّ وإنما كان ذلك للنبيّ فقط فهو من مختصّاته - فلا تحلّ الهبة لأحد بعد رسول الله ﷺ.

٢٩- التهذيب : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أتزوّج المرأة أ يصلح لي أن أوقعها ولم أنقدها من مهرها شيئاً ؟ قال : نعم إنّما هو دين عليك .

٣٠- الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن رجل تزوّج إلى قوم فأذا امرأته عوراء ولم يبيّنوا له قال : يردّ النكاح من البرص والجذام والجنون والعقل - شيء مدوّر يخرج بالفرج - .

٣١- الفقيه بسنده عن الكرخي قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل له أربع نسوة فهو يبيت عند ثلاث منهن في لياهين ويمسهن فإذا بات عند الرابعة في ليلتها لم يمسّها، فهل عليه في هذا إثم ؟ فقال : إنّما عليه أن يبيت عندها في ليلتها ويظلّ عندها حتّى صبيحتها، وليس عليه إثم إن لم يجامعها إذا لم يرد ذلك<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر : ٥١٥ .

(٢) الوافي ١٢ : ٥٢١ .

(٣) المصدر : ٧٩٢ .

٣٢ - الفقيه بسنده عن محمد قال : سألته عن الرجل تكون عنده امرأتان إحداهما أحب إليه من الأخرى قال : له أن يأتيها ثلاث ليالٍ والأخرى ليلة، فإن شاء أن يتزوج أربع نسوة قال : لكل امرأة ليلة فكذلك كان له أن يفضل بعضهن على بعض ما لم يكن أربعاً<sup>(١)</sup>.

٣٣ - قال رسول الله ﷺ : ليس للنساء من سراوات الطريق شيء ولكنها تمشي في جانب الحائط أو الطريق - سراة أي وسط الطريق - .

٣٤ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : أي امرأة تطيبت ثم خرجت من بيتها فهي تلعن حتى ترجع إلى بيتها متى ما رجعت .

٣٥ - عن أبي جعفر عليه السلام قال : استقبل شاب من الأنصار امرأة بالمدينة وكان النساء يتقنعن خلف آذانهن فنظر إليها وهي مقبلة، فلما جازت نظر إليها ودخل في زقاق قد سماه بني فلان، فجعل ينظر خلفها، واعترض وجهه عظم في الحائط أو زجاجة فشق وجهه فلما مضت المرأة نظر فإذا الدماء تسيل على صدره وثوبه، فقال : والله لآتين رسول الله ﷺ ولأخبرته، قال : فأتاه، فلما رآه رسول الله ﷺ قال له : ما هذا؟ فأخبره، فهبط جبرئيل عليه السلام بهذه الآية : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

٣٦ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال : استأذن ابن مكتوم - وكان أعمى - على

(١) المصدر: ٨١٦ .

(٢) النور : ٣٠ .

٣٤٠..... تربية الأسرة على صوء القرآن والعترة

النبي ﷺ وعنده عائشة وحفصة فقال لهما: قوما فادخلا البيت، فقالتا: إنه أعمى، فقال: إن لم يركم فإتكما تريانه.

٣٧- الكافي بسنده عن أبي جعفر عليه السلام: قال: سألته عن المرأة المسلمة يصيبها البلاء في جسدها، إما كسر أو جرح في مكان لا يصلح النظر إليه ويكون الرجل أرفق بعلاجه من النساء، أ يصلح له أن ينظر إليها إذا اضطرت إليه؟ فقال: إذا اضطرت إليه فليعالجه إن شاءت<sup>(١)</sup>.

٣٨- قال رسول الله ﷺ: لا حرمة لنساء أهل الذمة أن ينظر إلى شعورهن وأيديهن.

٣٩- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: نهى رسول الله ﷺ أن يدخل الرجل على النساء إلا بإذن أولياتهن.

٤٠- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ليستأذن الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات كما أمركم الله، ومن بلغ الحلم فلا يلج على أمه ولا على أخته ولا على خالته ولا على سوى ذلك إلا بإذن، فلا تأذنوا حتى يسلم، والسلام طاعة لله عز وجل.

٤١- عن جابر الأنصاري قال: خرج رسول الله ﷺ يريد فاطمة عليها السلام وأنا معه، فلما انتهينا إلى الباب وضع يده عليه فدفعه ثم قال: أدخل؟ قالت: أدخل يا رسول الله، قال: أدخل أنا ومن معي؟ فقالت: يا رسول الله ليس علي قناع. فقال: يا فاطمة خذي فضل ملحفتك فتنعي به رأسك. ففعلت ثم قال:

(١) الوافي ١٢: ٨٢١.

السلام عليكم، فقالت: وعليك السلام يا رسول الله، قال: أدخل؟ قالت: نعم، قال رسول الله: أنا ومن معي؟ قالت: ومن معك، قال جابر: فدخل رسول الله ﷺ ودخلت وإذا وجه فاطمة عليها السلام أصفر كأنه بطن جرادة، فقال رسول الله: مالي أرى وجهك أصفر؟ قالت: يا رسول الله الجوع، فقال عليه السلام: اللهم مشيع الجوعه ودافع الضيعة أشيع فاطمة بنت محمد، قال جابر: فوالله نظرت إلى الدم ينحدر من قصاصها حتى عاد وجهها أحمر فما جاعت بعد ذلك اليوم<sup>(١)</sup>.

٤٢ - عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: لا تبدوا النساء بالسلام ولا تدعوهن إلى الطعام فإن النبي ﷺ قال: النساء عي وعورة فاستروا عيهن بالسكوت واستروا عوراتهن بالبيوت.

٤٣ - عن سماعة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن مصافحة الرجل المرأة قال: لا يحل للرجل أن يصافح المرأة إلا امرأة يحرم عليه أن يتزوجها أخت أو ابنة أو عمّة أو خالة أو بنت أخت أو نحوهما فأما المرأة التي لا تحلّ له أن يتزوجها فلا يصافحها إلا من وراء الثوب ولا يغمز كفّها.

٤٤ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا بلغت الجارية الحرّة ستّ سنين فلا ينبغي لك أن تقبلها، ولا تجلسها في حرك، وفي خبر آخر خمس سنوات.

٤٥ - قال عليه السلام: رحم الله المسرولات - أي اللاتي يلبسن السروال فيضمّ الساق أيضاً - .

٤٦ - قال أبو عبد الله عليه السلام: النظرة بعد النظرة - إلى المرأة الأجنبية - تزرع

(١) الوافي ١٢: ٨٤٢، عن الكافي ٥: ٥٢٨.



٣٤٢..... تربية الأسرة على سوء القرآن والعترة

في القلب الشهوة وكفى بها لصاحبها فتنة. والنظرة الثانية من الشيطان وهي عليك وليس لك. والثالثة فيها الهلاك.

٤٧- عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالوا: ما من أحد إلا وهو يصيب خطأ

من الزنا، فزنا العينين النظر، وزنا القم القبلة، وزنا اليدين اللمس صدق الفرج ذلك أم كذب.

## الفصل العاشر

### مسائل عامّة

لا بأس أن نتطرّق إلى المسائل العامّة التي وردت في مسائل النكاح وكتابه وأحاديثه، لما فيه من الفوائد العامّة، كما يقف عليها القارئ النبيل.

١ - قال النبي ﷺ : من قبّل غلاماً بشهوة ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار.

٢ - وعن عليّ عليه السلام ، قال : من أمكن من نفسه طائعاً يلعب به - أي يلعب بآلته مثلاً - ألقى الله عليه شهوة النساء - أي يقع بعد ذلك مفعولاً والعياذ بالله - .

٣ - عن الصادق عليه السلام ، قال : حرّم الله على ذي دبر مستنكح الجلوس على استبرق الجنة .

٤ - عن أمير المؤمنين عليه السلام ، قال : قال رسول الله ﷺ : لا تزنوا فيذهب الله لذّة نساءكم من أجوافكم - فهذا من الآثار الوضعية للزنا أن لا يتلذذ بمقاربة زوجته - وعفوا تعفّ نساؤكم ، إنّ بني فلان زنوا فزنت نساؤهم - وطبيعي من كان غيوراً لا يفعل ذلك - .

٥ - عن الصادق عليه السلام ، قال : إنّ الله تعالى جعل شهوة المؤمن في صلبه ، وجعل شهوة الكافر في دبره .

٣٤٤ ..... تربية الأسرة على سوء القرآن والعترة

٦- عن الباقر عليه السلام، قال: لا بأس أن ينظر الرجل إلى شعر أمه أو أخته أو ابنته.

٧- من صحيفة الرضا عليه السلام، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: للمرأة عشر عورات، إذا تزوجت سترت عورة واحدة، وإذا ماتت سترت عوراتها كلها.

٨- عن النبي صلى الله عليه وآله، قال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يترك عانته فوق أربعين يوماً، ولا يحلّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تدع ذلك منها فوق عشرين يوماً.

وقال صلى الله عليه وآله: احلقوا شعر البطن - الذكر والأُنثى - .

٩- نهى النبي صلى الله عليه وآله عن اتباع النساء الجنائز.

١٠- ونهى أن تباشر المرأة المرأة ليس بينهما ثوب.

١١- ونهى أن تحدّث المرأة المرأة بما تخلو به مع زوجها.

فالأسرار الزوجية لا يليق أن تصبح مشاعاً، ولا يجوز ذلك فيما لو علمت من زوجها أنه لا يرضى بذلك، ومما يؤسف له أنّ الكثير من النسوة يتبجّحن بمثل هذه الأحاديث وذلك لتظهر للأخريات مدى شغف زوجها بها وتعلقه، إلا إذا كان هناك مشكلة زوجية وتريد صاحبته أن تجد حلاً لها فتسأل صديقة وفتية تحفظ السرّ أولاً ومن ذوات الخبرة بحيث تحلّ لها مشكلتها أو تدلّها على الطرق التي تتكفّل حلّ هذه المشكلة.

ومن العجيب أنّ بعض النسوة يتمنّين أن يعلم أهل الحيّ كلّهم بغسلها الذي سبّته ليلة حبّ عاصف مثلاً.

١٢- ونهى أن يقول الرجل للرجل: زوّجني أختك حتّى أزوّجك أختي.

١٣- ونهى أن يدخل الرجل حليلته - زوجته - إلى الحمّام.

وهذا من النهي التنزيهي الدالّ على الكراهة.

١٤ - ونهى أن ينظر الرجل إلى عورة أخيه المسلم، وقال: من تأمل عورة

أخيه لعنه سبعون ألف ملك.

١٥ - ونهى أن تنظر المرأة إلى عورة المرأة.

١٦ - عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان فيما أوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى على

نبيّنا وآله وعليه السلام: يا موسى بن عمران من زنى زُنّي به، ولو في العقب من

بعده، يا موسى عَفَّ يَعْفُ أَهْلَكَ، يا موسى بن عمران إن أردت أن يكثر خير أهل

بيتك فإيّاك والزنا، يا بن عمران كما تدين تدان.

١٧ - عن أبي عبد الله عليه السلام: أما يخشى الذين ينظرون في أدبار النساء أن

يبتلوا بذلك في نساءهم؟! عَفَّوْا نِسَاءَكُمْ.

١٨ - الفقيه بسنده: كانت امرأة على عهد داود النبي يأتيها رجل يستكرهها

على نفسها، فألقى الله جلّ وعزّ في قلبها، فقالت له: إنك لا تأتيني مرّة إلا وعند

أهلك من يأتيهم، قال: فذهب إلى أهله فوجد عند أهله رجلاً فأتى به داود فقال:

يا نبيّ الله، أتى إلى ما لم يأت إلى أحد، قال: وما ذاك؟ قال: وجدت هذا الرجل

عند أهلي، فأوحى الله تعالى إلى داود قل له: كما تدين تُدان.

١٩ - الفقيه عن محمّد بن الطيّار قال: دخلت المدينة وطلبت بيتاً أتكاراه

فدخلت داراً فيها بيتان بينهما باب وفيه وامرأة فقالت: تكاري هذا البيت؟ قلت:

بينهما باب وأنا شاب، قالت: أنا أغلق الباب بيني وبينك. فحوّلت متاعي فيه

وقلت لها: اغلقي الباب. فقالت: يدخل عليّ منه الروح دعه، فقلت: لا أنا شاب

وأنت شابة أغلقيه، قالت: أقعد أنت في بيتك فلست آتيك ولا أقربك وأبت أن

تغلّقه، فأتيت أبا عبد الله عليه السلام فسألته عن ذلك، فقال: تحوّل منه فإنّ الرجل

٣٤٦ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعتره

والمرأة إذا خليا في بيت كان ثالثهما الشيطان<sup>(١)</sup>.

٢٠- قال رسول الله ﷺ: إذا جلست المرأة مجلساً فلا يجلس في مجلسها رجل حتى يبرد.

وإليكم ما جاء في كتاب (الجنسان الرجل والمرأة في الميزان) بقلم والدي العلامة آية الله المرحوم السيد علي بن الحسين العلوي قدس سرّه وأسكنه الله فسيح جنانه وأنزل على رسمه شأيب رحمته الواسعة.  
قال في الفصل السادس بعنوان (التحديد):

«لكلّ شيء حدّ، وما جاوز حدّه انقلب إلى ضدّه، فالعاقل يلتزم بالحدود ويحدّد ما يخصّه كي لا ينقلب الزين إلى الشين، وممّا يجب تحديدها محافظة عليها من التآثر بالحادثات، هي المرأة، فإنّها رقيقة، والمخاوف عليها عميقة، والأمور حولها دقيقة.

١- قال رسول الله ﷺ: النساء عورات، احبسوهنّ بالبيوت، واستعينوا عليهنّ بالعرى<sup>(٢)</sup>.

٢- النبوي ﷺ: لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، وليخرجنّ ثفلات - أي غير متطيّبات -<sup>(٣)</sup>.

---

(١) الوافي ١٢: ٨٧٢.

(٢) كتاب سفينة البحار: باب النون بعده السين.

(٣) نفس المصدر.

٣- عن أبي جعفر عليه السلام، قال: ليس على النساء أذان ولا إقامة، ولا جمعة، ولا جماعة، ولا عيادة المريض، ولا اتباع الجنازة<sup>(١)</sup>.

٤- إن النبي ﷺ مشى مع جنازة، فنظر إلى امرأة يتبعها، فوقف ﷺ حتى رجعت المرأة، ثم مضى ﷺ<sup>(٢)</sup>.

٥- في وصايا النبي ﷺ لعليّ عليه الصلاة والسلام: يا عليّ، ليس على النساء جمعة، ولا جماعة، ولا أذان، ولا إقامة، ولا عيادة مريض، ولا اتباع جنازة، ولا هرولة بين الصفا والمروة، ولا استلام الحجر، ولا الحلق، ولا تولّي القضاء، ولا تُستشار، ولا تذبح إلا عند الضرورة، ولا تجهر بالتلبية، ولا تقيم عند قبر، ولا تسمع الخطبة، ولا تتولّى التزويج، ولا تخرج من بيت زوجها إلا بإذنه، فإن خرجت بغير إذنه لعنها الله وجبرئيل وميكائيل، ولا تعطي من بيت زوجها إلا بإذنه، ولا تبيت وزوجها عليها ساخط وإن كان ظالمًا لها...<sup>(٣)</sup>.

٦- عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: سمعت أبا جعفر محمد بن عليّ الباقر عليه السلام يقول:  
١- ليس على النساء أذان.

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر. وفي المواعظ العددية: ٢٦٨، باب المواعظ.

- ٢- ولا إقامة.
- ٣- ولا جمعة.
- ٤- ولا جماعة.
- ٥- ولا عيادة المريض.
- ٦- ولا اتباع الجنازة.
- ٧- لا إجهار بالتلبية.
- ٨- ولا الهرولة بين الصفا والمروة.
- ٩- ولا استلام الحجر الأسود.
- ١٠- ولا دخول الكعبة.
- ١١- ولا الحلق، إنما يقصرن من شعورهن.
- ١٢- ولا تتولّى المرأة القضاء.
- ١٣- ولا تولّى الإمارة.
- ١٤- ولا تستشار.
- ١٥- ولا تذبح إلا من اضطرار.
- ١٦- وتبدأ في الوضوء من باطن الذراع، والرجل بظاهره.
- ١٧- ولا تمسح كما يمسح الرجال، بل عليها أن تلقي الخمار عن موضع مسح رأسها في صلاة الغداة والمغرب، وتمسح عليه في سائر الصلوات، تدخل إصبعها فتمسح على رأسها من غير أن تلقي عنها خمارها.
- ١٨- فإذا قامت في صلاتها ضمّت رجليها، ووضعت يديها على صدرها، وتضع يديها في ركوعها على فخذيهما، وتجلس إذا أرادت السجود، وسجدت لاطية بالأرض، وإذا رفعت رأسها من السجود جلست، ثم نهضت إلى القيام، وإذا

- قعدت للتشهد رفعت رجلها وضمت فخذها .
- ١٩- وإذا سبحت عقدت الأنامل لأنهن مسؤولات .
- ٢٠- وإذا كانت لها إلى الله حاجة صعدت فوق بيتها وصلت ركعتين ورفعت [كشفت] رأسها إلى السماء، فإنها إذا فعلت ذلك استجاب الله لها ولم يخيبها .
- ٢١- وليس عليها غسل الجمعة في السفر .
- ٢٢- ولا يجوز لها تركه في الحضر .
- ٢٣- ولا يجوز شهادة النساء في شيء من الحدود .
- ٢٤- ولا تجوز شهادتهن في الطلاق .
- ٢٥- ولا في رؤية الهلال .
- ٢٦- وتجاوز شهادتهن في ما لا يجوز للرجال النظر إليه .
- ٢٧- وليس للنساء من سراوات الطريق شيء ولهن جنبتهن .
- ٢٨- ولا يجوز لهن نزول الغرف .
- ٢٩- ولا تعلم الكتابة .
- ٣٠- ويستحب لهن تعلم المغزل وسورة النور .
- ٣١- ويكره لهن تعلم سورة يوسف .
- ٣٢- وإذا ارتدت المرأة عن الإسلام استتبت، فإن تابت، وإلا خلدت في السجن، ولا تقتل كما يقتل الرجل إذا ارتد، ولكنها تستخدم خدمة شديدة وتمنع من الطعام والشراب إلا ما تمسك به نفسها، ولا تطعم إلا جشب الطعام، ولا تكسى إلا غليظ الثياب وخشنها، وتضرب على الصلاة والصيام .
- ٣٣- ولا جزية على النساء .
- ٣٤- وإذا حضر ولادة المرأة وجب إخراج من في البيت من النساء



٣٥٠..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

كيلا يكنَّ أوَّل ناظرٍ إلى عورتها.

٣٥- ولا يجوز للمرأة الحائض ولا الجنب الحضور عند تلقين الميِّت، لأنَّ الملائكة تتأذى بهما.

٣٦- ولا يجوز لهما إدخال الميِّت قبره.

٣٧- وإذا قامت المرأة من مجلسها فلا يجوز للرجل أن يجلس فيه حتَّى

يبرد.

٣٨- وجهاد المرأة حسن التبعل.

٣٩- وأعظم الناس حقاً عليها زوجها.

٤٠- وأحقَّ الناس بالصلاة عليها إذا ماتت زوجها.

٤١- ولا يجوز للمرأة أن تنكشف بين يدي اليهودية والنصرانية؛ لأنَّهن

يصفن ذلك لأزواجهن.

٤٢- ولا يجوز لها أن تتطيَّب إذا خرجت من بيتها.

٤٣- ولا يجوز لها أن تتشبه بالرجال، لأنَّ رسول الله ﷺ لعن المتشبهين

من الرجال بالنساء، ولعن المتشبهات من النساء بالرجال.

٤٤- ولا يجوز للمرأة أن تعطل نفسها، ولو أن تعلق في عنقها خيطاً.

٤٥- ولا يجوز أن تُرى أظافيرها بيضاء ولو أن تمسحها بالحناء مسحاً.

٤٦- ولا تخضب يديها في حيضها؛ لأنَّه يخاف عليها من الشيطان.

٤٧- وإذا أرادت المرأة الحاجة وهي في صلاتها صفقت يديها والرجل

يومئ برأسه وهو في صلاته ويشير بيده ويسبح جهرأ.

٤٨- ولا يجوز للمرأة أن تصلي بغير خمار، إلا أن تكون أمة، فإنَّها تصلي

بغير خمار مكشوفة الرأس.

٤٩- ويجوز للمرأة لبس الديباج والحرير في غير صلاة وإحرام، وحرّم ذلك على الرجال إلا في الجهاد.

٥٠- ويجوز أن تتختم بالذهب وتصلّي فيه، ويحرم ذلك على الرجال، قال النبي ﷺ: يا عليّ عليه السلام! لا تتختم بالذهب، فإنّه زينتك في الجنّة، ولا تلبس الحرير فإنّه لباسك في الجنّة.

٥١- ولا يجوز للمرأة في مالها عتق ولا برّ إلا بإذن زوجها.

٥٢- ولا يجوز أن تصوم تطوّعاً إلا بإذن زوجها.

٥٣- ولا يجوز للمرأة أن تصافح غير ذي محرم إلا من وراء ثوبها.

٥٤- ولا تباع إلا من وراء ثوبها.

٥٥- ولا يجوز أن تحجّ تطوّعاً إلا بإذن زوجها.

٥٦- ولا يجوز للمرأة أن تدخل الحمام، فإنّ ذلك محرّم عليها.

٥٧- ولا يجوز للمرأة ركوب السرج إلا من ضرورة وفي السفر.

٥٨- وميراث المرأة نصف ميراث الرجل.

٥٩- وديتها نصف دية الرجل.

٦٠- وتعاقل المرأة الرجل في الجراحات حتّى تبلغ ثلث الدية، فإذا زادت

على الثلاث ارتفع الرجل وسفّلت المرأة.

٦١- وإذا صلّت المرأة وحدها خلف الرجل قامت خلفه ولم تقم بجنبه.

٦٢- وإذا ماتت المرأة وقف المصلّي عليها عند صدرها، ومن الرجل إذا

صلّى عند رأسه.

٦٣- فإذا أدخلت القبر وقف زوجها في موضع يتناول وركها.

٦٤- ولا شفيع للمرأة أنجح عند ربّها من رضا زوجها. ولمّا ماتت

٣٥٢..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

فاطمة عليها السلام قام عليها أمير المؤمنين عليه السلام، وقال: اللهم إني راضٍ عن ابنة نبيك، اللهم إني راضٍ عن ابنة نبيك، اللهم إنها قد أوحشت فأنسها، اللهم إنها قد هُجرت فصلها، اللهم إنها قد ظلمت فاحكم لها وأنت خير الحاكمين...<sup>(١)</sup>».

---

(١) المواعظ العددية : ٢٨٥، باب السبعين .

## الفصل الحادي عشر

### الطلاق

بودّي أن لا أذكر هذا الفصل، وأردت أن أحجم عنه، فإنّ الطلاق وإن كان محللاً شرعاً وقانوناً، إلاّ أنّه أبغض الحلال عند الله الطلاق، وربما الضرورة الحياتية اقتضت ذلك عندما يكون آخر الدواء الكيّ، فإنّ الزوج وكذلك الزوجة إذا استعملتا كلّ الطرق للإصلاح والعيش الرغيد الهادئ إلاّ أنّها لم تنفع ولم تنجح، فلا تبقى حيلة إلاّ الافتراق والطلاق، فيختار ذلك كأخر علاج.

١- الكافي بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ يحبّ البيت الذي فيه العرس ويبغض البيت الذي فيه الطلاق، وما من شيء أبغض إلى الله من الطلاق.

٢- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: تزوّجوا ولا تطلّقوا، فإنّ الطلاق يهترّ منه العرش.

٣- وقال صلى الله عليه وآله: تزوّجوا ولا تطلّقوا، فإنّ الله لا يحبّ الذوّاقين والذوّاقات

- أي الذين يكثرون الزواج والطلاق من الرجال والنساء -.

٤- عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أوصاني جبرئيل عليه السلام

بالمرأة حتّى ظننت أنّه لا ينبغي طلاقها إلاّ من فاحشة بيّنة.

وإذا كانت المرأة تؤذي الرجل بأذى لا يطاق عادة، فإنّ الرجال بالخيار

٣٥٤ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

في إمساكها بمعروف وتسريحها بإحسان، وإذا دعا عليها فلا يستجاب، كما ورد:  
٥ - عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: أصناف  
لا يستجاب دعائهم: رجل تؤذيه امرأته بكل ما تقدر عليه وهو في ذلك يدعو  
الله عليها ويقول: اللهم أرحني منها، فهذا يقول الله له: عبدي أو ما قلّدتك أمرها،  
فإن شئت خلّيتها وإن شئت أمسكتها<sup>(١)</sup>.

## مصادر للبحث

### المصادر العربية

- ١- القرآن الكريم
  - ٢- الكافي
  - ٣- التهذيب
  - ٤- من لا يحضره الفقيه
  - ٥- وسائل الشيعة
  - ٦- بحار الأنوار
  - ٧- الوافي
  - ٨- ميزان الحكمة
  - ٩- مكارم الأخلاق
  - ١٠- الأسرة في الشرع الإسلامي
  - ١١- الأسرة في ضوء الكتاب والسنة
  - ١٢- الأسرة المسلمة
  - ١٣- الأسرة المسلمة
  - ١٤- الأسرة والمجتمع
- الشيخ الكليني
- الشيخ الطوسي
- الشيخ الصدوق
- الحزب العاملي
- العلامة المجلسي
- الفيض الكاشاني
- الشيخ ري شهري
- الحسن بن الفضل الطبرسي
- عمر فرّوخ
- سيد فرج
- عدنان البكاء
- لجنة التأليف
- علي عبد الواحد وافي

٣٥٦ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

- ١٥- الإسلام والأسرة أمين محمود الشريف  
١٦- الإسلام والأسرة إبراهيم معوض  
١٧- بناء الأسرة المسلمة عبد الحميد كشك  
١٨- دستور الأسرة في ظلال القرآن أحمد فائز  
١٩- المرأة والأسرة في الإسلام خير الله طلفاح  
٢٠- مسند العروس لتأسيس الأسرة الإسلامية عبد الرحمن الجزو  
٢١- نظام الأسرة في الإسلام محمد عقلة  
٢٢- دراسات في الاجتماع العائلي مصطفى الخشاب  
٢٣- كيف تسعد الحياة الزوجية هادي المدرسي  
٢٤- الزواج في الإسلام الشيخ الصميري  
٢٥- نظرية العلاقة الجنسية في القرآن الكريم الشيخ الآصفي  
٢٦- كلمة ودعوة الشهيدة بنت الهدى  
٢٧- المرأة المسلمة اليوم علي عبد الجليل راضي  
٢٨- الأسرة في المجتمع العربي بين الشريعة الإسلامية والقانون محمد عبد الفتاح الشاوي  
٢٩- الزواج والطلاق في الإسلام زكي الدين شعبان  
٣٠- المرأة في القرآن عباس محمود العقاد  
٣١- المساواة في الإسلام علي عبد الواحد  
٣٢- المرأة والجنس نوال السعداوي  
٣٣- النظام التربوي في الإسلام الشيخ باقر القرشي  
٣٤- نظام حقوق المرأة في الإسلام الشيخ مرتضى المطهري

- ٣٥- نظام الأسرة في الإسلام  
 الشيخ باقر القرشي
- ٣٦- المحجّة البيضاء  
 الفيض الكاشاني
- ٣٧- جامع السعادات  
 الشيخ التراقي
- ٣٨- نظام الأسرة وحلّ مشكلاتها في ضوء الإسلام  
 عبد الرحمن الصابوني
- ٣٩- الطفل بين الوراثة والتربية  
 الشيخ محمّد تقي الفلسفي
- ٤٠- تربية الطفل في الرؤية الإسلامية  
 الشيخ حسين المظاهري

## المصادر الفارسية

- ١- تشكيل خانواده در اسلام  
 قائمی
- ٢- حقوق خانواده  
 حسين حقاني
- ٣- حقوق خانواده  
 مهدي لنگردودي
- ٤- حقوق خانواده  
 حسين صفائي
- ٥- خانواده در اسلام  
 حسين مظاهري
- ٦- خانواده در اسلام  
 غلامعلي حداد عادل
- ٧- خوشبختی خانواده  
 محمّد
- ٨- دين حكومت خانواده  
 احمد بهشتي
- ٩- قرآن واحد خانواده  
 احمد كاويان پور
- ١٠- آدم سازی  
 ستير
- ١١- آنچه بايد هر مرد زنده دار بداند  
 آرتوس
- ١٢- آئين همسر داری  
 ابراهيم امين
- ١٣- تدبير منزل  
 محمد نجمي



- |                       |                                    |
|-----------------------|------------------------------------|
| حسین مظاهری           | ۱۴- اخلاق در خانه                  |
| احمد صادقی            | ۱۵- اسلام و مسائل جنسی و زناشویی   |
| ابراهیم امینی         | ۱۶- انتخاب همسر                    |
| اسد الله داستانی      | ۱۷- با چه کسی ازدواج کنیم          |
| محمد حسین مظلومیان    | ۱۸- پدر و خانواده                  |
| وجیه زین العابدین     | ۱۹- پیام زندگی                     |
| علی قائمی             | ۲۰- خانواده و مسائل همسران جوان    |
| علی اکبر بابازاده     | ۲۱- مسائل ازدواج و حقوق خانواده    |
| کاظم ارفع             | ۲۲- خانواده در مکتب قرآن و اهل بیت |
| حسن برزگر             | ۲۳- ازدواج و زن از قرآن مجید       |
| محمد باقر حجتی        | ۲۴- اسلام و تعلیم و تربیت کودک     |
| سید جعفر شیخ الاسلام  | ۲۵- پرورش کودک از نظر اسلام        |
| اداره تعلیمات خانواده | ۲۶- تربیت کودک                     |
| احمد بهشتی            | ۲۷- تربیت کودک در جهان امروز       |
| علی قائمی             | ۲۸- تربیت و باسازی کودکان          |
| امور پرورش            | ۲۹- تربیت و عوامل تربیتی کودکان    |
| پیام آزادی            | ۳۰- حدیث تربیت کودک                |
| علی قائمی             | ۳۱- خانواده و تربیت کودک           |
| ژان پیازه             | ۳۲- روانشناسی کودک                 |
| عبد الله شفیع آبادی   | ۳۳- فنون تربیت کودک                |
| جمعی از نویسندگان     | ۳۴- کودک و تعلیم و تربیت           |
| ویلیام                | ۳۵- نقش پدر در تربیت کودک          |

## الفهرس

٣	تقديم الحسينية النجفية .....
٧	الإهداء .....
٩	المقدمة .....
١٩	الفصل الأول - التربية لغةً واصطلاحاً .....
٢٢	التربية والتعليم .....
٢٤	التربية التكوينية والتشريعية .....
٢٥	من هو المربيّ؟ .....
٢٧	أقسام التربية .....
٢٧	متعلّقات التربية .....
٢٩	الأسرة لغةً واصطلاحاً .....
٣٩	الفصل الثاني - الزواج التكويني .....
٤٤	الزواج التشريعي .....
٥٣	الطبقيّة في الزواج .....
٥٦	تعدّد الأزواج .....
٥٨	وسائل تحقّق الزواج .....

٣٦٠..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

٥٩..... الفصل الثالث - بواعث الزواج وأهدافه في الإسلام

٦٥..... التكامل في الزواج

٧١..... بواعث الزواج في السنّة الشريفة

٧١..... ١- التوحيد

٧٢..... ٢- التقوى

٧٢..... ٣- البناء المحبوب لله

٧٣..... ٤- سنّة النبي

٧٥..... ٥- زيادة الرزق

٧٧..... ٦- زيادة الإيمان

٧٨..... ٧- التكاثر

٧٩..... ٨- زيادة العبادة

٨٠..... ٩- الصيانة

٨١..... ١٠- صلة الرحم

٨١..... ١١- التدبّر

٨٢..... ١٢- الأُنس

٨٣..... الفصل الرابع - العوامل التربوية والوراثية والكونية في الزواج

٨٩..... ١- العرق

٨٩..... ٢- القمر في العقرب

٩٦..... ٣- المحيط والبيئة

٩٨..... حبّ النساء

٣٦١	الفهرس
١٠٢	النساء الفاضلات
١٠٤	١- أصبحهنّ وجهاً وأقلهنّ مهراً
١٠٤	٢- قلّة المؤونة وتيسير الولادة
١٠٥	٣- أصناف النساء في أخلاقهنّ المحمودة
١٢٠	نساء السوء
١٣٢	الكفاءة في الزواج
١٤٧	الفصل الخامس- الرضا شرط في الزواج
١٥٠	السعي في الزواج
١٥١	الزواج المبكّر
١٥٤	الخطبة
١٦٠	المهر أو الصداق
١٦٦	خطورة غلاء المهور
١٧٠	العقد الشرعي
١٧١	ليلة الزفاف
١٧١	١- الزقّة في الليل
١٧٢	٢- الدعاء والصلاة
١٧٤	٣- التكبير
١٧٥	٤- أعمال ليلة الزفاف
١٧٦	٥- الإقامة سبعة أيام
١٧٧	٦- الوليمة
١٧٨	٧- النثر

٣٦٢ ..... تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة

آداب المباشرة ..... ١٨٠

١- ألدّ اللذائذ ..... ١٨٢

٢- المداعبة والملاعبة ..... ١٨٢

٣- أوقات المباشرة المستحبّة والمكروهة وأحوالها ..... ١٨٧

٤- حكم العزل ..... ١٩٥

٥- الدعاء عند المقاربة ..... ١٩٥

الفصل السادس - حقوق الزوجين المشتركة ..... ١٩٧

١- الصبر ..... ١٩٨

٢- عدم الظلم وترك الأذى ..... ١٩٩

حقوق الزوجة ..... ٢٠٠

١- غفران الخطايا (العفو والتسامح) ..... ٢٠٣

٢- تحمّل الأذى ..... ٢٠٤

٣- الإنفاق والسعة ..... ٢٠٥

٤- الحنان وعدم الظلم ..... ٢٠٦

٥- عدم الضرب المبرح ..... ٢٠٧

٦- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..... ٢١٣

٧- الصيانة ..... ٢١٥

٨- الإحسان ..... ٢١٦

٩- المداراة المطلقة ..... ٢١٨

١٠- حسن السمّت والصورة ..... ٢٢٠

٣٦٣	الفهرس .....
٢٢٥	حقوق الزوج .....
٢٢٥	١- الإطاعة الخالصة .....
٢٢٧	٢- الإذن في التصرف وفي الأعمال .....
٢٣٠	٣- الرفق بالزوج .....
٢٣٠	٤- الاهتمام بداخل الدار ولوازم البيت .....
٢٣١	٥- الاهتمام بأداء الحقوق .....
٢٣١	٦- الجماع .....
٢٣٥	٧- التزيّن .....
٢٤٠	٨- عفة الكلام .....
٢٤١	الرجال قوامون .....
٢٤٩	رئاسة الأسرة .....
٢٥١	الفصل السابع - عوامل ديمومة الزواج الناجح .....
٢٥٢	١- الحب المتبادل .....
٢٥٢	٢- إكثار الخير .....
٢٥٢	٣- النظافة والطيب .....
٢٥٣	٤- إدخال السرور .....
٢٥٣	٥- الإطاعة ورضا الزوج .....
٢٥٣	٦- المحافظة على العرض والمال .....
٢٥٤	٧- العون والمساعدة .....
٢٥٥	٨- الاستقبال والتوديع الحسن .....
٢٥٥	٩- الكلام العقائدي الجميل والمنطق الرصين .....

- ١٠- قبول الاعتذار والاعتذار المتبادل ..... ٢٥٦
- ١١- المداراة مطلقاً ..... ٢٥٦
- ١٢- حسن المقال دائماً ..... ٢٥٦
- ١٣- عدم انتظار حسن الفعال مئة بالمئة من الزوجة ..... ٢٥٧
- ١٤- عدم التكلفة في الحياة ..... ٢٥٧
- ١٥- عدم المئنة على الزوج ..... ٢٥٧
- ١٦- عدم الهجران في أمر الفراش ..... ٢٥٨
- ١٧- مشورة النساء وعدم الطاعة ..... ٢٥٩
- ١٨- التحذّر واليقظة ..... ٢٦٠
- ١٩- التعلّق ..... ٢٦١
- ٢٠- الزوج عزّ الزوجة ..... ٢٦٢
- ٢١- الغيرة ..... ٢٦٣
- ٢٢- التعاون ..... ٢٦٤
- ٢٣- الترويح على العيال ..... ٢٦٥
- ٢٤- حسن البرّ ..... ٢٦٥
- ٢٥- الإدارة بيد الزوج ..... ٢٦٦
- ٢٦- التكتّم المالي ..... ٢٦٧
- ٢٧- حسن التبعل ..... ٢٦٧
- ٢٨- ترك السحر والشعبذة ..... ٢٦٨
- ٢٩- الخدمة المتواصلة ..... ٢٦٩
- ٣٠- الشكر ..... ٢٦٩
- ٣١- العشق المتبادل ..... ٢٧٠

٣٦٥	الفهرس
٢٧٢	لقطتان من البيت العلوي الفاطمي
٢٧٥	الفصل الثامن - تربية الأولاد
٢٧٥	المقام الأول - حبّ الأطفال والأولاد
٢٧٧	المقام الثاني - الولد أو البنت
٢٨٢	المقام الثالث - طلب الولد
٢٨٩	المقام الرابع - الحمل وآدابه
٢٩١	المقام الخامس - أثر الطعام على الحوامل والأولاد والجماع
٢٩٤	المقام السادس - وضع الحمل
٢٩٦	المقام السابع - الرضاعة
٢٩٩	المقام الثامن - تسمية المولود
٣٠٥	المقام التاسع - التهئنة بالمولود
٣٠٧	المقام العاشر - العقيقة وما يتعلّق بها
٣١٠	مستحبات أخرى
٣١٢	المقام الحادي عشر - الختان
٣١٦	المقام الثاني عشر - شباهة الولد بالوالد
٣١٨	المقام الثالث عشر - مراحل تربية الأولاد
٣٢٦	المقام الرابع عشر - العدالة بين الأولاد
٣٢٩	المقام الخامس عشر - القبلة من مظاهر الحبّ
٣٣١	الفصل التاسع - أحكام النساء والأولاد
٣٤٣	الفصل العاشر - مسائل عامّة
٣٥٣	الفصل الحادي عشر - الطلاق



٣٦٦	.....	تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة
٣٥٥	.....	مصادر للبحث
٣٥٥	.....	المصادر العربية
٣٥٧	.....	المصادر الفارسية
٣٥٩	.....	الفهرس

حَقِيقَةُ الْأَدَبِ

عَلَى ضَوْءِ الْمَذْهَبِ

السَّيِّدِ عَادِلِ الْعُلَوِيِّ

دار الأمانة للطباعة



علوي، عادل، ١٩٥٥ -

رسالة حقيقة الأدب على ضوء المذهب / تأليف السيد عادل العلوي. - قم : المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد، ١٤٢٠ ق. = ١٣٧٩.

٤٠ ص. - (موسوعة رسالات إسلامية)

ISBN 964 - 5915 - 18 - X (دورة) - ISBN 964 - 5915 - 20 - 1

فهرستنویسی بر اساس اطلاعات فیبا.

عربی.

کتابنامه : ص. ٢٩ - ٣٩؛ همچنین به صورت زیرنویس.

١. أدب (إسلام). ٢. أخلاق إسلامي. الف. عنوان. ب. عنوان : حقيقة الأدب على ضوء المذهب.

٢٩٧ / ٦١

BP ٢٤٧ / ٨ / ع٨ ح٧

٤٩٨٨ - ٧٩ م

کتابخانه ملی ایران

## موسوعة

## رسالات إسلامية



رسالة

حقيقة الأدب على ضوء المذهب

تأليف - السيد عادل العلوي

نشر - المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد

إيران، قم، ص. ب ٣٦٣٤

الطبعة الثانية - ١٤٢٣ هجري قمری

صفّ الحروف - حکمت، قم

المطبعة - النهضة، قم

ISBN 964 - 5915 - 20 - 1

EAN 9789645915207

964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

شابك ١ - ٢٠ - ٥٩١٥ - ٩٦٤

ای.ای.ان. ٩٧٨٩٦٤٥٩١٥٢٠٧

شابك X-١٨ - ٥٩١٥ - ٩٦٤ (دورة ١٠٠ جلد)

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علّم الإنسان ما لم يعلم .  
والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيّد الأنبياء والمرسلين محمّد المصطفى  
الأكرم، وعلى آله الطاهرين ساسة العباد وأركان البلاد .  
واللعن الدائم على أعدائهم ومنكري فضائلهم ومناقبيهم ومخالفي ما همبهم  
ودينهم .



## حقيقة الأدب على ضوء المذهب<sup>(١)</sup>

( مذهب أهل البيت عليهم السلام )

الأدب في القرآن والسنة :

لقد تشرف الإنسان بحكمة الله البالغة على سائر مخلوقاته بعقله الدراك، فإنّ العقل جوهرة ربانية أودعها الله سبحانه في الإنسان، ليحلّق بها في سماء الفضائل وآفاق العلوم، ويسمو بها قاب قوسين أو أدنى، ويبلغ بها قمم الكمال والجلال، حتّى يكون مظهراً لأسماء الله المحسنى وصفاته العليا، وإنه كلما ازداد كمالاً وجمالاً، فإنّه يكون مظهراً للإسم أكثر شمولية، حتّى يصل مقام الفناء في الله، ويكون مظهراً لاسم الجلالة، تتجلى وتتبلور فيه جميع الأسماء والصفات الإلهية.

﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

---

(١) طبع في مجلّة (الكوثر) العدد الرابع سنة ١٤١٧ هـ.

(٢) الأنفال : ١٧.

(٣) النجم : ٣.

(٤) الفتح : ١٠.

٦ ..... حقيقة الأدب على ضوء المذهب

﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾

فالرسول الأعظم ﷺ بلغ العلى بكماله، وكشف الدجى بجباله، فكان المظهر الأتمّ لرّبّه جلّ جلاله، فرميته رمية الله، وكلامه كلام الله، وبيعته بيعة الله، وإطاعته إطاعة الله عزّ وجلّ، وليس ذلك إلا بلطف من الله ولكمال عقله.

ف عظمة الإنسان وشموخه وعلوّ مرتبته وامتيازته عن العجماوات والمخلوقات وسعادته في الدارين إنّما هو بعقله، والعقل ما عبّد به الرحمن واكتسب به الجنان وله جنود، منها حسن الأدب، كما أنّ للجهل جنوداً ومنها سوء الأدب، فالعاقل يكون أديباً ومؤدّباً ومعلماً للأدب في سلوكه وأقواله وحركاته وسكناته.

ويقول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: الأدب كمال الرجل.

وقال: الأدب أحسن السجّية، أفضل الشرف الأدب.

وقال عليه السلام: خير ما ورّث الآباء الأبناء الأدب، حسن الأدب خير مؤازرٍ

وأفضل قرين.

وهذا يعني أنّ أفضل من يؤازرك ويعاضدك ويرافقك في صعوبات الحياة

ومشاكلها، وخير زادٍ في الحياة هو أدبك.

وقد قال الأمير عليه السلام: طالب الأدب أحزم من طالب الذهب، ومن لم يكن

أفضل خلاله أدبه كان أهون أحواله عطبه، وإنك مقومٌ بأدبك فزيّنه بالحلم، يا

مؤمن إنّ هذا العلم والأدب ثمن نفسك فاجتهد في تعلّمها، فما يزيد من علمك وأدبك

يزيد في ثمنك وقدرك.

أجل، قيمة كلّ امرئٍ ما يحسنه، وثمنه أدبه، بل قال الأمير عليه السلام: الأدب كمال

الرجل. وقال: عقل المرء نظامه، وأدبه قوامه، وإنّ الناس إلى صالح الأدب أحوج منهم إلى الفضة والذهب. وثلاث ليس عليهنّ مستزاد: حسن الأدب ومجانبة الريب والكفّ عن المحارم.

ولما بعث النبيّ الأكرم معاذ إلى اليمن قال: يا معاذ، علّمهم كتاب الله، وأحسن أدبهم على الأخلاق الصالحة.

وربما يكون الإنسان شريفاً في حسبه ولكن لسوء أدبه يسقط من العيون وينحطّ في المجتمع، وربما كان وضعياً في نسبه إلاّ أنّه يسمو ويسود الآخريين بحسن أدبه.

ويقول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: الأدب أحد الحسين، وأشرف حسب حسن أدب، وأكرم حسب حسن أدب، وحسن الأدب أفضل نسب وأشرف سبب، وطلب الأدب جمال الحسب، وعليكم بالأدب فإنّه زين الحسب، وقليل الأدب خير من كثير النسب، وحسن الأدب ينوب عن الحسب، ولا حسب أنفع من الأدب، وكلّ الحسب متناهٍ إلاّ العقل والأدب، وحسن الأدب يسترقب من النسب، وفسد حسب من ليس له أدب.

والأدب تاج يورث السموّ والسيادة.

قال الأمير عليه السلام: لا زينة كالآداب، ولا حلل كالآداب، والأدب حلل جُدّد، والعلم وراثه كريمة، والآداب حلل مجدّدة.

ومما يشهد به الوجدان أنّه قد يفقد الإنسان شرفه وحسبه ونسبه بسوء أدبه.

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: لا شرف مع سوء الأدب، ومن قلّ أدبه كثرت مساويه، ومن وضعه دنائة أدبه لم يرفعه شرف حسبه، وبئس النسب سوء الأدب،



٨ ..... حقيقة الأدب على ضوء المذهب

ولا أدب لسيء النطق.

فلا بدّ من المجاهدة والمثابرة من أجل كسب الآداب فإنّه ورد في الحديث العلوي الشريف: النفس مجبولة على سوء الأدب، والعبد مأمور بملازمة حسن الأدب، والنفس تجري في ميدان المخالفة، والعبد يجهد بردها عن سوء المطالبة، فتى أطلق عنانها فهو شريك في فسادها، ومن أعان نفسه في هوى نفسه فقد أشرك نفسه في قتل نفسه.

فالعقل وإن كان موهبة من الله سبحانه، إلا أنّه لا يكتفي به في الحياة، بل لا بدّ من مقارنته بالأدب.

إنّ أمير المؤمنين علي عليه السلام يقول: نعم قرين العقل الأدب، وإنّ صلاح العقل الأدب، وكلّ شيء يحتاج إلى العقل، والعقل يحتاج الأدب، ولن ينجع الأدب حتّى يقارنه العقل، والآداب تلقيح الأفهام ونتيجة الأذهان. وإنّ الأدب صورة العقل، وإنّه في الإنسان كشجرة أصلها العقل، وحسن الأدب زينة العقل، ولا أدب لمن لا عقل له، وإنّ الأدب والدين نتيجة العقل، وأفضل العقل الأدب، وآداب العلماء زيادة في العقل، وإنّ بدوي العقول من الحاجة إلى الأدب كما يظمأ الزرع إلى المطر، ومن زاد أدبه على عقله، كان كالراعي بين غنم كثيرة.

## من هو المؤدّب ؟

فالعقل اللبيب يحتاج إلى الأدب، والأدب إنما هو من ثمار العقل، فلا أدب بلا عقل، ولا عقل بلا أدب.

المؤدّب الأوّل هو الله سبحانه، وقد أدّب نبيّه الأكرم محمد ﷺ، ويقول الإمام الصادق عليه السلام: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَدَّبَ نَبِيَّهَ فَأَحْسَنَ أَدَبَهُ، فَلَمَّا أَكْمَلَ لَهُ الْأَدَبَ قَالَ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>، ثُمَّ فَوَّضَ إِلَيْهِ أَمْرَ النَّاسِ وَالْأُمَّةِ لَيْسَ لَيْسَ عِبَادَهُ)<sup>(٢)</sup>.

وهذه الرواية الشريفة تدلّ أولاً؛ على أنه كلّ واحد يحتاج إلى مؤدّب يؤدّبه حتّى النبيّ الأكرم. وثانياً؛ إنّما يؤدّبه بحسن الأدب. وثالثاً؛ بعد أن اكتمل في الأدب يحقّ له أن يؤدّب الناس ويهديهم ويسوس العباد، فالسياسي لا بدّ أن يؤدّب نفسه أولاً بالأداب المحسنة حتّى يحقّ له أن يسياس ويسوس الناس، كما أنّ تعلّم الآداب يحتاج إلى زمان ليس بقصير ولا بالأمر السهل.

---

(١) القلم : ٤ .

(٢) بحار الأنوار ١٧ : ٤ .

١٠ ..... حقيقة الأدب على ضوء المذهب

قال الإمام الصادق عليه السلام أيضاً: (إنَّ الله عزَّ وجلَّ أدَّب نبيَّه حتَّى إذا أقامه على ما أراد قال له: ﴿ وأمر بالعرف واعرَض عن الجاهلين ﴾<sup>(١)</sup> فلَمَّا فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله زكَّاه الله تعالى فقال: ﴿ إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾<sup>(٢)</sup> (٣). وقال النبيّ الأعظم: (أدبني ربِّي فأحسن تأديبي). وقال: (أنا أديب الله، وعليّ أدبي). وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: (إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أدبه الله عزَّ وجلَّ، وهو أدبني، وأنا أوْدب المؤمنين، وأورث الأدب المكرمين).

فالوَدب الأوّل هو الله، ثمّ الأنبياء، ثمّ الأوصياء، ثمّ العلماء الصالحين المتّقين الذين هم ورثة الأنبياء. الأمثل فالأمثل، ثمّ المعلّم والآباء والأمّهات في مقام التربية والتعليم وكسب الآداب.

وعلى كلّ واحد في مقام الأدب: أن يبدأ بتأديب نفسه أولاً، فيتأدّب بآداب الله ورسله وأوليائه الكرام البررة.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: (تولّوا من أنفسكم تأديبها، واعدلوا بها من ضرورات عاداتها). وقال عليه السلام: (زكّ قلبك بالأدب كما يزكّي النار بالحطب، ولا تكن كحاطب الليل وغطاء السيل. وأفضل الأدب ما بدأت به نفسك، ومعلّم نفسه ومؤدّبها أحقّ بالإجلال من معلّم الناس ومؤدّبهم)<sup>(٤)</sup>.

وقال عليه السلام: (من تأدّب بآداب الله عزَّ وجلَّ أدّاه إلى الفلاح الدائم)<sup>(٥)</sup>.

(١) الأعراف: ١٩٩.

(٢) القلم: ٤.

(٣) بحار الأنوار ١٧: ٨.

(٤) المصدر ٢: ٥٦.

(٥) المصدر ٩٢: ٢١٤.

من هو المؤدّب؟ ..... ١١

ولما نزلت الآية الشريفة: ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ ﴾<sup>(١)</sup> أمر النبي ﷺ منادياً ينادي: مَنْ لَمْ يَتَأَدَّبْ بِآدَابِ اللَّهِ تَقَطَّعَتْ نَفْسُهُ عَلَى الدُّنْيَا حَسْرَاتٍ.

وقال عليّؑ: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ أَدَّبَ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَدَبًا حَسَنًا)، فقال جُلٌّ من قائل: ﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾<sup>(٢)</sup>. وقال: (من لَمْ يُصَلِّحْ عَلَى أَدَبِ اللَّهِ لَمْ يُصَلِّحْ عَلَى أَدَبِ نَفْسِهِ).

فالأدب من نعم الله سبحانه على عبده، وينبغي لكل إنسان أن يكسب الأدب ويكلف نفسه على تحصيله، فإن الإمام الرضا عليّؑ يقول: العقل حياء من الله، والأدب كلفة، فمن تكلف الأدب قدر عليه، ومن تكلف العقل لم يزدد بذلك إلا جهداً.

وهذا يعني أن ميادين كسب الفضائل وتعلم الآداب إنما هي ميادين واسعة، يحتاج الإنسان في جولانها إلى الجهد المجهد والكلفة والمشقة من أجل نيلها والتحلي بها، حتى تكثر محاسنه وتقل مساويه، فإن أمير المؤمنين عليّؑ يقول: مَنْ كَلَّفَ بِالْأَدَبِ قَلَّتْ مَسَاوِيهِ.

(١) الحجر: ٨٨.

(٢) البقرة: ٢٧٣.

## ما هو الأدب ؟

وهنا من حقّ المطالع الكريم بعد أن عرف دور الأدب في الحياة الإنسانية، ووقف على أهميته البالغة، وأنه لا عقل لمن لا أدب له، وإنه لولا الأدب لكان الإنسان في صفّ الحيوانات ويضاهي الأنعام بل أضلّ سبيلاً، فله أن يسأل حينئذٍ ما هو الأدب ؟ وكيف نرثه ونصل إليه ؟ وكيف نؤدّب أنفسنا أولاً ؟ وبأيّ شيء ؟

ثمّ نؤدّب الآخرين، لا سيّما أولادنا فلذات أكبادنا ؟ !  
والجواب إنّما نتحرّاه ونذكره من خلال الأحاديث الشريفة الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، فإنّهم معادن العلم والأدب، وكلامهم نور، وأمرهم رشد، ووصيتهم التقوى، وفعلهم الخير، فهم ساسة العباد وأركان البلاد، وهم الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة .

ومعنى الأدب<sup>(١)</sup> : هو الهيئة الحسنة التي ينبغي أن يقع عليه الفعل المشروع إمّا

---

(١) مقتبس من تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي رحمته الله ٦ : ٢٥٥ - ٣٠٥ .

ما هو الأدب ؟ ..... ١٣

في الدين أو عند العقلاء في مجتمعهم، كأداب الدعاء وآداب ملاقاتة الأصدقاء، وإن شئت قلت : الأدب ظرافة العمل.

فإذا كان العمل بعد لطافته ظريفاً بنظر الشرع المقدّس أي الوحي والحجّة الظاهريّة، أو بنظر العقل السليم والحجّة الباطنيّة، فإنّه يكون من الأدب، فلا يكون إلّا في الأمور المشروعة غير المنوعة، ولا يتحقّق إلّا في الأفعال الاختياريّة التي لها هيئات مختلفة، حتّى يكون بعضها متحليّاً ومتلبّساً بالأدب دون بعض، كأدب الأكل مثلاً في الإسلام فمن آدابه أن يبدأ فيه بالبسملة ويختم بالحمد لله ويؤكل دون الشبع وأن لا ينظر إلى الآخرين وأن يغسل يديه قبل الأكل وبعده وغير ذلك، ولكلّ شيء آدابه الخاصّة.

فالأدب يعني الهيئة الحسنّة في الأفعال الاختياريّة، والحسن بحسب معناه هو الموافقة لغرض الحياة، وهذا لا يختلف فيه العقلاء وأنظار الناس والمجتمعات فالحسن مفهومه ومعناه واحد، إنّما الاختلاف بين الناس في المصاديق، وما أكثر الخلاف والبون الشاسع بين المصاديق بحسب اختلاف الأمم والشعوب والملل والنحل والمجتمعات والطبقات، فالاختلاف بينهم في آداب الأفعال، فربما آداب مستحسنة عند قوم مذمومة وقبيحة عند آخرين، كتحية أوّل اللقاء فإنّه في الإسلام وبين المسلمين هو التحية والتسليم مباركاً طيباً، وعند قوم برفع القبعات والقلائس وعند بعض برفع اليد حيال الاذن أو الرأس، وعند آخرين بانحناء وخضوع.

والاختلاف إنّما هو في المصادقيّة لمعنى الأدب، وأمّا أصل المعنى والمفهوم أي الهيئة الحسنّة وظرافة العمل فهو ممّا أجمع العقلاء عليه وعلى حسنه ولزومه.

١٤ ..... حقيقة الأدب على ضوء المذهب

فالأدب في كل مجتمع مرآة يحكي عن ثقافتهم وتمدنهم واعتقاداتهم وأخلاقهم.

إلا أن الآداب غير الأخلاق التي تعني السجايا والملكات النفسانية الراسخة التي تتلبس بها النفوس.

بل الآداب أفعال حسنة من منشآت الأخلاق، والأخلاق من مقتضيات المجتمع بخصوصه بحسب غايته الخاصة، فالغاية المطلوبة للإنسان في حياته هي التي تشخص أدبه في أعماله، وترسم لنفسه خطأ لا يتعداه إذا أتى بعمل في مسير حياته والتقرب من غايته.

ثم الأدب الإلهي الذي أدب أنبياءه ورسله وأوليائه وعباده المقربين، هو الهيئة الحسنة في الأعمال الدينية التي تحاكي غرض الدين وغايته، وهو العبودية على اختلاف الشرائع السماوية المحقة بحسب كثرة موادها وقلتها، وبحسب مراتبها في الكمال.

والإسلام دين الله الحنيف لم يغفل عن صغيرة وكبيرة، بل تعرّض لجميع جهات الحياة الإنسانية، فقد وسع الحياة أدباً، ورسم في كل عمل هيئة حسنة تحاكي غايته، وإطار الأدب الإلهي هو التوحيد والعبودية، فليس للإسلام غاية إلا التوحيد في مرحلتَي الاعتقاد والعمل، فيعتقد بالمبدأ والمعاد، وإنه لا بد من الإطاعة والعبودية المحضة في أقواله وأفعاله وسائر أبعاد حياته. فالأدب الإلهي والنبوي والولوي وكله حقيقة واحدة يعني هيئة التوحيد في الفعل.

وكل واحد يبدأ بتأديب نفسه أولاً ثم بتأديب الآخرين، فإن فاقده الشيء لا يعطيه :

﴿ أَمَّنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ

ما هو الأدب ؟ ..... ١٥

تَحْكُمُونَ ﴿١﴾.

ولكم في الأنبياء ورسول الله أسوة حسنة وقدوة صالحة.  
ثم لكل شيء أصول وفروع، وعلينا بإلقاء الأصول وعليكم بالتفريع  
والتطبيق ومعرفة الجزئيات.



## أصول الآداب

لا بدّ من مراعاة الأصول التالية في اكتساب الآداب وتحقيقها :

الأوّل : كفّ النفس عن الصفات الذميمة والأخلاق البذيئة والسجايا السيئة، ولو كان ذلك من الاتعاض بغيرك، فإنّ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام يقول : (إذا رأيت في غيرك خلقاً ذميماً فتجنّب من نفسك أمثاله).

وهذا أصل مهمّ في عالم الأدب.

لا تنه عن خُلُقٍ وتأتي مثله عارٌ عليك إذا فعلت عظيمٌ  
وكفى بالمرء سعادةً أن يتعظ بغيره، فإنّ العاقل من توعى واتعظ بغيره، فإذا شاهد من غيره منكراً وعملاً مذموماً عند الشرع المقدّس وعند العقلاء، وأنّه يحطّ من قيمة الإنسان وقدره، فعليه أن يتجنّب ذلك، ويكسب الأدب حينئذٍ ممّن لم يكن عنده الأدب،

وقد ورد هذا المعنى في الأمثال الفارسية : إني تعلّمت الأدب ممّن ليس له الأدب.

قيل لعيسى بن مريم عليه السلام : من أدبك ؟ قال : ما أدبني أحد، رأيت قبح الجهل

فجانبته<sup>(١)</sup>.

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: (كفأك أدباً بنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك)<sup>(٢)</sup>.

الثاني: الصبر، فإن أساس الأخلاق في مراحلها الثلاثة: التخلي من الصفات الذميمة، والتخلي بالأخلاق الحميدة، والتجلي إنما هو الصبر، فهو العنصر الأول في علم الأخلاق، ومن ثم كسب الآداب. يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: (ليس شيء أحمَد عاقبةً، ولا أذْمُغبةً، ولا أدفع لسوء الأدب، ولا أعون على درك المطلب من الصبر).

الثالث: البحث، فإن من طلب شيئاً لا بد أن يبحث عنه بجدٍّ حتى يجده، وإن الآداب مما يبحث عنها ويهتمّ بها. قال الإمام علي عليه السلام: (لا يستعان على الدهر إلا بالعقل، ولا على الأدب إلا بالبحث).

وقال لقمان الحكيم: (من عني بالأدب اهتمّ به، ومن اهتمّ به تكلف علمه، ومن تكلف علمه اشتدّ طلبه، ومن اشتدّ له طلبه، أدرك منفعته فاتّخذه عادةً، فإنك تخلف في سلفك وتنفع به من خلفك)<sup>(٣)</sup>.

(١) البحار ١٤: ٣٢٦.

(٢) المصدر ٧٠: ٥٧٣.

(٣) البحار ١٣: ٤١١.

١٨ ..... حقيقة الأدب على ضوء المذهب

وهذا يعني أن الأدب في بدايته إنما هو من الكلفة والتكلف، ولكن بعد ذلك يكون ملكة وعادة ينتفع الإنسان بها في حياته وبعد مماته، فإنه خير ميراث ينتفع به الأجيال.

الرابع : العلم، وقد اهتم الإسلام بطلب العلم غاية الاهتمام، فمن حيث الزمان لا بد أن تطلب العلم طيلة حياتك من اليوم الأول إلى آخر لحظة «أطلب العلم من المهد إلى اللحد». ومن حيث المكان فاطلبه في كل بقاع الأرض حتى أقصى النقاط وأبعدها من جزيرة العرب «أطلب العلم ولو بالصين». فإن «العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»، و ﴿يَرْزُقِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾<sup>(١)</sup>، و ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. فالعاقل لا يسأم من طلب العلم، ومنهومان لا يشبعان : طالب علم، وطالب دنيا. فلا بد من طلب العلم ليل نهار، فإن الله العالم العلام يحب العلم والعلماء والصلحاء بغاة العلم، فإنهم مظهر من مظاهر علمه الأزلي والسرمدي.

وإن العلم يعين الإنسان على كسب الأدب والخلق الحسن.

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام : (إذا زاد علم الرجل زاد أدبه، وتضاعفت خشيته لربه).

قال الإمام الصادق عليه السلام : (إن خير ما ورث الآباء لأبنائهم الأدب لا المال، فإن المال يذهب والأدب يبقى)، قال مسعدة : يعني بالأدب : العلم.

(١) المجادلة : ١١.

(٢) الزمر : ٩.

ومن ثمرة الأدب شحذ الذهن، فيستعد الإنسان لطلب العلم أكثر من غيره، قال أمير المؤمنين عليه السلام: (بالأدب تُشحذ الفِطَن، فزد في فطانتك وذكائك لتستعين بهما على طلب العلم والعمل به بالأدب).

الخامس: الخشية، فإن ثمرة العلم النافع الخشية والخوف من الله سبحانه، فإن العالم بين الخوف والرجاء، يخاف ذنبه ويرجو ربه، وكلما ازداد علماً نافعاً مع العمل الصالح ازداد خشية من الله ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾<sup>(١)</sup>، فالعلم يثمر الخشية.

وقد قال الله تعالى لعيسى: أدب قلبك بالخشية.

وهذا يعني أنّ لكلّ جارحة وعضو في الإنسان آداب خاصّة، فأدب العين أن لا تنظر إلى ما حرّم الله، واللسان أن لا تكذب ولا تفحش ولا تستغيب ولا تكفر وغير ذلك، وأدب الأذن أن لا تستمع إلى المحرام، وأدب اليدين والرجلين أن تسعى في طاعة الله، كما إنّ للإنسان حسب حالاته آداب خاصّة، فأدبه مع ربه يختلف عن أدبه مع الناس، وعليه أن يراعي آداب الأسرة والمجتمع الصغير ثمّ الكبير، كأدبه في موضع عمله كالمدرسة والإدارة والوزارة والرئاسة وغير ذلك، فالجلس العام له آدابه الخاصّة، كما المجلس الخاص له آدابه المختصّة به، ولكلّ قوم آدابهم وسنتهم وحضارتهم وثقافتهم الخاصّة، فمن أراد أن يعاشر طائفة أو صديق عليه أن يراعي الآداب، كلّ شيء بحسب نفسه، وأمّا أدب القلب، والقلب هو سلطان البدن، إذا صلح صلحت الجوارح، وإذا فسد فسدت الجوارح، وإذا فسد

٢٠ ..... حقيقة الأدب على ضوء المذهب

العالم فسد العالم، ومعنى ذلك: إذا فسد القلب فسد العالم، فصلاحه وأدبه هو الخشية من الله سبحانه، فأدب قلبك بالخشية.

السادس: مجالسة العلماء، فإنّ الإسلام أمرنا في مواطن عديدة أن نجالس العلماء، وحتى نزاحمهم في طلب العلم - زاحم العلماء بركبتك، كما قال لقمان ناصحاً ولده - فإنّ معاشرة العلماء ومجالستهم توجب النجاة والسعادة في الدارين، وفي تحصيل الأدب يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: (جالس العلماء يزدد علمك ويحسن أدبك). والمراد من العالم الذي النظر إليه كان من العبادة هو الذي صدق قوله فعله، وفعله قوله. فإذا أمر الناس بالمعروف فإنه يعمل به أولاً ويتأمر به ثم يأمر، وإذا نهى عن منكر فإنه يتجنبه أولاً ثم ينهى عنه، فالعالم الذي يزيد في علمك منطقه، ويرغبك في الآخرة عمله، ويذكر بالله منظره ورؤيته، هو الذي أمرنا أن نكتسب العلم منه، وإلا فإذا رأيت العالم مقبلاً على دنياه ولم يعمل بعلمه فاتهموه، ولا تأخذوا دينكم منه، فإنه من قطاع الطريق وسراق الدين، ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾<sup>(١)</sup>، يقول الإمام الباقر عليه السلام: (أي إلى علمه ممن يأخذ)، فالعالم المتقي الورع لو جالسته فإنه يزيد في علمك ويحسن أدبك.

السابع: الفهم، ربما الفهم أخص من العلم، وربما يرادفه، فإنّ الإنسان لا بدّ أن يتفهّم الحياة ويدرك أسرارها ليعرف قيمته، وماذا أريد منه، ولم خلق، وما المقصود من الخلقة؟ ولا بدّ لنا أن نودّب أنفسنا بالفهم، ونستعين بالله على ذلك

وندعو الله كما دعا الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام قائلاً: (اللهم... اجعلنا من الذين تمسكوا بعروة العلم وأدبوا أنفسهم بالفهم)<sup>(١)</sup>.

وهذا يعني أنّ الإنسان في كسب الأدب لا يكتفي بالبحث وطلب العلم والصبر ومجالسة العلماء ويعتمد على نفسه فقط، بل لا بدّ من الدعاء والتوسّل بالله، فن العبد الحركة ومن الله البركة، فلا بدّ من اليد الغيبية تعين الإنسان على حركته وسيره إلى الله سبحانه بالتحلّي بالفضائل والمكارم والآداب، فنسأل الله سبحانه أن يجعلنا من الذين تمسكوا بعروة العلم في كلّ أعمالهم وأقوالهم، وأدبوا أنفسهم بالفهم ودرك الحقائق والواقعات (اللهمّ أرني الحقائق كما هي).

الثامن: الصدق، فإنّ من علامات المؤمن أن يكون صادقاً في قوله وعمله، مع نفسه ومع غيره، فإنّ الكذب علامة النفاق، ومنشأه الشرك بالله، ولهذا ربما المؤمن يسرق أو يزني ولكن لا يكذب أبداً، وإنّ الله الصادق مع الصادقين، وقد أمرنا أن نكون مع الصادقين، وأن نكون من أهل الصدق والصفاء، يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: (تحرم الصدق وتجنّب الكذب، أجمل شيمة وأفضل أدب).

فعلينا أن نؤدّب أنفسنا بالصدق، فإنّ المؤمن لا تخرج من فيه كذبة واحدة.

التاسع: ضبط النفس، فإنّ النفس لأماراة بالسوء، وإنّ لها حالة النار كلّما يعطيها الإنسان رغباتها وشهواتها، فإنّها تطلب المزيد وتقول: ﴿هَلْ مِنْ

٢٢ ..... حقيقة الأدب على ضوء المذهب

مزيد ﴿<sup>(١)</sup>﴾، فالإنسان لا بد أن يؤدّب نفسه بضبطها وعقاها عند رغباتها وملاذّها، ويوقفها عند حدّها، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: (ضبط النفس عند الرغب والرهب من أفضل الأدب).

العاشر: الكفّ عن المحارم، فإنّ النفس لا تكتفي بالحلال، وإنّ الشيطان وأصدقاء السوء والدنيا المغرية كلّهم يجذبون الإنسان إلى المهالك وارتكاب المحارم، فالؤمن العاقل عليه أن يؤدّب نفسه، بكفّها عن المحارم والمآثم والذنوب والمعاصي، فإنّ أمير المؤمنين علي عليه السلام يقول: (أحسن الآداب ما كفّك عن المحارم)، أي كلّ ما حرّم الله سبحانه فإنّ فيه المفسدة التامة التي توجب الشقاء والهلاك في الدنيا والآخرة، فأفضل الآداب وأحسنها أن يتجنّب الإنسان كلّ ما حرّمه الله سبحانه ليدخل الجنّة ويكون من السعداء:

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَيَإِنِّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ <sup>(٢)</sup>.

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ <sup>(٣)</sup>.

فالأدب يوجب سعادة الدارين، فتدبّر.

الحادي عشر: الوقوف عند الحدّ، ومن الأمثال المشهورة: كلّ شيء إذا

(١) سورة ق: ٣٠.

(٢) النازعات: ٤٠.

(٣) هود: ١٠٨.

تجاوز حدّه انقلب إلى ضدّه، وأنّ العاقل الذي يضع الأشياء في مواضعها من دون إفراط ولا تفريط، وكنتم أمةً وسطاً، وأنّ خير الأمور أوسطها، فكلّ واحد لا بدّ أن يؤدّب نفسه أن يقف عند حدّه فلا يتجاوز ولا يتعدّى حدود الله فيظلم نفسه ويظلم الآخرين، وطوبى لمن عرف قدر نفسه ولا يتعدّى قدره. يقول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: (أفضل الأدب أن يقف الإنسان عند حدّه ولا يتعدّى قدره).

الثاني عشر: ترك مصاحبة السوء، فإنّ الإنسان سرعان ما يتطّبع بأطباع غيره، فإذا عاشر أهل الصلاح والفلاح فإنّه يكسب منهم الخير وحسن السمعة ويصلح حاله، وأمّا إذا عاشر أهل السوء فإنّه يتأثر بهم أولاً، ويثمّ ثانياً، إيّاك ومواقع التهم. وإنّ المرء يعرف بقريته، وقل لي من تصاحب؟ حتّى أقول من أنت، ومن هذا المنطلق يقول الإمام الصادق عليه السلام: (أدبني أبي بثلاث. قال لي: يا بني، من يصحب صاحب السوء لا يسلم، ومن لا يقيد ألفاظه يندم، ومن يدخل مداخل السوء يتهم)<sup>(١)</sup>.

وما أروع ما قاله الإمام الباقر عليه السلام، فإنّ المؤمن ملجم لا يتكلّم إلا بما يرضي الله سبحانه من الذكر وقول الحقّ والنصيحة والموعظة وإرشاد الناس إلى الخير والصلاح والفلاح، ومن الطبيعي أنّ من يدخل مواقع التهم ومداخل السوء أن يتهمه الناس، كما إنّ من عاشر أهل السوء والمنكر والفحشاء لا يسلم على نفسه ودينه وأهله وسمعته، فلا بدّ أن تؤدّب أنفسنا بمثل هذه الآداب الإسلامية وتتجنّب مداخل السوء، ونقيّد ألفاظنا، ونجتزّ الكلمات ولا نسرع، فكثيراً ما يندم الإنسان



٢٤ ..... حقيقة الأدب على ضوء المذهب

على كلامه، ولا يندم على سكوته، فإنه إن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب، وقد أفلح التقى الصموت. يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: (إذا فاتك الأدب فالزم الصمت)<sup>(١)</sup>.

الثالث عشر: الاهتمام بالواجبات، فكما أن من الأدب ترك المحرمات، فكذلك من الأدب إتيان الواجبات مطلقاً، سواء الشرعية أو العرفية، فحياة الإنسان بين الرفض والإيجاب في كلمة التوحيد، أي (لا إله إلا الله) فإنها رفض لكل الآلهة وإيجاب للواحد الفقهار، فمن أدب الإنسان أن يراعي ويهتم بالواجبات ولا يتهاون بما هو من الضروري ولا بد منه، كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: (ومن أدبه - أي أدب الإنسان - أن لا يترك ما لا بد منه)<sup>(٢)</sup>.

الرابع عشر: تزكية الأخلاق، فإن من العلم النافع ما يوجب تهذيب النفس وتزكية الأخلاق، ومن الأسباب الموجبة لتزكية الأخلاق هو الأدب، كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: (سبب تزكية الأخلاق حسن الأدب).  
فهناك ملازمة وعلاقة وثيقة ربما تصل إلى حد العلية التامة أو الاقتضائية بين تزكية الخلق وحسن الأدب، فمن لم يحسن أدبه كيف يزكي أخلاقه؟ وإنما ينجو الإنسان ويحلّق في آفاق المكارم والعلى بجناحين: تزكية الأخلاق وحسن الآداب، وربما يكونا وجهين لحقيقة واحدة، كوجهي السكة والعملّة، فتأمل.

(١) البحار ٧١: ٢٩٣.

(٢) البحار ٧٨: ٤٠٠.

الخامس عشر : حسن المعاشرة، فإنّ المعاشرة لها آدابها الخاصّة، والجامع فيها هو حسن الآداب وطيب المعاشرة من انبساط الوجه وحلاوة الكلام وحرارة اللقاء وحسن المجالسة وغير ذلك من مجالات المصادقة والمودّة والمرافقة .

والواقع أنّ لكلّ واحد من هذه الأمور آدابها الخاصّة، ولكنّ إنّما ذكرنا أمّهات الآداب وأصولها الأوّلية وقواعدها الكلية، وأمّا الموارد الخاصّة والجزئيات والمصاديق فتحيل أحكامها ودساتيرها ومواردها إلى المطالع النليل اللبيب، فيمكنه أن يستخرج من الأصول التي ذكرناها أصولاً وفروعاً أخرى تتلائم مع بيئته ومحيطه ومجتمعه ومع من يعاشرهم، فنّ أمّهات آداب المعاشرة ما قاله أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :

عن الشعبي قال : تكلم أمير المؤمنين عليه السلام بتسع كلمات ارتجلهنّ ارتجالاً، فقأن عيون البلاغة وأيتمن جواهر الحكمة وقطعن جميع الأنام عن اللحاق بواحدة منهنّ، ثلاث منها في المناجاة، وثلاث منها في الحكمة، وثلاث منها في الأدب :

فأمّا اللاتي في المناجاة، فقال :

(إلهي كفى بي عزّاً أن أكون لك عبداً، وكفى بي فخراً أن تكون لي ربّاً، أنت كما أحبّ فاجعلني كما تحبّ).

وأما اللاتي في الحكمة، فقال :

(قيمة كل امرئ ما يحسنه، وما هلك امرؤ عرف قدره، والمرء مخبوء تحت

لسانه).

واللاتي في الأدب، فقال :

(أمن على من شئت تكن أميره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره، واستغن

عمّن شئت تكن نظيره<sup>(١)</sup>.

قيل : الأدب أدبان : أدب النفس وأدب الدرس ، فأدب النفس أشرف من أدب الدرس ، كشرّف النفس على الجسد ، لأنّ أدب الدرس ينفع ولا يضرّ ، وأدب الدرس بلا أدب النفس فليس يكون عن عقل لكن عن تأديب يجري مجرى تأديب القرد والدبّ والفيل وما يجري مجراها من البهائم .  
وجهاد النفس من الجهاد الأكبر .

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾<sup>(٢)</sup>.

---

(١) البحار ٧٧ : ٤٠٠ .

(٢) العنكبوت : ٦٩ .

## مصادر في الآداب

ربما تشعر عند معاشرتك مع الناس أنّ بعضهم يحمل الأدب في جبلته وكأنّه جزء من وجوده، وأنّه من ذاتياته، إلا أنّ الصواب أنّ الآداب من الكسبيّات، وأنّ الإنسان أولى المخلوقات بالعناية والتربية وكسب الآداب، فلا بدّ من التربية والتعليم والممارسة والتمرين وبذل الجهد في كسب الأدب والتحلّي به، ولا يحصل الإنسان عليه بسهولة وبطبيعته، بل ربما من طبيعة الإنسان أنّه يحبّ أن يكون حرّاً من كلّ قيد، وحتىّ قيد الدين والآداب الدينية أو الاجتماعية، ليطنغي أن رآه استغنى، فسرعان ما يصاب بالطغيان والجبروت لو غفل عن نفسه وعن تهذيب قلبه وباطنه، فينكر الآداب ويشور عليها، ويحاول أن يضرب التقاليد والأعراف والآداب حتّى الشرعيّة والدينيّة منها عرض الجدار.

ولمثل هذا بعث الله الأنبياء والأولياء ثمّ العلماء لتهذيب الناس وتزكيتهم وتعليمهم ﴿يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾<sup>(١)</sup>.

فالآداب ممّا يكتسب ويحصل عليه، ولكسبه طرق، وأمّهات الطرق: إطاعة

---

(١) آل عمران : ١٦٤.

٢٨ ..... حقيقة الأدب على ضوء المذهب

الوالدين الصالحين في تعليمها وتأديبها، وحضور دروس ومجالس العلماء الصالحاء والمعلمين الأفاضل، ومطالعة الكتب وتطبيق ما ورد فيها من الآداب المحسنة والأفعال الطيبة.

فإليك - أيها القارئ العزيز - مجموعة من المصادر العربية والفارسية - حسب الحروف الهجائية - وقفت عليها في المكتبة العامة لسيدنا الأستاذ آية الله العظمى السيد شهاب الدين المرعشي النجفي - بقم المقدسة - ولا شك أن هناك المئات من الكتب الأخرى، فهذا غيض من فيض.

### المصادر العربية

المؤلف	الكتاب	ت
أبو العباس عبد الله بن المعتز	الآداب	١
الحسني، عبد الله بن محمد رضا	آداب الاستخارة	٢
طبري، محمد باقر بن لطف الله	آداب الإنسان في طريق الجنان	٣
بههاني، باقر	آداب التجارة	٤
مجلسي اصفهاني، محمد تقي	آداب الجمعة	٥
فخر مدير، محمد بن منصور	آداب الحرب والشجاعة	٦
بطحائي گلپايگاني، علي	آداب الحرمين	٧
الألباني، محمد ناصر الدين	آداب الزفاف في السنّة المطهّرة	٨
العصار اللواساني، محمد بن محمود	آداب السلوك	٩
ابن مفلح، محمد	آداب الشرعية والمسح المرعية	١٠
الغزالي، محمد بن محمد	آداب الصحبة والمعاشرة	١١
سماعة الإمام الخميني	آداب الصلاة	١٢
محمد تقي	آداب الصلاة	١٣
المجلسي، محمد باقر	آداب الصلاة	١٤
عاملي، جعفر مرتضى	الآداب الطبية في الإسلام	١٥
القرى، أبو البركات بدر الدين محمد	آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة	١٦
أفندي فكري، علي	آداب الفتاة	١٧

٣٠ ..... حقيقة الأدب على ضوء المذهب

ابن إسحاق ، حنين	آداب الفلاسفة	١٨
محمد أشرف عالم	آداب القرآن	١٩
خواجه نصير الدين طوسي	آداب المتعلمين	٢٠
أحمد محمد آباد	آداب المتقين	٢١
سيد محمد رضا صاحب	آداب المجالس	٢٢
أبو نجيب سهرودي ، ضياء الدين	آداب المريدين	٢٣
الشيواني الموصلي دمشقي، أبو بكر الحسني عماد	آداب المريدين في التصرف، ويليه مخدرة	٢٤
مولوى نثار أحمد صاحب	آداب المشق	٢٥
نظام العلماء، رفيع الدين بن علي أصغر	آداب المضامين	٢٦
ثعالبي ، عبد الملك بن محمد	آداب الملوك	٢٧
العينائي ، السيد محمد	آداب الملوك	٢٨
المحاسبي ، الحارث بن أسد	آداب النفس	٢٩
السيوطي ، جلال الدين أبو الفضل	آداب النفوس	٣٠
المركز العربي لبحوث التعليم العالي ، دمشق	آداب تلاوة القرآن وتأليفه	٣١
إبراهيم الرقي	الآداب والعلوم الإنسانية	٣٢
الغزالي	أحاسن المحاسن	٣٣
الشيخ ، عبد الله بن محمد	إحياء علوم الدين	٣٤
أحمد شرباصي	أخلاق النبي ﷺ وآدابه	٣٥
حماد صالح حمدي	أدب الأحاديث القدسية	٣٦
	أدب الإسلام	٣٧

عبد الكريم السمعاني	٣٨	أدب الإملاء والاستملاء
أحمد جمال العمري	٣٩	أدب الحرب والسلام في سورة الأنفال
أحمد صابري همداني	٤٠	أدب الحسين وحماسه
طاهر أبو رغيف	٤١	أدب الدعاء في الإسلام
علي بن محمد البصري	٤٢	أدب الدنيا والدين
زكي المحاسني	٤٣	الأدب الديني
علي محسن عيسى مال الله	٤٤	أدب الرحلات عند العرب
أحمد محمد صوفي	٤٥	أدب السياسة في العصر الأموي
ابن المقفع	٤٦	الأدب الصغير
علي صافي حسين	٤٧	الأدب الصوفي في مصر
محمد عبد الحميد	٤٨	الأدب الطيبي وأدب الطبيب
محمد السويسي	٤٩	أدب العلماء
كنون عبد الله	٥٠	أدب الفقهاء
الغزالي	٥١	الأدب في الدين
علي بن محمد الماوردي	٥٢	أدب القاضي
أحمد الخصاف	٥٣	أدب القاضي
المهلب القيسي	٥٤	أدب القاضي والقضاء
إبراهيم بن أبو الدم	٥٥	أدب القضاء
ابن قتيبة	٥٦	أدب الكاتب
محمد بن يحيى	٥٧	أدب الكتاب
مكتبة سيد الشهداء <small>عليه السلام</small>	٥٨	الأدب للحياة



٣٢ ..... حقيقة الأدب على ضوء المذهب

- ٥٩ أدب المجالسة يوسف بن عبد الله
- ٦٠ أدب المفتي والمستفتي عثمان بن صلاح
- ٦١ الأدب النبوي محمد عبد العزيز الخولي
- ٦٢ الأدب الوجيز للولد الصغير عبد الله بن المقفع
- ٦٣ أدب الوزير الماوردي
- ٦٤ الأدب والدين عند قدماء المصريين ذكرى أنطون
- ٦٥ الأدب وقيم الحياة المعاصرة العشماوي
- ٦٦ أمالي السيد المرتضى السيد المرتضى علم الهدى
- ٦٧ أنيس التجار في أقسام المكاسب وأنواع المعاملات وآداب الاتجار النراقي، مهدي بن أبي ذر
- ٦٨ أوصاف الأشراف خواجه نصير الدين الطوسي
- ٦٩ برهان الأحكام في آداب الإسلام مولوي، محمد برهان الدين
- ٧٠ بلوغ الأدب في مآثر العرب محيي الدين العطار
- ٧١ بين الفقه والأدب عبد الله الخليلي
- ٧٢ بين الفلسفة والأدب علي أدهم
- ٧٣ التبيان في آداب حمل القرآن النووي، يحيى بن شرف
- ٧٤ التبيان فيما يحتاج إليه الزوجان جاسم الياسين
- ٧٥ التجويد وآداب التلاوة العطار، داود
- ٧٦ تحفة الأحباب في آداب الطعام والشراب الحسيني العاملي، السيد محسن
- ٧٧ تذكرة السامع والمتكلم إبراهيم الكتاني
- ٧٨ تلاوة القرآن المجيد فضائلها، آدابها، خصائصها عبد الله بن سراج الدين

- ٧٩ جامع السعادات المحقق النراقي
- ٨٠ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع خطيب بغدادى ، أحمد
- ٨١ حاشية على الحسينية من الآداب مفتى زادة ، سيد محمد صادق بن عبد الرحيم الأرزنجاني
- ٨٢ حاشية محمد بن علي الصبّان على شرح آداب البحث محمد بن علي
- ٨٣ حقيقة الأمر التبريزي ، ميرزا رفيع نظام العلماء
- ٨٤ الحكمة والآدب عند الفرس والعرب محمد باقر السبزواري
- ٨٥ خزائن الآدب عبد اللطيف محمود السيد
- ٨٦ خزائن الآدب عبد القادر البغدادي
- ٨٧ خزائن الآدب أبو بكر الحموي
- ٨٨ الخطابة تأريخها ، قواعدها ، آدابها جمعة العاملي ، شيخ حسين
- ٨٩ الدعاء المأثور وآدابه وما يجب على الطرطوشي ، محمد بن الوليد
- الداعي اتباعه واجتنابه
- ٩٠ الربيع في الآدب والفن والحياة مصطفى عبد الرحمن
- ٩١ رساله آداب المتعلمين والمحصلين اصفهاني ، علي أصغر
- ٩٢ رسالة آداب المؤاكلة الغزّي ، بدر الدين محمد
- ٩٣ روضة الآدب شهاب الأنصاري
- ٩٤ رياض الآدب محمد تدين
- ٩٥ زمام السالكين في آداب الطريقة نور الميمني ، شيخ محمد
- ٩٦ الزواج وآداب الزفاف في ضوء السنّة أنور علي ، عاشور
- النويّة الشريفة

٣٤ ..... حقيقة الأدب على ضوء المذهب

- ٩٧ سنن النبي العلامة الطباطبائي  
٩٨ الصلاة آدابها وآثارها غروي، محمد  
٩٩ الصلاة آدابها وآثارها محمد باقر الصدر  
١٠٠ صلاة الخاشعين دستغيب  
١٠١ طلب الأدب من أدب الطلب محمد عبد الصمد  
١٠٢ عروة المنية في آداب المدينة المدرّس الإصفهاني، حاج شيخ  
محمد صادق  
١٠٣ العشرة في آداب المعاشرة بين الآباء محمد تقي بن محمد باقر  
والأولاد وذوي الأرحام  
١٠٤ عظة الناشئين، كتاب أخلاق وآداب واجتماع غلابيني، مصطفى  
١٠٥ العقد الفريد شهاب الدين بن عبد ربه  
١٠٦ علم الأدب لويس شيخو  
١٠٧ علم أدب النفس نقولا الحداد  
١٠٨ عين الأدب والسياسة علي بن عبد الرحمن بن هذيل  
١٠٩ في آداب الحسبة السقطي، محمد بن أبي محمد  
؟؟؟  
١١٠ كتاب آداب السلوك للرعية والملوك محمد بن باقر اصفهاني  
١١١ كتاب آداب الشريعة المطهرة  
١١٢ كتاب الذخائر والأعلاق في آداب الباهلي، سلام بن عبد الله  
القدس ومكارم الأخلاق  
١١٣ كتاب الرياضة وأدب النفس محمد بن علي الترمذي  
١١٤ كتاب الصمت وآداب اللسان ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد

مصادر في الآداب ..... ٣٥

- ١١٥ كتاب الهمة في آداب أتباع الأئمة  
مغربي ، قاضي نعمان بن محمّد
- ١١٦ كتاب طريقة الأدب  
محمّد حسين بيدار
- ١١٧ لباب الأدب  
ابن منقذ
- ١١٨ لوامع في معارف الإيمان وآداب القرآن  
بديع الزمان سعيد النورس
- ١١٩ مجموعة وزّام  
ابن وزّام
- ١٢٠ مرآة الكمال  
الشيخ المامقاني
- ١٢١ مراجع الشيعة في آداب الشريعة  
مامقاني ، عبد الله بن محمّد حسن
- ١٢٢ مع القرآن ومعاملاته  
حميدة ، عبد الحسيب طه
- ١٢٣ مفتاح الرزق في آداب الخادم والمخدوم  
ملك الكتاب شيرازي محمّد
- ١٢٤ مقياس آداب المتعلمين وميزان أخلاق المحصلين  
ميرزا حسن بشيمان دهخوارقاني
- ١٢٥ مكارم الأخلاق  
الطبرسي
- ١٢٦ من أدب النبوة  
أحمد الشرباصي
- ١٢٧ منهاج الزائر في آداب الحرمين  
عبد الجواد الكلبياسي
- ١٢٨ منية المرید في آداب المفيد والمستفيد  
الشهيد الثاني
- ١٢٩ ميزان المعرفة وبرهان الحقيقة في آداب  
محمّد حسن صفر عليشاه
- السلوك والطريقة
- ١٣٠ نخبة الآداب  
محمود البروجردي
- ١٣١ نور على نور في آداب زيارة العاشور  
حبيب الله الهمداني

### المصادر الفارسیة

المؤلف	ت الكتاب
محمود رفعت	۱۳۲ آئین و آداب معاشرت
شهید ثانی	۱۳۳ آداب تعلیم و تعلم در اسلام
مشایخی، مهدی	۱۳۴ آداب تلاوت قرآن
أنصاري، محمد جعفر حسين	۱۳۵ آداب تلاوت قرآن مجید و فرقان حمید
فیض کاشانی، مولی محمد حسن	۱۳۶ آداب حج و وابستگیهای عملی آن
محمود زاده شیرازی، عظیم	۱۳۷ آداب زندگی / ۵۰۰ نکته تربیتی برای کودکان
امور فرهنگی آستانه مقدسه	۱۳۸ آداب زیارت و سفر
علی پاشا صالح	۱۳۹ آداب سخن / بحث مختصری درباره اصول فن
منشی الممالک شیخ أبو الفتح قابل	۱۴۰ آداب عالمگیری
سید عبد الحسین دستغیب شیرازی	۱۴۱ آداب (قرآن، تفسیر سوره حجرات)
شاهباز، آ	۱۴۲ آداب مادری
شاهجهانپوری، سید ظهور أحمد	۱۴۳ آداب مجلس
ذکاء الملك، محمد علیخان	۱۴۴ آداب مشروطیت دول
شمس الدین، مهدی	۱۴۵ آداب معاشرت
توحیدی پور، مهدی	۱۴۶ آداب معاشرت
عاملی، محمد بن الحسن	۱۴۷ آداب معاشرت از دیدگاه معصومین <small>علیهم السلام</small>
فیض کاشانی، مولی محمد حسن	۱۴۸ آداب معاشرت محمدی

- ۱۴۹ آداب ناصری محلاتی، محمد ابراهیم
- ۱۵۰ آداب نویسندگی واحدی، قدرت الله
- ۱۵۱ آداب نویسندگی و نامه نگاری به انضمام یک نمایشنامه و هفت داستان شجاعیان، علی
- ۱۵۲ آداب نوین معاشرت توحیدی پور، مهدی
- ۱۵۳ آداب و سنن اجتماعی فین کاشان أخوان، مرتضی
- ۱۵۴ آداب و مناسک حج از اعمال واجبه و مستحبه سراج، حاج شیخ رضا
- ۱۵۵ آداب همزیستی و معاشرت مطهری، أحمد
- ۱۵۶ احکام و آداب روزه حق جو، محمد حسین
- ۱۵۷ ادب و اندیشه علی اصغر خیره زاده
- ۱۵۸ ادب و حکمت و عرفان احمد رنجبر
- ۱۵۹ از اخلاق اسلامی، یا آداب سیر و سلوک طاهری، حبیب الله
- ۱۶۰ أبواب الجنات في آداب الجمعات یا آئین موسوی اصفهانی، محمد تقی
- جمعة
- ۱۶۱ أخلاق نظری و علم آداب کورویج، ژرژ
- ۱۶۲ آدب چیست؟ بامداد محمد علی
- ۱۶۳ آدب و اخلاق در ایران محمد محمدی
- ۱۶۴ پرواز در ملکوت (آداب الصلاة امام فهری زنجانی، سید أحمد
- خمینی رضوان الله علیه)
- ۱۶۵ تاریخ فخری در آداب ملکداری و دولتهای اسلامی ابن طباطبا، محمد علی

حقیقة الأدب علی ضوء المذهب .....	۳۸
سهروردي، أبو النجيب عبد القاهر	۱۶۶ ترجمه آداب المریدین
سلماسي، پرويز	۱۶۷ جواهر الكلام در روش و آداب ملوك
العلامة المجلسي	۱۶۸ حلیة المتقين
كبرى، شيخ نجم الدين	۱۶۹ دو رساله عرفانی رساله آداب المریدین
وجدانی	۱۷۰ راهنمای انس و مودت، یا آداب معاشرت
شهيد ثاني، زين الدين	۱۷۱ رساله در آداب و خواص جمعه و نماز جمعه
شارح، محدث ارموي	۱۷۲ ره توشه رهروان در آداب سير و سلوك معنوی
طراح، داود	۱۷۳ رهنمود پیامبر اسلام و ائمه اطهار در آداب زندگی و وظایف اجتماعی و دینی
صالح، علي پاشا	۱۷۴ سخنرانی‌های آموزشگاه پرورش افکار، قسمت دبیران موضوع آداب مناظره
المامقاني، الغروي، الحاج الشيخ	۱۷۵ سراج الشيعة في آداب الشريعة راهنمای احکام مذهب جعفری و آداب زندگی شیعیان
يزدي الأصل خراساني، علي بن محمد	۱۷۶ شجرة الإنسان در آداب و اخلاق
آخوندیان، ع.	۱۷۷ شجرة الإنسان در آداب و اخلاق
فهری، سيد أحمد	۱۷۸ شمع سحر در فضیلت، احکام و آداب نماز شب
سيد مهدي فهمي	۱۷۹ فرهنگ (آداب و رسوم)
فيض كاشاني	۱۸۰ قرآن و آداب تلاوت آن
نور الهدی منگنه	۱۸۱ کلاس آداب معاشرت تدبیر منزل
محدث نوري	۱۸۲ لؤلؤ و مرجان أو آداب أهل منبر

مصادر في الآداب ..... ٣٩

هادي ماسه ، مترجم مهدي روشن

حميد

أبو بكر جابر

سيد محمد موسوي دهرخي

اصفهاني

١٨٣ معتقدات و آداب ايراني

١٨٤ منهاج المسلم (عقائد و آداب و أخلاق)

١٨٥ هداية الطالبين في شرح آداب المتعلمين



## الفهرس

٥	..... الأءب فف القرآن والسنة
٩	..... من هو المؤءب ؟
١٢	..... ما هو الأءب ؟
١٦	..... أصول الآءاب
٢٧	..... مءاءر فف الآءاب
٢٩	..... المءاءر العربفة
٣٦	..... المءاءر الفارسفة
٤٠	..... الفهرس

قبس  
من أدب الأولاد

السيد عادل العائدي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



موسوعة  
رسالات إسلامية



---

رسالة  
قيس من أدب الأولاد على ضوء المذهب الإمامي  
تأليف - السيد عادل العلوي

---

نشر - المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد  
إيران، قم، ص. ب ٣٦٣٤  
الطبعة الأولى - ١٤٢٣ هجري قمري  
التنضيد والإخراج الكومبيوترى - حكمت، قم  
المطبعة - النهضة، قم

---

## قبس من أدب الأولاد على ضوء المذهب الإمامي

الحمد لله العلام، والصلاة والسلام على خير الأنام محمد وآله الكرام.  
أما بعد :

فمن الواضح أنّ الأقربين أولى بالمعروف، ثمّ من أفضل المعروف الأدب، وهو بمعناه العامّ: حسن الهيئة وظرافة العمل، فالأولى به من هو قريب منك، وأقرب الناس إليك أولادك، فإنّ الولد فلذة الكبد (أولادنا أكبادنا)، فهو أولى من غيره بالنسبة إلى كسب الأدب وتعلّمه من قبلهما أولاً، وإنّ من وظائف الآباء ومن حقوق الأبناء عليهم هو تعليمهم الدين والآداب والأخلاق الطيّبة والعلوم النافعة، وذلك منذ الصغر ومن اليوم الأوّل، فعلى الآباء والأمّهات تربية أولادهما ذكوراً وإناثاً تربيةً صالحةً، توجب المباهاة والفخر والاعتزاز، وتدخل البهجة على القلوب، والسرور على النفوس، وإنّ أوّل من ينتفع من ثمر التربية ويستظلّ تحت شجرتها هم الآباء والأمّهات.

فمن أهمّ ما يجب على الأبوين بالذات هو تربية الأولاد تربية سليمة وصالحة، وهي التربية الإسلامية النابعة من القرآن الكريم والسنة الشريفة، فمن يطالع الإسلام ونظامه التربوي وقيسه بالأنظمة والبرامج الأخرى يرى

٤ ..... قيس من أدب الأولاد على ضوء المذهب الإمامي

بوضوح عظمة التربية الإسلامية وسلامتها وشموخها وأصالتها.

يقول والدي العلامة في كتابه القيم (الأثر الخالد في الولد والوالد) : من أهم ما يجب على الأبوين تربية أولادهم تربية صحيحة سالحة، وهي التربية الإسلامية بلا نزاع، لأننا رأينا بأنم أعيننا أن الأجانب جاؤوا بقوانين وأصول للتربية الحديثة، وبعد مدة قليلة نراهم ذيلوا أصولهم وقوانينهم بذبول يخطئ بعضها البعض، والحق : كل ما كان منها موافقاً للأسس والمبادئ والأصول الإسلامية كان صالحاً وباقياً لا تشويه شائبة، وكل ما كانت من توليد أدمغة مفكري العصر تذيلت وتفتحت ثم أهملت. وهذا ليس لشيء إلا لكون الإنسان لا يتمكن من تصحيح وتنقيح إنسان آخر، لأنه هو بالذات يحتاج إلى مربٍّ يربيه، فكيف يتمكن من تربية غيره، وفاقد الشيء لا يعطيه، فانحصرت التربية في خالق الإنسان والذين انتخبهم وعيّنهم وعلمهم ليربّوا هذا البشر التائه في وديان جهالته. والمنتخبون هم الأنبياء سلام الله عليهم أجمعين ثم أوصياءهم عليهم السلام جيلاً بعد جيل إلى انتهاء العالم، بل العوالم أجمع، ومن بعده أوصياءه المنصوبون من قبل رب العالمين على لسان صفيه وحبيبه المصطفى محمد ﷺ فهم القادة وهم الموصولون أحكام الله تعالى للناس، والله تعالى في خلقه شؤون، فقاموا واستقاموا حتى أعطوا البشر في العالم كله ما يحتاج لديناه ولآخرته، وأوكلوه بتربية غيره على نهجهم، فهذا ما يخص الأب والابن، وإلى آخر القضايا.

ثم المرء يبذل كل ما في وسعه وطاقته من أجل راحة الأولاد وتأمين حياتهم المادية من المأكل والملبس وصحة الجسد، حتى أنه ما أن يشعر بصداق في رأس طفله إلا وتجده يركض إلى المستشفى ويتردد من عيادة طبيب إلى

آخر، ويستعمل الأدوية ولو كلفه ذلك بنفود باهضة، كيف يفكر بجسد أولاده ولا يفكر بأرواحهم وتربيتهم الروحية، فإنّ الروح أولى بالإنعاية والتربية، إذ الجسد يفنى بالموت وينعدم، ويكون تراباً تطأه الأقدام، ولكن الروح تبقى خالدة متنّمة أو متعذّبة، فلا بدّ أولاً من تربيتها ورعايتها غاية الرعاية، ومعالجتها من الأمراض الروحية ومن الصفات الذميمة، كالحسد والتكبر وحبّ الدنيا والرياء والبخل وغير ذلك.

فيجب - عقلاً وشرعاً - على الآباء والأمّهات أن يبذلوا كلّ ما في وسعهم من أجل تربية أرواح أولادهم، وتهذيب أخلاقهم، وتصفية بواطنهم، وتنوير قلوبهم، وتعليمهم الآداب الفردية والاجتماعية، وذلك منذ نعومة أظفارهم، فإنّ العلم في الصغر كالنقش على الحجر، ومن أتعب نفسه أيام شبابه استراح أيام شبابه.

١ - يقول أمير المؤمنين عليه السلام لولده الإمام الحسن عليه السلام : إنّما قلب الحدث - أي الشاب المراهق - كالأرض الخالية ما ألقى فيها من شيء قبلته، فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك، ويشتغل بك.

وهذا يعني أنّه لا بدّ من المبادرة والسرعة في تعليم الأولاد وتأديبهم؛ لأنّ القلب سرعان ما يقسو، وإنّما قساوة القلب يكون بالذنوب، أي قبل أن يذنب الطفل ويصل إلى سنّ التكليف والرشد على الوالد أن يبادره بالأدب، وقبل أن يشتغل فكره وتأخذه العواصف يميناً وشمالاً على الوالد أن يبادره بالعلم. فإنّ قلب الحدث الطفل أو الشاب المراهق كالأرض الخالية من الزرع، وهي خصبة وقابلة لكلّ زرع، فإن زرعته حنطة فإنّما تحصد الحنطة التي تقوّي الإنسان

٦ ..... فبس من أدب الأولاد على ضوء المذهب الإمامي وتنشّطه، وإذا زرعت الحنظل فإنك تحصد الحنظل المرّ، وهذه من سنن الحياة والطبيعة، فلا بدّ من الأدب الصالح والعلم النافع في السنين الأولى من حياة الأولاد.

٢- يقول لقمان لولده: يا بني، إن تأدّبت صغيراً، انتفعت به كبيراً<sup>(١)</sup>. وهذا النفع لا ينحصر على من تأدّب بل ينتفع به الآخرون أيضاً، كما لا ينحصر بالدنيا بل حتّى ينتفع منه الإنسان في الآخرة أيضاً.

٣- قال الإمام الصادق عليه السلام: لا يزال المؤمن يورث أهل بيته العلم والأدب الصالح حتّى يدخلهم الجنّة، حتّى لا يفقد فيها منهم صغيراً ولا كبيراً ولا خادماً ولا جاراً.

ولا يزال العبد العاصي يورث أهل بيته الأدب السيئ، حتّى يدخلهم النار جميعاً، حتّى لا يفقد فيها منهم صغيراً ولا كبيراً.

وهذا يعني أنّ فاقد الشيء لا يعطيه، فمن كان فاقد الإيمان والآداب وكان من العصاة، فكيف يمكن أن يعطي لغيره الإيمان والأدب؟ وكيف يورث أهل بيته الأدب الصالح والعلم النافع؟! بل سيورثهم الأدب السيئ، ونتيجة ذلك وما يحصده هو دخول النار، وبعبارة أخرى: الشقاوة، لأنّ الذين شقوا ففي النار هم فيها خالدون، كما قال الله تعالى في محكم كتابه المجيد:

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فَبِئْسَ النَّارُ ﴾<sup>(٢)</sup>.

أمّا المؤمن بالله ورسله واليوم الآخر فإنّه لا يزال - وهذا يعني الاستمرار

(١) البحار ١٣: ٤١١.

(٢) هود: ١٠٦.

في العمل - يورث أهل بيته العلم والأدب الصالح فيجمع شملهم حتى يدخل الجميع الجنة، أي يسعدون في حياتهم وبعد مماتهم، فإن الله سبحانه يقول:

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ ﴾<sup>(١)</sup>.

فالأدب يوجب السعادة في الدنيا والآخرة.

٤- قال الإمام الصادق عليه السلام: لَمَا نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ الشَّرِيفَةِ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾<sup>(٢)</sup> قال الناس: كيف نقي أنفسنا وأهلنا؟ قال:

اعملوا الخير وذكروا به أهليكم وأدبواهم على طاعة الله<sup>(٣)</sup>.

فالإنسان عليه أن يبدأ بنفسه أولاً فيعمل الخير، ومن ثم يذكر أهل بيته بالخيرات والإحسان، ويؤدبهم على طاعة الله ورسوله وعترته عليهم السلام.

وأولى الطاعات الصلاة، فإنها عمود الدين، إن قبلت قبل ما سواها، وإن رُدَّتْ رُدَّ ما سواها، وهي قربان كل تقوي، ومعراج المؤمن، والفارق بينه وبين الكافر.

٥- يقول رسول الله ﷺ: علموا أولادكم الصلاة إذا بلغوا سبعاً، واضربوهم عليها إذا بلغوا عشراً، وفرقوا بينهم في المضاجع.

٦- يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: أدب صغار أهل بيتك بلسانك على الصلاة والظهور، فإذا بلغوا عشر سنين فاضرب ولا تجاوز ثلاثاً.

٧- قال الإمام الصادق عليه السلام: يؤدب الصبي على الصوم ما بين خمسة عشر

(١) هود: ١٠٨.

(٢) التحريم: ٦.

(٣) مستدرک الوسائل ٢: ٣٦٢.



٨ ..... قبس من أدب الأولاد على ضوء المذهب الإمامي  
سنة إلى ست عشر سنة.

هذا في الأمور العبادية، وأما التي فيها بذل المال :

٨- فإن الإمام الصادق عليه السلام يقول : مُر الصبي فليتصدق بيده بالكسرة  
والقبضة والشيء، وإن قل، فإن كل شيء يراد به الله وإن قل بعد أن تصدق النية فيه  
عظيم<sup>(١)</sup>.

والعمدة في التربية والتعليم أن تؤدب صغار أولادك على توحيد الله ونفي  
الشرك، ولو بكلمة التوحيد.

٩- فعن الصادقين عليهم السلام قالوا : إذا بلغ الغلام ثلاث سنين - أي بعد إكمال  
السنين - فقل له سبع مرّات : قل : لا إله إلا الله، ثم يترك حتى يتم له ثلاث سنين  
وسبعة أشهر وعشرون يوماً فيقال له : قل (محمد رسول الله صلى الله عليه وآله) سبع مرّات،  
ويترك حتى يتم له أربع سنين، ثم يقال له سبع مرّات : قل (صلى الله على محمد  
وآل محمد)، ثم يترك حتى يتم له خمس سنين، ثم يقال له : أيهما يمينك  
وأيهما شمالك، فإذا تمّ له ست سنين يقال له : صلّ، وعلم الركوع والسجود حتى  
يتمّ له سبع سنين، فإذا تمّ له سبع سنين قيل له : اغسل وجهك وكفيك، فإذا غسلهما  
قيل له : صلّ، ثم يترك حتى يتمّ له تسع، فإذا تمّت له علم الوضوء وضرب عليه،  
وعلم الصلاة وضرب عليها، فإذا تعلم الوضوء والصلاة غفر الله تعالى لوالديه<sup>(٢)</sup>.

١٠- وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام : علموا صبيانكم الصلاة، وخذوهم بها  
إذا بلغوا الحلم...

(١) الروايات من ميزان الحكمة ١ : ٧٤-٧٥.

(٢) البحار ١٠٤ : ٩٥. مرآة الكمال.

بل يستحبّ الأذان في أذن اليمنى للمولود الجديد، كما يُستحبّ الإقامة في اليسرى، وهذا يعني أنّه من اليوم الأوّل إنّما يطرق سمعه كلمات التوحيد والشهادتين والصلاة والفلاح وخير العمل.

١١- عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: إنّ رسول الله ﷺ قال: من وُلد له مولود فليؤدّن في أذنه اليمنى ويقيم في اليسرى، فإنّ ذلك عصمة من الشيطان، وأنّه عليه السلام أمر أن يفعل ذلك بالحسن والحسين عليهما السلام، وأن يقرأ مع الأذان في أذنهما فاتحة الكتاب، وآية الكرسي، وآخر سورة الحشر، وسورة الإخلاص، والمعوذتان<sup>(١)</sup>.

١٢- وقال عليه السلام: يا عليّ، إذا وُلد لك غلام أو جارية، فأدّن في أذنه اليمنى، وأقم في اليسرى، فإنّه لا يسره الشيطان أبداً<sup>(٢)</sup>.

ولا ينحصر التأديب وآثاره المادية والمعنوية الدنيوية والأخروية بالأولاد الذكور، بل وكذلك البنات.

١٣- قال رسول الله ﷺ: من كانت له ابنة فأدّبها وأحسن أدبها، وعلمّها فأحسن تعليمها، فأوسع عليها من نعم الله التي أسبغ عليه كانت له منعةً وستراً من النار<sup>(٣)</sup>.

وعلى الآباء والأمّهات أن يتحمّلوا ويصبروا على شيطنة وأذى أطفالهم قبل بلوغهم ستّ سنوات كما ورد في الخبر الشريف:

١٤- عن الحسن الطبرسي في مكارم الأخلاق نقلاً عن كتاب المحاسن

(١) المستدرک ٢: ٦١٩، الباب ٢٦، الحديث ١.

(٢) تحف العقول: ١١.

(٣) ميزان الحكمة ١: ٧٤.

١٠ ..... قبس من أدب الاولاد على ضوء المذهب الإمامي

عنه عليه السلام قال : احمل صبيك حتى يأتي عليه ست سنين ، ثم أدبه في الكتاب ست سنين ، ثم ضمّه إليك سبع سنين فأدبه بأدبك ، فإن قبل واصلح ، وإلا فخلّ عنه .

١٥ - قال الإمام الصادق عليه السلام : دع ابنك يلعب سبع سنين ، ويؤدّب سبع ، وألزمه نفسك سبع سنين ، فإن أفلح ، وإلا فإنه لا خير فيه .

١٦ - وفي حديث آخر ، قال عليه السلام : أمهل صبيك يلعب حتى يأتي له ست سنين ، ثم ضمّه إليك سبع سنين ، فأدبه بأدبك فإن قبل وأفلح واصلح ، وإلا فخلّ عنه فإنه لا خير فيه .

١٧ - وعنه عليه السلام أنه قال : الغلام يلعب سبع سنين ، ويتعلّم سبع سنين ، أو يتعلّم الحلال والحرام سبع سنين .

١٨ - عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : يُرَفّ - أي يحسن إليه - الصبيّ سبعاً ، ويؤدّب سبعاً ، ويستخدم سبعاً ، ومنتهى طوله في ثلاث وعشرين سنة ، وعقله في خمس وثلاثين ، وما كان بعد ذلك فبالتجارب .

١٩ - عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال : يستحبّ غرامة الصبيّ في صغره ليكون حليماً في كبره .

٢٠ - عن أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام أنه قال : أدّب اليتيم ممّا تؤدّب به ولدك ، واضربه ممّا تضرب به ولدك .

وفي هذا الخبر الشريف حكمة بالغة ، فإنّ اليتيم وإن كان يفتقر إلى حنان الأب ، واللطيم إلى حنان الأمّ ، إلا أنّ هذا لا يعني أن يهمل تربيته وتأديبه من قبل وليّ أمره ، أو معلّمه ، أو من يتولّى تربيته وتعليمه من أقاربه .

٢١ - روي عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال : ثمانية أشياء من كُنّ فيه أدخله

الله الجتّة ونشر عليه الرحمة، منها: وحسن تربية ولده.

٢٢- وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: ما نحل والدّاً نحلّاً أفضل من أدب حسن.

٢٣- وعن النبي صلى الله عليه وآله قال: لأن يؤدّب الرجل ولده خير له من أن يتصدّق كلّ يوم بنصف صاع.

٢٤- وقال عليه السلام: رحم الله عبداً أعان ولده على برّه بالإحسان إليه والتآلف له وتعليمه وتأديبه.

٢٥- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الولد سيّد سبع سنين - يعني حكمه حكم السيّد يفعل ما يريد - وعبد سبع سنين - أي عليه أن يطيع مولاه ومؤدّبه وهو الوالد المعلّم الأوّل وكذلك الأمّ المدرسة الأوّلى - ووزير سبع سنين - أي يرافق والده ويعينه ويؤازره كما أنّ الوالد يستشيرُه كما يستشار الوزير - فإن رُضيت - بعد ٢١ سنة من عمره - خلائقه لإحدى وعشرين سنة، وإلا فاضرب على جنبيه - أي اتركه فقد أدبت مسؤوليّتك وحقوق الولد وعملت بوظيفتك - فقد أعذرت إلى الله - أي كان لك عذراً عند الله سبحانه - .

وهذا الحديث الشريف يعدّ من جوامع الكلم، كما ثبت في علم النفس الحديث صدقه، فإنّ علماء النفس قرّروا في تربية الأولاد باعتبار سنّهم وأعمارهم أدواراً ولكلّ دور خصائصه كما ورد في الحديث الشريف.

ثم لا بدّ من تأديب الأولاد على الحبّ والمودّة:

٢٦- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أدّبوا أولادكم على حبّي وحبّ أهل بيتي والقرآن.

٢٧- وعنه صلى الله عليه وآله: أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال: حبّ نبيّكم، وحبّ أهل

١٢ ..... قبس من أدب الأولاد على ضوء المذهب الإمامي

بيته، وقراءة القرآن، فإنّ حملة القرآن في ظلّ الله يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه مع أنبيائه وأصفيائه<sup>(١)</sup>.

ثمّ من الأدب في تأديب الأولاد أن تعاملهم بلطف وحنان ومحبة وتشويق لا بالغلظة والقسوة والغضب، بل كما قال الإمام الكاظم عليه السلام :

٢٨ - قال بعضهم: شكوت إلى أبي الحسن موسى عليه السلام ابناً لي، فقال:

لا تضربه واهجره ولا تطل.

وفي رواياتنا إنّما الهجران والمشاركة من أجل التربية لا تزيد عن ثلاثة أيام، حتّى لو أردت هجران صديقك أو زوجتك أو أخيك إذا كان الهجران من عوامل التربية، وذلك لكي يتنبّه على الخطأ الذي صدر منه مثلاً، فلا يحقّ لك أن تزيد الهجرة عن ثلاث أيام، فإنّها تكون حينئذٍ لميل نفسك ورغبتك، لا لله سبحانه، ولا يتوخّى فيما زاد على الثلاث التربية الصالحة، بل ينعكس الأمر، ويزيد في الطين بلّة، كما نشاهد ذلك بالوجدان.

فمن أراد أن يؤدّب ولده بالهجرة فلا يطيلها، كما لا يضربه إلاّ للصلاة وذلك لا يزيد عن الثلاث أيضاً كما ورد في الخبر، فتدبّر فإنّ كثيراً من الآباء والأمّهات إنّما يضربون أولادهم تشقيماً ولاخمداد نار غضبهم وحسّ انتقامهم، فيوجعون في الضرب ويؤلمون في العتاب والتنبيه حتّى الطفل، محتجّين بأنّهم يسعون بذلك تربيته، إنّما ذلك كذب وافتراء، وما يخدعون إلاّ أنفسهم.

٢٩ - وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن الأدب عند الغضب، وقال أمير المؤمنين

(١) البخاري ٤ : ١٨١٩ / ٤٥٤١، والترمذي ٥ : ٣٧٧، وابن حنبل ١ : ٦١٤، وإحقيق الحقّ

علي عليه السلام : لا أدب مع غضب .

٣٠ - وقال عليه السلام : أحسن لممالكك الأدب ، واقلل الغضب ، ولا تكثر العطب - أي العتاب - في غير ذنب ، فإذا استحق أحد منك ذنباً ، فإنّ العفو مع العدل أشدّ من الضرب لمن كان له عقل .

٣١ - وقال عليه السلام : لا تكثرنّ العتاب فإنّه يورث الضغينة ، ويدعو إلى البغضاء <sup>(١)</sup> .

وهذا يدلّ على أنّ عملية التشويق أفضل من التقرّيع والعتاب .

٣٢ - قال عليه السلام : استصلاح الأخيار بإكرامهم ، والأشرار بتأديبهم .

٣٣ - وقال عليه السلام : أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم يغفر لكم ... <sup>(٢)</sup> .

ومن الإكرام أن تفي بما وعدته ما دام لم يكن فيه خلاف الشرع المقدّس :

٣٤ - عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أحبّوا الصبيان

وارحموهم ، وإذا وعدتوهم شيئاً ففوا لهم ، فإنّهم لا يرون إلّا أنّكم ترزقونهم <sup>(٣)</sup> .

٣٥ - عن الصيداوي قال : قال لي أبو الحسن موسى عليه السلام : إذا وعدتم

الصبيان ففوا لهم ، فإنّهم يرون أنّكم الذين ترزقونهم ، إنّ الله عزّ وجلّ ليس يغضب

لشيء كغضبه للنساء والصبيان .

ومن الإكرام : المساواة ورعاية العدالة بين الأولاد .

عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام : إنّ رسول الله أبصر رجلاً له ولدين قبّل

(١) الروايات من ميزان الحكمة ١ : ٧٦ .

(٢) المستدرک ٢ : ٦٢٦ ، الباب ٦٣ ، ومراة الكمال : ٢٩ .

(٣) مراة الكمال : ٢٧ .

١٤ ..... قيس من أدب الأولاد على ضوء المذهب الإمامي

أحدهما وترك الآخر، فقال له رسول الله ﷺ : فهلاً واسيت بينهما<sup>(١)</sup>.  
وخلاصة الكلام : لا بدّ من إكرام الأولاد بكلّ مصاديق الكرم والكرامة  
والإكرام، إلّا أنّه في مقام التربية والتأديب ربما يستلزم الأمر التنبيه والإيلام.  
فيلزم أن يعطى كلّ واحد ما يستحقّه وما ينفعه في مقام التأديب، فإنّ  
تأديب الأخيار بالإكرام، والأشرار بالإيلام.

٣٦- في عهد أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الأشتر يقول : لا يكوننّ المحسن  
والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإنّ في ذلك تزهيد لأهل الإحسان في الإحسان  
وتدريب لأهل الإساءة، فالزم كلّاً منهم ما ألزم نفسه أدباً منك.

وهذا معنى عامّ في عالم التربية والتعليم والتأديب، فالأب لا بدّ أن يعرف  
روحيات أولاده، ويداوي كلّ واحد بما ينفعه من الدواء، فبعض الأولاد حباهم  
الله سبحانه بأذهان حرّة فتكفيهم الإشارة.

٣٧- يقول أمير المؤمنين عليه السلام : إنّ العاقل يتّعظ بالأدب، والبهايم لا تتّعظ  
إلّا بالضرب.

٣٨- وقال عليه السلام : لا تكوننّ ممّن لا تنفعه العظة إلّا إذا بلغت في إيلامه، فإنّ  
العاقل يتّعظ بالآداب، والبهايم لا تتّعظ إلّا بالضرب.

٣٩- وقال عليه السلام : إذا لوّحت للعاقل فقد أوجعته عتاباً، عقوبة العقلاء  
التلويح - أي الإشارة - وعقوبة الجهال التصريح، التعريض للعاقل أشدّ من عتابه،  
ازجر المسيء بثواب المحسن.

فإذا أحسن واحد من أولادك فأكرمه، فإنّ إكرامك إيّاه يكون زجراً وردعاً

(١) الجعفریات : ١٨٩، باب في المعروف.

للمسيء منهم.

٤٠ - قال عليه السلام : أصلح المسيء بحسن فعالك، ودلّ على الخير بجميل مقالك.

٤١ - وقال عليه السلام : عاتب أخاك بالإحسان إليه، واردد شرّه بالإنعام عليه<sup>(١)</sup>.  
فهذه أصول تنفع كل من يتخذها وسيلة في مقام التأديب، سواء الولد أو التلميذ أو العامل أو الجندي أو الموظف أو أي شخص كان.

ثم من لم يؤدبه الأبوان أدبه الزمان، فإنّه يرى من المصائب والعبر والمشاكل في حياته توجب عبرته وتأدبه، كما أنّ الله يؤدّب عباده.

٤٢ - قال أمير المؤمنين عليه السلام : إنّ البلاء للظالم أدب، وللؤمن امتحان، وللأنبياء درجة، وللأولياء كرامة.

٤٣ - والإمام الحسن عليه السلام في مناجاته يقول : اللهم لا تستدرجني بالإحسان، ولا تؤدّبني بالبلاء.

٤٤ - والإمام العسكري عليه السلام يقول : ربما كان الغير نوع من أدب الله.

٤٥ - وزين العابدين في مناجاته يدعو ربّه : إلهي لا تؤدّبني بعقوبتك، ولا تمكّر بي في حيلتك<sup>(٢)</sup>.

فالأدب شيء جميل، وإنّ الله جميل ويحبّ الجمال، فلا ريب أنّه يحبّ الأدب ويدعو إليه، فهو المؤدّب الأوّل، قد بعث الأنبياء وأرسل الرسل وأنزل الكتب ليؤدّبوا الناس بالآداب الإلهية، ويعدونهم إلى الصراط المستقيم، وليقيموا

(١) المصدر : ٧٩.

(٢) المصدر : ٧٩.



١٦ ..... قبس من أدب الأولاد على ضوء المذهب الإمامي

بالقسط والعدالة الاجتماعية.

فأولى الناس بالله ورسله أولاً هو أنا وأنت لقوله تعالى :

﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ .

ثم الأهل والأولاد :

﴿ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ (١).

فتعالوا لنؤدب أنفسنا وأهلينا وأولادنا بآداب الله - كما في القرآن الكريم -  
وآداب الرسول الأكرم محمد ﷺ - كما في سننه الشريفة - وبآداب الأئمة الأطهار  
من أهل البيت عليهم السلام - كما في أحاديثهم الشريفة وسيرتهم المقدسة - ثم نقتدي  
بهدي وآداب وعلم العلماء الصالحاء فإنهم ورثة الأنبياء ، فنتبع الأمثل فالأمثل ،  
ومن صدق قوله فعله ، الذي يخشون الله ويخافونه :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (٢).

---

(١) التحريم : ٦ .

(٢) فاطر : ٢٨ .

## في رحاب دعاء الإمام السجّاد عليه السلام لولده

تعالوا أيّها المؤمنون لنستلهم الأدب والتأديب من مدرسة الإمام السجّاد عليه السلام على مجلس ومائدة (الصحيفة السجّادية)، ونروي الظمأ من منهل مولانا الإمام زين العابدين وسيّد الساجدين عليّ بن الحسين عليه السلام، فما أروع ما يقوله وهو يدعو لولده :

« اللهمّ ومُنَّ عليّ ببقاء ولدي ، وبإصلاحهم لي ، وبإمتاعي بهم »

وهذا يعني تأثير الدعاء في تربية الأولاد وتأديبهم .

﴿ قُلْ مَا يَعْجَبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾ (١)

فإنّ الدعاء مخّ العبادة ومفتاح كلّ صلاح ، وإنّه القرآن الصاعد من العبد إلى ربّه ، كما أنّ كتاب الله هو القرآن النازل من الله إلى عباده ، وإنّه إمّا قرآن صامت لو أنزلناه على جبلٍ لرأيتَه خاشعاً متصدّعاً من خشية الله ، وإمّا قرآن ناطق وهو

١٨ ..... قبس من أدب الأولاد على ضوء المذهب الإمامي

المعصوم عليه السلام، أي النبي أو وصيه وخليفته بالحق، فهو شريك القرآن الكريم في هداية الناس وسعادتهم.

فالدعاء هو القرآن الصاعد، وإن الله يستجبه لو صعد إلى عرشه في السماء السابع لعلو مقامه، فهو العليّ الأعلى، فإنه في كلّ مكان، وداخل في الأشياء لاكدخول شيء في شيء، كما أنه خارج عن الأشياء لاكخروج شيء عن الشيء، فهو الحيّ القيوم جلّ جلاله، فإنه يستجيب الدعاء إذ وعدنا بذلك، ولا يخلف وعده، إلا أنه لا بدّ من صعود الدعاء، وإليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، وإنما يكون الصعود بالإخلاص وبحسن السريرة وبرّ الوالدين، فالذي يستجبه الله هو الدعاء الصاعد ما دام لم يُحبس.

فقد ورد في دعاء (كميل) عن أمير المؤمنين عليه السلام :

«واغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء».

فمن الذنوب ما تحبس الدعاء، فكيف يستجاب؟ وقد ورد في الروايات

أنّ من الذنوب الحابسة: خبث السريرة، وعقوق الوالدين.

والإمام السجّاد زين العباد عليه السلام يدعو الله في صلاح وإصلاح أولاده،

وهذا يعني بوضوح أنّ الإنسان بوحده لا يستطيع أن يقوم بتأديب وتربية أولاده، بل لا بدّ من يد غيبية تعينه على ذلك.

فيسأل الإمام المعصوم ربّه عزّ وجلّ:

أولاً: أن يبقي ولده ويمدّ في أعمارهم، فيتمتّى الوالد طول الحياة لولده،

لأنّه امتداد لوجوده وعمره وذكوره، فإنّ من غرائزه حبّ البقاء، فتلبيةً لهذه الغريزة يحبّ بقاء الولد.

وثانياً :

« وبأصلاحهم لي »

فاجعلهم من أهل الإيمان والصلاح والإصلاح، حتّى يعبدونك شاكرين،  
ويسمعوا منّي غير عاصين، فأسعد بهم وبصلاحهم، فإنّ من سعادة المرء الولد  
الصالح يستغفر لأبيه.

وثالثاً :

« وبإمتاعي بهم »

فأتمتع وأتقوى بهم في حياتي، ولا سيّما في شيخوختي، ويخدموني في  
ضعفي ومرضي وسقمي وعجزي.

ثمّ يسأل عليه السلام مرّة أخرى ليدلّ على أهميّة هذا الدعاء والطلب :

« إلهي أمدد لي في أعمارهم وزد لي في آجالهم »

فلا تقبضهم قبل الأجل المحتّم، فاحفظهم من آجالهم المعلّقة، وأوصل  
قطار عمرهم بسلام، لا سيّما في محطات الموت، وهي الآجال المعلّقة، والدعاء  
يردّ القضاء المبرم، فأسأل الله أن يردّ ما قضاه على أولادي من أن يدركهم الموت  
في آجالهم المعلّقة، بل يصلوا بسلام وعافية إلى آخر محطة من حياتهم، وإلى  
الأجل المسمّى والأخير.

٢٠ ..... قبس من أدب الأولاد على ضوء المذهب الإمامي

ورابعاً :

« وربُّ لي صغيرهم »

فإنَّ الصغير يحتاج إلى التربية في جسده وروحه وعقله ، فأنت يا ربِّ تكفَّل تربيتهم في صغرهم ، فإنَّ التربية والتعليم في الصغر كالنقش في الحجر ، يبقى آثاره إلى الكبر وحتى الموت ، فأساعد بهم ، فمدِّني - يا الله - بالعون في فضلك على تربيتهم تربيةً سالحة نافعة في الدنيا والآخرة .

وخامساً :

« وقوِّ لي ضعيفهم »

فإنَّ بعض أولادي ضعفاء في العقيدة وفي الروحانيات والمعنويات وفي الجسد ، فأسألك يا ربِّ أن تقوِّهم وترفع ضعفهم ، بل تبدِّلها بالقوَّة والنشاط والسلامة والعافية ، فيكونوا بالكامل أصحاب أقياء ، وأبرار أتقياء ، فلا يحقُّ للوالد أن يهمل شأن أولاده بالمرَّة ، ويترك تديبرهم لله ، بل معناه أن يأخذ للأمر استعداداً وأهبتاً من أجلهم ، ويكافح بلا ملل ولا تعب ، ويسعى بين الصفا والمروة في تربيتهم ، كما سعت هاجر بين الصفا والمروة من أجل ولدها إسماعيل عليه السلام .

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> .

فلا بدَّ من العمل ، ولا يصحَّ الاتكال على الله بمجردة ، بل كما ورد : « منك

في رحاب دعاء الإمام السجّاد عليه السلام لولده ..... ٢١

الحركة ومن الله البركة»، وعن الرسول ﷺ: «أعقلها وتوكل»، وإن الله أمرنا بالتوكل عليه في العمل لافي البطالة والكسل، فترية الأولاد - بل وكلّ تربية - إنما هي من صنع الإنسان، ولها أسس وقواعد ونظام خاصّ تماماً كأبيّ صناعة وفنّ وعلم آخر، والعبء إنّما يسأل ربّه أن يمهد له مقدّمات العمل، والسبيل إلى التنفيذ والقيام بما فرضه عليه من تربية الأولاد والعناية بهم والكدر من أجلهم.

وسادساً:

«وأصحّ لي أبدانهم وأديانهم وأخلاقهم»

فإنّ من أعظم النعم الإلهية الصّحة، وإنّها مجهولة القدر، فأسأل الله ربّي أن يصحّ أبدان أولادي كما يصحّ عقائدهم وأديانهم وما يدينونه من الإيمان بالمبدأ والمعاد وما بينهما، كما يصحّ أخلاقهم، فيزيل عنهم الصفات الرذيلة ويحلّهم بالأخلاق الفاضلة والسجايا الحميدة، ويحلّهم في مكارم أخلاقهم وفضائلها.

وسابعاً:

«وعافهم في أنفسهم وفي جوارحهم وفي كلّ ما عنيت به من أمرهم»

ومن أعظم النعم وآلاء الله العافية، عافية الدين والدنيا والآخرة، فأسأل الله لأولادي العافية في أنفسهم ثمّ في جوارحهم وجوانحهم - وهي الأعضاء الباطنية أو ما وراء الأعضاء الجوارحية - بل أسأل الله العافية في كلّ ما عنيت به من أمر أولادي، فهناك واجبات وحقوق بالنسبة إليهم وإنّ الله قصدني وعناني بهذه الحقوق، فأسأله أن يعافيني في كلّ ما عنيت بكلّ ما عنيت من أمر أولادي.

وثامناً :

« وأدرر لي وعلى يديّ أرزاقهم »

الرازق ذو القوة المتين هو الله جلّ جلاله، إلا أنه في إيصال الرزق جعل وسائله وأسباباً ووسائل، ومن خدمة الله في إيصال الرزق هو الوالد، فيسأل الأب من ربه أن يكون رزق أولاده على يده داراً وكثيراً، حلالاً وطيباً ووسيعاً، فيدرّ الرزق كما يدرّ اللبن من ثدي الأمّ بحلاوة وهناء وعافية، فأدرر على يديّ أرزاق أولادي ما داموا صغاراً وأطفالاً، وحتى إذا بلغوا أشدهم وسعوا في الأرض وأكلوا من كدّ يمينهم وعرق جبينهم. وينبغي للإنسان أن لا يترك عياله وأسرته، بل يجب عليه نفقتهم وإعالتهم من المأكل والمشرب والملبس والمسكن والرفاه المتناسب مع شأنهم وحالهم، ويحترز من أن يتركهم أيتاماً بلا مال ولا كفيل ولا وصي. « إن تذر ورثتك أغنياء خيرٌ من أن تذرهم عالةً يتكفون الناس ». ومن الجهل بالله وبدينه وسننه أن يترك العلاج للشفاء والسعي للرزق بزعم أن الله قد تكفل ذلك بمجرد أن يتوكّل عليه، فإنه سبحانه هو الذي يشفي المريض ويرزق العباد، وهذا ما لا ريب فيه، إلا أنه أيضاً أمرنا بالعمل والسعي والعلاج، وليس للإنسان إلا ما سعى، فأسأل الله أن يجعل رزق أولادي على يدي داراً كما يدرّ اللبن، وينزل بهناء وعافية بنشاط ودؤوب وعمل متواصل. وتأسعاً :

« واجعلهم أبراراً أتقياء بصراء سامعين مطيعين لك »

« ولأوليائك محبتين مناصحين ولجميع أعدائك معاندين ومبغضين . آمين »

فإن المقصود من الأدب والتربية أن يكون الولد من الأبرار الأخيار ومن

الأنقياء، ذي بصيرة نافذة، إذا مسّه طائف من الشيطان تذكر فإذا به يبصر ويتقي الله في الخلوات والجلوات، وليس على سمعه وبصره غشاوة الغفلة والذنوب، بل يسمع الحقّ وكلماته، ويطيع أوامر الله ونواهيه، ثمّ يأخذ بما جاء من أولياء الله، فإنّهم أولي الأمر ولا بدّ من إطاعتهم وحبّهم وقبول نصيحتهم.

كما لا بدّ من الولاء والبراء، فإنّ التولّي والتبرّي من فروع الدين، وهل الدين إلّا الحبّ والبغض، فأسأل الله سبحانه أن يكون أولادي من أهل الولاية لله ولرسوله وأهل بيته أولياء الله عليهم السلام، كما يكونوا أعداء لأعداء الله ويبغضونهم ويتبرّون منهم قولاً وعملاً، باللعن عليهم وخصمهم ومحاربتهم، وهذا يعني تعليم وتربية الأولاد على الولاء والبراء، فإنّهما جناحان يطير بهما الإنسان حتّى يحلّق في سماء المكارم، فلا بدّ من الرفض والإثبات كما في كلمة التوحيد «لا إله إلّا الله»، فالموحّد من يوالي ربّه وما أمر الله بموالاته، ويعادي أعداء الله وأعداء رسوله وأعداء أوليائه.

وعاشراً:

«اللهمّ اشدد بهم عضدي، وأقم بهم أودي»

«وكثّر بهم عددي، وزيّن بهم محضري، وأحيي بهم ذكري»

«واكفني بهم في غيبتي، وأعني بهم على حاجتي»

هذه من أهداف رغبة الإنسان في اتّخاذ الأولاد وطلبهم وحبّهم، وهي نتائج الدعاء الأوّل، فإنّ الولد الصالح تتمثّل أهداف الأب فيه، وهذا يعني أنّ الولد عليه أن يراعي هذه الأمور أيضاً بأن يشدّ عضد أبيه، والعضد هو الساعد، وهو من المرفق إلى الكتف، والمراد به هنا القوّة والمساعدة فهو من الكناية والمجاز. قال



٢٤ ..... قيس من أدب الأولاد على ضوء المذهب الإمامي

سبحانه: ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾<sup>(١)</sup>: أي يساعدك ويعينك في الحياة وفي مسؤولياتك، فأسال الله أن يشدّ بأولادي عضدي، أي يساعدونني على مشاكل الحياة وصعوباتها وتحمل مرارتها ومشقاتها، و يقيم بهم أودي - والأود الثقل والحمل، قال عزّ من قائل: ﴿ وَلَا يَوَدُّهُ حِفْظُهُمَا ﴾<sup>(٢)</sup> أي يتقله حفظهما - فعلى الولد أن يكون حاملاً أثقّال الوالد، أي ما يتقل على أبيه من عمل أو حركة أو أيّ شيء آخر.

ثمّ المطلوب من الولد الصالح والفاهم أن يكثر عون الوالد، فيكون جنباً إلى جنبه، والوالد يطلب من ربّه أن يكثر بأولاده عدده، كما يزيّن بهم محضره، أي يكون الأولاد زينة الآباء والأمّهات، فيفتخرون بهم ويحسون باعتزازهم، بل الوالد يحبّ أن يذكر بعد موته بأفعال ولده الصالحة والطيبة، فإنّ الولد الصالح عندما يفعل خيراً وإحساناً وبرّاً في المجتمع يتذكّر الناس أبيه فيترحمون عليه، فيكون الولد بعمله الصالح وعلمه النافع وفنّه الجميل سبباً لأن يتذكّر الناس والده، فيبقى الوالد حيّاً في المجتمع وإن كان جسده تحت التراب، فهو حيّ بذكره بين الناس من خلال ولده، وهذا من سعادة الإنسان، كما أنّ من سعادته أن يشبهه ولده، فبالشبه أيضاً الناس يتذكّرون الوالد فيترحمون عليه و يترضّون عنه بقولهم: (رحم الله والده ورضي الله عنه) وما شابه ذلك.

ثمّ إذا غاب المرء فإنّه يحتاج إلى من يكفيه في غيبته في تمشية أموره وقضاء حوائجه، فمن أولى بذلك من أولادي، فإنهم قطعة كبدي وأقرب الناس

(١) القصص: ٣٥.

(٢) البقرة: ٢٥٥.

في رحاب دعاء الإمام السجّاد عليه السلام لولده ..... ٢٥

إليّ، فيطلب الوالد من ربّه أن يكفي بأولاده في غيبته، كما على الأولاد أن يدركوا ذلك ويعرفوا أنّ من وظائفهم كفاية الوالد في غيبته. وعلى الوالد أن يعلم ويربّي ولده أنّه كيف يكفيه في غيابه وسفره ويقوم مقامه في عمله وتجارته أو إدارته للبيت وما شابه ذلك.

ثمّ الوالد يحبّ ولده على كلّ حال، فإنّ محبّته له ذاتية، إذ الولد قطعة من وجوده وفرع من أصله، بل هو نفسه ولا عكس.

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام لولده الإمام الحسن المجتبي عليه السلام: «وجدتك بعضي، بل وجدتك كلّي، حتّى لو أنّ شيئاً أصابك أصابني».

ولكنّ الولد كثيراً ما يحبّ الوالد لمصلحته، وسرعان ما ينساه، ويغفله ويهجره ويجعله في (دار العجزة) ليتخلّص منه، إذ يراه مزاحماً له أو لزوجته، فالوالد يطلب من الله أن يحبّه أولاده.

الحادي عشر:

«واجعلهم لي محبّين، وعليّ حدييين مقبلين مستقيمين»

«لي مطيعين غير عاصين ولا عاقّين ولا مخالفين ولا خاطئين»

فالمفروض من الأولاد أن يحبّوا آباءهم وأمهاتهم ويشفقوا عليهم (حدييين) - أي مشفقين - ويقبلوا عليهم وعلى الصراط مستقيمين بلا اعوجاج ولا انحراف عنهم، مطيعين لحوائجهم ورغباتهم وأوامرهم من دون معصيتهم ما داموا لم يطلبوا معصية الله ولم يأمروا بالشرك بالله، أمّا ما دون الشرك وما دون الذنوب، فعلى الأولاد إطاعة الآباء والأمّهات مطلقاً، وأن يقولوا لهما قولاً كريماً،

٢٦ ..... قيس من أدب الأولاد على ضوء المذهب الإمامي  
وينظروا إليهم بنظرةٍ رحيمة.

والولد إمّا نعيم ليس كمثلهِ إلاّ الجنّة، بل هو من الجنّة، وإمّا جحيمٌ دونه  
عذاب الحريق ونار جهنّم، والويل والثبور لمن ابتلاه الله بولد عاقٍ وامرأةٍ سوء،  
فإنّ من سعادة المرء الزوجة الصالحة والولد الصالح، ومن شقاء المرء الزوجة  
السوء والولد العاق.

والوالد يدعو الله ويناشده في أنّ يمده ويسعده بأولاد يحبّهم ويحبّونه،  
مطيعين له غير عاصين ولا عاقّين ولا مخالفين ولا خاطئين، بل زينٌ له في  
محضره وحضوره وكفايةٌ له في غيابه وغيبته.

وفي الخبر الشريف: إنّ الله سبحانه رفع العذاب عن رجل أدرك له ولد  
صالح، فأصلح طريقاً وآوى يتيماً.

قال رسول الله ﷺ: سبعة أشياء يكتب للعبد ثوابها بعد وفاته: منها: وخلف  
ولداً صالحاً يستغفر له بعد وفاته.

وعن الإمام الكاظم عليه السلام: ثمانية أشياء من كُنّ فيه أدخله الله تعالى الجنّة  
ونشر عليه الرحمة، منها: وأحسن تربية ولده.

وقال رسول الله ﷺ: رحم الله ولداً أعان ولده على برّه.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: ليس يتبع الرجل بعد موته إلى يوم القيامة من  
الأجر إلاّ ثلاث خصال، منها: ولد صالح يستغفر له.

وفي هذا الباب روايات كثيرة لم نطرق بابها طلباً للاختصار<sup>(١)</sup>.

(١) الأثر الخالد في الولد والوالد (الطبعة الأولى ١٤١١): ٦٦.

الثاني عشر :

« وأعني على تربيتهم وتأديبهم وبرّهم »

وهذا هو بيت القصيد، فإنّ المطلوب من الوالد أن يحسن تربية أولاده وتأديبهم وبرّهم بأن يكون من الأبرار الأخيار الأتقياء الصلحاء، إلّا أنّه ربما يعجز المرء عن ذلك، بل لا بدّ من أن يشفع عمله بإمداد غيبي، وينزل الرحمة الإلهية والعون الربّاني بالدعاء، فيسأل الله أن يعينه على تربية الأولاد، وإذا كان الإمام السجّاد عليه السلام يطلب من ربّه العون والمساعدة وأن يعينه على تربية أولاده، فماذا نقول نحن؟ وكيف لا ندعو ونطلب بإلحاح من الله سبحانه أن يعيننا على تربية أولادنا - ذكوراً وإناثاً - وتأديبهم وبرّهم، والدعاء هو مفتاح كلّ صلاح وباب كلّ فلاح، وإنّه سلاح الأنبياء والأولياء.

الثالث عشر :

« وأعدني وذريتي من الشيطان الرجيم »

فإنّ الشرور كلّها بوسوسة من الشيطان والنفس الأمّارة بالسوء، ولا بدّ للإنسان أن يستعيذ برّبّه من شرّ الشيطان الرجيم الذي رجمه الله وأخرجه من جنّته بعد أن فسق عن أمر ربّه وخالفه واستكبر عن السجود لآدم عليه السلام. فالعبد الصالح يطلب من ربّه ويستعيذ به كما يعيذ ذريته ومن خرج من صلبه إلى يوم القيامة جيلاً بعد جيل من الشيطان الرجيم ومن حزبه وأعوانه من الجنّ والإنس ومن وساوسه وإلقاءاته ووحيه.

﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَكَاوُنَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ ﴾ (١)

ثم الإمام السجّاد عليه السلام يصف الشيطان وما يفعله في الإنسان إلا أنه في البداية يذكر خلقه الإنسان والهدف من الحياة قائلاً: (فإنك خلقتنا وأمرتنا ونهيتنا، فالغرض من خلقتنا سعادتنا والكمال والتكامل بإطاعة ما أمرتنا والانتها عما نهيتنا عنه، ثم رغبنا في ثواب ما أمرتنا بما جاء في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة من نعيم الجنان وما فيها من الحور العين وما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وما لم يخطر على قلب بشر كما خوفنا عن مخالفة أمرك ورهبنا عقابه فسبجانه خلق الإنسان ومنحه العقل والقدرة والحرية، وبهذه العناصر الثلاثة مجتمعة يستحق الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية، ثم جعلت لنا عدوًّا - وهو الشيطان فإنه عدو لكم - يكيدنا، سلطته منا على ما لم تسلطنا عليه منه - فإنه يرانا ولا نراه - أسكته صدورنا - الذي يوسوس في صدور الناس - وأجريته مجاري دماءنا وكأنما يسري في عروقنا مع دماننا كما فعل بأبينا آدم عليه السلام عندما خلقته من ماء وتراب - لا يغفل الشيطان إن غفلنا ولا ينسى إن نسينا، فهو دائماً لنا بالمرصاد، ويكفي أن نغفل عن لحظة واحدة وإذا به يلقي شبائك ومصائد ليصيدنا ويسرق قلوبنا التي كانت عرشك وحرملك فيوسوس إلينا، يؤمنا عقابك - أي يضمني الأمن والأمان من غضبك وعذابك - ويخوفنا بغيرك، حتى يتمهد له الطريق أن يستحوذنا ويتسلط علينا فيغويننا حتى نختار معصيتك على طاعتك، والعياذ بالله، إن هممنا بفاحشة شجعنا عليها، وإن هممنا بعمل صالح تبطننا عنه، ولمثل هذا يقال: النية الأولى من العبد إنما هي من الله، والثانية من

الشیطان، فإنّك عندما تسمع من يطلب المساعدة فتهمّ أن تساعد بإعطائك إياه مائة دينار - مثلاً - فإذا لم تعطيه في اللحظة والنّية الأولى، فإنّ المائة بعد برهة قصيرة - كنصف ساعة مثلاً - تصير خمسين ديناراً، ثمّ الخمسين تصير عشرة دنانير، ثمّ ديناراً، ثمّ بعد هذا تقول: لماذا أصرف المال على هذا الفقير، وحتّى يصل الأمر أن تتهمه وتسيء الظنّ به، بأنّه ربما يكذب في مقولته. وهذا من وساوس الشیطان، فإنّه منعك من مائة دينار وأوصلك إلى المعصية والفحشاء وإساءة الظنّ).

ثمّ يتعرّض لنا بالشهوات وينصب لنا بالشبهات - فإنّ الشبهة طعام إبليس وإنّ شرابه الشكّ - فينصب شبائكه بإلقاء الشبهات بأن يلبس الحقّ بالباطل والباطل بالحقّ في العقائد والأخلاق، ويعدنا بشيء إلّا أن يكذب في وعده - إن وعدنا كذبنا وإنّ ماننا أخلفنا - ﴿ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾<sup>(١)</sup>، فياربّ العالمين نحن عبادك الضعفاء، وإلّا تصرف عنّا كيده ومكره وحيله وحزبه وأعدائه وشروبه فإنّه يضلّنا وإلّا تقنّا خباله وفساده وحبائله وشبائكه فإنّه يستزلّنا ويوقعنا بالزلل والخطايا، فنصاب بزلة الأقدام ونحرف عن الصراط المستقيم.

اللهمّ فاقهر - يا قهّار - سلطانه عنّا بسلطانك، فإنّه أقسم بعزّتك أن يتسلّط علينا، إلّا أنّك أخبرته أنّه لا سلطان له على عبادك المقرّبين فنسألك أن نكون من أولئك الذين لا سلطان للشیطان عليهم ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾<sup>(٢)</sup>،

(١) النساء: ١٢٠.

(٢) سبأ: ١٣.

٣٠ ..... قبس من أدب الأولاد على ضوء المذهب الإمامي

﴿ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴾ ، اللهم فاقهر سلطانه عتًا بسلطانك حتّى تحبسه عتًا بكثرة الدعاء لك ، فإنّ الدعاء وكثرته قيود وسلاسل بيد الشيطان ورجله ، فنصبح من كيده من المعصومين بك ، فنعصم بعصمة الله ، ومن عصم بعصمته كان من المفلحين الناجين المنجحين الطائعين الحامدين المستغفرين .

فدعوناك بالبحاح وتوسلنا بك بإكثار وواعدتنا الإجابة ، فاسجب دعاءنا وقرّبنا إليك .

اللهم اعطني كلّ سؤلي ومطلوبي وهو قضاء حوائجي جميعاً في الدنيا والآخرة . قد أنزلتها بك دون سواك وأنت خير منزل به ، فهي في ساحة جودك وكرمك ، واقض لي حوائجي ولا تمنعني الإجابة وقد ضمنتها لي ، ولا تحجب دعائي عنك وقد أمرتني به ، وامن عليّ بكلّ ما يصلحني في دنياي وأخراي ما ذكرت منه كالأولاد الصالحين والإعانة على تربيتهم وتأديبهم ، وما نسيت أو أظهرت أو أخفيت أو أعلنت أو أسررت ، وهذا غاية همّة المؤمن وهمّه ، فهو الصلاح والإصلاح وعمل الخير في الدنيا والنجاة والخلص في الآخرة .

واجعلني في جميع ذلك من المصلحين بسؤالي إياك المنجحين الناجحين بالطلب إليك ، فأسترشدك بدعائي بكلّ ما فيه صلاح في الدنيا وفوزي في الآخرة ، غير الممنوعين بالتوكّل عليك ، فلا تمنعني من أن أتوكّل عليك فمن لي غيرك فأنت إلهي وربّي تسمع شكواي وتعلم ما في نفسي وتخبر حاجتي ، وتقدر على كلّ شيء ، فاجعلني من غير الممنوعين بالتوكّل عليك ، المعوّدين بالتعوّذ بك ، أي دائماً أعوذ ثمّ أعوذ لأتعوّذ بك من الشيطان ووساوسه وأعدائه من الجنّ

في رحاب دعاء الإمام السجّاد عليه السلام لولده ..... ٣١

والإنس، وقد عوّدت الذين يتعوّذون بك ويلوذون أن لا تردّهم خائبين، الراحين في التجارة عليك، ومن أربح تجارةً ممّن يتاجر مع الله سبحانه، فمن عمل صالحاً خالصاً لوجه الله زاده الله من فضله، المجارين بعزّك، أي المحفوظين بعناية الله وحرصته بعينه التي لا تنام، الموسع عليهم الرزق الحلال من فضلك الواسع بجودك وكرمك، المعزّين من الذلّ بك، فمن أراد عزّاً بلا عشيرة وهيبةً بلا سلطان، فليخرج من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعته، وكم من أناس طلبوا العزّ بالنسب والمال والجاه والخداع والرياء فاتّضعوا وذلّوا؟! والمجارين من الظلم بعدلك، أي تجورنا وتحفظنا من ظلم الظالمين بعدلك، فأجرني بعدلك وقدرتك من كلّ ظالمٍ وباغٍ وحسود وماكر، والمعافين من البلاء برحمتك، والمغنين من الفقر بغناك، والمعصومين من الذنوب والزلل والخطأ بتقواك، إنّ الله يزكّي الأنفس، والموقّنين للخير والرشد والصواب بطاعتك، فمن أطاع الله وقّعه الله للخير والرشد والصواب في أقواله وأفعاله الفرديّة والاجتماعيّة، الاقتصادية والسياسية والثقافية وغيرها، والمؤمن يحتاج إلى ثلاث خصال: توفيق من الله وقبول ممّن ينصحه وواعظ من نفسه فبوعظ داخلي وخارجي يترك الذنب ويحال بينه وبين المعاصي بقدره الله، والمُحال بينهم وبين الذنوب بقدرتك، التاركين لكلّ معصيتك، الساكنين في جوارك، في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر، أحياء عند ربّهم يرزقون، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

ثمّ الإمام عليه السلام لا يسأل لنفسه وحسب بل يسأل لكلّ المسلمين والمؤمنين والمؤمنات، وهذا يعني كما تحبّ لنفسك حبّاً لأخيك، فقال عليه السلام: «اللهم اعطنا جميع ذلك فتوفيقك ورحمتك وأعدنا من عذاب السعير، واعطِ جميع المسلمين والمؤمنين والمؤمنات مثل الذي سألتك لنفسي ولولدي في



٣٢ ..... قبس من أدب الأولاد على ضوء المذهب الإمامي

عاجل الدنيا وآجل الآخرة».

فقوله عليه السلام: «أعطنا جميع ذلك» إشارة إلى كل ما تقدّم من صحّة الأبدان والأديان، إلى وفرة الأرزاق والسكنى في جوار الرحمن. فسأل لنفسه ولذويه وأهل التوحيد، والمسلمون والمؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعي له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

ربّنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار واحشرنا مع الأبرار، يا عزيز ويا غفار.

وما توفيقنا إلا بالله، عليه توكلنا وإليه المآب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

الليظة الانسانية  
في المفاهيم الاسلامية

السيد عادل العلوي

مكتبة الإمام الخميني



العلوي، السيد عادل، ١٩٥٥ -

اليقظة الإنسانية في المفاهيم الإسلامية / تأليف السيد عادل العلوي. - قم: المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد، ١٤٢٢ ق. = ١٣٨٠.

١٦ ص. - (موسوعة رسالات إسلامية)

ISBN 964 - 5915 - 18 - X (دوره) - ISBN 964 - 5915 - 62 - 7

فهرستونویسی بر اساس اطلاعات فیما.

عنوان دیگر: رسالة اليقظة الإنسانية في المفاهيم الإسلامية.

عربی.

کتابنامه به صورت زیرنویس.

١. اخلاق اسلامی. ٢. اخلاق اجتماعی. الف. عنوان. ب. عنوان: رسالة اليقظة الإنسانية في المفاهيم الإسلامية.

٢٩٧ / ٦٥

٧٨٤ / ٢٥٤ BP

کتابخانه ملی ایران

محل نگهداری

م ٢٢٨٦٨ - ٨٠

## موسوعة

## رسالات إسلامية

رسالة

اليقظة الإنسانية في المفاهيم الإسلامية  
تأليف - السيد عادل العلوي

نشر - المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد

إيران، قم، ص. ب ٣٦٣٤

الطبعة الأولى - ١٤٢٣ هجري قمري

التنضيد والإخراج الكمبيوترية - حكمت، قم

المطبعة - النهضة، قم

ISBN 964 - 5915 - 62 - 7

شابك ٧ - ٦٢ - ٥٩١٥ - ٩٦٤

EAN 9789645915627

ای.ای.ان. ٩٧٨٩٦٤٥٩١٥٦٢٧

964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

شابك X - ١٨ - ٥٩١٥ - ٩٦٤ (دورة ١٠٠ جلد)

## اليقظة الإنسانية<sup>(١)</sup> في المفاهيم الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا من المهتدين لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين.

قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(٢)</sup>.

إنّ الصراع المرير بين الحقّ والباطل كان ولا يزال منذ بدء الخلق، فإنّ آدم صفة الله تمثّل فيه الحقّ وتجلّى فيه أسماء الله وصفاته، كما أنّ الشيطان الرجيم تمثّل فيه الشرور والفساد، فكان الصراع بينهما من اليوم الأوّل وإلى يومنا هذا وغداً، وقد حلف بعزّة الله أن يغوي ذرية آدم ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾<sup>(٣)</sup> إلاّ عباد الله الذين أخلصوا لله، وإنّهم لقليلون ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾<sup>(٤)</sup>.

---

(١) مقدّمة لكتاب (المفاهيم الإسلامية في أصول الدين والأخلاق) بقلم المرحوم حجّة الإسلام السيّد عامر العلوي رحمه الله.

(٢) المائدة: ٣.

(٣) ص: ٨٢.

(٤) سبأ: ١٣.

٤ ..... اليقظة الإنسانية في المفاهيم الإسلامية

وكَلَّمَا سارت البشرية في طريقها الحالك، وتخبّطت في متاهة إبليس الرجيم ومدارسه الضالّة والمضلّة، برزت الحاجة ملحة للعودة في رحاب الله ودينه القويم الذي ختم بالرسالة الإسلامية السمحاء، ليرتوي من معينها الصافية، ونبعها الطاهر.

وتطلّع المخلصون إلى ثورة الفكر الإسلامي المحمّدي الأصيل، الذي يحارب من قبل أعداء الإنسانية ورسالات السماء لينحّي عن الحياة، أو يشوّه صورته ويحرّف كلماته بين جهل أنبائه ولجاجة أعداءه، إلا أنّ الإسلام يعلو ولا يعلو عليه، وسيبقى كالشمس المضيئة والدافئة لا تحجبها السحاب والغيوم، فلا يستغنى عن دورها الحيوي في بعث وانتشار الدفء والغذاء والنشاط إلى صميم البذور والجذور، كما بدا واضحاً أخيراً خلال الوعي الإسلامي العام والصحوّة الإسلامية المعاصرة، والتي عاد المسلمون فيها - بحمد الله - بعد طول غياب ومعاناة إلى حضيرة الإسلام ومناهل الثرة ومنابعه الفكرية الوضاء، يستجرون بها من لهيب الأفكار الملحدة والمادية المستوردة من الغرب والشرق، وإنهم يحتفّوا حول علماء الإسلام ويستمدّون بالمفكرين الإسلاميين والعلماء المخلصين أن يهبوا لإتقاذ البشرية الحيرانة والمعدّبة ليطرحوا لها مفاهيم إسلامية في أصول الدين وفروعه وأخلاقه ومثله العليا، فإنّها المخلّص الوحيد للبشرية من عناء الرخص وراء الفلسفات والنظم البشرية المنحرفة والتعيسة، ويأخذوا بيد هذا الإنسان المعذب إلى ما اختار الله له من الأحكام القويمة والقوانين الرصينة والأخلاق الطيبة والآداب الحسنة والسنن السليمة التي تتلائم مع فطرته الصادقة وعقله السليم في كلّ مجالات الحياة.

والبشرية اليوم تبحث عن المخلّص والمصلح والمنقذ لها، فكَلَّمَا أذن صاغية وتلهّف متواصل لتلقّي مفاهيم الإسلام من منابعه المعطاء، من القرآن

الكريم والسنة الشريفة المتجسدة بقول المعصوم وفعله وتقريره، فإنّه حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض، ما أن يتمسك به الإنسان إلا ويسعد في الدارين، ولن يضلّ أبداً.

أجل: لقد شهد القرن العشرون حروباً ضارية، وعراك مدمر، ذهب ضحيتها عشرات الملايين من القتلى والناس المشردين، الذين فقدوا أهلهم، ودمرت ديارهم، فبرزت الأزمات الروحية والانحطاط الأخلاقي والفساد الاجتماعي، والتي كانت سمة من سمات المجتمعات المعاصرة دفعت بسببها ثمناً باهضاً جرّاء تفشّي الروح العدوانية والقوة الدكتاتورية، وغياب الرحمة والتآلف بين الناس وبين الدول. وضعفت القيم والأخلاق الأسرية والاجتماعية، فكان إنسان القرن العشرين يفتقد إلى الأمان والطمأنينة والسكون والاستقرار النفسي، ويعاني من فقدان الهوية وضمور الانتماء الاجتماعي، وفي هذه الأمواج المادية الرأسمالية والاشتراكية كان للفكر الإسلامي والمفاهيم الدينية النازلة من السماء مساهمات كبيرة في معالجة قضايا الناس على الصعيدين الفردي والاجتماعي، فكان للإسلام الذي ارتضاه الله لنا ديناً قيماً لا اعوجاج ولا انحراف فيه الأثر البالغ في إدخال الطمأنينة إلى قلوب الناس وارتباطهم بالله تعالى وتعميق شعورهم الإيماني الذي يهبهم رؤية ثابتة وحياة مفعمة بالأمل كما كان للإسلام في صدره هذا الأثر البالغ على النفوس والمجتمعات.

وفي عصرنا الراهن إذ تقترب مجتمعات كثيرة في بلاد المسلمين من حمل مسؤولية تطبيق الإسلام وإشاعة مفاهيمه القيمة في شؤون الحياة ومجالات المعيشة، تلبية لرغبة عموم الناس والطبقات الشابة منهم على الخصوص، تبرز بالحاح ضرورة بحث مسائل الدين والدولة والمجتمع ومعالجة قضاياها وشؤونها المختلفة بما ينسجم والمفاهيم الإسلامية، وبما لا يعيق عيش المسلم لحياته في

٦ ..... اليقظة الإنسانية في المفاهيم الإسلامية

موازاة التطور العلمي والتكنولوجي ومتطلبات الحداثة المتبلورة بالأصالة اللازمة لتقدم الشعوب والمجتمعات.

### مصدر التشريع الإسلامي :

ولا يخفى أن مصدر التشريع الإسلامي ومنبع مفاهيم الإسلام هو الله سبحانه وتعالى العالم بما خلق، وإن إرادته تتجلى في كتابه الكريم والقرآن المجيد وفي السنة الشريفة، وإن استقراء آيات القرآن الكريم والسنة المطهرة التي تعني قول المعصوم - النبي والإمام - وفعله وتقريره، وما أنتجه الفقه الإسلامي من دراسات وقواعد ونصوص فقهية تسوقنا وتقودنا إلى حقيقة حضارية وإنسانية هامة، وهي أن الرسالة الإسلامية رسالة اجتماعية متطورة تواكب العصر في رؤيتها للحياة، فهي كما تنظر إلى الفرد في بعض المواقع كياناً مستقلاً وتقول بملكيته الفردية مثلاً، تنظر إليه جزءاً من الكل الاجتماعي أيضاً، وتتعامل معه ليس فرداً منفصلاً كجزيرة في بحر، بل جزءاً من مجتمع كبير له كيانه ومصالحة العامة والخاصة، وشخصيته المستقلة عن شخصيات الأفراد والمجموعات الاجتماعية الأخرى، وله حقوق كما عليه واجبات ومتطلبات.

فالرسالة الإسلامية اهتمت ببناء الفرد ليكون عضواً صالحاً للمجتمع، كما اهتمت ببناء المجتمع ليكون ظرفاً نظيفاً للفرد، ويتضح اهتمام الإسلام العظيم في البناء الاجتماعي في كل مجال من المجالات التي قام بتأسيسها وتنظيمها حتى العبادات والطوقس الدينية التي شرعها كالصلاة والصيام والحج والدعاء، فإن لها آثارها الإيجابية ونتائجها الاجتماعية والتربوية الفردية ذات الطابع الاجتماعي. فالإسلام بمفاهيمه المتعالية له أحكامه وقوانينه في العقيدة وفي المجالات التعددية الفردية والاجتماعية، وفي سلطة الدولة والحكومة، وحركية القيم

الأخلاقية والمثل العليا بشكل متساوق ومتكامل ومتماسك بعضه مع بعض .  
 فعنده العناصر الإنسانية والفكرية من العقيدة الواحدة السليمة الجامعة بين  
 أفراد المجتمع، فإن الفرد المسلم يشعر في مجتمعه الإسلامي بأن العلاقة بينه وبين  
 الآخرين هي علاقة الأخوة الإيمانية والمحبة الإنسانية، فالناس صنفان : إما أخ  
 لك في الدين أو نظير لك في الخلق .

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ  
 عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (١)

فالعلاقة والترابط بين المؤمنين علاقة الولاء والموودة، وإن مثلهم في  
 توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر  
 الجسد بالسهر والحمى .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ  
 لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (٢)

وبهذا الشكل الرائع يشكّل الإسلام المجتمع ويني صرحه على الإنسانية  
 المتعايشة والتي تهدف التقوى في الحياة .

ثمّ يتمسك المجتمع الإسلامي بالقانون المنظم لحقوق الأفراد وواجباتهم  
 وسلوكهم ونشاطاتهم الفردية والاجتماعية، فإن القانون في نظر الإسلام هو  
 العنصر الفعّال بعد العقيدة في تنظيم المجتمع وتماسكه، ويحوي الفقه الإسلامي  
 بعد العقائد السليمة على ثروة تشريعية ضخمة تمدّ المجتمع بما يحتاجه من قوانين  
 وآداب تنظّم سلوك الأفراد وعلاقاتهم المختلفة، وتنظّم ما لهم من حقوق

(١) التوبة : ٧١ .

(٢) الحجرات : ١٣ .



٨ ..... اليقظة الإنسانية في المفاهيم الإسلامية

وما عليهم من واجبات، وما يرتبط بالسلطة والأسرة والأمن والقضاء وشؤون المال والمؤسسات والعلاقات الدولية والداخلية. ويشهد لذلك الآلاف من النصوص الفقهية والمئات من القواعد الفقهية والأصولية بالإضافة إلى ما هو مستودع في مصادر التشريع من الكتاب والسنة.

ومن هذا المنطلق والحجة تثبت القاعدة القائلة: (ما من واقعة إلا والله حكم فيها)، وقد اصطادوا هذه القاعدة من قول الإمام الصادق عليه السلام: «ما من شيء إلا وفيه كتاب أو سنة»<sup>(١)</sup>.

فالعقيدة والقانون ركنان أساسيان في الإسلام، وكذلك الركن الثالث وهو الأخلاق الحسنة النابعة من الكتاب الكريم والسنة الشريفة، فإن البناء الإنساني في الإسلام يقوم على أساس الأخلاق، كما يوضح الرسول الكريم أهمية العنصر الأخلاقي في بناء الحياة والشخصية وبيان فلسفة بعثته المباركة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

ولا يخفى أن أمهات العلوم الإسلامية - كما ورد في الحديث النبوي الشريف: إنما العلم ثلاث: آية محكمة وفريضة عادلة وسنة قائمة - إنما هي: علم الكلام (العقائد)، وعلم الفقه وعلم الأخلاق، وهذه العلوم هي منطلقات تكون المجتمع الإسلامي (حكومةً وشعباً) بما فيه من السلطات: القانونية والتنفيذية والقضائية، والتي يطلق على الجميع في تعقلها النظري بالمفاهيم الإسلامية.

دور الأخلاق الحسنة في حياة المسلم :

الإسلام دين المحاسن والأخلاق الطيبة، فإن الأخلاق الفاضلة تشكل

الركن الأساس في بناء الشخصية الإسلامية وتنظيم المجتمع، وهي مصدر سعادة الإنسان واستقامة شخصيته وبناء الإنسان السويّ السلوك والنزعة. لذا كانت التربية الأخلاقية من أهمّ عناصر التربية الإنسانية التي اعتنى بها الإسلام وأكد الاهتمام بها.

ونستطيع أن نعرف قيمة الأخلاق في الإسلام من ثناء الله على نبيّه الكريم ﷺ عندما وصفه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>. وكان خلقه القرآن الكريم، فهو القرآن الناطق.

ومن قوله ﷺ: «إِنَّ أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا».

وكما يقترن كمال الإيمان والسعادة النفسية في عالم الدنيا بحسن الخلق تقترن المعاناة النفسية وعذاب الضمير بسوء الخلق أيضاً. لذا يحذّر رسول الله ﷺ بقوله: «من ساء خلقه فقد عذب نفسه».

إنّ هذا الحديث الشريف يشرح لنا العلاقة بين التكوين الداخلي للإنسان وبين السعادة والشقاء اللذين يحيطان بالإنسان، فالشخص الأحمق سريع الغضب والحسود والحقود والأناني والساخط يعاني من مرارة هذا السلوك ومردوداته، ويضرب نفسه أكثر من غيره، وبهذا يُحوّل حياته إلى شقاء وعذاب نفسي وقلق دائم وحياة مضطربة.

من ذلك نعرف أنّ قيمة الشخصية في الإسلام وسرّ السعادة في الحياة مرتبطان بمستوى ما يتمتع به الإنسان من أخلاق سامية ونزعات نفسية سوية وصالحة، والتربية الأخلاقية تعنى ببناء المحتوى الداخلي والخارجي للإنسان على أساس الفضيلة والقيم الإنسانية من الصدق والرحمة والعدل والأمانة والمحبة

١٠ ..... اليقظة الإنسانية في المفاهيم الإسلامية

والإيثار والثقة بالنفس والجدّ في العمل... لتكوين الملكات الخيرة والنزعات الإنسانية الفاضلة التي توجّه سلوكه نحو الخير والاستقامة وتتفاعل مع قيم الحقّ والفضيلة.

وهنا ولكي يتّضح الأمر أكثر فأكثر، نتحدّث عن جانبين :

الجانب الأول : أن البيئة الاجتماعية والعلاقات الإنسانية المختلفة والتفاعل والتعامل الإنساني القائم بين الأفراد والأجواء التي تحتضن الشخص وتؤثر على أدوار نموّه وتكامله الأخلاقي والعقائدي والفكري والعرفي، تتلخّص بالمجالات التالية :

المستوى الأول - الأسرة : تعتبر الأسرة هي المحيط الأوّل الذي يحتضن الشخص حيث ينمو ويتعرّع في أوساطها ويتأثر بأخلاقها ويكتسب نبذة من عقائدها وأفكارها. ولهذا ورد في الحديث الشريف : كلّ مولود يولد على الفطرة حتّى والديه يهودانه أو ينصرانه أو يمجّسانه.

وبهذا يكتسب كذلك صفاته وعاداته وتقاليده سواء كان ذلك بالقُدوة أو الخبرة. والسلوك العملي الذي يعامل به أو بما يسمعه أو يشاهده أو يستوحيه من ظروف أسرته... فللعائلة وبصورة خاصّة السلوك الأبوي الأثر الكبير في صنع مستقبل الفرد ومكانته، فالعائلة إذا كانت طيبة النفس مؤمنة الأخلاق صحيحة وسليمة العقائد تزرع روح الثقة بنفسه، وتعدّه لأن يكون إنساناً ذا شخصية قوية يملك روح العزيمة وتتجّرف في نفسه ينابيع العبقريّة والخير والإحسان.

المستوى الثاني - المجتمع : يعتبر المجتمع هو المحيط الثاني للفرد حيث يحتضنه بعد أبويه وأسرته، ويشيع في روحه وينقل إليه عاداته ومفاهيمه وسلوكه وعقائده وأخلاقه.

المجتمع هو ملتقى ما يعمله وينتجه الأفراد المعاصرون من أفكار وعادات

وتقاليد وأخلاق.

والفرد المسلم في المجتمع الإسلامي يجد البيئة الصالحة لنموه ونشأته واستقامة شخصيته فيقوم بتوفير الأجواء اللازمة لنمو الشخصية الإسلامية اجتماعياً.

المستوى الثالث - المدرسة : والمدرسة تعتبر الحاضنة الثالثة بعد البيت والمجتمع الذي يحتضن الفرد ويؤثر في تكوين شخصيته وصياغة فكره وسلوكه وعقائده. وهنا أربعة عوامل أو عناصر أساسية في إخراج الأثر المدرسي إلى حيز الوجود، وهي : (المعلم - المنهج - المحيط الطلابي - والنظام والنشاطات والمظاهر المدرسية)، والشرح لهذه العناصر يفتقر إلى دراسة عميقة ومفصلة نعرض عنها طلباً للاختصار.

المستوى الرابع - الدولة : صارت علاقة الإنسان بالدولة علاقة حيوية، فما من مجال من مجالات الحياة إلا وللدولة أثر أو علاقة به بصورة مباشرة أو غير مباشرة، مثلاً إن الدولة الإسلامية هي دولة عقيدية فكرية لها خطٌ فكري متميز المعالم، وفلسفة حياتية مستقلة، لذا فهي مسؤولة عن توجيه التربية والتخطيط لكل عناصرها وأجهزتها.

هذه هي نظرة إجمالية للجانب الأول.

الجانب الثاني : توجد مجموعة من الأسس الأخلاقية والتي منها :

المقصد الأول - التربية العبادية والإيمانية : يتحدث القرآن الكريم في العديد من آياته عن علاقة الموجودات العبادية بالله سبحانه. والارتباط العبودي بينه وبين الخلاق كلها، ويقرّر القرآن هذا المبدأ، مبدأ العبادة والتسبيح والصلاة في العوالم كلها، فيقول :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْبُحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ

عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿١١﴾.

ويؤكد القرآن في موارد أخرى أنّ العبادة هي غاية الخلق وسرّ الوجود البشري فيقول :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٢﴾ .

إلّا أنّ هذه العبادة التكوينية والتشريعية يتقدّمها العلم والرحمة الإلهية كما هو مذكور في محله .

المقصد الثاني - التربية القرآنية : القرآن هو الرسالة الإلهية الخالدة ومستودع الفكر والوعي ومنهج الاستقامة والهداية ومقياس النقاء والأصالة، القرآن يعمل على بناء شخصيته بناءً إيمانياً ويربّي في نفسه قيم الأخلاق والسلوك المستقيم ويشكّل شخصيته وطريقة تفكيره تشكيلاً يتسم بالنقاء والأصالة كما يمنحه الفصاحة وحسن الخلق وسلامة المنطق، ويزوّده بالوعي والمعرفة .

المقصد الثالث - التربية البدنية : إنّ التربية السليمة هي التربية التي تراعي التكوين الإنساني بعناصره المادّية والجسمانية والعقلية والنفسية، وقد رفض الإسلام الرهبانية وحرمان الجسد ودعا في العديد من أحكامه وتشريعاته إلى رعايته والعناية به .

المقصد الرابع - التربية الاجتماعية : الإنسان كائن اجتماعي مفطور على الحياة الاجتماعية، فهو يحمل في أعماق نفسه غريزة حبّ الاجتماع والعيش ضمن الجماعة، وجاءت الرسالة الإلهية لبناء الفرد والمجتمع والموازنة بين حقوق الفرد والمجتمع، فإنّه يشرّع صلاة الليل في جوف الليل الدامس منفرداً يخلو برّبّه

(١) النور : ٤١ .

(٢) الذاريات : ٥٦ .

مناجياً، كما يشرع صلاة الجماعة والجمعة.

واهتمّ الإسلام بتكوين البيئة الاجتماعية الصالحة وأوجب فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لإصلاح الوضع الاجتماعي بقوله تعالى :

﴿ وَتُكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١).

المقصد الخامس - التربية الاقتصادية : يشكّل الاقتصاد الركن الأساس في بناء المجتمع المسلم الأخلاقي والعقائدي وتطويره وتنمية قابلياته، وللتربية الأخلاقية علاقة وثيقة باقتصاد الأمة وبالتنمية الاقتصادية، كما لها علاقة بالتنمية الاجتماعية والبشرية. لذا فقد أدخل الإسلام في منهاجه التربوي كيفية تربية الإنسان وتنظيم علاقته بالمال والثروة، فالقرآن مثلاً حثّ على العمل والإنتاج بقوله :

﴿ فَاْمَشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (٢).

وحرّم الاحتكار والربا واكتناز المال ليتحرّك ويحرّك الحياة الاقتصادية ومجالات التنمية الاجتماعية كافة، فقال تعالى :

﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ (٣).

هذه خمسة نماذج، وتوجد نماذج أخرى نعرض عن ذكرها طلباً للإيجاز. فالإسلام دين ودولة، علم وعمل، عقائد وأخلاق... وإنّه يعلو ولا يعلى عليه.

(١) آل عمران : ١٠٤.

(٢) الملك : ١٥.

(٣) البقرة : ٢٧٥.

بشائر النصر :

أجل : إن أعلام بشائر النصر الإلهي الذي وعد الله عباده بقوله تعالى :

﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ

الْوَارِثِينَ ﴾ (١)

ترفف على المعمورة في ربوع البلاد الإسلامية لتسود العالم، شاء الأعداء  
والعملاء أم أبوا.

فإن أعداء الإسلام وأعداء البشرية - أمريكا الشيطان الأكبر - وأذنايها  
الذين هالهم وأفزعهم انتصار الإسلام بثورته في إيران الإسلامية، وعوده إلى  
الحياة مرة أخرى، لا زالوا وبضراوة وشراسة يعملون على عرقلة مسيرة الإسلام  
وتطور المسلمين ووعيمهم، بكل وسائلهم الحربية، من الغزو الثقافي والسياسي  
والاقتصادي والهجوم العسكري، فهم وإن كسروا عن أنيابهم الدموية - وعرفتهم  
الشعوب المضطهدة - وأبرزوا عدائهم السافر عبر الحرب المفروضة على إيران  
الإسلام، واستنفروا قواهم وعملاءهم في المنطقة كصدّام القدر لحمل السلاح في  
وجه الإسلام والصحة الإسلامية المنطلقة من ثورة الإمام والأمة المسلمة  
والمؤمنة، إلا أنهم لم يغفلوا - لا سيما بعد فشلهم في الحرب المفروضة - عن  
مواصلة الحروب النفسية والثقافية في التشويه والكذب والافتراء المتعمد على  
الإسلام ومثله القيمة وآراءه الرائدة، لهذا يلزم على كل مسلم ومسلمة أن يحملا  
غيرة الإسلام والقرآن الكريم بالوقوف أمامهم والتصدي لمخططاتهم، ومن موضع  
الفكر والعقيدة والقلم والدم بعرض المفاهيم الإسلامية وتسليح الأمة بهذه المفاهيم  
المستوحاة من القرآن والسنة، وتسهيل مواردها للبشرية كافة.

### دعوة الحق :

وكان بحمد الله استجابة مباركة لدعوة الحق من علماء الأمة الإسلامية ومثقفها الرساليين ...

ومن أولئك الأفاضل أخي المرحوم حجّة الإسلام السيّد عامر العلوي، أسكنه الله فسيح جنانه، وأنزل على رmse شآبيب رحمته.

فإنه رحمته ولد سنة ١٣٣٧ هـ ش، واستشهد سنة ١٣٥٧ هـ ش ٢٢ بهمن، في عنفوان شبابه.

كان من أهل العلم ومن الشباب المتحمّس، قد سجن في أواخر أيام شاه إيران البهلوي المقبور، وأدمي جسده، وكانت الأسرة تحتفظ بقميصه الملطّخ بدمه الزكي.

وفي إبان انتصار الثورة الإسلامية أُطلق سراحه مع مجموعة من إخوته في الجهاد.

في ليلة انتصار الثورة الإسلامية في إيران (٢٢ بهمن ١٣٥٧ هـ ش) أراد أن يشترك في المظاهرات المليونية الثائرة في طهران عاصمة إيران، إلا أن الوالدة الحنونة الصابرة - جزاها الله خيراً - طلبت منه أن يذهب بإخوته الصغار إلى مسجد جمكران - جامع صاحب الزمان عليه السلام - وكان - آنذاك - عصر الجمعة، ليدعو بانتصار الإمام الخميني قدس سره والثورة الإسلامية، فإنّ الدعاء سلاح المؤمن ومفتاح كلّ صلاح. فذهب في سيارته الصغيرة ومعه أخي الصغير السيّد عقيل وكان عمره (١٥ سنة) دخل المحوذة العلمية توّاً، ومعها أختي السيّدة بنت العلي العلوي صاحبة كتاب (پیرامون زن = حول المرأة) باللغة الفارسية وهو مطبوع، وكان عمرها (١٦ سنة) وأختي الأخرى بنت الإيمان العلوي وكان عمرها (١٢ سنة).



وبقرب المسجد في أول الليل في حادث اصطدام فاضت أرواحهم الطاهرة، ورجعت إلى ربهم الكريم راضية مرضية، وما أعظم المصيبة في تلك الليلة العصيبة حيث تفقد الأسرة أربعة من شبانها، فاتا الله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وكان والدي العلامة آية الله السيّد علي العلوي رحمته يعتقد - باعتبار القرائن الحالية والمقالية - إن حادث السيّارة كانت خطة مدبرة من قبل السافاك البهلوي حيث كان أخي ملاحقاً من قبلهم.

كان رحمته يدرس الرسائل والمكاسب، وقد تزيّنا بزّي أهل العلم، وعرف بأخلاقه الرفيعة وحنانه وخدمته للناس وعبادته، وقد حضر عندي: مختصر المعاني ومنطق مظفر وحاشية ملا عبد الله واللمعة الدمشقية مع زميله في الدرس فضيلة حجة الإسلام السيّد علي رضا التكيه اي دام عزّه، كما كان من طلاب مدرسة آية الله العظمى السيّد الكلبيگاني رحمته.

ورأيت في مجموع ما خلف بعض الكتابات في العقائد والأخلاق، فإحياء لذكراه ولمجهوده الثقافي، وليكون من العلم الذي ينتفع به الناس بعد موته، ليذكروه بالخير والرحمة ولسان صدق في الآخرين، عزمت على تهذيبه وترتيبه وإلحاق بعض الإضافات عليه، ثم طبعه ونشره.

وها هو بين يديك الكريمتين، أرجو القبول والدعاء.  
وما توفيقنا إلا بالله، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

العبد

عادل العلوي

١٤٢٢

محاضرات

في علم الأخلاق

القسم الأول

السيد عادل العلوي

دار الإفتاء



# موسوعة رسالات إسلامية

رسالة

محاضرات في علم الأخلاق  
تأليف - السيد عادل العلوي

نشر - المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد

إيران، قم، ص. ب ٣٦٣٤

الطبعة الأولى - ١٤٢٣ هجري قمري

التنضيد والإخراج الكومبيوترى - حكمت، قم

المطبعة - النهضة، قم

ISBN 964 - 5915 - 72 - 4

EAN 9789645915726

964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

شابك ٤ - ٧٢ - ٥٩١٥ - ٩٦٤

اى.اى.ان. ٩٧٨٩٦٤٥٩١٥٧٢٦

شابك X - ١٨ - ٥٩١٥ - ٩٦٤ (دورة ١٠٠ جلد)

## آيات في الأخلاق

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الله سبحانه وتعالى قد صرح في كتابه الكريم بعظمة الأخلاق الحسنة والصفات الحميدة في آيات عديدة.

نذكر منها نموذجاً :

- ﴿ وَتَسْفِسُ وَمَا سُوءًا ﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿ (النس: ٧-١٠).
- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ (البينة: ٧).
- ﴿ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَاشِيَ رَبَّهُ ﴾ (البينة: ٨).
- ﴿ وَأَخْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (البقرة: ١٩٥).
- ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (ممتك: ٤٦).
- ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْهَوْنَ عَنْ النَّفْسِ وَأَنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ (البقرة: ٤٤).
- ﴿ أَذَقِعَ بَالِيًّا هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَعَمْ أَعَلِمَ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ (الموسى: ٩٦).
- ﴿ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَبِذَرَاوَنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُصِفُونَ ﴾ (التقص: ٥٤).
- ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّيِّئَةَ وَلَا السَّيِّئَةَ أَذْعَى بَالِيًّا هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (ممتك: ٣٤).
- ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يُوْهَىٰ وَجْهَهُمْ فَنَزَّ وَلَا ذَلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (يونس: ٢٦).
- ﴿ وَلِكُلِّ وَجْهَةٍ مَوْجِبَاتٌ لَهَا فَاشْتَاقُوا الْغَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة: ١٤٨).
- ﴿ وَيَقِيلُ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلْ رُبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ (النمل: ٣٠).
- ﴿ وَمَنْ يَتَمَلَّ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا فَضْماً ﴾ (طه: ١١٢).
- ﴿ وَالنَّارُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبِثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِيدًا كَذَلِكَ نَصُوفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ (الأعراف: ٥٨).
- ﴿ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ١٥٨).
- ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِضْلَاحٍ بِسْمِ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ أَجْتِمَاعًا مَوْضِعًا لِلَّهِ فَنُؤِفَ نُؤِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ١١٤).
- ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يظَلَمُونَ شَيْئاً ﴾ (النساء: ١٢٤).
- ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا أَبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (الزمر: ٢٢).
- ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الزمر: ١٧).
- ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿ ذَلِكَ جَزَاءُ هُمُ بِمَا كَفَرُوا وَأَتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُؤًا ﴾ (المكهم: ١٠٣-١٠٦).
- ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَتْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُمْ عَابِدُونَ

- ﴿الأنعام: ١١٠﴾ (المع: ١١)
- ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ (ماطر: ٣٢)
- ﴿ وَالْعَصْرُ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَشِيرٌ \* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاضَعُوا بِالْحَقِّ وَتَوَاضَعُوا بِالصَّبْرِ ﴾ (المصر: ١-٣)
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْكُمُوا وَأَسْجُدُوا وَأَعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (المع: ٧٧)
- ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (البقره: ١٨٨)
- ﴿ فَالْهَيْكَمُ إِلَهُ وَاجِدٌ فَلَهُ أَسْلَمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْسِبِينَ ﴾ (الحج: ٣٤)
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَجَارَةٍ تُسْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ \* تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (الممت: ١٠٠-١١١)
- ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (البقره: ١٧٧)
- ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْتَبِرُونَ ﴾ (الروم: ٢١)
- ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (المائد: ٢٠)
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ (الحمل: ٩٠)
- ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السُّؤْمِ وَالصُّؤْمِ وَالْكَاطِبِينَ الْعَظِيمِ وَالْعَاطِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران: ١٧٤)
- ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (البقره: ٨٣)
- ﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالْمُسْتَعْفِرِينَ بِالْأَشْعَارِ ﴾ (آل عمران: ١٧٧)
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَخَذَ كُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَعْمَ أَخِيهِ مَيْسًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ (المحمرات: ١٢)
- ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَيُخَفِّضُوا أَعْيُنَهُمْ ذَلِكَ أَوْ كَرِهْتُمْ ذَلِكَ أَرْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (النور: ٣٠)
- ﴿ وَإِذَا حُيِّبْتُمْ إِلَىٰ شَيْءٍ فَتَعَبُوا مِنْهُ فَسَبِّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ (البقره: ٨٦)
- ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾ (الإسراء: ٥٣)
- ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَعْيُنِكُمْ وَأَسْقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (المحمرات: ١٠٠)
- ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (المؤمنون: ١)
- ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَوْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (البقره: ٢١٩)
- ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا تَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (النصر: ٨٣)
- ﴿ وَأَنْقِضُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (المحمرات: ٩٠)
- ﴿ وَأَضْرِبْ عَلَىٰ مَا يَسْقُلُونَ وَهَجْرًا هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ (الزمل: ١٠٠)
- ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (الفلم: ٤٠)

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمّد وآله الطاهرين.

أمّا بعد :

فمن الواضح لدى الجميع أنّ علم الأخلاق في المجتمعات البشرية يعدّ من أهمّ العلوم والفنون، وقد بالغ الإسلام في الاهتمام به، حتّى عدّه من أهمّ العلوم الإسلامية، ومن العلوم الثلاثة الأولى، أي علم الكلام وعلم الفقه وعلم الأخلاق، انطلاقاً من الحديث النبوي الشريف: «إنّما العلم ثلاثة: آيةٌ محكمة - إشارة إلى علم الكلام - وسنةٌ قائمة - إشارة إلى علم الأخلاق - وفريضةٌ عادلة - إشارة إلى علم الفقه - فتدبّر.

وقد تصدّى العلماء - أسوة بالأنبياء والأوصياء عليهم السلام - على مرّ العصور والأحقاب، وبلغات مختلفة في آلاف من المصنّفات والمؤلّفات ببيان علم الأخلاق وضرورة مباحثه القيمة وتطبيقه في المجتمع الإنساني.

واقْتداءً بنهجهم التّويم أردنا أن نضع رسالة مختصرة في علم الأخلاق

٦ ..... محاضرات في علم الأخلاق

لتكون موادّ درسيّة لطلبة العلوم الدينية - غير الإيرانيين - في حوزة قم العلمية،  
ومن الله الهادي التوفيق والتسديد.

والمقصود أولاً: هو (التخلية من الرذائل وترك المحرّمات، والتحلية  
بالفضائل وإتيان الواجبات، مع رعاية الآداب الإسلامية الفردية والاجتماعية)،  
هذا باعتبار أجواء الطلبة غير الإيرانيين.

وثانياً: إعطاء العناوين الأولى بيد أساتذة هذا الفنّ القيم، ابتداءً من  
الفصل الأوّل<sup>(١)</sup> (وفي ١٧ ساعة)، والبحث فيه يكون حول (كليات علم  
الأخلاق).

ثمّ في الفصول الأخرى يبحث عن أهمّ المواضيع الأخلاقية، وذلك باعتبار  
علاقة الإنسان وارتباطه، وأنّه على أنحاء أربعة:

١- مع النفس.

٢- مع الله.

٣- مع الغير.

---

(١) دراسات الحوزات الشيعية إنّما هي في مراحل ثلاثة: المقدمات والسطوح والخارج،  
وبعد الثورة الإسلامية في إيران في حوزات إيران قرّروا أن تكون هذه المراحل الثلاثة في  
عشر (يايات) أي (درجات)، وتقرّر أن تكون دروس الطلاب غير الإيرانيين في المركز  
العالمي للدراسات الإسلامية في ثلاث مقاطع، كلّ مقطع في أربع سنوات، والمقطع الأوّل  
بمنزلة الدبلوم، والثاني: الماجستير، والثالث: الدكتوراه، ثمّ كلّ سنة في فصلين، فوضعتُ  
مع مجموعة من الإخوة الأفاضل هذا البرنامج لدرس الأخلاق للمقطع الأوّل وفي ثمان  
فصول، ومن الله التوفيق والتسديد.

٤ - مع الطبيعة .

وإنما نهجنا هذا المنهج دون غيره لجامعيته وباعتبار الفطرة والعقل .

والفصول السبعة كما يلي :

الفصل الثاني : معرفة النفس .

الفصل الثالث : إصلاح النفس بمعرفة الموانع ومعرفة العوامل .

الفصل الرابع : مع الله سبحانه وتعالى .

الفصل الخامس : الإمام المعصوم عليه السلام ومن ينوب منابه والوالدان

والأرحام .

الفصل السادس : الزوجة والأولاد .

الفصل السابع : المجتمع العام والخاص .

الفصل الثامن : العالم العلوي والجمادات والنباتات والحيوانات .

وأما الفصل الأول : كليات علم الأخلاق ، وهي كما يلي :

١ - تعريف علم الأخلاق لغةً واصطلاحاً ، وتعريف علمه ، وبيان سمته - أي

وجه التسمية - وفرقه مع الآداب الإسلامية والعلوم الأخرى .

٢ - موضوع علم الأخلاق .

٣ - الغرض من علم الأخلاق .

٤ - بيان منافع <sup>(١)</sup> وفوائد علم الأخلاق .

(١) الفرق بين الغرض والمنفعة أن الغرض قبل تدوين العلم وتعليمه باعتبار الفاعل والواضع ،

والمنفعة بعد تدوينه وباعتبار القابل والمتعلم .



٨ ..... محاضرات في علم الأخلاق

٥- واضح علم الأخلاق حقيقةً وتدويناً وسير تاريخه على مرّ العصور.

٦- من أي علم وفي أي مرتبة.

٧- تقسيم وتحليل علم الأخلاق.

٨- بيان المبادئ التصرّية والتصديقية في علم الأخلاق، أي بيان المباني والأدلة، بمعنى بيان التصرّ الصحيح من المفاهيم الأخلاقية كالزهد والتواضع، وبيان الأدلة من القرآن الكريم والسنة الشريفة والعقل والفطرة.

٩- معرفة الأسوة الصالحة والنماذج الأخلاقية وتأثيرها في الفرد والمجتمع كالأنبياء والأولياء والعلماء الصالحين.

١٠- فلسفة الأعمال والأفعال وتأثيرها على الأخلاق.

بيان ذلك إجمالاً :

ولكي يقف الأستاذ الكريم على بعض النماذج من شرح وبيان هذه النقاط العشرة، فإننا نضرب له مثلاً، وعليه التفصيل وتقسيم المباحث في ١٧ ساعة بذوقه وإبداعه وحسب الظروف.

تعريف علم الأخلاق :

الأخلاق لغةً : جمع الخلق - بضم الخاء المعجمة - وهي تعني الصفة الباطنية - وبفتحها - تعني الصفة الظاهرية، ثم الخلق بالضمّ هي ملكة راسخة تصدر الفعل منه بسهولة من دون رويّة وتأمّل.

وتعريف علم الأخلاق - كما عند العلامة الطباطبائي في تفسيره القيم

(الميزان) - هو :

فنّ باحث عن الملكات النفسانية وأسبابها وآثارها وعلاجها وتمييز الفضائل منها من الرذائل.

ثمّ يتعرّض الأستاذ إلى بيان تعاريف أخرى في الباب من أجل التوسّع في المطالب وتكميل المباحث، والوصول إلى تعريف كامل جامع للأفراد ومانع من الأغيار.

ثمّ يبيّن الفرق بين الأخلاق والآداب، وأنّ الأدب يعني ظرافة العمل وهيئة الفعل الحسن وأنّه من منشآت علم الأخلاق<sup>(١)</sup>، وفرقه مع علم الفقه والنفس والاجتماع والعرفان والتربية وغيرها.

وأما موضوع علم الأخلاق :

فهو الملكات النفسانية من حيث الاكتساب والاجتناب - أي الفضائل والرذائل - أو قل : نفس الإنسان باعتبار الملكات الراسخة.

وأما الغرض :

فهو تربية الإنسان تربية صحيحة ووصوله إلى قمة الكمال كالخلافة الإلهية ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾<sup>(٢)</sup>، هذا في الفكر الإسلامي.

---

(١) تعرّضنا لبيان ذلك بالتفصيل في رسالة (طالب العلم والسيرة الأخلاقية) في المجلّد الثالث من موسوعة (رسالات إسلامية)، مطبوع، فراجع.

(٢) البقرة : ٣٠.

وأما المنافع والفوائد المترتبة على علم الأخلاق :  
فمن أهمها :

- ١ - فعليّة القوى الإنسانية والاستعدادات المكونة في النفس .
- ٢ - تعديل قوى النفس وتهذيبها .
- ٣ - صتام وضمّان لإجراء القوانين الفردية والاجتماعية .
- ٤ - حافظ الإيمان .
- ٥ - يوجب إصلاح الأعمال والأفعال .
- ٦ - تعدد الملكات موادّ الصور البرزخية - كما عند صدر المتألهين - .

وأما واضع علم الأخلاق :

فحقيقةً الواضع هو الله سبحانه بواسطة الأنبياء والرسل وأوصيائهم والكتب السماوية المهيمنة لا سيّما القرآن الكريم . وأما تدويناً فينسب ذلك إلى حكماء اليونان لا سيّما أرسطوطاليس المعلم الأول - باصطلاح الفلاسفة - .  
ثمّ يذكر الأستاذ تفصيل ذلك وبيان السير التاريخي لعلم الأخلاق ويشير إلى بعض المصنّفات والمؤلّفات الأولى في هذا العلم الشريف وبعض المؤلّفات المعاصرة .

وأما مرتبة علم الأخلاق :

فإنّه بعد علم الكلام - علم العقائد - وقبل علم الفقه، ويسمّى بالفقه الأكبر،

وعلم الفقه بالفقه الأصغر.

وقيل : علم الأخلاق في عرض علم الفقه، فهو عدله، كالقرآن الكريم والعترة الطاهرة، فإنهما الثقلان إلا أن أحدهما أكبر من الآخر، وكل واحد عدل الآخر.

وأما تقسيم علم الأخلاق :

فالمصطلح منه باعتبار كتاب أخلاقي يذكر المقدمة والفصول والأبواب والخاتمة، إلا أنه يمكن تقسيم علم الأخلاق فعلاً إلى أقسام عديدة من جهات مختلفة.

مثلاً تقسيمه إلى الأخلاق الإلهية التي تبتني على الدين والشريعة المقدسة، والأخلاق الطبيعية التي تبتني على الوجدان والرأي العام.

أو تقسيمه إلى الأخلاق العملي باعتبار ما ينبغي أن يعمل، والأخلاق النظري باعتبار ما ينبغي أن يعلم.

أو تقسيمه إلى الأخلاق بالمعنى الأعمّ فيشمل الآداب كما في كثير من الروايات الشريفة والأخلاق بالمعنى الأخصّ.

وما اخترناه إنما هو تقسيم باعتبار الارتباطات.

وأما في الأسوة :

فبيحث عن علم الأخلاق الإسلامي، وأنه عملي وتطبيقي ويتجسّد في المجتمع، وذكر الشواهد والمصاديق على ذلك وتأثير القدوة الصالحة والأسوة

وأما النقطة العاشرة :

فإنَّ الأخلاق يُصلح العمل، كما أنَّ العمل يؤثر في الملكات النفسانية، وأنَّ العمل نفس الجزاء، كقوله ﷺ: «الغيبية أدام كلاب أهل النار»، وكما يبحث في علم الأخلاق وكتبه عن الأعمال والأفعال.

هذا غيض من فيض ما يبحث في كليات علم الأخلاق.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

# درس في الاخلاق

محاضرة إسلامية

السيد عادل العلوي

بقلم  
جمع من الفضلاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## موسوعة رسالت إسلامية

كتاب

دروس في الأخلاق  
محاضرات إسلامية لسماحة الأستاذ السيّد عادل العلوي  
حرّرها - جمع من الأفاضل في مدرسة الإمام الخميني - قم

نشر - المؤسسة الإسلامية العامّة للتبليغ والإرشاد  
الطبعة الأولى - ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢ م  
التنضيد والإخراج الكومبيوترى - حكمت، قم  
المطبعة - النهضة، قم  
الكمية - ١٠٠٠ نسخة

ISBN 964 - 5915 - 54 - 6

EAN 9789645915542

964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

شابك ٦ - ٥٤ - ٥٩١٥ - ٩٦٤

اى.اى.ان. ٩٧٨٩٦٤٥٩١٥٥٤٢

شابك X - ١٨ - ٥٩١٥ - ٩٦٤ (دورة ١٠٠ جلد)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المرتكزات الأساسية التي يتقوم بها الإسلام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمد وآله الطاهرين.

قال الله تعالى :

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾<sup>(١)</sup>.

إن من أهم المقدمات والمقومات الأساسية التي يتقدم بها الإسلام ويزدهر، كدين وشريعة أنزلها الله تعالى للبشرية كافة هي ثلاث مقومات :

الأول - الفكر : وهو النظرة الكونية الشاملة والرؤية الفلسفية المتوازنة لمبدأ الكون والحياة والإنسان، وتمثل العقيدة في الفكر الإسلامي حجر الزاوية ومنطلق الوعي والإيمان في حركة الإنسان نحو الله تعالى، وتعبّر حقيقة التوحيد بأبعادها المتنوعة في الذات والصفات والأعمال والتشريع والعبادة عن جوهر العقيدة الإسلامية، وقاعدتها الصلبة في عمق وامتداد حركة الإنسان المسلم في واقع الحياة.

---

(١) المائدة : ٣.



الثاني - التشريع : وهو مجموعة النظم والقوانين التي تنظم الحقوق والواجبات والمسؤوليات في حياة الفرد والمجتمع وفي مختلف المجالات الشخصية والعائليّة والاجتماعية والسياسية والعسكرية وغيرها.

وللتشريع الإسلامي ثروة غنية مثلتها الموسوعات الفقهية الضخمة لفقهاءنا الأجلاء على امتداد حركة الاجتهاد والاستنباط للأحكام الشرعية من مصادرها الأساسية، من أجل مواكبة تطوّر الحياة، وإشباع الحاجات الإنسانية المتجدّدة.

الثالث - الأخلاق : وهي المرتكز الأساسي الذي يمثل روح الإسلام وهدفه الأسمى حيث قال فيها رسول الله ﷺ : « إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ ».

فالأخلاق ليست مجرد وصايا ومواعظ متناثرة، يتلقاها الإنسان في محطات مسيرته الحياتية.

إنّما هي القيم الحيّة والتعاليم السامية في بناء الشخصية الإسلامية المستقيمة المنسجمة مع ذاتها ومبادئها من خلال عملية الإعداد والتزكية للنفس من كلّ شوائب الأدران والشُرور، وهي عملية الجهاد الأكبر الذي يمثل الميدان الأوّل والخندق المتقدّم في معركة الإنسان المسلم، وهو يكدح نحو الله تعالى في مسيرته التكاملية التي لا تتوقّف.

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ۗ ﴾ (١).

إنّ هذه المقومات والمرتكزات التي يركز عليها الإسلام في الفكر والاجتماع والسلوك تحتاج إلى دراسة واعية دائمية في تفاصيلها واستيعابها بطريقة علمية دقيقة، من أجل أن تؤثر أثرها المعنوي والمطلوب في حياة الإنسان، الفرد والمجتمع.

ثمّ يمكن أن نجعل مقارنة بين المميّزات العامة للأخلاق الإسلامية وبين غيرها، وهي كما يلي :

أولاً - إنّ الأخلاق الإسلامية تقوم على التحلّي بمكارم الأخلاق والتخلّي عن مساوئ الأخلاق، يقول الرسول ﷺ: «إنّما بُعثت لأتمّم مكارم الأخلاق».

ثانياً - الشمول: ونعني به استيعاب الأخلاق الإسلامية لكلّ مجالات الحياة، فهي تدخل في علاقتنا مع الله تعالى، أو مع بعضنا البعض، أو مع مظاهر الكون والطبيعة، وفي مختلف المجالات الأخرى.

ثالثاً - الثبات: فالأخلاق الإسلامية معايير ومبادئ وقيم لا تتغيّر تبعاً للزمان أو المكان أو الإنسان، كما في الصدق والظلم، حيث إنّ لهاتين الصفتين قيمة ثابتة ومفهوماً محدّداً.

رابعاً - الواقعيّة: ويُراد بها انسجام وتناسب الأخلاق الإسلامية مع فطرة الإنسان، وما منحه الله من قابليات وطاقات، وبهذا فهي بعيدة عن الخيال أو تحميل ما لا يطاق.

خامساً - المقياس الأسمى: وهو تحقيق مرضاة الله، وتحقيق مرضاة الله في فعل الفضائل وترك الرذائل والنذائل، وهذا المقياس يحقّق للفرد والجماعة السعادة في الدارين ويبعدهم عن القلق والضياع والحرمان.

سادساً - الوحي والفطرة: أيّ إنّ الأخلاق والقيم والمبادئ الإسلامية مرتبطة بالوحي والفطرة، فهي إمّا صادرة من الله أو رسوله أو أحد أوليائه.

قال رسول الله ﷺ: «أدبني ربّي فأحسن تأديبي».

أدّب الله تعالى نبيّه على الصدق، فكان خير الصادقين.

أدّبّه على الأمانة، فكان الوفيّ الأمين.

أدّبّه على التقوى، فكان إمام المتّقين.

أدبه على الإخلاص، فكان قائد المخلصين.

أدبه على الصبر، فكان قدوة الصابرين.

أدبه على الشكر، فكان يعسوب الشاكرين.

سابعاً - العقل والضمير: أي إن الحاكم على الأخلاق الإسلامية التي تصدر من الإنسان إما العقل وإما الضمير، الذي هو صوت الله داخل الإنسان، والعقل الذي هو الشجرة المثمرة أو كالجوهرة عند الإنسان، لا يحكم عن طريق شهواته الحيوانية أو مصالحه الدنيوية والمادية.

ثامناً - حقية الشمول: وأقصد بذلك أن الأخلاق الإسلامية حقّ مشاع لا يختصّ بطائفة من البشر دون طائفة أخرى، ولا يحتكره فريقٌ دون فريق. بما أنه صدر من الله وهو الحقّ المطلق فهو إلى الجميع.

تاسعاً - الفردية والاجتماعية: إن الأخلاق الإسلامية فردية اجتماعية، وهي في اجتماعيتها فردية أيضاً، تنظر الأخلاق الإسلامية في سعادة الفرد كما تنظر في سعادة الأمة، وتسعى لتهديب الشخص كما تسعى لتنظيم المجتمع. أقول: وإذا كان صلاح الأمة مشروطاً بصلاح أفرادها كان اهتمام الدين بسعادة وتهذيب أخلاق الفرد من ناحيتين:

أولاً - تهمة أخلاق الفرد وسعادته وتهذيبه، لأنه ممن يجب إيصاله إلى الكمال.

ثانياً - تهمة أخلاق الفرد وسعادته وتهذيبه؛ لأنها شرط في تهذيب وسعادة وحسن أخلاق الأمة.

أقول: ثم إن كلتا هاتين الغايتين يدعو إلى الدين الجامع، إذ فلا بد للإسلام أن يكون (دين أخلاق) ولا بدّ لقادة الدعوة فيه من بثّ روح الأخلاق، والأئمة المعصومون الأطهار عليهم السلام هم أولئك القادة وحملة ذلك المصباح المنير، ومن ثمّ

العلماء الصالحاء الذين هم ورثة الأنبياء. وهنا جدير بالدين الجامع وجدير بالمصلح المهذب أن يتكفل إتمام النقص في الأخلاق، ليكون من الفرد عضواً نافعاً لمكاته من الأمة، ويجعل من الأمة مجتمعاً قابلاً للعلم في سبيل الخير. وأخيراً ما أحلى كلام أمير المؤمنين (عليه أفضل صلوات المصلين) في الأخلاق والآداب.

قال عليه السلام: «إنّ الناس إلى صالح الأدب أحوج منهم إلى الفضة والذهب».

وقال عليه السلام: «حسن الأدب أفضل نسب وأشرف سبب».

قال عليه السلام: «كلّ شيء يحتاج إلى العقل، والعقل يحتاج إلى الأدب».

وقال (روحي له الفداء): «النفس مجبولة على سوء الأدب، والعبد مأمور بملازمة حسن الأدب، والنفس تجري في ميدان المخالفة، والعبد يجهد بردها عن سوء المطالبة، فمتى أطلق عنانها فهو شريك في فسادها، ومن أعان نفسه في هوى نفسه فقد أشرك نفسه في قتل نفسه»<sup>(١)</sup>.

ثم إنّ أهل البيت عليهم السلام لم يعتمدوا في أخلاقهم على نظرية استفادوها من فيلسوف، ولا قاعدة أخذوها من حكيم، ولكن استقوها من ينبوع الوحي، واستفادوها من هدي القرآن، نعم لم ينتسب إلى مدارس الفلسفة في (أثينا) ولم يخضع لبيوت الحكمة في (الهند)، ولكنّ الفلسفة بعض ما تخرج فيهم من جامعة القرآن الكريم، والحكمة وبعض الفروع التي تلقّوها من مدرسة أبيهم محمد صلى الله عليه وآله، وأنّهم تمت شبيبته في بيت محمد صلى الله عليه وآله، وكملت نفسيتهم بإرشاد محمد صلى الله عليه وآله، وامترجت بأرواحهم روحانية كتاب محمد صلى الله عليه وآله، جدير أن يكونوا أغنياء عن

(١) نقلنا هذه الكلمات القصار من موسوعة رسالات إسلامية (الجزء ٣: الصفحة ٢٧)، تأليف

فلسفة أفلاطون وحكمة أرسطو ومعتصرات العقول ونسائج الأفكار، ولعل أثر هذه التربية يظهر جلياً في أحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام، حيث يجد الباحث الأثر مروياً عن أكثر من إمام واحد، وإذا استقصى في بحثه وجد الحديث بلفظه ومعناه مروياً عن جدّهم الأكبر عليه السلام، فمنه يقتبسون وإليه ينتهون، كالأشعة من النور، وكالثمرة من الشجرة.

علم الأخلاق حقّ إنساني مشاع لا يختصّ بطائفة من البشر دون طائفة، ولا يحتكره فريق دون فريق، وإذا كانت الخاصّة هي التي أسست قواعده وشرعت نظامه، فإنّ العامّة تشابهها في الحاجة وتشترك معها في الغاية، ما دامت للجميع ملكات يجب تعاهدها بالإصلاح، وغرائز يلزم إخضاعها للتوازن، فهم مشتركون بهذا العلم معاً، ولست أذهب بعيداً حين أقول: حاجة العامّة إلى علم الأخلاق أكثر، فهو بهم ألق، لأنّ الأمراض الخلقية عند العامّة من الناس أكثر شيوعاً وأعظم تفسّياً.

وحاجة المريض إلى الطبّ أشدّ من حاجة الطبيب.

وأهل البيت عليهم السلام يعلمون بذلك، وعلموا أنّ لهؤلاء العامّة أفهاماً لا تقبل المصطلحات الغريبة، وتستسيغ ما يدركون، وأنّ يترجمها لهم بما يفهمون، فكانوا أبرع من أوضح، وأدقّ من ترجم.

والعلماء الأعلام هم ورثة الأنبياء وأمناء الرسل وسفراء الله في الأرض، نهجوا مناهج الأنبياء والأوصياء في تعليم الناس وتربيتهم وتهذيب نفوسهم وترجمة الأخلاق الإلهية علماً وعملاً وسلوكاً...

ومن أولئك سماحة السيّد عادل العلوي، فقد عُرف في الأوساط العلمية والاجتماعية بأخلاقه العقلية والعملية وبمحاضراته الأخلاقية ومؤلفاته المتنوّعة ومصنّفاته القيّمة، والتي طبع منها أكثر من مئة كتاب ورسالة، ربعها في الأخلاق

في أكثر من ثلاثة آلاف صفحة<sup>(١)</sup>، وربّعتها الآخر في العقائد، وربّعتها الثالث في

(١) وأمّا الكتب المطبوعة في علم الأخلاق لسيدنا الأستاذ الفقيه دامت إفاضاته، فهي كما يلي:

- ١ - رسالة في العشق، ٣٢ صفحة كتبها في السنة الأولى من العقد الثاني من عمره الشريف.
- ٢ - السعيد والسعادة بين القدماء والمتأخّرين، ١٦٨ صفحة. ٣ - التوبة والتائبون على ضوء القرآن والسنة، ٤٠٨ صفحات. ٤ - المؤمن مرآة المؤمن، ٤٨ صفحة. ٥ - مقام الأنس بالله، ٤٠ صفحة. ٦ - سرّ الخليفة وفلسفة الحياة، ٣٢ صفحة. ٧ - السؤال والذكر في رحاب القرآن والعتر، ٥٦ صفحة. ٨ - كلمة التقوى في القرآن الكريم، ٦٤ صفحة. ٩ - رسالتنا، ٥٤ صفحة. ١٠ - الذكر الإلهي في المفهوم الإسلامي، ١١٢ صفحة.
- ١١ - مواعظ ونصائح، ٣٢ صفحة. ١٢ - دور الأخلاق المحمّدية في تحكيم مباني الوحدة الإسلامية، ٣٠ صفحة. ١٣ - حبّ الله نماذج وصور، ٨٠ صفحة. ١٤ - النبوغ وسرّ النجاح في الحياة، ٢٢ صفحة. ١٥ - كيف أكون موفقاً في الحياة؟ ٨٨ صفحة.
- ١٦ - على أبواب شهر رمضان المبارك، ٣٨ صفحة. ١٧ - شهر رمضان ربيع القرآن، ٢٢ صفحة. ١٨ - الإخلاص في الحجّ، ٢٤ صفحة. ١٩ - حقيقة القلوب في القرآن الكريم، ٢٥٥ صفحة. ٢٠ - طالب العلم والسيرة الأخلاقية، ١٧٦ صفحة. ٢١ - خصائص القائد الإسلامي في القرآن الكريم، ١٢٨ صفحة. ٢٢ - أخلاق الطبيب في الإسلام، ١٧٦ صفحة.
- ٢٣ - من وحي التربية والتعليم، ٨٠ صفحة. ٢٤ - حقيقة الأدب على ضوء المذهب، ٤٠ صفحة. ٢٥ - قبس من أدب الأولاد على ضوء المذهب الإمامي، ١٢ صفحة. ٢٦ - تربية الأسرة على ضوء القرآن والعتر، ٣٦٠ صفحة. ٢٧ - الشيطان على ضوء القرآن، ١٥٢ صفحة. ٢٨ - معالم الصديق والصدّاق، ١١٢ صفحة. ٢٩ - فضيلة العلم والعلماء، ٦٤ صفحة. ٣٠ - الياقوت الثمين في بيعة العاشقين، ٦٤ صفحة. ٣١ - إشراقات نبويّة، ٣٠ صفحة. ٣٢ - تحفه فدوى، ١١٢ صفحة. ٣٣ - بهجة المؤمنين، ٨٨ صفحة. ٣٤ - بيان المحذوف في تنمّة الأمر بالمعروف. وأخيراً وليس بآخر إن شاء الله تعالى، هذا الكتاب

١٠ ..... دروس في الأخلاق

الفقه، وهذه هي أمّهات العلوم الإسلامية كما ورد في الأحاديث الشريفة، وربّعها الرابع متنوّعات، وعندّه العشرات من المخطوطات أيضاً.

والكتاب الذي بين يديك : محاضرات إسلامية ودروس أخلاقية ألقاها سماحة السيّد العلوي علي مجموعة من الفضلاء من جاليات إسلامية مختلفة في مدرسة الإمام الخميني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ التي هي من أكبر المدارس الحديثة في قم المقدّسة .  
والشيء الملاحظ أنّ الدروس لمحاضر واحد، إلّا أنّ من حرّرها قد أخذ كلّ واحد منهم جانب منها، فوجدنا مجموعها يتكوّن منها كتاب قيّم، جدير به أن يطبع وينشر. لينتفع منه الجميع، لا سيّما أهل العلم والفضيلة، فبادرنا إلى جمع مجموعة منها، وقدمناها إلى سيّدنا الأستاذ، فبعد التهذيب والتصحيح وافق عليّ طبعها ونشرها جزاه الله خيراً...

فها هو بين يديك الكريمتين، لتنهل منه وتروي عطشك...

حيدر محسن الناصري

## أضواء في طريق الأخلاق

ميرنوبو بكر بارو

مدير مدرسة ومكتبة عامة / مالي

الحمد لله ربّ العالمين، رافع قدر العلماء إلى أعلى عليين، ومفضّل مدادهم على دم المستشهدين، وجاعلهم نواب الأئمة الطاهرين، ومذلّ من شكّ في فضلهم إلى تحت الثرى في الأرضين، وجاعل من عظم قدرهم معهم في الرفيق الأعلى مع الملائكة المقربين، وصلى الله على رسوله ونبيه وحبيبه وصفيّه وخليله محمّد خاتم النبيّين، وسيّد الأوّلين والآخريين، وعلى ابن عمّه ووصيّه ووارث علمه عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين، وعلى قرّة عين الرسول فاطمة سيّدة نساء العالمين، وعلى سبطيهما الحسن والحسين سيّدي شباب أهل الجنّة من الخلق أجمعين، وعلى الأئمة الطاهرين، والحجج الميامين.

أمّا بعد :

فهذه رسالة موجزة تتضمّن دروساً في الأخلاق، قام بجمعها وكتابتها العبد الضعيف الحقير الكثير الذنوب والمعاصي : ميرنوبو بكر حامد بارو.

وهي ملخّص ما جاء في دروس الأستاذ الأفضل العالم الأكمل العلّامة الفقيه السيّد عادل العلوي (أدام الله ظلّه العالي)، وقد ألقى علينا تلك الدروس الأخلاقيّة من نوع خاصّ وبأسلوب خاصّ كان يأخذ بمجامع القلوب وهو اجس



النفوس وراحة الأرواح، جزاء الله عن الإسلام خيراً وأطال بقاءه للأجيال القادمة.

لا يشكُّ أحد من ذوي العقول من أنّ الأخلاق الحسنة هي المنجية، وفي المقابل الأخلاق السيئة هي المهلكة.

والقول المشهور عن الرسول الأكرم ﷺ :

«بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

ينبئ عن عظمة الأخلاق وأهميتها في حياة المسلم.

وفي الحديث : جاء رجل إلى النبي ﷺ فجلس بين يديه فقال : يا رسول

الله، ما الدين ؟ فقال : حسن الخلق . ثم أتاه من قبل يمينه ، فقال : يا رسول الله ،

ما الدين ؟ فقال : حسن الخلق . ثم أتاه من قبل شماله ، فقال : ما الدين ؟ فقال :

حسن الخلق . ثم أتاه من ورائه ، فقال : ما الدين ؟ فالتفت إليه فقال : أما تفقه !

هو أن لا تغضب .

وقيل : يا رسول الله ، ما الشؤم ؟ فقال : سوء الخلق .

وقال بعض العرفاء : سوء الخلق سيئة لا ينفع معها كثرة الحسنات ، وحسن

الخلق حسنة لا يضرّ معها كثرة السيئات .

ويقول المولى جلّ وعلا :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾<sup>(١)</sup>

وقد وصف نبيّه الأعظم بحسن الخلق في قوله تعالى :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾<sup>(٢)</sup>

(١) الأحزاب : ٢١ .

(٢) القلم : ٤ .

أضواء في طريق الأخلاق ..... ١٣

والطريق إلى تحصيل الأخلاق الحسنة حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب.

وكلّما طال العمر وكثرت الأعمال والعبادات حصل الرسوخ والكمال في النفس، وقيل: هو السرّ في طلب الأنبياء طول العمر.

### النور والظلمات :

قال سبحانه وتعالى في محكم كتابه العزيز :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

إذا أمعنا النظر إلى هذه الآية وآيات أخر مثلها نجد أنّ هناك تضادّ وتنافس بين النور والظلام، وبعبارة أخرى: بين الحقّ والباطل.

إنّما أن يكون الإنسان تابعاً لهوى نفسه في الباطل فهو مع الظلمة، فيكون حينذاك إنساناً ظلمانياً شيطانياً، أو يكون مع عقله تابعاً للحقّ مع الصالحين، فيكون إنساناً رحمانياً، فالإنسان في نزاع بين الحقّ والباطل، بين النور والظلمات، وقد خلق الله الإنسان للكمال، وكمال الإنسان هو كونه خليفة الله في الأرض.

قال الله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) الأنعام : ١.

(٢) البقرة : ٣٠.

وقال تعالى أيضاً :

﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ﴾ (١).

وغير هذا من الآيات والأحاديث .

وهناك ثلاثة عناصر للوصول إلى الكمال :

١ - العلم .

٢ - العبادة .

٣ - الرحمة .

وعن الإمام الصادق عليه السلام :

تخلّقوا بأخلاق الله .

العلم والعبادة جناحا الإنسان للطيران إلى الله والوصول إلى مقام الفناء في

الله عزّ وجلّ .

والرحمة قلب العبادة .

العلم عبارة عن التعليم، والعبادة عبارة عن التربية، وهدف البعثة هو التربية

والتعليم .

وفي الحديث القدسي :

« خلقتك من أجلي ، وخلقت الأشياء لأجلك » .

والإنسان عقل وقلب .

فالعقل : يجب تعليمه وتربيته بالفكر والدراسة .

والقلب : يجب تشغيله بالذكر والدعاء والمناجاة والتلاوة .

والإنسان يحتاج إلى كليهما: الفكر والذكر.

عن نبيّ الله عيسى (على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام): ليس العلم في السماء فينزل إليكم، ولا في الأرض فيخرج إليكم، إنّما العلم في قلوبكم، تخلّقوا بأخلاق الروحانيين يظهر لكم، وطريقته الإخلاص.  
في الحديث: «من أخلص لله أربعين يوماً تفجّرت من قلبه ينابيع الحكمة».

وجاء فيه أيضاً: «ليس العلم بكثرة التعلّم، إنّما العلم نورٌ يقذفه الله في قلب من يشاء أن يهديه»، والإنسان بين دعوتين: الدعوة النورانية، والدعوة الظلمانية الشيطانية.

ولقلب الإنسان أذنان :

١- أذن رحماني : يسمع به الدعوة الإلهية، وتسمّى بالإلهام.

٢- وأذن شيطاني : يسمع به الوسوسة الشيطانية، وتسمّى بالوسواس.

فالإلهام إلهي :

﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾<sup>(١)</sup>.

وهو المعجون الإلهي الأوّل للأخلاق، ثمّ يحتاج الإنسان إلى التربية والتعليم، فأنزل الله الكتب وأرسل الرسل من أجل ذلك.

الإنسان فرد ومجتمع :

الهدف من خلق الإنسان هو الوصول إلى ربّه ليكون سعيداً في الدارين،

لأنَّ للإنسان بُعدان : بُعد شخصي وُبعد شخصيَّة .

١ - البعد الشخصي : هو الذي يقبل التشخُّص ويأخذ حيزاً من المكان وله الأبعاد الثلاثة - أي الطول والعرض والعمق - .

٢ - الشخصيّة : مثل قولك : أنا، بتمام معناها، وهي : عبارة عن نفسيَّة الإنسان، وروحه، أخلاقه، علمه، كماله الجانب الروحي، وهو نفس قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۖ ﴾<sup>(١)</sup>. تصل الشخصية عند الإنسان إلى درجة أنه لا يعود يفكر في نفسه، فتراه ينتهز الفرص في الليالي المباركة ويدعو للآخرين ويترك نفسه .

ويقولون في معرفة الأنانية وحبِّ الذات ثلاث علامات، فإنك إذا أردت أن تعرف صاحبك وبأيِّ مقدار يحبُّ ذاته، وتتغلب عليه الأنانية، فإنك تعرفه في موارد ثلاث :

١ - على المائدة والأكل .

٢ - في السفر .

٣ - في التجارة .

هذه أهمُّ مظاهر الأنانية، وفي هذه الأمور يعرف الشخص هل هو

ذا شخصيَّة أو لا ؟

والشخصيَّة على قسمين :

فردية .

واجتماعية .

وذهب الرأسماليون إلى أصالة الفرد، وهي الحرّية المطلقة، ولذلك تبنتي حياتهم على الاستعمار والاستثمار.

بينما ذهب الشيوعيون إلى أصالة المجتمع، بمعنى ليس للإنسان شخصية، فهو كآلة ميكانيكية ومسمار في عجلة الاقتصاد الاشتراكي.

أما الإسلام فذهب إلى أصالة الفرد والمجتمع على حدّ سواء، لا شيوعية، ولا رأسمالية.

فالعقل والعقيدة يربّيان الفرد والمجتمع معاً، وبذلك يصل الإنسان إلى الهدف المطلوب، وهو الكمال.

### أقسام المخلوقات :

المخلوقات على ثلاثة أقسام :

١- الملائكة : وهم من النور والعقل.

٢- الحيوانات : من الجسم فقط بدون عقل.

٣- الإنسان : من الجسم والعقل والنور.

إذن الإنسان وحده الذي جمع ما للملائكة والحيوانات، وبذلك يستطيع أن يتفوّق على الملائكة بعمله وجهده، ويتمكّن - معاذ الله - أن ينزل تحت الحيوانات، فهو إمّا أن يختار النور ويكون فوق الملائكة :

﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١)

وفي المقابل إذا اختار الإنسان النار، وهو الشهوة الجنسية .

﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِمَ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ (١)

فيسقط إلى حضيض الجهل وأسفل السافلين، ويكون كالأنعام بل أضل سبيلاً .

إلهي هب لي كمال الانقطاع إليك :

ولا يوجد وسيلة أسرع إلى الله من العلم والإيمان، والإنسان ذو عقل وقلب، والفرق بينهما هو أن العقل يعرف الله، والقلب يرى الله، فبالعقل يتفكر الإنسان في الله، بل وفي كل شيء، بينما بالقلب يذكر الله سبحانه وتعالى، إذن سعادة الإنسان بهما .

العقل : ويعني عقد المحمول بالموضوع، أي العلم والفكر .

القلب : عقد العلم بالقلب ، وهو عبارة عن الإيمان والذكر .

هدف الخلق :

هدف خلق الإنسان هو التكامل، وأدوات التكامل ثلاث :

١ - الفطرة، وهي اللبنة الأولى والأساس، وتنقسم إلى قسمين : العاشقة،

والعالمة .

والعاشقة : حقيقي ومجازي .

والعالمة : الحواس الخمس .

٢- العقل ، وهو لغةً من عقال البعير ، والعقل نظري وعملي .

العقل النظري على أربعة أقسام :

أ- الهيلولاني .

ب- العقل بالملكة .

ج- العقل بالفعل .

د- العقل المستفاد .

وتفصيل ذلك في الكتب الفلسفية كالشفاء والأسفار وغيرهما .

والعقل العملي على ثلاث أقسام :

أ- التخلية .

ب- التحلية .

ج- التجلية ، ومعناها الفناء في الله عزّ وجلّ .

٣- الضمير الوجداني ، وهو الضمير الأخلاقي ، على أقسام ثلاث :

أ- النفس الأتّارة .

ب- النفس اللوّامة .

ج- النفس المطمئنة .

وروي عن عالم غربي يعترف بأنّ هناك ميول عند الإنسان ، والضمير

الضابط هو المسمّى بالنفس .

وجاءت كلّها في كتاب الله العزيز .

أ- الأتّارة بالسوء :



٢٠ ..... دروس في الأخلاق

﴿ وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١).

ب - النفس اللوامة :

﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ (٢).

ج - النفس المطمئنة :

﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (٣).

﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنِّةُ ۖ اذْجِعي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴾ (٤).

نسأل الله سبحانه التوفيق لما يحب ويرضاه، وأن يخلقنا بأخلاقه، وأخلاق أنبيائه ورسله وأوليائه والصالحين من عباده، ويسعدنا في الدارين بطلب العلم النافع والعمل الصالح والتحلّي بالأخلاق الحسنة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) يوسف : ٥٣ .

(٢) القيامة : ١ - ٢ .

(٣) الرعد : ٢٨ .

(٤) الفجر : ٢٧ - ٢٨ .

## مكارم الأخلاق

عبد الماجد ناصر  
مبلِّغ ومعلِّم / تنزانيا

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على المصطفى محمّد، وعلى آله  
الطاهرين.

وبعد :

قال رسول الله ﷺ :

« إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ ».

الأخلاق لها دور مهمّ في حياة الإنسان، بالأخلاق يستطيع الإنسان أن  
يقود أحاسيسه وعواطفه، والحيلولة دونها من أن تفرط أو تفرّط. ومن أهمّ الأمور  
الأساسيّة في حياة الإنسان، هو الأخلاق الحسنة وحسن الخلق.

والإسلام جاء من أجل التربية والتعليم : تربية الإنسان وتعليمه بما يوصله  
إلى الكمال، إلى أن يكون خليفة الله في أرضه، كما قال تعالى في كتابه :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا  
مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ  
مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

ولا يستطيع الإنسان أن يبلغ إلى هذا الكمال إلا بثلاثة أمور :

١- بالرحمة .

٢- بالعلم .

٣- بالعبادة .

وهذا هو هدف البعثة، لأنَّ الله تعالى لم يبعث الأنبياء إلا لأجل التربية والتعليم، بعثهم ليعلموا الناس الأخلاق الحسنة والعبادة، ويتحلوا بالفضائل ليصلوا إلى الكمال .

والأنبياء لم يأتوا إلا بعد أن حصلوا على التربية والتعليم بأعلى درجاتها بالعلم اللدني والعصمة الذاتية. وإنما بعث خاتم الأنبياء ليتّم مكارم الأخلاق وكانت أخلاقه تجسيداً وتجسيماً لكتاب الله الكريم .

كما سئلت عائشة عن أخلاق الرسول ﷺ فقالت : كان خلقه القرآن .

وكما قال النبي ﷺ : أدبني ربّي فأحسن تأديبي .

وهو معنى التربية والتعليم والأخلاق، لا يحصل إلا بالعلم والعبادة .

كما أنّ الكمال كلّ الكمال لا يحصل إلا بالأخلاق السعيدة .

كما قال الإمام الصادق عليه السلام : تخلّقوا بأخلاق الله .

وأخلاق الله تتجلّى في أسمائه الحسنى وصفاته العلىا .

ونصل إليها ونحصل عليها بالعلم والعبادة .

والإنسان مشتمل على قلب وعقل .

تربية القلب بالذكر، بقراءة القرآن، بالدعاء، بصلاة الليل، وغير ذلك .

أمّا العقل، تربيته بالدرس والفكر .

والعقل يجب أن يرَبّى بالدرس، كما قال النبي ﷺ : « العلم في الصغر

كالنقش على الحجر، والعلم في الكبر كالنقش على البحر».

وقال أيضاً :

«العلم فريضة على كلِّ مسلمٍ ومسلمة».

وقال :

«اطلب العلم من المهد إلى اللحد».

يعني : لا بدّ أن تتعلّم للحصول على تكامل الفكر، حتّى لو كان في مكانٍ

بعيد وبلاد نائية، كما قال :

«اطلب العلم ولو بالصين».

وهذا العلم لا يحصل إلّا إذا كان الإنسان شابّاً، أمّا في الشيخوخة فلا يمكن

الحصول عليه إلّا بشقّ الأنفس.

والعلم ينقسم إلى قسمين :

١ - علم الدرس .

٢ - العلم الإلهي .

علم الدرس يعني الفكر . والعلم الإلهي يعني الذكر .

وعلم الذكر أو الإلهي يبدأ من المهد، لأنّ من المسنون أن يؤذّن للولد في

أذنه اليمنى ويقام في أذنه اليسرى بعدما يولد، وهذه هي أوّل مرحلة لهذا العلم

الإلهي، وحتّى في آخر لحظة من حياته فيستحبّ تلقين الميّت، فمن العلم الإلهي

الدعاء، قراءة القرآن، صلاة الليل، وما شاكل ذلك .

وقال عيسى عليه السلام :

«ليس العلم في السماء فينزل إليكم، ولا في الأرض ليخرج إليكم، إنّما

العلم في قلوبكم، تخلّقوا بأخلاق الروحانيين يظهر لكم».

هذا هو العلم الإلهي، هو الذكر الذي يجلب إلى القلب النور. فإذا ظهر هذا العلم في قلب الإنسان عندئذ تكون حياته كلها نور. والروحانيون هم: الله، الأنبياء، الأوصياء، الملائكة، العلماء الصالحين، وغيرهم، ومعناه أننا يجب أن نتخلق بأخلاق الله التي هي أسماؤه وصفاته، كما أنه رحيم عفو غفور عطوف صادق، كذلك يجب أن نتصف بهذه الصفات، لأنها صفات الكمال.

وأول رمز هذا العلم هو الإخلاص، كما قال النبي ﷺ:

«من أخلص لله أربعين يوماً تفجر ينابيع الحكمة من قلبه.»

وقال أيضاً:

«ليس العلم بكثرة التعلم، إنما العلم نورٌ يقذفه الله في قلب من يشاء أن

يهديه.»

ولذلك جعل الله في هذا الوجود الظلمات والنور، النور آدم، والظلام

الشیطان، وجعل الحقّ والباطل والخير والشرّ وجعل الإنسان بين دعوتين:

١- نفس أمارة بالسوء، تدعوه إلى الشيطان وإلى الأخلاق السيئة.

٢- عقل نوراني يدعوه إلى الخير وإلى الأعمال الحسنة.

النفس الأمارة تدعوه إلى الشيطان، والعقل النوراني يدعوه إلى الله.

وفي قلب الإنسان جعل فيه أذنين: أذن رحماني، وأذن شيطاني.

الأذن الرحماني يسمع به الدعوة الإلهية ويسمى بالإلهام، والأذن الشيطاني

يسمع به الدعوة الشيطانية، ويسمى بالوسوسة.

فالإنسان بين إلهام إلهي يدعوه إلى الخير، وبين إلهام شيطاني يدعوه إلى

الشرّ. ومنه يتعوذ الإنسان الذي له إلهام إلهي، كما قال تعالى:

﴿ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿١﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٢﴾ مِنْ

الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿١١﴾.

والله سبحانه ألهم الإنسان كل ما يحتاجه من كماله ونقصه، ومن سعادته وشقائه، فقال :

﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٢﴾ .

فلسفة الحياة وسرّ الخليقة :

الإنسان لكي يحصل على معرفة فلسفة الحياة، أي لماذا يعيش ولماذا وجد في هذه الكرة الأرضية، ولكي يعرف سرّ الخليقة يجب أن يفكر، ومن خلال تفكيره يسأل نفسه السؤال التالي : لماذا خُلق الإنسان ؟ ولماذا وجد ؟ هل خلق ووجد ليعيش في هذه الكرة الأرضية ثم بعد ذلك يموت بلا هدف ؟ أم هناك هدف وغاية من أجلها خُلق ؟ كذلك يجب أن يسأل : لماذا خلق الله السماوات والأرض ؟ لماذا خلق النباتات والحيوانات والمعادن وكل ما في الأرض ؟

إذا تأملنا في هذه الأسئلة نجد أنّ كلّ الأشياء الموجودة في الأرض والسماء يرجع منفعتها إلى الإنسان، مثل السماء وما فيها من الشمس والقمر والنجوم والمطر وغيرها، كلّها ترجع منفعتها إلى الإنسان وتنتهي إليه، كذلك ما في الأرض من الحيوانات والنباتات والمعادن وغير ذلك كلّها لفائدة الإنسان، وهذا

(١) الناس : ٤ - ٦ .

(٢) الشمس : ٨ - ١٠ .

يطابق قوله تعالى في الحديث القدسي: « خلقت الأشياء لأجلك، وخلقتك لأجلي ».

كما في قوله تعالى :

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ (١).

كذلك إذا نظرنا إلى الإنسان نتساءل: لماذا خلق وزُود بالعلم والعقل وسخر الله له كل شيء ثم نجده يعيش في أحوال مختلفة، يعيش بين الجبرين: جبر الولادة وجبر الموت. الإنسان ليس له اختيار في ولادته، فهو مجبور، ولا له إرادة في الموت فهو مجبور. لأنّ الولادة والموت من امر الله وضعهما لحكمته. وفي نفس الوقت نجد الإنسان في حياته مختاراً، كما قال تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ (٢). وقال أيضاً: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (٣)، فهل الله خلق الإنسان مع هذه الأشياء بلا غاية، فقط يولد ويعيش في الأرض ثم يموت وينتهي؟

فإذا أجبنا على هذه الأسئلة نستطيع أن نكشف فلسفة الخليقة أو فلسفة الخلق والحياة، ثم لا بدّ أن نسأل: لماذا خلق الله هذه الأشياء؟ لماذا أرسل الأنبياء بالآلاف؟ لماذا أتى الله بالكتب السماوية؟ لماذا يتعب الإنسان في العمل ليلاً ونهاراً؟ لماذا تتعب المرأة في الحمل والولادة؟

والجواب لهذه الأسئلة في حديث الإمام الصادق عليه السلام حيث يقول :

(١) الجاثية : ١٣.

(٢) البلد : ١٠.

(٣) الدهر : ٣.

« جمع علم الأولين والآخريين في أربع كلمات : من أين أنا؟ إلى أين أذهب؟ ماذا يراد مِنِّي؟ ماذا يُخرجني من الدين؟ ».

وإذا أجبنا على هذه الأسئلة نكون قد كشفنا سرَّ الخلقه وفلسفة الحياة .  
الله خلقنا لنعرفه؛ لأنَّه هو الكمال المطلق، والرحمن الرحيم، ومطلق الخلق لنا، خلقنا لنعرفه، كما أنَّه هو الكمال المطلق، وهو المحيط ونحن محاطون، والمحيط يدرك حقيقة المحاط، والمحاط لا يدرك حقيقة المحيط . كما أنَّه هو الخلاق يعرف خلقه بتمامه، ولا يمكن للمخلوق أن يدرك الخالق بتمام المعرفة لأنَّه الكمال المطلق ومطلق الكمال، وكماله في أسمائه الحسنی وصفاته العلیا، ومن كماله ظهور الكمال، الله هو الكمال المطلق، ومن كماله ظهر قدرته في خلق الإنسان وغيره، كما قال في الحديث القدسي :

«كنت كنزاً مخفياً فخلقت الخلق لكي أعرف» .

لذا يظهر أن سرَّ الخليقة هو معرفة الله تعالى .

ولا يمكن أن نعرفه بذاته، بل من خلال كماله في الخلق وفي صفاته، لأنَّ ذاته أتم وأكمل من أن يدركه المخلوق الذي هو مخلوق .

الإنسان لا يستطيع أن يحيط على نفسه علماً، فكيف يعلم بذات الخالق وهو الذي فشل في معرفة نفسه، وقد ظهر على الإنسان أنَّه كلما يزداد تعمقه في معرفة نفسه زاد الجهل في إنسانيته وذاته وحقيقته، لأنَّ الأسرار الموجودة في الإنسان لا يستطيع أن يحيط بها علماً إلاَّ الخالق سبحانه، وما أروع ما يقوله أئد العلماء الأعلام : « لو وضعت جهلي تحت قدمي لنطح رأسي السماء » .

وأما السؤال الثاني : لماذا خُلق الإنسان؟ الجواب هو أنَّ الإنسان خلق

لثلاثة أمور :



- ١- خُلِقَ للرحمة : ليرحمه الله .
  - ٢- خُلِقَ للعلم : أي ليعلم خالقه .
  - ٣- خُلِقَ للعبادة : أي ليعبد ربّه وخالقه ، كما قال في كتابه :
- ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ <sup>(١)</sup> .

ما هو العلم المقصود والمراد هنا ؟ إعلم أنّ المراد من العلم هو العلم النافع وهو المذكور في الحديث الشريف عن أبي الحسن موسى عليه السلام ، قال : دخل رسول الله ﷺ في المسجد فإذا جماعة قد أطافوا برجل فقال : ما هذا ؟ قيل : علامة . فقال : وما هو العلامة ؟ فقالوا له : أعلم الناس بأنساب العرب ووقائعها وأيام الجاهلية والأشعار العربية . قال : فقال النبي ﷺ : ذلك علم لا يضرّ من جهله ولا ينفع من علمه ، ثمّ قال النبي ﷺ : إنّما العلم ثلاثة : آية محكمة ، أو فريضة عادلة ، أو سنّة قائمة ، وما خلاهنّ فهو فضل .

- فقسم العلم إلى ثلاث أقسام :
- ١- آية محكمة ، يعني العقائد .
  - ٢- فريضة عادلة ، يعني الفقه .
  - ٣- سنّة قائمة ، يعني الأخلاق .
- والأخلاق لها مراحل ثلاث :
- ١- التخلية .
  - ٢- التحلية .
  - ٣- التجلية .

فالإنسان في مقام تهذيب النفس وتزكية الروح وتربية القلب لا بدّ أولاً من تخليته من الصفات الذميمة كالحسد والرياء، ثمّ تحليته بالصفات الحميدة كالتواضع والإخلاص، ثمّ تجلية تلك الصفات حتّى يصل الإنسان إلى مقام الفناء في الله سبحانه.

### حقيقة الإسلام :

الإسلام هو الدين السماوي كما صرّح بذلك تبارك وتعالى في كتابه الحكيم، والأنبياء جميعاً كانت دعوتهم إلى الإسلام، إلى التوحيد والإخلاص لله سبحانه، آدم كان مسلماً، إبراهيم وغيرهم كلّهم كانوا مسلمين، لذلك الإسلام هو التوحيد، وهذا هو معنى الإسلام، بالمعنى الأعمّ، كما قال تعالى :

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (١).

واختلف الأنبياء في الشرائع السماوية حيث تطوّر الإنسان زمنياً، كما قال إنّ الأنبياء يكلمون القوم حسب عقولهم، نحن معاشر الأنبياء أمرنا لنكلّم القوم على قدر عقولهم، لذا حتّى الشرائع كانت تأتي مطابقة لاستعداد القوم بتلك الشرائع، لكنّ أساس الشرائع كان التوحيد.

فنبىّ الإسلام محمّد ﷺ هو الذي جاء ليتّم دين الله بعدما كانت أمته في طبقة التكامل كما وصفه :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ

المُنْكَرِ ﴿١١﴾.

بعدما صارت الأمة كاملة أنزل الله الشريعة الكاملة وآخر الشرائع، ونبئها آخر الأنبياء، فجاء بالإسلام وختم به الشرائع السماوية، وهو بالمعنى الأخص، وقال تعالى :

﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (١٢).

والنبي ﷺ عندما جاء بالإسلام جاء بسعادتين :

١ - سعادة دنيوية.

٢ - سعادة أخروية.

لذلك إذا تصفحت سيرة وتاريخ النبي ﷺ تراه مملوءاً بالفضائل والأخلاق الكريمة، فهو كان صادقاً عابداً تقياً رحيماً كريماً، فعرف الناس من النبي ﷺ هذه الفضائل الخلقية، وهذه الطبيعة كانت تجذبهم إلى النبي ﷺ فيسلمون، فهذا هو ما عبّر عنه سبحانه :

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ (١٣).

دخل الناس في الإسلام بأخلاق النبي ﷺ وبشجاعة عليّ عليه السلام وبمال خديجة سلام الله عليها، وهذا هو الإرث الذي يرثه العلماء من النبي ﷺ، يرثون

---

(١) آل عمران : ١١٠.

(٢) آل عمران : ٨٥.

(٣) النصر : ١ - ٢.

منه أخلاقه وعلمه كما قال في حديثه الشريف .

عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضىً به ، وإنه يستغفر لطالب العلم من في السماوات ومن في الأرض حتى الحوت في البحر ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، ولكن ورثوا العلم ، فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر .

من خلال هذا الحديث نجد أن العالم وارث النبي في أي شيء ؟ إنما هو وارث علم النبي وأخلاقه ، لذلك فالعالم الذي يوصف بأنه وارث النبي في الحقيقة هو الذي يمثل كل ما يمثل به النبي صلى الله عليه وآله من أخلاق وتقوى وصدق وأمانة وحلم وزهد ، والذي يطابق قوله عمله ، وعمله قوله . كما قال عليه السلام عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ <sup>(١)</sup> ، قال : يعني بالعلماء من صدق فعله قوله ، ومن لم يصدق فعله قوله فليس بعالم .

هذا هو العالم الرباني ، والنظر إليه عبادة حسب تعبير النبي صلى الله عليه وآله ، قال : « النظر إلى العالم عبادة » ، لأن نطقه علم ونظره علم ، مشيه مشي علم ، جلوسه جلوس علم ، بل كل ما يفعله فهو علم . إذا نظر الناس إليه يذكروهم بالله ، يذكروهم بأخلاق الله ، كما قال النبي صلى الله عليه وآله : « تخلّقوا بأخلاق الله » ، ليس العلم في السماء فينزل إليكم ولا في الأرض فيخرج إليكم ، إنما العلم في قلوبكم ، تخلّقوا بأخلاق الله يظهره لكم .

فالعالم إذا تَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِ اللَّهِ، بِأَخْلَاقِ النَّبِيِّ، بِأَخْلَاقِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، صَارَ نُورًا فِي الْمَجْتَمَعِ وَمُصَابِحًا فِي الْأُمَّةِ، النَّاسُ كُلَّهُمْ يَتَوَجَّهُونَ إِلَيْهِ، لِأَنَّهُمْ يَلْتَقِطُونَ مِنْهُ الرَّحْمَةَ، وَمَنْ أَجَلُهُ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ بِأَخْلَاقِهِ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ الصَّادِقُ: «كُونُوا دَعَاةَ لَنَا بِغَيْرِ السُّنْتِكُمْ لِيُرَوا مِنْكُمْ الْوَرَعُ، لِيُرَوا مِنْكُمْ الْجَهَادَ»، أَمَا إِذَا كَانَ الْعَالَمُ لَا يَتَخَلَّقُ بِأَخْلَاقِ اللَّهِ فَيَكُونُ سَبَبًا لَخُرُوجِ النَّاسِ عَنِ دِينِ اللَّهِ، سَأَلَ الْحَوَارِيُّونَ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا رُوحَ اللَّهِ، مَنْ نَعَاشِرُ؟ قَالَ: مَنْ يَذْكُرْكُمْ اللَّهُ رُؤْيَتَهُ وَيَزِيدُ فِي عِلْمِكُمْ مَنْطِقَهُ، وَيُرْغَبُكُمْ فِي الْآخِرَةِ عَمَلِهِ.

لِذَلِكَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْكُمْ وَإِذَا رَأَوْا أَعْمَالَكُمْ تَخَالَفَ أَقْوَالَكُمْ سُرْعَانَ مَا يَسِيئُوا الظَّنَّ بِكُمْ، بَلْ رُبَّمَا يَشْكُونَ فِي دِينِهِمْ، وَإِذَا رَأَوْا مِنْكُمْ أَعْمَالَ حَسَنَةً وَأَخْلَاقَ طَيِّبَةً مِثْلَ أَخْلَاقِ النَّبِيِّ يَلْتَفُونَ حَوْلَكُمْ لِأَنَّكُمْ تَذَكَّرُونَهُمْ اللَّهُ، فَهَذَا الْعَالَمُ إِذَا تَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِ اللَّهِ عِنْدَئِذٍ تَتَجَلَّى فِيهِ صِفَاتُ الْكَمَالِ فَيَكُونُ فِي عَالَمِ الْكَشْفِ وَالشُّهُودِ، يَكُونُ فِي مُحَضَّرِ اللَّهِ، يَكُونُ عَالِمًا رَبَّانِيًّا، وَلَا يَصِلُ إِلَى هَذَا الْكَمَالِ إِلَّا إِذَا كَانَ مُخْلِصًا فِي الْعِلْمِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ أَخْلَصَ اللَّهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا تَفَجَّرَ يَنْبِيعُ الْحِكْمَةِ عَلَى لِسَانِهِ مِنْ قَلْبِهِ» فَيَصِيرُ فِي أَعْلَى دَرَجَاتِ الْكَمَالِ.

فَتَتَجَلَّى عِنْدَهُ أَسْرَارُ اللَّهِ وَأَسْرَارُ الْخَلْقَةِ، فَيَكُونُ عَيْنَهُ عَيْنَ اللَّهِ، وَلِسَانُهُ لِسَانَ اللَّهِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتَهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي أُعْطِيْتَهُ، وَإِنْ اسْتَعَاذَنِي أُعْذِتَهُ».

لذلك إذا كان العالم يتعلم بدون هذه الملكة فلا ينفعه علمه، إلا إذا هدب أخلاقه وعمل بما تعلم، والعلماء يعتقدون أن المتعلم ما لم يهدب أخلاقه لا تنفعه سائر العلوم، كما أن البدن الذي ليس نقياً كلما غديته فقد زدته شراً، فكذلك النفس التي ليست تقيّة عن ذمائم الأخلاق لا يزيدنها تعلم العلوم إلا فساداً.

وقد يطلق على هذه الملكة الأخلاقية اسم الملكة إن كانت من فضائل الأخلاق أو فواضل الأعمال، واسم الشيطان إن كانت من أضدادها، وقد يطلق على الأولى اسم الغلمان والحوور وأمثالها، والثانية اسم الحيات والعقارب وأشباهها، ولا فرق بين الإطالقين في المعنى، وإنما الاختلاف في الاسم... وقد روي عن قيس بن عامر عن النبي ﷺ أنه قال: يا قيس، إن مع العزّ ذلاً، ومع الحياة موتاً، ومع الدنيا آخرة، وإن لكلّ شيء رقيباً، وعلى كلّ شيء حسيباً، وإن لكلّ أجل كتاباً، وإنه لا بدّ لك من قرين يدفن معك وهو حيّ وتدفن معه وأنت ميّت، فإن كان كريماً أكرمك وإن كان لثيماً أأمك، ثم لا يحشر إلا معك، ولا تحشر إلا معه، ولا تسئل إلا عنه، فلا تجعله إلا صالحاً، فإنه إن صلح أنست به، وإن فسد لا تستوحش إلا منه وهو فعلك»، ومنه قوله تعالى:

﴿ وَلَا تُجْرَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١)

وفي الأخبار: «ستعرض لك أفعالك وأقوالك وأفكارك، وسيظهر لك من كلّ حركة فكرية أو قولية أو عملية صورة روحانية، فإن كانت الحركة غضبية أو شهوية صارت مادة الشيطان، يؤذيك في حياتك، ويحجبك عن ملاقاته النور بعد وفاتك، وإن كانت الحركة عقلية صارت ملكاً تلتذّ بمنادمته في دنياك وتستهدي

به في أخراك، إلى جوار الله وكرامته.».

وكشف عن بصره غشاوة الطبيعة، فوقع بصره على وجه ذاته والتفت إلى صفحة باطنه وصحيفة نفسه ولوح قلبه، وهو المراد بقوله :

﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ <sup>(١)</sup>.

و ﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ <sup>(٢)</sup>.

فيشاهد ثمرات أفكاره وأعماله ويرى نتائج أنظاره وأفعاله ويطلع على جزاء حسناته وسيئاته ويحضر عنده جميع حركاته وسكناته ويدرك حقيقة قوله :

﴿ وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴾ <sup>(٣)</sup> أَفْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا <sup>(٤)</sup>.

من كان في غفلة عن أحوال نفسه ومضيئاً لساعات يومه وأمسه يقول :

﴿ مَا لِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ <sup>(٥)</sup>.

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ <sup>(٥)</sup>.

(١) التكوير : ١٠.

(٢) ق : ٢٢.

(٣) الإسراء : ١٣ - ١٤.

(٤) الكهف : ٤٩.

(٥) آل عمران : ٣٠.

الإنسان إن لم يدرك ذلك مات علماً حسرة وندامة، قال تعالى :

﴿ يَا حَسْرَتًا عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ﴾ (١)

لذلك الأخلاق المذمومة هي الحجب المانعة عن المعارف الإلهية والنفحات القدسية، وكيف والقلوب كالأواني فإذا كانت مملوءة بالماء لا يدخلها الهواء، فالقلوب المشغولة بغير الله لا تدخلها معرفة الله ولا أنسه، وإلى ذلك أشار النبي ﷺ بقوله :

«لولا أنّ الشياطين يهيمون على قلوب بني آدم، لنظروا إلى ملكوت السماوات والأرض».

فيجب تطهير القلوب، وعندئذٍ يظهر لها من المزايا الإلهية والآفاق الرحمانية ما لم يكن إلا لأعظم العلماء، كما قال سيّد المرسلين.

«إنّ لي مع الله حالات لا يحتملها ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل».

وقال : إنّما هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء، ومنه أشار الإمام عليّ :  
«إنّ من أحبّ عباد الله إليه عبداً أعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن وتجلّبب الخوف فزهر مصباح الهدى في قلبه».

فيجب على الإنسان أن يسعى لتحصيل هذه الملكة وإزالة نقائصها وتحصيل فضائلها، وعجباً لأقوام يبالغون في إعادة الصّحة الجسمية الفانية ولا يجتهدون في تحصيل الصّحة الروحية الباقية يطيعون قول الطبيب المجوسي في شرب الأشياء الكريهة ومزاولة الأعمال القبيحة لأجل الصّحة الزائلة، ولا يطيعون أمر الطبيب الإلهي لتحصيل السعادة الدائمة.



وإن أدركته الرحمة الأزلية، فيصرف همه في إزالة النقائص واكتساب الفضائل، فلا يزال يتصاعد من مرتبة هي الكمال إلى فوقها حتى يصير من أهل مشاهدة الجلال والجمال ويتشرف بجوار الرب المتعال ويصل إلى السرور الحقيقي الذي لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وقال تعالى :

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ (١).

دعوة الأنبياء إنما هي دعوة التوحيد :

من آدم إلى النبي ﷺ كذلك الأوصياء والأولياء والعلماء يدعون إلى التوحيد، نبي الله إبراهيم كان يدعو إلى التوحيد كما هو مذكور في الآية، والتوحيد على قسمين :

١- قولي .

٢- عملي .

أما القولي فكلمة لا إله إلا الله، فمن قالها دخل في الإسلام وصار مسلماً، وأمن له ماله ودمه وعرضه إلا بحققها، كما قال النبي ﷺ : « قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » تسلمون من الشرك، مالك دمك عرضك يسلم. وإذا قال أي واحد هذا القول يكون مسلماً ولا يكون مؤمناً، لأن الإيمان يثبت إذا ظهر أثر هذا القول في العمل، فإذا ثبت هذا القول في النفس صار مؤمناً، فعندئذ يظهر التوحيد على فعل الإنسان، فيصنع بصبغة الله التي صبغ الناس عليها، يتلوّن بالتوحيد، يكون في

عمله مصلياً صائماً تالياً لكتاب الله، دائماً يرى نفسه في حضرة الله، فلا يعصي الله لأنه من يرى جمال الله فإنه يحبّه ويعشقه، ومن عشقه وأحبّه لا يعصيه، فيظهر التوحيد في سلوكه وأخلاقه، فيتحلّى بآداب خير ميراث الأنبياء، لأننا لا نرث من الأنبياء المال، بل نرث منهم العلم والأخلاق، وآداب الإسلام سرّه في التوحيد، أمّهات الأخلاق وآداب الإسلام عبارة عن تطبيق سورة التوحيد :

١- الخوف من الله .

٢- التكامل بين الإنسان والإيمان والتقوى .

وللإنسان قوى أربع، إذا اعتدلت فإنه يعتدل في حياته، وإذا طغت تجاوز

الإنسان وأفرط أو فرط في سلوكه، وهي :

١- القوّة العاقلة .

٢- القوّة الغضبيّة .

٣- القوّة الشهويّة .

٤- القوّة الوهميّة .

وينتج من هذه القوى الأربعة الأخلاق التالية التي هي أمّهات الصفات

الحميدة والأخلاق الحسنة، وهي :

١- الحكمة .

٢- العقّة .

٣- الشجاعة .

٤- العدالة .

فالإسلام حدّد هذه الغرائز في نطاق العدل، وهو التعديل في القوى والحدّ

الوسط بلا إفراط ولا تفريط .

النفس وأسمائها وقواها الأربع :

النفس هي حقيقة الإنسان، والأعضاء والقوى آلاته التي يتوقف فعله عليها، ولها أسماء مختلفة بحسب الاعتبارات :

١- فتسمى (روح) لتوقف حياة الإنسان عليه :

٢- وتسمى (عقلاً) لإدراك المعقولات.

٣- وتسمى (قلباً) لتقلبه في الخواطر.

وله قوى أربع :

١- قوة عقلية ملكية.

٢- قوة غضبية سبعة.

٣- وقوة شهوية بهيمية.

٤- قوة وهمية شيطانية.

والأولى : شأنها إدراك حقائق الأمور والتمييز بين الخيرات والشرور، والأمر بالأفعال الجميلة، والنهي عن الصفات الذميمة.

والثانية : موجبة لصدور أفعال السباع من الغضب والبغضاء والتعدّي على الناس بأنواع الأذى.

والثالثة : لا يصدر عنها إلا أفعال البهائم من عبودية الفرج والبطن والحرص على الجماع والأكل وشهوة الكلام وما شابه ذلك.

والرابعة : شأنها استنباط وجوه المكر والحيلة والتوصل إلى الأغراض والمقاصد بالتلبيس والخداع.

والفائدة في وجود القوة الشهوية بقاء البدن الذي هو آلة لتحصيل كمال النفس، وفي وجود القوة الغضبية أن يكسر قوة الشهوية والشيطانية ويقهرهما عند انغمازهما في الخداع والشهوات وإصرارهما عليها، لأنهما لتمرّدهما لا تطيعان العاقلة بسهولة بخلاف الغضبية، فإنهما تطيعانها وتتأدبان بتأديبها بسهولة.

ثمّ مثل اجتماع هذه القوى في الإنسان كمثّل اجتماع ملك أو حكيم وكلب وخنزير وشيطان في مربط واحد، وكان بينهما منازعة وأيّهما كان غالباً كان الحكم له، ولم تظهر من الأفعال والصفات إلاّ ما تقتضيه جبلته، فكان أهاب الإنسان وعاء اجتماع فيه هذه الأربع.

الحكيم هو القوة العاقلة، والكلب هو القوة الغضبية، فإنّ الكلب ليس كلباً ومذموماً لونه أو صوته بل لأجل الروح الكلية، والسبعية أعني الضراوة والتكلّب على الناس بالعقر والجرح، وقوة الغضبية موجبة لذلك، فمن غلب عليه هذه القوة هو الكلب حقيقة وإن أطلق عليه اسم الإنسان.

والخنزير هو القوة الشهوية، والشيطان هو قوة وهمية، والتقريب بينهما كما ذكر، والنفس لا تزال محلّ تنازع هذه القوى وتدافعها إلى أن يغلب أحدهما. فالغضبية تدعوه إلى الظلم والإيذاء والعداوة والبغضاء، والبهيمية تدعوه إلى المنكر والفواحش والحصر على المآكل والمناكح.

والشيطانية تهيج غضب السبعية وشهوة البهيمية وتزيد فعلها وتغري إحداهما الأخرى.

والعقل شأنه أن يدفع غيظ السبعية وتسلّط الشهوية عليها ويكسر سورة الشهوة بتسلّط السبعية عليها، ويردّ كيد الشيطان ومكره بالكشف عن تلبّسه

ببصيرته النافذة ونواريته الباهرة.

فإن غلب على الكلّ يجعلها مقهورة تحت سياسة غير مقدمة على فعل إلا بإشارته، جرى الكلّ على المنهج الوسط، وظهر العدل في مملكة البدن، ولما كانت القوة العاقلة من سنخ الملائكة والوهميّة من حزب الأبالسة والغضبية من أفق السباع أو الشهويّة من عالم البهائم، فبحسب غلبة واحدة منها تكون النفس مالكاً أو شيطانياً أو كلبياً أو خنزيراً.

قال أمير المؤمنين: «إنّ الله خصّ الملك بالعقل دون الشهوة والغضب، وخصّ الحيوانات بهما دونه، وشرف الإنسان بإعطاء الجميع، فإن انقادت شهوته وغضبه لعقله صار أفضل من الملائكة لوصوله إلى هذه المرتبة مع وجود المنازع، والملائكة ليس لهم مزاحم».

والمراد من التغيير ليس رفع الغضب والشهوة مثلاً وإمالتها بالكلية، فإنّ ذلك محال، لأنّهما مخلوقات لفائدة ضرورية في الجبلّة، إذ لو انقطع الغضب عن الإنسان بالكلية لم يدافع عن نفسه ما يهلكه ويؤذيه، وامتنع عن جهاد الكفّار، ولو انعدمت شهوة الطعام لم تبق حياته، ولو بطل عنه شهوة الوقاع بالمرأة لضاع النسل، بل المراد ردهما من الإفراط والتفريط إلى الوسط، فالمطلوب في صفة الغضب خلوّ النفس عن الجبن والتهوّر والاتّصاف بحسن الحميّة، وهو أن يحصل ما استحسّن حصوله شرعاً وعقلاً، ولا يحصل إذا استحسّن عدمه كذلك، ويسمّى الحدّ الوسط بالشجاعة، وحدّ الإفراط بالتهوّر، وحدّ التفريط بالجبن. وكذلك الحال في صفة الشهوة، ويسمّى الحدّ الوسط بالعفة، وحدّ الإفراط بالشهوة، وحدّ التفريط بالخمول، وكذلك الحال في القوى الأخرى.

والحكمة تنقسم إلى :

١- نظرية .

٢- عملية .

والمراد من الحكمة التي هي إحدى الفضائل الأربعة، استعمال العقل على الوجه الأصح، وهذه هي العدالة في العقل والعمل .  
ونسأل الله أن يوفّقنا لبلوغ الكمال .  
والحمد لله ربّ العالمين .

## دعوة التوحيد

عبد الله مصطفى ديم  
مدير وأستاذ / مالي

اللهم صلّ على محمد وآل محمد .  
اعلم أنّ دعوة التوحيد وأنّ الله سبحانه واحد أحد هي دعوة الأنبياء، من  
آدم إلى خاتمهم محمد ﷺ، فبكلمة التوحيد وتوحيد الكلمة يدعون .  
وكذا الأولياء والأوصياء، الكلّ في سلوك وسعي لإيصال كلمة التوحيد،  
ابتداءً من الأسرة :

﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ (١)

ثمّ المجتمع الكبير .

ثمّ دعوة التوحيد تارةً قوليةً، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا . والقول هنا بمعنى  
ما وراءه عقيدة واعتقاد .  
وأخرى عملية :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِنْفَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾ (٢)

---

(١) التحريم : ٦ .

(٢) البقرة : ١٣٨ .

فالعبادة لله إنما هي من التوحيد العملي، كما أنه من التوحيد أن يتخلّق الإنسان بأخلاق ربّه أي تتجلّى فيه الصفات الإلهية.

قال الإمام الصادق عليه السلام: تخلّقوا بأخلاق الله. ومن تمّ يشعر المرء نفسه دائماً في حضرة الله فلا يعصيه، لأنّ من يرى جمال الله يحبه، فيظهر التوحيد على حركاته وسكناته وآدابه وسلوكه وفي كلّ أبعاد حياته.

### التكامل:

المقصود من خلق الإنسان هو تكامله، تكامل الإنسان إنّما هو بالأخلاق، والعلم والأدب، وبالعمل الصالح، إنّه لهدف مشروع وبه ركّزت الدعوة النبوية تذكير الناس برّبهم، وإرشادهم إليه وتعليمهم كيف يتقرّبون إليه زلفى، وينبغي ألاّ نشكّ أن سعادة الإنسان إنّما هي بالتقرّب إلى الله والتخلّق بأخلاقه.

دائماً ينبغي أن يكون الطالب في سعي وإخلاص لأنّه حامل أمانة إلهية وإنّه خليفة الرسل، وهذا من الصعب المستصعب.

أقول لكم هذه القصة عن بعض المجتهدين في العصر المتأخّر، كان في حالة الاحتضار، واشتدّ عليه الأمر، دخل عليه زميله في الدراسة، فأخذ الأخير يلقّنه التوحيد، قل لا إله إلاّ الله، وأشهد أنّ محمداً رسول الله، وأنّ عليّاً وليّ الله. فلم يقل، ثمّ قال: عليّ بالقرآن وقال: يا هذا، تتذكّر عندما كنّا نقرأ أتبنا أسرع فهماً وذكاءً؟ وجعل يذكر له أدوار الدراسة آنذاك.

ثمّ قال: كيف أنت وصلت إلى المرجعية وأنا لم أصل، إنّ الله ظلمني. ثمّ أهان القرآن ومات كافراً، إنّه وإن كان من المجتهدين ولكن لما لم يهدّب نفسه ولم يتخلّق بأخلاق الله فإنّه كانت عاقبته على سوء، ومات كافراً.



إنّ على المرء أن يحاسب نفسه وأن يكون مخلصاً لله دينه، ومحسناً مسلكه في جميع أموره، لأنّ نفس الإنسان عجيبة تحتاج إلى التربية والمراقبة، لأنّ القوى تدور بين الإفراط والتفريط، القوى العقلية والغضبية والشهوية والوهمية، فلا بدّ أن يربّيها في حدّ الوسط.

### الظلام والنور :

أمران متنازعان منذ بدء الخلق وإلى الأبد، وهكذا في الإنسان، فإنّ له النفس الأتّامة بالسوء وإنّها من الظلمة، كما له العقل وإنّه نور وحبّة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة، وأما الباطنة فالعقل.

إنّ العقل أوّل هادٍ، وبه يدرك الإنسان سبيل سعاده.

خلق الإنسان للكمال، وذلك بالرحمة والعلم والعبادة، كمال الإنسان أن يكون خليفة الله في الأسماء والصفات.

هدف البعثة التزكية والتعليم، في الحديث القدسي : خلقتك من أجلي، وخلقت الأشياء من أجلك.

الإنسان هو المقصود لخلق الله وإنّ له العقل والقلب : والعقل تربيته وتعليمه بالفكر والدرس، وأما القلب تربيته وتعليمه بالذكر والدعاء والمناجاة.

سئل نبيّ الله عيسى عليه السلام عن العلم فقال : ليس العلم في السماء فينزل إليكم، ولا في الأرض فيخرج إليكم، إنّما العلم في قلوبكم، تخلّقوا بأخلاق الروحانيين - الله، الملائكة، القرآن، الأنبياء، الأوصياء، العلماء، الصالحاء - يظهر لكم... الحديث.

ثمّ من أخلص لله أربعين يوماً تفجّر ينابيع الحكمة من قلبه.

في الحديث القدسي :

« ليس العلم بكثرة التعلّم، إنّما العلم نورٌ يقذفه الله في قلب من يشاء ».

الإنسان بين دعوتين : إلهية وشيطانية .

قلب الإنسان له أذنان : رحماني يسمع بها الدعوة الإلهية، ويسمى بالإلهام،

وشيطاني يسمع بها الدعوة الشيطانية .

﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ <sup>(١)</sup> .

لا تجلسوا عند كلّ عالم إلاّ عالم يدعوكم من الخمس إلى الخمس :

من الشكّ إلى اليقين، ومن الكبر إلى التواضع، ومن الرياء إلى الإخلاص،

ومن الرغبة إلى الزهد، ومن العداوة إلى النصيحة .

الحواريون قالوا لعيسى :

يا روح الله، من نعاشر؟

قال :

من يذكركم الله رؤيته، ويرغبكم في الآخرة عمله، ويزيدكم في علمكم

منطقه .

## علم الأخلاق

ماچينگ يونس

مبلغ إسلامي / الصين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء محمد وآله  
الطيبين الطاهرين.

ميل الإنسان إلى الكمال :

إنَّ كلَّ واحد من الناس، في أيِّ وعض من الأوضاع والأحوال، الفردية والاجتماعية، يحبُّ الكمال لنفسه، بحكم فطرته ومقتضى عقله، فهو ممّن يهوّن على نفسه الآلام والأتعاب بأمل المستقبل الأفضل، يتّجه من نقطة البداية الناقصة ومن الصفر إلى النهاية ونحو الكمال، ويحاول أن يقتنص كلَّ خطوة يتكامل فيها، وهو بما يحمل من أبعاد مختلفة ومتفاوتة في أفكاره وروحه فإنّه سوف يكون تكامله جذرياً وقويّاً وسريعاً بحيث يحاول التقدّم نحو الأبدية.

إنَّ غريزة حبِّ الكمال ليست قويّة في الإنسان فقط، بل هي مودعة حتّى في وجود الحيوانات، فهي أيضاً تحاول طرد جميع الموانع عن طريقها نحوه، ومن ذلك فرارها عمّا يضرّها لتصل نحو هدفها الغريزي لها، بل إنَّ جميع ظواهر الحياة الطبيعية من الذرّة الصغيرة جدّاً إلى عالم الكواكب والمجرات، كلّها أعضاء

لهذه القافلة الكونية العظيمة وإنّها تسير نحو الكمال، فهي تعشق كمالها المنشود في جبلتها.

إنّ التكامل المادّي للإنسان خارج عن حدود اختياره، بينما الكمال النفسي في اختياره، وعلى هذا فلا ينبغي للبشر أن ينحرف عن سنّة التكامل في هذه الحياة المتكاملة، فيبقى ناقصاً في نظام تكامل العالم، ومن البديهي أنّ كمال النفس أمر غير مادّي، وإنّ الإنسان يتوقّف إلى الاكتشافات المادّية بوسيلة التجربة والدراسة، ولكنّه لا يستطيع أن يجعل نفسه على سبيل الكمال فيرتقي بها إلى أوج الرقيّ بأساليب مادّية فقط، بل لا بدّ من المادّيات والمعنويات سويةً، لا بدّ من استجابة النزعات المادّية والالهية المكونة في جبلته.

#### تزكية النفس عامل الكمال :

لا ريب في أنّ الإنسان إذ يريد أن يتّبع في حياته أصولاً خاصّة، سواءً أكانت أصولاً دينية أو غيرها، لزم أن يكون له خطّ سير معيّن، ولازم اتّخاذه لذلك الخطّ هو أن يسير إلى جهة الهدف، وأن يبتعد عن الأمور التي توافق أهواءه الزائلة ولكنها تباين الأصول التي اتّخذها وهدفه في الحياة.

وعلى هذا فإنّ تزكية النفس وامتلاك زمامها من لوازم وضروريات حياة الإنسان الذي يريد أن تكون له حياة إنسانية معقولة، إنّ الإنسان موجود له ميول لا نهاية لها، وهو معها مجهّز بقوة الفكر، فلو لم يعترف لنفسه في حياته بضوابط وقيود لأصبح وحشاً مفترساً سفاكاً، بل مصاصاً للدماء يورث الدمار والضياع.

إنّ كلّ الأفكار والعقائد والنظريات المختلفة بشأن التربية، تدور حول محور النفس الإنسانية، إذ هي التي تتقبّل التهذيب، تتعالى وتكتسب الصفات

الإنسانية السامية ومبادئ الفضائل، وتعشق الكمال المعنوي، وأخيراً فالروح الإنسانية هي التي وضعت للإنسان سلسلة من القواعد الأخلاقية التي لا حظّ لسائر الحيوانات فيها، ولا حاجة لها فيها.

يجب أن نرتقي في كسب العلم والفضائل لنكون كما نعرف النور من الظلمة والصوت من السكوت بكلّ دقّة، أن نميّز الخير عن الشرّ أيضاً، ثمّ نلتزم بفعل الخير وترك الشرّ، ولكنّ ترك الشرّ يستلزم نظاماً جسمانياً ونفسياً خبيراً، ولا يمكن الكمال الأسمى للجسم والروح إلاّ بمساعدة تزكية النفس، فلا يجوز أيّ إفراط في قضاء أوطار النفس على من يريد تكاملها، إنّ هذا الوضع النفسي هو ما يبتنى عليه الركن الأسمى للشخصية الإنسانية، وهو كقاعدة أو مطار لتسامي الروح الإنسانية منها.

### أسمى تكاليف الإنسان :

إنّ أهمّ وأقوم وظيفة للإنسان هي التربية، وقد أدرك قيمتها منذ بدء فجر الحياة، ولهذا فهو بنسبة إدراكه لحقيقة وظيفته ورسالته في الحياة اتّخذ لنفسه أهدافاً وقواعد متناسبة مع جوّه النفسي الذي يعيش فيه، مهما كانت أهدافه تلك أو قواعدها صحيحة أو باطلة.

نحن نشاهد اليوم جيّداً ما أوجدته المدارس المختلفة في العالم من تحوّلات وتغييرات عجيبة في طول الزمان وفي تاريخ البشر، والتي قد غيرت صورة حياتهم، والذي نجده في الواقع الخارجي بالدراسة والمطالعة هو أنّ البشر لم يخلق في ذاته شرّاً وشرّطاناً، ولو كان في أصل خلقته مخلوقاً شرّيراً لكانت كلّ المساعي التربويّة باطلة وبلا ثمر، ولذهبت مساعي جميع الأنبياء الإلهيين،

والقادة التربويين أدرج الرياح، ولو كان القتل وسفك الدم قد عجن بطينة الناس في جزيرة العرب، فكيف كان يمكن لرسول الإسلام ﷺ أن يحدث ثورة شاملة في روحيات الناس هناك، وأن يغيّر ذواتهم وماهياتهم؟! والقرآن الكريم يرسم للإنسان - بوصفه أكرم مخلوق - مسار خطاه إلى التكامل، بقوله سبحانه:

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ۗ ﴾ (١)

والقرآن الكريم يشير إلى حقيقة أنّ الإنسان إن لم يكن تحت تربية أساسية تقدّمت عليه القوى الجياشة وأضعفت وجدانه وضميره والقوة العقلية فيه وسخرت سائر أحاسيسه النفسية واستخدمتها لأغراضها ومقاصدها، إنّ أكبر معجزة جرت في تكوين الإنسان هي أنّه ذو طبيعة ذات جانبيين، ولهذا فلا ينبغي أن نغفل عن طاقته لتقبّل ألوان مختلفة وإمكانية قيادته في مسيرة خاصة.

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام:

«إنّ بذوي العقول من الحاجة إلى الأدب كما يظمأ الزرع إلى المطر».

إنّ أسس التربية إن لم تبتن على أساس عناصر تقوم بتعديله، بل كانت قوى الإنسان متحرّرة عن كلّ لون من ألوان التربية والتعديل، لبقى الإنسان وللأبد تحت وطأة الضرورات البدائية.

من هنا فإنّ كلّ أعمال الإنسان إمّا هي صالحة أو طالحة سيئة، فهو إمّا يثاب عليها أو يجازى ويعاقب، والقرآن الكريم يقول:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۗ ﴾ (٢).

(١) الانشقاق: ٦.

(٢) الشمس: ٩ - ١٠.

الفطرة الطاهرة غير الملوثة :

قال رسول الإسلام ﷺ :

«كلّ مولود يولد على الفطرة، حتّى يكون أبواه يهودانه أو ينصرّانه».

إنّ الإنسان لا يولد مجرماً وجانياً بالفطرة، بل هناك في نظام وجود أيّ إنسان قوّة مودعة يجزّه إلى جانب الخير والصلاح، وكلّما انحرف عن مساره الأصلي ردّته إلى حالته الأولى، وكما يصطّح الفلاسفة: كلّ طبيعة تتلى بما يقهر ما يقوى فيها ميل شديد للعودة إلى الحالة الطبيعية.

والقرآن الكريم يعلن: إنّ حبّ الإيمان، وكذلك كراهية الكفر والفسوق والعصيان، مستودع في ضمير الإنسان، وإنّ الله تعالى لم يخلق طينة الإنسان مختمراً بالعقيدة بالمبدأ ومعرفته سبحانه فحسب، بل زيّن قلوب البشر بحبّ الخير والصلاح، وأبلغه أنّ كراهيته للكفر والفسوق والعصيان والشروع من فطرته، بحيث تنجذب روحه لا شعورياً إلى سلسلة من الفضائل الإنسانية :

﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ﴾ (١).

الحرية والقيود :

لا معنى للتفاضل بين الحرية والقيود، بل التفاضل إنّما هو بين قيد وقيد آخر، وليس الحرية في كفة ميزان والقيود في كفة أخرى من الميزان، بل يمكن أن

نقول إنما هي حرّية وحرّية أخرى، فالبشر حرّون يختار بين الحرّية الإنسانية والحيوانية أو أحدهما. نعم قيود الإنسان هي العقيدة والأخلاق والفضائل، وقيود الحيوان هي الغرائز والشهوات غير المتناهية، فالذي يستجيب لنداء الأهواء النفسانية فيطيعها أو ينقاد لها دون الالتفات إلى عواقب الأمر، يكون قد توصل إلى حرّية بمعنى أنّه قد تحرّر من أزيمة الضوابط الإنسانية، وتحرّر من قيود الدين والأخلاق، إنّهُ قد فقد قدرة المقاومة أمام مغريات النفس، ولا يتمكّن من المقاومة أمام قوى الغرائز، ولكن ضدّ المنطق المغربي أي التحرّر من كلّ القيود من أجل تحقيق شهوات الغريزة ليس منطقاً حقيقياً، بل إنّ الإنسان بفعله هذا يكون قد نقض وجوده من دون التفات وشعور، فإنّه يكون قد انحرف عن الغاية المنطقية لوجوده، وسوف لا يكون مصيره في نهاية الطريق سوى السقوط والهلاك.

أمّا الإنسان الذي يعقد مع الله عقداً وميثاقاً ثمّ لا يفكّر مدى حياته في نقضه وحلّه، يكون قد صرف قواه في مسار صحيح، قد أراد به عزم راسخ وفكر صائب وقلب قوي، وكلّما كان الإيمان فيه راسخاً وثابتاً كان أشدّ ثباتاً على عهده وميثاقه، وهو يحسّ بالحرّية الواقعية أمام أقوى الدوافع وأغراها، أي يكون محرّراً من ضغط الأهواء، محرّراً من الانقياد والاستسلام أمام جاذبيّتها، وإذا أراد الإنسان أن يعمل جاهداً في سبيل الحصول على شرف حرّيته الواقعية والحقيقية، كي يصبح قوّة فاعلة في عالم الوجود، فيبلغ بسيره على طريق الكمال إلى ما يليق به، فإنّه سوف لا يخضع لمنطق لا ينسجم مع المكانة الواقعية للإنسان.

### النظام التربوي في الإسلام :

مع أنّ العادة في فطرة الإنسان موهبة إلهية تنفذ شرطاً مهماً من مساعيه في



الإبداع والاختراع، فإنه حينما طلع الإسلام في الحياة الجاهلية، كانت تحكمها أنواع من العادات الضارة، مما كان يعدّ كل واحد منها لوحدها سبباً لضياح أمة وسقوطها وهلاكها وانحرافها عن المسيرة الإنسانية.

فأراد الإسلام عزّة الناس ترك ذلك المجتمع الذي كان يسمح في أنواع الموهومات والسنن الجاهليّة، كلّ تلك المراسم والعادات والتقاليد البالية التي دأب عليها آباؤه وأجداده، واتّخذ طريقة جديدة تخلو من كلّ تلك السنن والبدع الاجتماعية الباطلة، وتحفل بكلّ ما فيه سعادته، وذلك على أثر تلقّيه لتعاليم رسول الإسلام ﷺ الذي كان قد تربّى بعيداً عن استيلاء أي نوع من أنواع العادات الاكتسابية، حرّاً من قيود تلك السنن الباطلة التي لا أساس لها.

وكان أسلوب قائد الإسلام العظيم في إنقاذه لذلك المجتمع من أسر المراسم والسنن الباطلة، والذي كانت قد مُسخت حواسّه الظاهرة والباطنة وذلك باعتياده بتلك العادات الباطلة، بحيث كانت قد انسدت في وجوههم طرق الكمال، كان أسلوبه أن رفع عن أعينهم تلك الحجب والموانع التي كانت تمنع اندفاع نفوسهم، واجتذب التفاتهم إلى ما في المحسوسات والمشاهدات من دلائل.

أما الإسلام فإنه وقبل أن يبدأ ببناء مجتمع سعيد، اتّخذ تكتيكاً خاصاً، فقد بدأ بالعادات - سواء ما كان يرتبط منها بأساس الفكر والعقائد أو التي كانت تتعلّق بالأعمال والسلوك - فذوّبها وأفناها، وقطع جذورها بنسبة ما كانت تحمل من مخاطر وأضرار، فبدأ ببعضها بضربة قاضية كالشرك بالله وما يتعلّق به من آثار.

وليس الأصل الأوّل في ذلك تربية القوى العقلية، بل هو إحكام نسيج العاطفة في النفس لحمةً وسدى، فإنّ العواطف هي التي تستند إليها سائر العوامل النفسانية الأخرى، وإنّ ضرورة الحسّ الخلقى في الإنسان ليست بأقلّ من

ضرورة حواسّ السمع والبصر .

ويقول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :

« غالبوا أنفسكم على ترك المعاصي ، يسهل لكم مقادتها إلى الطاعات » .

أثر العقل والإيمان في بناء الإنسان :

إنّ الإسلام يرى للقوّة العقلية أصالة في بناء كيان الإنسان ، ويؤكد على اتّباعها في السلوك العملي والتفكير الحرّ في هذه الطرق العنيفة في الحياة ، كي يكتسب الإنسان نوراً من قوّة إدراكه فيحقّق به الإنسانية في وجوده ومجتمعه .  
ويجب أن يكون دور العقل في تحوّلات الحياة بعيداً عن الجمود ، قادراً على أن يصعد بالإنسان من مستوى الحياة الحيوانية إلى فوق سلطة الأهواء وحكومة الغرائز .

للإيمان بالله قيمة ذاتية في حياة الإنسان ، وله آثار إيجابية وافرة ، وهو منبع الحرية الفردية والرقىّ الإنساني ، وله دور حسّاس في تطوّر الشخصية الإنسانية .

وحينما تبدو آثار الإيمان بالله في جميع شؤون الحياة ، فإنّها تحدّ من ضغط الغرائز الحيوانية بصورة قطعية ، وتنقذ الإنسان من المخالب المهولة للنفس الأمّارة ، فإنّ نتائج الإيمان بالربّ تقود إلى الثبات والصبر والمقاومة في مواجهة اللذائذ المادية الفانية ، وتقود إلى انبساط النفس في حين أنّ الإعراض عن الله والمعنوية والاتجاه إلى اللذات ، يستتبع الجمود العاطفي وهبوط الشخصية المعنوية ، ويهبط بالبشر عن المرتبة السامية للفضيلة والإنسانية ، إلى المرحلة الدانية من الغفلة والوحشية .

إنّ القرآن الكريم يقول من ناحية : إنّ الانغماس في أمواج الأهواء العاتية والغفط في نوم الغفلة عن واقعيّات الحياة والتفكير المحدود بالمادّة فقط ليس ممّا يناسب ساحة الإنسانيّة السامية :

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَاَبِ ﴾ (١)

ولكنّه من ناحية أخرى لا ينفي أثر المادّة في حياة الإنسان ولا يراها غير مقبولة أي لا يراها مرفوضة بالكلّيّة، بل يرفض الانطوائيّة السلبية والحرمان من اللذات المشروعة :

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

فالإسلام هو دين العدالة والأخلاق الفاضلة، والمجتمع المدني الذي يسوده الحكمة والحرّيّة الإنسانيّة والتوحيد الإلهي .  
وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

(١) آل عمران : ١٤ .

(٢) الأعراف : ٣٢ .

## العلم والإيمان

رمزي شمص

مبلغ إسلامي / لبنان

من الواضح أنّ ضرورة علم الأخلاق في حياة الإنسان ممّا لا يمكن إنكاره، فإنّ الوجدان والعقل يشهدان بذلك، الإنسان خلقه الله تعالى، من جسد وروح، وجعله عالم برزخي بين النور والظلمة، بين الحقّ وبين غيره، وجعله عالم برزخي بين الملائكة والحيوانات، الملائكة من النور ومن العقل، الفلاسفة والحكماء الأوائل يقولون بالعقول، وإنّ الصادر من الله هو العقل، ثمّ يقولون إمّا بأرباب العقول كما في فلسفة الإشراق، أو بالعقول العشرة كما في فلسفة المشاء، وهم يعتقدون بأنّ العقول هي المدبّرة لهذا العالم بإذن من الله تعالى، كما يقولون العقل الفعّال هو العقل العاشر، وهو عبارة عن النشأة الإنسانية الأولى والنشأة الطبيعية الأولى لهذا العالم، ما ورد في الأحاديث الشريفة بأنّ المدبّرات لهذا الكون، والمدبّرات كما في الآيات القرآنية إنّما هم الملائكة، ويمكن الجمع بين التفسير القرآني والروائي وبين ما يقوله الفلاسفة، حيث كلاهما يعتقدان بأنّ شيئاً نورانياً هو الذي يدير هذا العالم بعقله، فالملائكة هم من النور، والعقل من نور الله، الروح أيضاً عالم نوراني، من عالم الملكوت، من عالم الجبروت، من عالم اللاهوت، هذه العوالم العلمية، هذه العوالم التي هي من وراء الطبيعة، هذه العوالم

الغيبية إنما هي عوالم نورية، فالروح من تلك العوالم، فالروح من الله :

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿ وَتَفَحَّتْ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾<sup>(٢)</sup>.

وأول ما خلق الله العقل، كما ورد أول ما خلق الله هو نور محمد ﷺ، والكلّ

قابل للجمع بتأويل وتفسير كما هو مذكور في محله<sup>(٣)</sup>.

— وأما الجسم فهو من الطبيعة، الجسم عبارة عن تركيب بين الماهية

والوجود، والماهية ظلمانية محضة، بناءً على أنها اعتبارية وهي التي تقع في

جواب ما هو؟ أي حدود الشيء وذاتية الشيء، (التعريف بالجنس القريب

والفصل القريب يسمّى بالماهية : مثال : الإنسان ما هو؟ فيقال : حيوان ناطق).

— فإنما هذه الماهية هي تتركب بالوجود، فيكون الشيء الموجود،

فالموجود عبارة عن الذات التي ثبت لها الوجود، يعني الماهية التي ثبت لها

الوجود، الجسم عالم ظلماني باعتبار ماهيته، والإنسان مخلوق من جسم من

ظلماني ومن روح روحاني نوراني، فهو برزخ بين أن يكون من الملائكة في

أعلى عليين، وبين أن يكون في أسفل سافلين :

﴿ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) الإسراء : ٨٥ .

(٢) الحجر : ٢٩ .

(٣) راجع المجلد الأول من كتاب الأنوار النعمانية، وكذلك تفسير الكافي لصدر المتألهين،

وتفسير الميزان للعلامة الطباطبائي، وبحار الأنوار.

(٤) التين : ٤ .

عندما خلقنا الإنسان خلقنا السماوات والأرض ولم نتمدح بخلقهما، ولكن عندما خلقنا الإنسان تمدحنا به، وقلنا :

﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾<sup>(١)</sup>.

الله يتمدح بخلق الإنسان، يبارك لنفسه بخلق الإنسان، هذا إن دلّ على شيء إنما يدلّ على عظمة الإنسان، فهذا الإنسان الكائن الصغير المجهول عظيم جداً، أنت الكتاب لله، كتاب الله هو الإنسان الكامل، فهو إما أن يكون في أعلى عليين ويتفوق على الملائكة وملك الملائكة جبرائيل.

يقول الرسول الأكرم ﷺ (لجبرائيل في المعراج وعند وصوله إلى قاب قوسين أو أدنى) : لِمَ لَمْ تَأْتِ مَعِي ؟ (عند وصوله إلى سدرة المنتهى).

فقال جبرائيل : إذْهَبْ أَنْتِ وَحَدِّكِ، لو دنوت أنملة واحدة لاحتترقت.

فالإنسان بإمكانه أن يصل إلى مرحلة ليس بإمكان الملائكة الوصول إلى تلك المرحلة، يعني أنّ الإنسان قادر أن يصل إلى قاب قوسين أو أدنى :

﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴾<sup>(٢)</sup>.

فيمكن للإنسان أن يكون في عداد الملائكة أو أعلى، ويمكن أيضاً أن يكون أسفل من الحيوان كالأنعام بل أضلّ سبيلاً، إذن الإنسان إما أن يكون في عالم نوراني أو يكون في عالم ناري، فالإنسان عالم برزخي بين النار وبين النور، وعلم الأخلاق إنما هدفه هو تربية هذا الإنسان، ونجاته من عالم النار ليدخله إلى عالم النور، ليمزق الحجب الظلمانية حتّى يصل إلى معدن النور

(١) المؤمنون : ١٤ .

(٢) النجم : ٤٢ .

والكرامة، معدن العظمة :

«وهبني كمال الانقطاع إليك حتى تحرق أبصار قلوبنا حجب النور وتصل إلى معدن العظمة» (المناجاة الشعبانية).

الذي يحقق لنا سلامة الإنسان وسعادته، عظمة الإنسان وسيره وسلوكه إلى الله سبحانه، إنما هو العقل والإيمان، وبعبارة أخرى (العلم والإيمان).  
— ما هو العلم؟

يقال هو عبارة عن عقد المحمول بالموضوع، كما يقال: زيد قائم، ففقدنا بين زيد وبين القيام فعلنا بقيام زيد، فالعقدة هي العلم، (يعني التصورات الثلاث: تصوّر المحمول والموضوع والنسبة في الذهن، فهذه إنما يكون علم)، فالعلم هو عبارة عن عقد المحمول بالموضوع.

هذا العلم إنما يتألف بالعقل، بتعقّلات الإنسان، المعقولات الأولى والمعقولات الثانية (كما في الفلسفة وفي المنطق)، ثمّ عندنا علم، كما عندنا عقيدة، فالعقيدة بمعنى هذا المعلوم وهذا العلم وعقده بقلب الإنسان، (الإنسان عنده العقل والقلب)، ما يوجب سلامة العقل وتقدّمه هو الفكر، وما يوجب سلامة القلب وتنشيطه وسلوكه إلى الله ولكونه عرش الرحمن وحرّم الله هو الذكر، فالإنسان يحتاج إلى فكر وذكر - الفكر في العقل والذكر في القلب - فكما يحتاج إلى استدلالات عقلية فإنه يحتاج إلى أذكار قلبية أيضاً، فنحن نحتاج إلى العشق، فالعشق الإلهي في القلوب، ولا جدال ونزاع بين العقل والقلب، لكنّ دائرة العقل أضيق من دائرة القلب (إنّه بالنسبة إلى معرفة الله لا تكتنفه العقول)، باعتبار كلّ ما تصوّره في الله، إنما هو مخلوق لذهنك وليس الخالق، فالعقل لا يحيط ولا يمكن أن يدرك ربّ العالمين، يعني العقل يعجز عن الإحاطة (لأنّه هو

مُحاط)، فالعقل لا يمكن أن يدرك الله، وإنما يعرفه بأوصافه ومن خلال مخلوقاته، فالعقل ناقص، ولكنه حجة الله الباطنية.

— فالعقل له أهمية بالغة في الأحاديث، نجد إشادة عالية للعقل مع أنه ناقص يحتاج إلى مَنْ هو أوسع، وهو القلب وهو الذي يسع الله سبحانه كما في الحديث الشريف: «سمائي وأرضي لا تسعني، ولكن قلب عبدي المؤمن يسعني».

— أين نجد الله، الله في كلِّ مكان، بيته المعمور في مكة إنما هو إشارة إلى الله، كتابه إشارة إليه، أين نجدك يا ربّ، لو أصغيت إلى نداء الله لسمعت: تجدني في قلب عبدي المؤمن.

— العقول لا تكتنف الله، ولكن القلب يسع الله، وهو حرم الله، وهو عرشه المسمّى في الأرض، كما له العرش المسمّى في السماء، كما له العروش الإسميّة. استوى الله في قلب المؤمن، فالعقل يعرف الله والقلب يرى الله، بالعقول نعرف الله، بقانون العلة والمعلول وبغيره من البراهين العقلية ومن القوانين (العشرة) بالنسبة إلى إثبات الصانع، ولكنّ الذي يسع الله سبحانه وتعالى ويكون حرمه، إنما هو القلب، والقلب يسع الله سبحانه وتعالى.

— لذا الإسلام والقرآن يهتمّان بالقلب غاية الاهتمام كما يهتمّان بالعقل أيضاً، فهناك الكثير من الآيات تتحدّث عن القلوب، قلوب ممدوحة وسليمة، وقلوب مريضة، كافرة، كما يذكر العقل في نفس الوقت، فكما يهتمّان بالقلب يهتمّان بالعقل، يهتمّان بالعقل وتربية العقل من خلال الفكر، ويهتمّان بالقلب وتربية القلب من خلال الذكر، فيحتاج الإنسان إلى فكر وإلى ذكر، لكي يحلّق (الإنسان) في فضاء مكارم الأخلاق، يحلّق في الله ويفنى فيه، إذن يحتاج إلى



العلم والإيمان.

— ما هو الإيمان؟

— هو عبارة عن زيد قائم، عبارة عن العلم، عبارة عن عقد المحمول بالموضوع، ولكن عندما تعقد ذلك بالقلب فيسمى بالإيمان كما يسمى بالعقيدة، ذلك عندما تؤمن بأنّ زيداً قائم بقلبك، لذلك يسمى بالعقيدة، فالعقيدة مأخوذة من العقدة، يعني عقد العلم في القلب، ويسمى بالإيمان القلبي (أيضاً).

العلم ربما يزول، فعندما تأتي بعلمٍ آخر، مثلاً: كزيد ليس بقائم، ولكنّ العلم إذا دخل في القلب وعُقد في القلب فإنه لا يزول، لذا العقائد التي تكون سليمة إذا انعقدت في القلب لا يمكن أن تزول لأنها تتلاءم مع فطرة الإنسان، (لأنّ الفطرة السليمة هي من أدوات التكامل)، وكلّ شيء لا يتلاءم مع الفطرة السليمة ولو انعقد في القلب فإنه يزول، لا سيّما لو حكم القرآن والإسلام بطلانه فإنه سرعان ما يزول ويتلاشى لأنه لا يتلاءم مع العقل الإنساني ومع الفطرة الإنسانية، لأنه يعلم عندها بأنّ العلم الذي عنده ليس بعلم، وإتّما هو من الجهل المركّب عنده.

ولا يخفى أنّ سعادة الإنسان إتّما هي بالعقل والإيمان، وسرّ الخليقة هو تكامل الإنسان، وإتّما يتكامل الإنسان لو كان عنده أهداف مقدّسة، فيسير عن علم وحكمة وعقل، والسير هو وسيلة، وسلامة وقداسة الوسيلة إتّما هي بقداسة وسلامة الأهداف، فإذا كان الهدف مقدّساً، فالوسيلة مقدّسة، وكان الطريق مقدّساً، كما لا يُطاع الله من حيث يُعصى، فعندنا الأهداف لا تبرّر الوسيلة، فلا بدّ أن تكون الأهداف مقدّسة لتكون الوسيلة مقدّسة.

## الشخصية الإسلامية

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿١﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (١)

فهذه الآية تعدّ المعجون الأول لعلم الأخلاق، وعلم الأخلاق يعدّ من الأهداف المقدّسة في قاموس الإسلام، حيث نجد الرسول الأعظم ﷺ كأنّما يذكر فلسفة بعثته إنّما هي لإتمام مكارم الأخلاق، كما في قوله: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

— علم الأخلاق علم رشيد وسديد وضروري في حياة الإنسان وبالأخصّ المسلم، وإن كان الأخلاق من ضروريات البشر، فإنّنا نجد كلّ الملل والنحل تبحث عن الأخلاق، وتهتمّ بها، على الصعيدين الفردي والاجتماعي.

ثمّ الإسلام هو دين الله القويم، وإنّه يركّز على الأخلاق في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وكما مرّ معنا سابقاً المقصود من خلق الإنسان أن يصل إلى كماله، وكمال الإنسان هو الله تعالى، فالمفروض في الإنسان أن يتخلّق بأخلاق الله، وتتجلّى الصفات الحسنى في الإنسان، يعني أن يكون الإنسان مظهراً لأسماء الله وصفاته، وخليفته في الأرض، وليكون يوم القيامة في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر، فبالقرب إلى الله يُسعد في الدنيا والآخرة، والإسلام جاء لسعادة الناس.

(١) الشمس: ٩-١٠.

### شخصية الإنسان :

للإنسان بُعدان : بُعد شخصي ، وبُعد شخصيّي ، وما الفرق بينهما ؟

١ - الشخص : يعني الشيء الذي يقبل التشخص ، مثال : القلم = شخصي ، لأنه يتشخص عن غيره ، بمعنى أنه يأخذ حيزاً في الوجود ، وله أبعاد ثلاثة ، الطول والعرض والعمق ، بعبارة أخرى الحجم يتشخص بجسميته وجوهريته ، كما يتشخص بأعراضه ، بالكَم ، بالكيف ، بالأين وغيره من الأعراض التسعة كما في علمي المنطق والفلسفة .

٢ - الشخصية : للإنسان شخصية يُعبّر عنها بـ (أنا) ، فالشخصية لها دور في أفعالك وإرادتك ، فكلمة أنا = كلمة الشخصية (أنا = شخصية) .

— كلامنا في الأخلاق ليس باعتبار شخص الإنسان ، الشخص إنما يبحث عنه علماء الطبيعة والطب ... الطبيب يبحث عن الأمراض التي تتعرض بشخص الإنسان ، الرياضي يفكر بشخص الإنسان ، بجمال شخص جسم الإنسان ، ... مسابقات الجمال يبحثون على أشكال الأجسام ... في الملائمة ...

— فكذلك نحن في (علم الأخلاق) نبحث عن جسم الإنسان (العقل السليم في الجسم السليم) ولكن ليس بشكل مباشر ، إنما باعتبار روحه .

الأنبياء والأوصياء العلماء المرشدون ... يبحثون عن شخصية الإنسان .

— الشخصية ما هي ؟

— الشخصية عبارة عن نفسية الإنسان ، روحية الإنسان ، الشخصية عبارة عن أخلاق الإنسان ، قلب الإنسان ، عقائد الإنسان ، المعاني التي يحملها الإنسان ، العلوم التي يحملها الإنسان ، هذه كلها تكون شخصية الإنسان ، عندنا

شخصية في الإنسان، يعني عندنا الجانب الروحي في الإنسان.

إذن: الشخصية عبارة عن كلمة أنا أو الجانب الروحي في الإنسان، الجانب

القلبي في الإنسان، الجانب النفسي في الإنسان.

والمقصود من علم الأخلاق هو الجانب الروحي، فقد أفلح من زكّاها، زكّى

الذات والروح، زكّى شخصيّة الإنسان، وخاب من دسّى هذه الشخصية، هذه

الشخصية التي هي عبارة عن كلمة (أنا) تارةً يتغلب حبّ الذات على الإنسان،

بحيث لا يفكر إلا بنفسه، تكون له أنانية.

— أنانية مأخوذة من كلمة (أنا) — يعني أنا ولا غيري —.

وتارة أخرى: يقول أنا مع غيري فيكون كريماً.

وأخرى: سخياً يقول غيري ولا أنا (فيفكر بغيره قبل نفسه أو لا يفكر

بنفسه) مثاله: الأنبياء والأولياء والمؤمنون، فإنّ المؤمن بدنه منه في تعب والناس

منه في راحة، فهو كالشمعة يحرق نفسه من أجل إنارة وإضاءة طريق الآخرين.

وإليك المثال التالي من حياة علمائنا الأعلام، فإنّ السيّد ابن طاووس

المتوفّى قبل سبعمائة عام في ليلة من ليالي القدر، أراد أن يدعو ربّه، ففكر لمن

يدعو أولاً، فهل لنفسه؟ فقال: هناك من هو أحوج من نفسي للدعاء، فهل يدعو

لوالديه، فرأى أنّ هناك من هو أحوج، فهل للأقرباء... للعشيرة... للجيران...

للمؤمنين... للمسلمين؟ فوصل أخيراً إلى أنّ أحوج الناس إلى الدعاء هم الكفّار،

فإنّهم من الأشقياء والهالكين في الدارين، فدعا لهم بالإيمان والتوفيق للتوبة

والرجوع إلى الحقّ والإسلام.

وهذا إن دلّ على شيء فإنّه يدلّ على الروح الكبيرة للإنسان، ونكران

الذات، وحبّ الخلق والخير لهم، حتّى الكفّار منهم.

فهذه شخصيات عالمية سخية تفكر بالناس وبالمصلحة العامة .  
 وهناك شخصية أنانية تفكر بنفسها فقط ، تعرف هذه الشخصية (الأنايية) في  
 مواضع معينة ، هي ثلاثة : السفر ، والمائدة ، والبيع والشراء ، تعرف ماذا يحمل من  
 أخلاق ، أخلاق إسلامية ، أم أخلاق أنانية .  
 فحدثنا في علم الأخلاق إنما هو من أجل تربية هذه الشخصية ، فنربّي  
 شخصيتنا أولاً ثم نربّي شخصية المجتمع .  
 — الشخصية لها أبعاد أيضاً ، إمّا فردية ، وإمّا اجتماعية ، الشخصية الفردية  
 يبحث عنها في مذاهب ثلاث :  
 — المذهب الرأسمالي ، والمذهب الشيوعي ، والمذهب الإسلامي (أو  
 الديني) يعني كلّ الأديان بالمعنى العامّ .

### الشخصية الفردية للإنسان :

١ - الشخصية الفردية للإنسان في الرأسمالية : في الواقع تعطي  
 (الرأسمالية) شخصية فردية أنانية ، لأنّ الرأسمالي كالغربي يقول أنت حرّ أن  
 تملك كلّ شيء ، حتّى على حساب الآخرين ، كيف تشاء وبما تشاء ، يعطيك  
 الحرية ويتصوّر أنّ هذا من كمال الإنسان ، أن يعطيه حرية حيوانية مطلقة ...  
 فيستطيع أن يستثمر ويستعمر ويستحمر العالم ، الأنايية المطلقة ، يعني حكومة  
 (أنا) ، فهذه (أنا) أو الأنايية تتعارض مع المذهب الديني ، ففي المذهب الديني  
 لا توجد الأنايية ، لك ما تشاء ولكن للآخرين حقّ عندك ، فإنّه وإن تملك ولك حقّ  
 الملكية الفردية ، إلا أنّ في مالك حقّ للسائل والمحروم ، فيه الحقوق الشرعية من  
 الخمس والزكاة وما شابه . فلا توجد رأسمالية مطلقة في الدين .

٢ - المذهب الشيوعي : يقول : أنت لا تملك شيئاً، وأنت لست حرّاً، أنت تكون في خدمة الدولة الاشتراكية، في الشيوعية لا يوجد ملكية فردية، وإنما المالك هي الدولة، وكلّنا نأكل من خلال الدولة، شخصية الإنسان يفقدها الإنسان في المذهب الشيوعي، لا يشعر بكونه الإنسان لأنّه لا يملك شيئاً، إنّما يكون بمنزلة أدوات ووسائل للتوليد، هنا يفقد الإنسان شخصيّته، وهذا يتنافى مع فطرة وشخصية الإنسان، وأخيراً سقطت لأنّها لا تتلاءم مع شخصيّته وكرامته كما سينهار المذهب الرأسمالي لأنّ الأنانيّة لا تتلاءم مع فطرة وشخصية الإنسان.

٣ - المذهب الديني : ونحن نعتقد أنّ الدين عند الله هو الإسلام ومن يبتغي ديناً غير الإسلام فلن يُقبل منه.

— المذهب الرأسمالي يقول : أصالة الفرد ( يعني : الأصل هو الفرد ).

— المذهب الشيوعي يقول بأصالة المجتمع .

— المذهب الإسلامي يقول بأصالة الفرد والمجتمع معاً، يهتمّ بالفرد كما

يهتمّ بالمجتمع، المذهب الإسلامي يهتمّ ويربّي الفرد... كيف ؟

— يربّي الفرد بصلاة الليل، عليك بصلاة الليل، عليك أن تناجي ربّك وحدك في جوف الليل، وترتبط مع ربّك، هذه حالة فردية، ارتباط مع الله تعالى، التربية الفردية، يعني تربية الشخصية الفردية بالمذهب الإسلامي، بصلاة الليل، ثمّ يربّي تربية اجتماعية (أيضاً)، و عليك أن تصلّي صلاة الجماعة، في كلّ يوم، كلّ جمعة، في كلّ الأسبوع، وفي كلّ اليوم، وفي كلّ السنة تحضر مع الجمع والجماعة في الحجّ.

— الشخصية الفردية والشخصية الاجتماعية في الإسلام إنّما ينظر إليهما

بنظرة واحدة، يعني كما يربّي الفرد ويعتقد بأصالة الفرد، كذلك يربّي ويعترف

بأصالة المجتمع، فالإسلام يعتقد بشخصية الإنسان الفردية والاجتماعية، ويهتمّ بالجانبين، فلا يعنى بالفرد فقط لتكون الأنانية (والرأسمالية)، ولا يعنى فقط بالمجتمع حتى يكون فقد الشخصية على حساب المجتمع، إنّما يعنى بالفرد والمجتمع على حدّ سواء.

— بأي شيء يعنى؟

— يعنى باعتبار تكوّن هذه الشخصية في الطفولة، فالإسلام يربّي الصغار كما يربّي الكبار، بل يبدأ بالتربية قبل انعقاد النطفة، فيقول: كيف تتزوّج وممّن تتزوّج وابتخاب المرأة من أين؟ لماذا؟ لأنّ الخال له تأثير في أخلاق الولد، ولأنّ الإنسان يتربّى في المدرسة، في البيئة، في المحيط، وبالوراثة، قانون الوراثة له تأثير كبير على شخصية الإنسان، لذا الإسلام يهتمّ قبل الزواج، وإيّاك وخضراء الدمن... يعني مثل الذي يتربّى على مزبلة أو مكان مزرب الحيوانات (فيكثر الروث وتنتب النبتة فتكون خضراء جميلة... تسرّ الناظرين...).

ولذا يأمر الإسلام قبل الزواج وقبل الاختيار بدراسة العائلة وأخلاقهم... فيهتمّ بتربية الشخصية قبل الاختيار وقبل المقاربة وعند انعقاد النطفة، وفي بطن الأمّ وبعد الزواج... فكلّ هذا من أجل تربية شخصية إسلامية صحيحة حتى يتكوّن الإنسان بتكوّن صحيح وسليم.

ومن الأمثلة الرائعة: قصّة الشيخ الأنصاري ووالدته... وكيف ربّت ولدها وأرضعته دائماً وهي متوضّئة، وحين أخبروها أنّ ولدها الشيخ الأعظم صار مرجعاً للتقليد، لم تتعجّب، بل قالت: أتوقّع أكثر من هذا، فإنّي لم أقمه ثديي إلّا وكنت طاهرة ومتوضّئة.

فالإسلام يهتمّ بالإنسان من الطفولة وما قبل الطفولة...

فالعالم الغربي يفكر بجسد الطفل فقط، يفكر بشخص الطفل، بينما الإسلام يفكر بشخص الطفل وشخصيته معاً.

مثال: المرأة لا تأكل الحامض في أيام عرسها حتى لا تكون عقيمة...  
فالإسلام يفكر بشخصية الإنسان أكثر من الجانب الجسماني، لأنّ الجسد إنّما هو مركب للروح، فبعد سنوات من الركوب ينتهي دور (المركب) ويذهب ليفنى تحت التراب، وبينما الروح ترجع إلى ربّها، فيعني أنّنا ننتفع من هذا المركب لفترة قصيرة، وبعد ذلك تكون الروح لتبقى إلى الأبد.

فلذا الإسلام يهتمّ بالشخص والشخصية، ويربّي الشخصية بأمرين:  
١- العقل.

٢- الإيمان (العقيدة).

في التربية الدينية الفردية والاجتماعية على السواء.

### الإمام الحسين عليه السلام

النبيّ يقول الله وليّ في الدنيا والآخرة، وهذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة من أمري أنا ومن تبعني.

— الولاية لغةً: من وليّ، بمعنى أن يكون الشيء خلف الشيء، مماثلةً ومن دون واسطة، كما يردف شخصاً خلفه على فرسٍ، لو أردف شخص خلفه بحيث يتّصل معه، وتكون بينهما المماسّة، من دون أن يكون بينهما فاصل بشيء، يسمّى بالولاية، وليّهُ يعني تبعه.

— والولاية (بكسر الواو) بمعنى الإمارة والسلطنة.



وبفتح الواو (الولاية) : بمعنى المحبة والإطاعة .

وهناك أهل الولاية، يعني أهل الإمارة والسلطنة، وهم الأنبياء والأوصياء والأولياء، والعلماء ورثة الأنبياء الأمثل فالأمثل ... فمن حقهم أن يحكموا في الأرض، الولاية لله، فمن كان ولي الله ومن أهل الولاية (الإمارة) والسلطنة بإذن من الله، لأن الأمر لله كما له حق الطاعة، فالولاية وحق الولاية ابتداءً تكون لله، الله ولي الذين آمنوا، الله ولي الخلق، يعني هو الذي يتولى الخلق، أمر الخلق، لله أسماء وصفات، هذه الأسماء والصفات التي وردت في القرآن الكريم، وبقية الصفات والأسماء العليا، كلها تجتمع في الولاية، يعني الولاية في باطنها : العلم، القدرة، الحياة، الإدراك، الإرادة، الكلام، الصدق، السخاء، ...، إنما هي في بطن الولاية، فالله يتولى الخلق بعلمه، الله يتولى الخلق بقدرته ...، هذه تسمى بالصفات الثبوتية الذاتية والفعليّة .

— هذه الولاية الإلهية تسمى بالولاية الإلهية العظمى، التي تجمع الصفات والأسماء، ثم هذه الولاية تتجلى، الله يتولى الأمر والخلق، له الأمر وله الخلق، إلا أنه أعطى هذه الولاية لنبيه محمد ﷺ، حيث أنه أول مخلوق لله، أول ما خلق الله نوري، فأعطى هذه الولاية للنبي ﷺ بأمر الله وإذن الله، لأن الله ليس بجسم حتى يتولى الأمور الجسمانية، فلا بد هناك أشرف مخلوق لله هو الذي يتولى العالم العلوي والعالم السفلي، يتولى الأفلاك والعقول والخلق والمصنوعات، ... بإذن من الله، وإنما يتولى هذا الأمر هو النبي الأكرم ﷺ، وتسمى هذه الحقيقة وهذه الولاية بالحقيقة المحمدية، وهذه الحقيقة لها شؤونات ومظاهر، تتجلى تارةً بأمر المؤمنين في الحقيقة العلوية، وتارةً في الأنبياء، وتارةً في فاطمة الزهراء تسمى بالحقيقة الفاطمية، تارةً في الإمام الحسن (الحقيقة الحسينية)، تارةً في الإمام

الحسين تسمى الحقيقة الحسينية، وفي الإمام زين العابدين، وهكذا إلى كل الأئمة عليهم السلام تتجلى الحقيقة المحمدية، التي هي عبارة عن الولاية الإلهية العظمى، في الحقيقة المحمدية خلاصة الولاية الإلهية، الله يتولى الأمر والخلق، ومن بعده يتولى الأمر والخلق النبي صلى الله عليه وآله، ومن بعده من كان من النبي ونفسه هو الذي يتولى الأمر (حسين مني وأنا من حسين)، هذا الولي (كان النبي أو المعصوم من أوليائه) الله يتولى أمره، يتولى سياسته، يتولى حياته الدنيوية والأخروية كما قال الله تعالى: الله وليي في الدنيا والآخرة، فالنبي صلى الله عليه وآله يقول الله هو الذي يتولى، يتولاني مباشرة، فهو الذي أدبني، وعلمني، وأحسن تأديبي وتعليمي، ثم بعد ذلك كل من كان في خط النبي وخط الولي، فهو ولي الله، فالله يتولى سياسته وأمره، وهذا هو سبيل الله، والنبي يدعو إلى سبيل الله، بحكمة ويجادل مجادلة حسنة، وإنه على بصيرة من أمره، ولم يكن عن عمى، لم يكن عن شك إنما عن بصيرة ويقين، عن علم وقطع وجزم، في ما يدعو إليه هو ومن اتبعه، الولاية الإلهية والحقيقة المحمدية تتجلى في الإمام الحسين عليه السلام.

وقد ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: إن لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لن تبرد أبداً.

هذه تعتبر من عيون الأخبار النبوية الشريفة، تعتبر من المعانيات، لأن النبي صلى الله عليه وآله يخبر عن قتل سيد الشهداء عليه السلام أولاً، ويخبر بأن لهذا القتل في قلوب المؤمنين حرارة لن تبرد أبداً (ثانياً)، هذه الحرارة تبقى أبدية خالدة بخلود المخلدات، بخلود القرآن الكريم، متى ما كان القرآن تكون قضية عاشوراء، متى ما يكون القرآن تكون قضية الحسين عليه السلام وشهادة الإمام الحسين عليه السلام، هناك بالدلالة الالتزامية بين القرآن وبين الحسين وجوه عديدة، لأن القرآن الصامت له

قرآن ناطق يترجمه ويبيّن آياته، لا بدّ من ذلك، كما هو ثابت في محلّه، فإذا كان القرآن مُخلّد ومحمّود وفي قلوب المؤمنين، وإنّ الله يقول: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾<sup>(١)</sup>، وإنّما يحفظه بأيدي المؤمنين، إنّما ينصر نبيّه بالمؤمنين، ويحفظ القرآن بالمؤمنين، وإلاّ هذه الحروف بما هي حروف قابلة للزوال، الأوراق بما هي أوراق قابلة للزوال لم تحفظ، إنّما الآيات القرآنية والمفاهيم القرآنية وعظمة القرآن نفس القرآن حقيقة، إنّما يحفظ بالمؤمنين. يعني هناك رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، هناك رجال يحبّون أن يتطهّروا، عدل القرآن، شريك القرآن، القرآن الناطق، الثقل الثاني للقرآن الكريم هو كلمات الأئمة عليهم السلام، هم العترة الطاهرة، فإذا كان القرآن يحفظ، كذلك السنّة الشريفة لا بدّ أن تحفظ إلى يوم القيامة (السنّة الشريفة التي تعني فعل المعصوم، أعمّ من أن يكون نبياً أو إماماً معصوماً، فالسنّة فعل المعصوم، قول المعصوم، تقرير المعصوم)، فهذا يبقى ببقاء القرآن الكريم، نجد الإمام الحسين الذي يُجسّد ويمثّل القرآن في عصره، وحتى يوم القيامة نجد لقتله حرارة في قلوب المؤمنين، لن تبرد هذه الحرارة، كالقرآن الكريم، إذا كان القرآن يسأل الإمام لماذا هذا القرآن غضّ جديد دائماً نجده جديداً، آياته جديدة، الإمام الصادق يقول لأنّه لم يكن لزمان خاصّ، ولقوم خاصّ، إنّما هو كتاب الحياة لكلّ الأزمنة، ولكلّ الناس، إنّما كتاب حياتهم وكتاب سعادتهم، كذلك كلمات أهل البيت عليهم السلام أيضاً غضّ جديد، نهج البلاغة غضّ جديد، الصحيفة السجّادية أيضاً غضّ جديد، كالقرآن القرآن بالولاية الالتزامية، قتل الإمام الحسين بالخصوص، شهادته، أيضاً غضّ جديد،

كلّ سنة تجد تجدد العزاء الحسيني يشتدّ أكثر فأكثر، ممّا يدعو للتعجب، حتّى من غير المسلمين يكون على الحسين، يلطمون على الحسين عليه السلام، لماذا ولماذا؟؟ لأنّ النبي صلى الله عليه وآله أخبر عن هذه الحقيقة بأنّ لقتل سيّد الشهداء حرارة في قلوب المؤمنين، هذه الحرارة لن تبرد، هذه الحرارة في كلّ عاشوراء تتجدّد، لا تخمد هذه الحرارة شعلة وهاجّة في قلوب المؤمنين، قلوب المؤمنين عرش الله، قلوب المؤمنين حرّم الله، إذن في هذا الحرم الإلهي، في هذا العرش الإلهي، تجد هذه الحرارة موجودة، لماذا؟

لأنّ النبي صلى الله عليه وآله عندما ذهب إلى المعراج رأى وقد كتب بلون أخضر على ساق العرش: «إنّ الحسين مصباح هدىّ وسفينة نجاة»، يعني على العرش الإلهي مكتوب الحسين مصباح هدىّ وسفينة نجاة، يسأل الإمام الصادق عليه السلام: ألستم سفن النجاة؟ لأنّ النبي الأكرم ذكر: مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها هلك وهوى، فأجاب: نعم، ولكن سفينة جدّي الحسين أوسع وأسرع، لذا تجد في هذه السفينة قد دخلها الجميع حتّى شارب الخمر، وإنّها تكون سبباً لتوبته، فيسعد في آخر حياته، لأنّه سفينة النجاة أوسع وأسرع إلى المقصود، إلى الله تعالى، إنك كادحٌ إلى ربك كدحاً فملاقيه، ففي هذا القوس الصعودي تجد هذه السفينة أسرع، لذا قضية الحسين تتجدّد وإنّها حرارة لن تبرد، فالسيّد القائد يقول: إنّ قضية الإمام الحسين لم تكن حادثة حدثت وانتهت، كلاً، بل إنّ قضية الحسين عليه السلام هي ثقافة، قضية الحسين عبر ودروس عرفانية، أخلاقية، علوم قرآنية.

فالإمام الحسين من وقت خروجه من عند جدّه صلى الله عليه وآله كان يجسّد الدروس الأخلاقية النبوية والعلوية والقرآنية، وأساس الأخلاقيات (هو الصبر)، فنجد

آيات الصبر تتجلى في قضية عاشوراء، يقول الراوي: كلما قتل من أصحابه ومن أهل بيته يتهلل وجه سيد الشهداء ويبتهج نوراً، ينبسط وجهه نوراً، ولسانه يترنم بذكر الله ورضى بقضائه، فإنه الصبور حقاً، هذا آية الصبر.

ثم من الدروس الأخلاقية في قضية الإمام الحسين عليه السلام وفي عاشوراء: الرحمة الرحيمية والرحمانية، الإمام الحسين عليه السلام آية الرحمة، الرحمة الإلهية تتجلى في الإمام الحسين عليه السلام.

يقال: كان شخص من جيش بني أمية برز للإمام الحسين عليه السلام وأخذ يقاتله، فالإمام الحسين عليه السلام ضربه فسقط صريعاً، ثم كان لهذا الشخص أخ ثان في عسكر بني أمية اللعناء، صرخ هذا الشخص وأراد أن يقتل الإمام الحسين انتقاماً لأخيه، فهجم مسرعاً بفرسه على الإمام الحسين، فما أن وصل إلى الإمام الحسين عليه السلام فتعثر فرسه فسقط صاحبه أمام الإمام الحسين عليه السلام ... فجاء الإمام الحسين عليه السلام إليه وسأله: هل لك من حاجة أقضيها لك؟ فقال الرجل: نعم، ادع لي قومي ليأتوا وليأخذوني، فدعا الإمام الحسين عليه السلام قومه فجاءوا وأخذوه.

هذه الرحمة الحسينية، وإنك لتجد العشق الإلهي، في الإمام وأصحاب الإمام الحسين عليه السلام، كما ترى الإيمان بالمعاد، فهذه الدروس نأخذها من الإمام الحسين عليه السلام، من ثورته عليه السلام، دروس أخلاقية، أنه كيف الحب الإلهي يتجلى في ثورة الإمام الحسين عليه السلام، على ما يقال إنه كان الإمام الحسين عليه السلام صريع، قد ضرب بالرماح، بالأحجار... من قبل المسلمين، هذا كلام صعب مستصعب، كيف بالمسلمين يقتلون إمامهم، وهم يعرفون بأنه ابن فاطمة الزهراء عليها السلام، أنت ريحانة الرسول، أنت الذي قبل الرسول شفتيه، ولكن مع هذا تُضرب على شفتيك بالعود، ويوضع الخمر على شفتيك، كما فعل يزيد بن معاوية في مجلسه، مع رأس الإمام

الحسين، يعرفون رأس مَنْ هذا، وابن مَنْ هو؟ ويصلي الناس خلفهم ويقولون الشهادتين بألسنتهم، ومع ذلك فعلوا ما فعلوا ممّا يندي جبين الإنسانية خجلاً، فشمري يقول للإمام عليّ (عليه السلام) عندما أراد الإمام عليّ (عليه السلام) أن يعرفهم نفسه، فقال شمري: نعرفك ونعرف أنّك ابن فاطمة الزهراء وابن بنت رسول الله، فقال عليّ (عليه السلام): إذن لماذا تحاربونني؟ قالوا: حقداً لأبيك، لأنّه قتل آباءنا، جعل في قلوبهم أحقاداً بدرية، وحُنيية وخيريّة...

فهذا الإمام الحسين (عليه السلام) صريع على الرمضاء، وإذا به يترنّم قائلاً:  
 تركت الخلق طرّاً في هواكا      وأيستمت العيال لكّي أراكا  
 فلو قطّعتني في الحبّ إرباً      لما مال الفؤاد إلى سواكا  
 هذا الحبّ الإلهي يتجلّى في ثورة الإمام الحسين (عليه السلام)، الحبّ الإلهي يتجلّى في أولاد الإمام الحسين (عليه السلام).

طفل صغير في ظاهره، وكبير في واقعه، هو القاسم بن الحسن (عليه السلام)، كان عمره ١٣ سنة، عندما يسمع في ليلة عاشوراء عمّه يقول: الرجال يقتلون غداً، في نفسه، كأنّه يقول: أنا لست رجلاً، أنا دون سنّ البلوغ، إذن هذا القول لا يشمّني، قال: عمّاه، الرجال يقتلون، وأنا أقتل أيضاً، أراد الإمام الحسين (عليه السلام) أن يعلم البشرية أنّ منطق أبناء ثورة الإمام الحسين منطق الشهادة والتضحية والفداء من أجل المبادئ والقيم، فقال له: ولدي وابن أخي، كيف عندك الموت؟ قال: من أجلك أحلى من العسل، أي في سبيل الإمام الحسين (عليه السلام) أحلى من العسل، فقال عليّ (عليه السلام): نعم، وحتىّ الطفل الرضيع سيقتل.

يقال إنّ القاسم غاظ لَمّا سمع وحتىّ الطفل الرضيع يُقتل، فإنّ هذا يعني أنّه يهجم على النساء أيضاً وتحرق الخيام بعد مقتلهم، هذا درس في الغيرة الحسينية.

لذا الإمام الحسين عليه السلام عندما جاء إلى وداع أهل بيته عليهم السلام في آخر ساعات عاشوراء، صاح: سكينه، زينب، رباب، عليك مني السلام، أنا ذاهب إلى لقاء ربّي، النسوة خرجن، والإمام ينظر إليهن، وكان الحسين عليه السلام يقول من قبل: أحب بيتاً فيه رباب وسكينه، له علاقة بينته سكينه، فلم يجدها مع النسوة، فقالت له أخته زينب بعد السؤال، (هي) سكينه جالسة في الخيمة تبكي، فجاءها الإمام عليه السلام وأخذ يسليها وقال لها: لا تحرقي قلبي، ثم وصى بوصية أخرى:

شيعتي مهما شربتم عذب ماء فاذكروني

أو سمعتم بقتيلٍ أو غريب فاندبوني  
العطش، في قضية الإمام الحسين عليه السلام، مصيبة العطش مصيبة عظيمة جداً، حتى جبرائيل عندما قرأ المصيبة مصيبة الإمام الحسين لآدم عليه السلام، قرأ مصيبة العطش، لذا الإمام الحسين يقول: سأقتل عطشاناً، لست أنا لوحدي، كل أهل بيتي، وحتى طفلي الصغير الرضيع (٦ أشهر).

شيعتي مهما شربتم عذب ماء فاذكروني  
أو سمعتم بقتيلٍ أو شهيدٍ فاندبوني  
ليتكم في يوم عاشوراء جميعاً تنظروني

كيف أستسقي لطفلي فأبوا أن يرحموني  
— نجد كل الشقاء يتجلى بمعسكر يزيد، ونجد كل السعادة تتجلى في معسكر الإمام الحسين عليه السلام، فهذه دروس أخلاقية نأخذها من الإمام الحسين عليه السلام لتكون دروس في حياتنا اليومية، ولكل الأزمان والأمصار والمجتمعات.

وكل واحد منا إما أن يكون في المعسكر الحسيني أو المعسكر اليزيدي،

وهديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً.

### فلسفة الحياة

إنَّ الله سبحانه وتعالى لم يخلق الخلق عبثاً، إنّما لهدف سامٍ، والسرّ في ذلك أنّ الله هو الكمال المطلق ومطلق الكمال، فلا يصدر منه العبث، وما يتنافى مع الكمال، وصدور ما يناهض الكمال منه مستحيل، إنّما يصدر العبث ممّن كان غير عالم، اللهو واللعب للأطفال لأنّهم لا يعلمون، وأنّه لو علموا لما لعبوا، حتّى الكبار لو علموا بحقيقة الأمر لما لعبوا، لاشتغلوا بما يجب عليهم، ويلزم عليهم، بل ما يتبادر إلى الذهن حتّى أنّه الحيوانات، لو علمن لما لعبن.

يقال في الحديث الشريف: إنّ كانت شاة في قطيعة غنم تؤذي الشياه الأخرى وتلعب وتمرح أكثر من غيرها، فمَرّت الشياه بالإمام الهادي عليه السلام فاشتكت للإمام من هذه الشاة التي تؤذي الآخرين، فالإمام قال في إذنه شيئاً، من باب علمناه منطق الطير، ومنطق الحيوانات، فالأنبياء وأوصياء الأنبياء يتكلمون مع الحيوانات، فالإمام حدّث الشاة بشيء، فيقال إنّ الشاة طأطأت رأسها إلى آخر حياتها وصارت هادئة، فسئل الإمام عليه السلام عمّا قال لها؟ فأجاب إنّها ذكّرها بالموت.

— فكلّ واحد إذا علم علماً حسياً وجدانياً (كلّنا يعلم بالموت) فإنّه يزهد في هذه الدنيا... كذلك في عهد الإمام العسكري عليه السلام كان شابٌ عند الإمام عليه السلام وهو يضحك، فقال له الإمام عليه السلام: عجبا لمن أيقن بالموت كيف يضحك، فيقولون إنّ الشاب تأثر من كلام الإمام ولم يعد يضحك بعدها...



— فالذي يعلم لا يلعب، فكلّما ازداد علماً وازداد معرفة ازداد وقاراً، المؤمن وقور عند الهزائن، لا يلعب، لا يضحك، في كربلاء في يوم عاشوراء، أخذ أحد الأصحاب يتمازح مع الآخر، وكان كلاهما من شبيبة الأصحاب، فقال الآخر للأول: الآن أنت تمزح في هذه الساعة الحرجة... قال: والله لقد عَلِمَ قومي أنني لست بمزاح ولم أمزح في حياتي، ولكن الآن أرى بيني وبين الجنة ليس إلا هذه الأستة، وتيقنت بأنني من أهل الجنة، الآن يحلولي المزاح، باعتبار أن الإمام الحسين عليه السلام قد أراهم الجنة، فإذا علم أنه من أهل الجنة فيمكن أن يمزح وإلا كيف يمزح ولم يعلم مصيره.

— هذا لا يعني أن يبقى الإنسان عبوساً، بل المؤمن هسّ بشّ، المؤمن بشره في وجهه، وحزنه في قلبه، المؤمن دائماً يبتسم، كان رسول الله صلى الله عليه وآله دائم الابتسامة، ولا بدّ للعالم أن يكون في وجهه شيئاً من البشاشة لجذب الناس حتّى لا يتصوره أنه فظّ غليظ القلب، ولكن الضحك يعني القهقهة، وفي الحديث الشريف أنها من الشيطان، وقد ورد في سيرة النبي صلى الله عليه وآله أن غاية ضحكه كانت ثبات ثناياه، عند ذلك يعلمون بأن النبي صلى الله عليه وآله قد ضحك كثيراً.

هذا وإنما تعرّضنا لهذا البحث لتبين بأن الله لم يخلق الخلق عبثاً، لأنّه هو الكمال المطلق ومطلق الكمال، فخلق هذه الطبيعة، وجمعها كلّها في الإنسان، لذا كان الإنسان هو كتاب الحياة، كتاب الطبيعة.

كما ورد في الشعر المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام:

أتزعم أنك جرمٌ صغير  
وفيك انطوى العالم الأكبر

— يعني تتصوّر في نفسك أنك جرم صغير لا قيمة لك، وانطوى فيك العالم

الأكبر، فالعالم الكبير: هو عالم الطبيعة والمادّة، والعالم الأكبر: هو عالم الأرواح،

ما وراء الطبيعة، فإنك تحمل الروح الإلهية، كما في قوله تعالى :

﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾<sup>(١)</sup>.

— فلا يوجد في هذا العالم، الروح الإلهي كما يوجد في الإنسان، فعظمة الإنسان بروحه وعقله، فلا تتصوّر أنك جرم صغير لا قيمة لك، أنت عظيم، لقد كرّمنا بني آدم، على أيّ شيء كرّم، كرّم على تمام المخلوقات، لذا يقال إن الإنسان أشرف المخلوقات، طوبى لمن عرف قدر نفسه، فلو عرفنا أنفسنا وقدرها وحتى الأبدان، فلا تبيعوا أبدانكم وأرواحكم بأقلّ من الجنة، اشترى الله من المؤمنين أنفسهم بأنّ لهم الجنة، فهذه الأرواح والأبدان هي ثمينة وغالية جداً، فلا تبيعوها بشيء بخس، بل ولو بأقلّ شيء (كما عن الأمير عليّ) وهي الجنة، بل الهدف هو الجنة. وأمّا الذين سعدوا ففي الجنة، فمن أعتق من النار وأدخل الجنة فقد سعد وفاز فوزاً عظيماً.

فلا ثمن للجنة إلاّ هذه الروح (وتسمّى نفساً، قلباً، عقلاً، وإتّما الأسماء هي بالاعتبارات والمصطلحات الخاصّة، كما هو مذكور في جامع السعادات، المجلّد ١، فراجع).

فإنّ الله تعالى خلق في الإنسان روحاً (نفساً)، هذه النفس إن كانت غير الروح، فإنّها تأمر بالفحشاء وتُعين الشيطان على الفحشاء والمنكر، كما أنّ الشيطان يأمر بالفحشاء (عدوّ خارجي، الشيطان، والنفس الأمّارة بالسوء عدوّ داخلي)، ولكن يمكن للإنسان أن يهدّب هذه النفس، يهدّبها ويفلح في تهذيبها وتركيتها ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾<sup>(٢)</sup>، دسّاه يعني

(١) الحجر : ٢٩ .

(٢) الشمس : ٩ - ١٠ .

دفنها فلا يُظهر حقيقتها، فإنه يخيب حينئذٍ، وأمّا الذي يفلح هو الذي يُزكّي هذه النفس.

فالله سبحانه خلق هذه الطبيعة وجعل مجموع هذه الطبيعة من الأجسام والعوالم العلوية والسُّفلية مجموعة في الإنسان، فصار الإنسان جامعاً للطبيعة، والله أودع في الإنسان قوى تتعلّق ببدنه، بكونه جسم نامي، وكلّ جسم نامي لا بدّ له من قوى ثلاث من :

١ - القوّة الغذائية : هي القوّة التي تتغذّى (النبات والحيوانات - الإنسان).  
٢ - القوّة النامية : تنمو، لذا تسمّى بالأجسام النامية (النبات والحيوانات - الإنسان).

٣ - القوّة المولدة : التي تولد لبقاء النسل والمثل (النبات والحيوانات - الإنسان).

— ثمّ الحيوان يمتاز عن النبات بأنّ له القوّة الحسّاسة، وإنّه متحرّك بالإرادة الجزئية. فأصبح الحيوان في تعريفه المنطقي : جسم نامٍ حسّاس متحرّك بالإرادة.

— والإنسان يمتاز عن الحيوانات بأنّ له النفس الناطقة، فهو صاحب العقل، فهو صاحب درك الكلّيات، عنده قوّة درّاسة، فيمتاز بهذه القوّة، وله نفس ناطقة يدرك بها كلّ الكلّيات، وبهذا يمتاز الإنسان عن الحيوان والنبات، فالإنسان حيوان ناطق. بل عندنا : الإنسان : حيّ إلهي. وحينئذٍ يمتاز بعظمة الخلق وشرافته، وإنّما كان هذا الخلق كلّه من أجل الإنسان، كما ورد في الحديث القدسي : « خلقت الأشياء من أجلك، وخلقتك من أجلي ».

فالإنسان خلق ليكون مظهراً لأسماء وصفات الله تعالى، لكي يخلف الله في

خَلَقَهُ، فَكَانَ الْإِنْسَانُ خَلِيفَةَ اللَّهِ : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾<sup>(١)</sup>، إِنِّي جَاعِلٌ عَلَى نَحْوِ الْإِسْتِمْرَارِيَّةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهَذَا الْخَلِيفَةُ أَوْلَاً هُوَ الْحِجَّةُ، لَوْلَا الْحِجَّةُ لَسَاخَتْ الْأَرْضُ بِأَهْلِهَا، ثُمَّ مِنْ يَحْذُو حَذْوَهُ، الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، الَّذِينَ يَأْخُذُونَ بِنَهْجِهِ وَيَقْتَدُونَ بِهِ، وَيَتَّبِعُونَ نَهْجَهُ، فَالْحِجَّةُ يَكُونُ قَطْبَ عَالَمِ الْإِمْكَانِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ الْحَرَكَةُ بِاعْتِبَارِ الْقَطْبِ هِيَ الَّتِي تَكُونُ السَّبَبَ لِحَرَكَةِ الرَّحَى، فَالرَّحَى تَتَحَرَّكُ كَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ : « يَعْلَمُونَ أَنِّي فِي الْخِلَافَةِ كَالْقَطْبِ مِنَ الرَّحَى ».

فَالْإِنْسَانُ الْكَامِلُ هُوَ قَطْبُ عَالَمِ الْإِمْكَانِ، يَعْنِي هُوَ الَّذِي يَكُونُ بِبِرْكَتِهِ وَبِوُجُودِهِ ثَبَتَتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ، كَمَا وَرَدَ فِي صِفَةِ صَاحِبِ الزَّمَانِ عَلَيْهِ السلامة : بِوُجُودِهِ ثَبَتَتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ، وَبِيَمْنِهِ رِزْقُ الْوَرَى.

فَعَلِيهِ، هَذَا الْإِنْسَانُ الْكَامِلُ، وَمَنْ يَحْذُو حَذْوَهُ إِنَّمَا هُوَ هَدَفُ الْخَلْقَةِ وَفَلْسَفَةِ الْحَيَاةِ، وَنَحْنُ لَقَدْ وَقَّفْنَا اللَّهَ تَعَالَى لِنَهْجِ هَذَا الْمَنْهَاجِ، لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةَ الْأَنْبِيَاءِ، فَالنَّبِيُّ هُوَ حِجَّةُ اللَّهِ، وَمَنْ بَعْدَ ذَلِكَ الْحِجَّةُ عَلَى الْخَلْقِ هُوَ الْعَالَمُ، لِذَا يُسَمَّى الْعُلَمَاءُ بِحِجَّةِ الْإِسْلَامِ، يَعْنِي يَحْتَجُّ اللَّهُ بِوُجُودِ هَذَا الْعَالَمِ الرَّبَّانِيِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، اللَّهُ يَحْتَجُّ عَلَى النَّاسِ بِهَذَا الْعَالَمِ، بَعَثَ إِلَيْكُمْ مَنْ كَانَ قَدْوَةً لَكُمْ، أَسْوَةٌ لَكُمْ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ تَهْتَدُوا بِهِدَاةِ، وَلَمْ تَنْهَجُوا نَهْجَهُ، فَعَلِينَا أَنْ نَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِ اللَّهِ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ الصَّادِقُ عليه السلام.

وَالْأَخْلَاقُ عِبَارَةٌ عَنْ طَرِيقِ التَّكَامُلِ، وَالْكَامَالُ هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ فِلْسَفَةِ الْحَيَاةِ (كَمَا مَرَّ) (التَّكَامُلُ الْإِنْسَانِي بِالْعِلْمِ وَبِالرَّحْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَبِالْعِبَادَةِ، كَمَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِثَلَاثِ آيَاتٍ).

— فالإنسان هو الهدف الأسمى (إن صحَّ التعبير) في هذا الخلق، وهو علّة الخلق تقريباً، باعتبار أنّ الله خلق الخلق من أجل الإنسان الكامل لكي يتقرّب إليه، ليكون في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر، يقترب إليه قاب قوسين أو أدنى، وإِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمَلَأْ قِيَهُ، وإلى الله تصير الأمور، وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، فإذن الإنسان يتّجه في حياته إلى الكمال، وهذا الكمال لا ينحصر بالإنسان، هذا الكمال موجود في كلّ الخلق، يعني كلّ الخلق يسبح ويتحرّك إلى كماله المنشود وهو الله، فكلّ هذا الخلق عاشق لله تعالى وإِنَّهُ يَسِيرُ نَحْوَهُ فِي حَرَكَتِهِ الْجَوْهَرِيَّةِ، وما من شيءٍ إلّا ويسبّح بحمد وجمال ربّه. وعظمة الإنسان أنّه مع هذا الخلق في حركته، إلّا أنّه هو الإمام وأنّه هو الهدف من هذا الخلق، لكي يكون خليفة الله، فكلّ شيءٍ نحو الكمال، كمال ظاهري وكمال واقعي، فالإنسان الكامل في ضرورة السنّة التكوينيّة هو إمام الكلّ بالكلّ.

النواة تكون متحرّكة نحو كمالها، فعندما يضعها الفلاح في الأرض ويسقيها وتعطي الشمس أشعتها... كلّها عوامل داخلية وخارجية تكمل لنا كمال النواة، وكمال النواة أن تكون شجرة باسقة مثلاً...

— الإنسان (أيضاً) من نطفة (في العالم الظاهري) يتكامل فيكون جنيناً، يكون طفلاً شاباً كهلاً عجوزاً ثمّ يرجع إلى أرذل العمر، وأمّا في روحه فإنّه يتكامل ولا يرجع، في جسده يتكامل ثمّ يتراجع:

﴿ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ (١).

فيعود فيصبح صبيّاً ضعيفاً، لأنّ الله أراد في عالم الطبيعة هذا الأمر أن كلّ

شيء يتكامل، ولكن ينتهي إلى الموت إلى العدم، إلا الروح، فتتكامل فتذهب إلى الله لأنها من الله ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾<sup>(١)</sup>، فتذهب بتكاملها إلى الله، ولذا الروح تتكامل حتى في عالم البرزخ، يعني من كان طالباً للعلم في هذه الدنيا (هذا في الأخبار الشريفة... فإنك تطلب العلم أيضاً في عالم البرزخ وتزداد علماً ودرجة... وهكذا).

وهذا الكمال لا يتم إلا بتزكية النفس، تزكية النفس لها مراحل ثلاث، كل تزكية يتوقف على مراحل: (كالفلاح في زرعه وفلاحته يحتاج إلى مراحل ثلاث: حرث الأرض، تنظيف الأرض، بذر البذور...).

— فهذا (أيضاً) يكون في الروح، فلا بد أولاً أن نخرج للعقل الصفات الذميمة من نفوسنا، (الوجود الباطني) ويسمى عند علماء الأخلاق (بالتحلية)، لا بد أن نُحلي روحنا من الصفات السيئة، التكبر، الحسد، النميمة... في الحديث الشريف: للعقل سبعون جندياً، وللجهل سبعون جندياً، لا بد لها من إخراجها، ثم يأتي دور التحلية، نحلي القلب بالصفات الحميدة، فعندما نخرج (مثلاً) الكبر من النفس فإنها نحليها بالتواضع، فإنه من جنود العقل كما أن التكبر من جنود الجهل، ثم اعلم أن الجنة دار الإنسان الكامل، وإن المرء مع من أحب، وإنه مع إمامه.

فنحلي الحسد من القلب والروح، ونحلي مكانه الحب، راجع قصة: حمل إبليس على الإبل العشرة الحسد، تسعة للعلماء، وواحدة للناس بشراكة العلماء.

فلا بد أن نزكي النفس، وأن نعرف الجرائم وعوالم وعوامل الجرائم، لماذا الإنسان يعمل الجريمة، لأنه يحمل النفس الأمارة بالسوء، إلا عباد الله

المخلصين، فإنهم فازوا بسعادة الدارين بتهذيب أنفسهم بالعلم النافع والعمل الصالح.

### سرّ الخالق وسرّ المخلوق

﴿ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ (١).

— الدين الإسلامي هو خاتم الشرائع السماوية، والإسلام في القرآن الكريم، يأتي بمعنيين: الإسلام بمعنى الأعمّ، والإسلام بمعنى الأخصّ. فالأعمّ هو التسليم لله تعالى، وهذا المعنى جارٍ في كلّ الشرائع السماوية، فإنّ الأنبياء كما ورد في الأحاديث والآيات إنّما بعثتهم لهداية الناس، وهم ١٢٤ ألف نبيّ ورسول، هؤلاء الأنبياء والرسول كلّهم دعوتهم دعوة التوحيد لله والتسليم له، وكلّ واحد من هؤلاء ومن أتباعهم هم من المسلمين، آدم أبو البشر كان مسلماً... فالإسلام بمعنى التوحيد لله ومعنى التسليم لله تعالى، هي أوّل دعوة الأنبياء، فكلّ الأنبياء من المسلمين، والدين عند الله دين واحد، وهو الإسلام، هذا الإسلام بالمعنى العامّ، لكلّ الأنبياء، إلّا أنّه جعلنا لكلّ نبيّ ورسول منهجاً وشريعة، فالله جعل لكلّ نبيّ ورسول شريعة، ومنهاج، وذلك باعتبار تكامل الإنسان، فإنّ الإنسان في فطرته وطبيعته مدني، إلّا أنّه كان في بدايته يعيش في الكهوف والغابات، ثمّ تطوّر الدين مع تطوّر الإنسان وجاء لتطوّره، فالشرائع السماوية اختلفت باعتبار تطوّر وتكامل الإنسان، وقد ختمت الشرائع السماوية

بخاتم الأنبياء محمد ﷺ ودينه، الإسلام الحنيف (بالمعنى الخاص)، وذلك في قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ <sup>(١)</sup>.

ففي قوله تعالى «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ الْإِسْلَامُ»، الإسلام بالمعنى الأعم، وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ هو الدين الإسلامي بالمعنى الأخص، هذا الدين الإسلامي الذي أكمله الله، بولاية أمير المؤمنين في يوم الغدير ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ <sup>(٢)</sup> فهذا الدين الإسلامي ختم الشرائع السماوية، وبهذا الدين نسخ الشرائع السماوية السابقة، وكان القرآن مهيمناً على الكتب السماوية السابقة.

وإنما جاء هذا الإسلام من أجل كمال الإنسان، وإنه أبدي وخالد إلى يوم القيامة، وهو لسعادة الإنسان، على الصعيد الفردي والاجتماعي، الدنيوية والأخروية، وهذا الإسلام هو الذي أخرج الناس من الظلمات إلى النور أفواجاً أفواجاً.

والمفروض أن نقول في حواراتنا بدلاً من كلمة (الأديان): (الشرائع السماوية)، لأنه عندنا دين واحد وليس عندنا أديان سماوية، وإنما عندنا شرائع سماوية مختلفة باختلاف الأزمان والأمكنة.

وإنما دخل الناس الإسلام بشجاعة أمير المؤمنين عليه السلام وبأموال خديجة، وأخلاق النبي ﷺ، والكثير ممن دخل في الإسلام إنما يعود إلى ما رأوا من

(١) آل عمران : ٨٥ .

(٢) المائدة : ٣ .



أخلاق النبي ﷺ، وهذا يسري إلى يوم القيامة، فعندما نرث النبي ﷺ باعتبار «العلماء وريثة الأنبياء» إنما نرثه في أخلاقه، في تبليغه، فالعالم الصالح يرث الأنبياء في مقامات الأنبياء، فعندهم مقامات عديدة، مقام الهداية والتبليغ، مقام إقامة الحكومة، ترتبط بالسماء، إذن الناس دخلوا في دين الله بأخلاق النبي ﷺ، واليوم أيضاً يدخلون في دين الله بأخلاق النبي ﷺ أيضاً، وأولى الناس بالأخلاق هم العلماء ليدخلوا الناس في دين الله بالأخلاق الطيبة قولاً وعملاً، لأن العلماء وريثة الأنبياء، وهذا يدل على خطورة علم الأخلاق وأهميته، (رجل الدين الذي يلبس لباس النبوة ويصعد على المنبر والناس ينظرون إليه على أنه وريث النبي ﷺ، ورث النبي في علومه، في أخلاقه، فإذا صدر وخرج من رجل الدين ما ينافي الأخلاق فإنهم سينفرون منه ويخرجون من دين الله بدلاً من أن يدخلوا).

في زمن الحجاج بن يوسف الثقفي لعنة الله عليه، كان شخص يقرأ سورة الفتح، وعندما يصل إلى قوله تعالى: ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>، كان يقول: يخرجون من دين الله أفواجاً، فقيل له: الآية تقول: ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أفواجاً﴾، قال: نعم، ذلك في عصر النبي ﷺ، وأما في عصر هذا الطاغية الحجاج، فإن الناس من ظلمه وجوره يخرجون من دين الله أفواجاً.

فإذا كان الحاكم والعالم لا يتخلقان بأخلاق النبي ﷺ فالناس سيخرجون من دين الله... فعلينا أن نهذب الناس بأقوالنا وأفعالنا ونسوقهم ونقودهم إلى دين الله.

(١) النصر: ٢.

— قصّة : الحواريون والنبّي عيسى عليه السلام : قالوا : يا روح الله من نعاشر؟ قال عليه السلام : من يذكركم الله رؤيته (في الحديث : النظر إلى وجه العالم عبادة).

— ما معنى النظر إلى وجه العالم عبادة؟

— عندما تنظر إلى وجه العالم تكون تتقرّب إلى الله تعالى بالنظر إلى وجه

العالم.

يعني كأننا في الصلاة، والصلاة هي آية العبادة وجوهرها، وفي خطبة المتّقين : وشغلهم في صلاة، هي حتّى عندما يشتغلون فهم في صلاة، لأنّ حقيقة الصلاة هي معراج المؤمن، يعرج الإنسان إلى الله بصلاته، والمؤمن في حركاته وسكناته إنّما يعرج إلى ربّه بروحه، وهو جالس مع الناس وقلبه مع الله، كن مع الناس ولا تكن معهم، كن مع الناس بجسدك ولا تكن مع الناس بروحك وقلبك، فإنّ قلبك لله، فقلب المؤمن عرش الله، حرم الله، فالمؤمن في حضرة الله، في عين الله، يشهد أن لا إله إلاّ الله، كلّ شهود، يشهد بالنبوّة، يشهد بالولاية، فالعالم الذي يكون النظر إلى وجهه عبادة إنّما هو العالم الذي صدّق قوله فعله، وفعله قوله، يعني قوله وفعله واحد. وبلا شكّ مثل هذا العالم النظر إليه عبادة، لأنّ العبادة من تعبيد الطريق، فمثل هذا العالم كلّ حركاته وسكناته إنّما تذكرك بالله وتمهّد لك الطريق للوصول إلى الله، وهذا معنى العبادة.

فأمير المؤمنين عليه السلام يقول : «يا أيّها الناس، ما أمرتكم بشيء إلاّ وائتمرت به أوّلاً ثمّ أمرتكم به، وما نهيتكم عن شيء إلاّ وانتهيت به أوّلاً ثمّ نهيتكم عنه».

فابدأ بنفسك، كن معلّم وإمام نفسك، ثمّ يكون لك حقّ إمامة الناس، إذن النظر إلى وجه العالم عبادة إذا كان هذا العالم حامل صفات الله تعالى ومطبّقها على نفسها أوّلاً ثمّ على الناس، فهذا هو العالم الربّاني الذي يكون النظر إلى وجهه

فقال الحواريون : يا روح الله من نعاشر ؟

فقال عليه السلام : من يذكركم الله رؤيته، يعني لا يوجد فرق بين قول العالم وفعله يعني يكون قد طبق قوله فعله، وفعله قوله .

وقد قال أصحاب رسول الله يوماً : يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، عندما نجلس عندك ونستمع إليك ننسى الدنيا وما فيها ونعرج إلى الله... ولكن عندما نرى الأهل والأولاد ننسى ذلك، فهلكننا من النفاق، فقال عليه السلام : لولا هيام الشياطين على قلوبكم لرأيتم ما أرى ولسمعت ما أسمع، يعني إذا بقيت هذه الروحانية عندكم بحضوري، فتصلون إلى مرحلة أنه ترونه ما لا يراه غيركم..

عن الله سبحانه وتعالى : يتقرب إليَّ العبد بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته أكون بصره الذي يبصر به وسمعه الذي يسمع به ...

الله من يحب؟ إنما يحب المتقين، المتواضعين، فيصل إلى درجة يحبه الله، فيجعله الله مثله، فتكون يده، يد الله، وعينه عين الله، ...

مثال : قصة شاب صفعه أمير المؤمنين في السوق، وذهاب الشاب إلى خليفته عمر، وشكايته على أمير المؤمنين، فبعد سؤال وجواب الإمام عليه السلام ... فقال عمر : عين الله رأت، ويد الله ضربت .

فالمسمع البصير يتجلى بالعبد، فعنده يكون بصره بصر الله، يكون شهيداً على الخلق بإذن الله عز وجل، فالله يشهد على الخلق بعباده المكرمين، بعباده المقرّبين، الأنبياء والأوصياء هم عباده المقرّبون، فهم شهداء الخلق، يشهدون لأنهم يرون .

ورد في الحديث : النظر إلى القرآن عبادة، لأنه عندما أفتح القرآن (يعني

أعبد الطريق) فأعبد طريقاً بيني وبين ربّي بتلاوة القرآن، (العبادة بمعنى التعبد)، فإذا قرأت القرآن وعملت بما فيه فقد عبت ربّي، (وربما تالٍ للقرآن والقرآن يلعبه)، يعني فإذا قرأت القرآن وكان حجاباً بيني وبين ربّي، فحينئذٍ يكون القرآن بضرري، وبهذا يكون تلاوته سبباً لللعن، ولا يزيد الظالمين إلا خساراً.

تكملة: يا روح الله، من نعاشر؟ قال: ... ويرغبكم في الآخرة عمله.

فالعالم الربّاني لا يصدر منه إلا خيراً، فيكون كلّ ما يصدر منه هو الله، فتذكر الناس بالله فتعود إليه وتعمل له، فالعالم هو وريث الأنبياء، ومن صفات الأنبياء البركة.

البركة، هو الخير المستقرّ والمستمرّ، فهذه البركة تتجلّى بالمؤمن، برجل الدين، وبحضوره تنزل البركات.

— مثلاً: عندما أخذ رسول الله ﷺ لترضعه حلّيمة السعدية (في بني سعد) فحلّت البركة في كلّ المدينة، فتعجّب الناس من أين كلّ هذه البركة، فعرفوا أنّها من هذا الطفل الرضيع، فاطمة الزهراء كان من أسمائها (المباركة)، فكان يرغب الناس بعلم العالم الربّاني المبارك فيعملون لآخرتهم، ... ثمّ قال عليه السلام: ويزيدكم في علمكم منطقتي. فلا يتكلّم شيئاً لغواً، بل يتكلّم بما يفيد الناس، يعرف لكلّ كلمة عليها حسيب رقيب، إذا أخلص الله أربعين يوماً تفجّرت ينابيع الحكمة من قلبه، فلا يحتاج إلى كتاب، إلى دراسة، ليس العلم بكثرة التعلّم، إنّما العلم نورٌ يقذفه الله في قلب المؤمن، قلب الذي يخلص الله أربعين يوماً وصباحاً، فيكون قلب إلهي، يتكلّم بكلام الله، ويمثل هذا العالم يدخل الناس في دين الله أفواجاً.

قال عيسى روح الله عليه السلام: ليس العلم في السماء فينزل إليكم، ولا في الأرض فيخرج إليكم، فالعلوم التي تتعلّمها الآن هو مصطلحات، وهذه هي

مقدّمات للعلوم النورانية الإلهية،.. إنّما العلم في قلوبكم... وللحصول على العلوم النورانية الإلهية علينا أن نتخلّق بأخلاق الروحانيين التي هي أخلاق الله عزّ وجلّ. قال الإمام الصادق عليه السلام: تخلّقوا بأخلاق الله.

فإذا تخلّقنا بأخلاق الله، فهذا القلب يكون ينبوع الخير والبركة، تظهر العلوم من القلب، فيتكلّم علماً، وهذا الكلام النوراني إنّما أتاه من بركات صلاة الليل، من الإخلاص أربعين يوماً لله، فتفجّرت ينابيع الحكمة من قلبه،... ويرغبكم في الآخرة عمله...

ثمّ سرّ الخالق هو سرّ المخلوق، لكي نفهم فلسفة الحياة وسرّ الخليقة، لا بدّ أن نعرف سرّ الخالق، إلّا أنّ سرّ الخالق لا نعرفه إلّا من الله سبحانه وتعالى، هو الذي يُعرّفنا سرّ الخالق وكذلك سرّ المخلوق، المعرفة كلّها بيد الله، العلم كلّ بيد الله، ولكن اتّقوا فيعلمكم الله، إذا اتّقينا فالحركة متّاة والبركة من الله، التقوى والإخلاص هذه الصفات الطيّبة، لو تمسّكنا بها وتمثّلنا بها عند ذلك يظهر العلم الإلهي من القلوب، وإنّما أوعية، خيرها أوعاها. عند ذلك نعرف سرّ الخالق وسرّ المخلوق، إنّ سرّ الخالق هو عبارة عن الكمال المطلق ومطلق الكمال، مطلق الكمال والكمال المطلق، من كماله ظهور الكمال، من كمال الكمال ظهور الكمال، فالله الكمال لا بدّ أن يظهر كماله، فخلق الخلق كي يظهر جماله وكماله وجلاله، كنت كنزاً مخفياً فخلقت الخلق لكي أعرف، لكي يظهر لكي يُعرف، لأنّه كمال مطلق، فإذا لم يظهر كماله لكان ناقصاً، لأنّه غنيّ فمن غناه يفيض، لأنّه هو الفيّاض، هو الغني، وإلّا لو لم يفيض ولم يظهر غناه كيف نعرف أنّه غني (كمن يحمل صوت جميل، فما أن يجد شخص جميل إلّا ويحاول أن يقرأ له... حتّى يظهر صوته الجميل...).

فالمخالف الصانع واجب الوجود لذاته المستجمع لجميع صفات الجمال والجلال هو الكمال المطلق ومطلق الكمال، فمن جبلة الكمال ومن ذات الكمال ظهور الكمال (فكنت كنزاً مخفياً...) فهذا المقدار يمكن أن نقف على سرّ الخالق.

وأما سرّ المخلوق فهو عبارة عن الرحمة الإلهية والعلم الإلهي والعبادة، وهناك ارتباط بين هذه المعاني الثلاث في فلسفة حياة الإنسان وخلقته وفي تكامله، كمال الإنسان هو فلسفة الحياة، خلقت الأشياء كلّها من أجلك، وخلقتك من أجلي، وسخرّ ما في السماوات والأرض وسخرتم الله، ولكي يكون الإنسان خليفة الله في الأرض، بصفاته وأخلاقه، بأسمائه، فيكون الإنسان مظهراً لله ولعلمه ولقدرته، إذا أراد الشعب يوماً الحياة فلا بدّ للقدر أن يستجيب... لأنّ القدرة الإلهية تتجلّى بذلك الشعب، بالفرد، والشعب، يكون مقتدرأ، ويتقرب العبد بالنوافل حتّى تكون عينه عين الله، فعين الله رأته، ويد الله ضربت، ويد الله فوق أيديهم.

### التوحيد في حياة الإنسان :

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا ﴾ (١)

— دعوة الأنبياء إنّما هي دعوة التوحيد، فكلّ نبيّ من آدم إلى الخاتم ﷺ يدعون إلى توحيد الله عزّ وجلّ، وكذلك الأوصياء والأولياء والعلماء، الذين هم ورثة الأنبياء يدعون الناس إلى توحيد الله، ومن هذا المنطلق نجد القرآن الكريم

عندما يذكر الأنبياء، يذكر النبي إبراهيم عليه السلام، يذكر ما كان عليهم من مسؤولية الهداية ودعوة الناس إلى التوحيد، ابتداءً من الأسرة.

﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ <sup>(١)</sup>.

فيبتدئ إبراهيم بعتمه، وعند العرب يطلق على العم الأب أيضاً، والأب غير الوالد، الوالد الذي يكون سبباً في ولادته، والأب يكون أعمّ من الوالد الحقيقي، والعم الذي يكون بمنزلة الوالد، والدليل على هذا أن إبراهيم كما في آية أخرى يدعو لوالديه بالغفران، فإذا كان الأب الذي يعبد الأصنام وأنه يدعو إلى عبادة الله سبحانه، هذا يعني أنه لا يستحقّ الدعاء بالمغفرة، على كلّ حال فدعوة الأنبياء إنما هي دعوة التوحيد.

— فدعوة التوحيد تارة تكون قولية، وتارة تكون عملية، القولية (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)، ومن الفلاح الأثر في الدنيا، فمن قال الشهادة فيحقق دمه وماله وعرضه، يكون مسلماً، والدعوة التوحيدية العملية قلبية، فيكون في قلبه معتقداً بالله وهو الإيمان الحقيقي، قولوا أسلمنا ولا تقولوا آمناً، فهناك فرق بين الإسلام وبين الإيمان، فإنّ الإيمان هو الإقرار باللسان والعمل بالأركان، والاعتقاد بالجنان، فهذا هو المؤمن حقاً، فالتوحيد العملي يظهر واقعاً على فعل الإنسان، تجده متمثلاً، صبغة الله فمن أحسن صبغةً من الله، فيتصبغ بصبغة الله، يتلون بلون الله، يتصف بصفات الله، يتخلق بأخلاق الله، تخلّقوا بأخلاق الله، يعني يكون موحداً في عمله، مصلياً، مجاهداً،.. دائماً يجد نفسه في حضرة الله، فمن يرى جمال الله يحبه ويعشقه، فمن عشقه وأحبه لا يعصيه، فيظهر التوحيد على

أفعاله وحركاته وسكناته، ويتأدّب بالأدب التوحيدي وهو الأدب الإسلامي .  
والأدب عبارة عن الهيئة الحسنة، أمضاها العرف أو أمضاها الشرع  
المقدّس، والأدب عبارة عن ظرافة العمل ولطافته، فهذا الأدب يختلف من حيث  
المصاديق، ولكن من حيث المفهوم هو حُسن العمل، حسن هيئة فعل من الأفعال  
الاختيارية، مثل: التحيّة، أحياناً ترفع اليد، وأحياناً القبّعة، وأحياناً تقول السلام  
عليكم...

والكلّ متفق على أن يكون مؤدّباً، والأدب خير ميراث، وخير حلّة يتحلّى  
بها الإنسان، ولكنّ الاختلاف في المصاديق، الأدب الإسلامي خلاصته في  
التوحيد، أي تطبيق التوحيد في حياة الإنسان المسلم، والأدب الإسلامي هو  
الخوف من الله، ونحن أمرنا بهذا الأدب الإسلامي، لأنّ تكامل الإنسان إنّما هو  
بالأخلاق، وبالعلم النافع، والعمل الصالح، فدعوة الأنبياء دعوة توحيد، فأئبها  
الورث للأنبياء عليك أن تقتدي بالأنبياء وبدعوتهم إلى توحيد الله، عليك أن  
تتّصف بهذه الصفات، صادق الوعد، لا تكن غليظ القلب...

فحديثنا عن الأخلاق، أخلاق الأنبياء والأوصياء والأولياء كيف عاشوا  
وكيف ماتوا.

حدّثنا سيّدنا الأستاذ آية الله العظمى السيّد الكلبايكاني رحمته : قبل سنين كان  
من العلماء المجتهدين في حالة الاحتضار، فدخل عليه زميله في الدراسة، وأراد  
أن يلقّنه الشهادات الثلاث (التوحيد والنبوة والولاية) إلّا أنّ المحتضر أبى عن  
ذلك، ثمّ قال لصاحبه : عندما كنّا ندرس الكتاب الفلاني هل كنت أنا أفهم منك أو  
أنت ؟ فقال هذا العالم الذي وصل إلى المرجعية وكان مرجعاً في زمانه : كنت أنت  
أفهم وأكثر استيعاباً منّي . فقال المجتهد المحتضر مرّة أخرى : وعندما كنّا نقرأ



الكتاب الفلاني من كان الأعلم من الآخر؟ فقال المرجع: كنت أنت أعلم وأفهم. وهكذا المجتهد يذكر صاحبه بأيام الدراسة، وأخيراً قال له: ولكن أنت وصلت إلى المرجعية وأنا لم أصل، وهذا يعني أن الله ظلمني، ثم بصق في القرآن ومات... مات كافراً ولم ينفعه علمه واجتهاده، لأنه درس من اليوم الأول للوصول إلى المرجعية وإلى الدنيا وحطامها، ولم يدرس الله، ولم يهذب نفسه ويربّي أخلاقه، فكانت عاقبته سيئة، وظهر عند الاحتضار ما كان يبطنه خلال سنين... والعاقبة للمتقين.

ثم علماء الأخلاق يقولون: للإنسان أربع قوى، القوى الباطنية في الإنسان، (هذه من قواعد بدايات علم الأخلاق) فهذه القوى الأربعة في الإنسان، فلو اعتدلت يعتدل الإنسان، وأمّا إذا طغت قوة على قوة فيكون الإنسان منحرفاً، إذن لا بدّ أن نعرف هذه القوى الأربعة، ونعرف الانحراف في هذه القوى الأربعة، والانحراف يكون إمّا بالإفراط أو التفريط، وهو من الجهل.

عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: الجاهل إمّا مفرط وإمّا مفرط (العالم لا يكون مفرط أو مفرط، والإفراط والتفريط هي الخطوط الشيطانية المنحرفة عن الطريق المستقيم).

فالإنسان عنده قوى أربع:

١- القوى العاقلة، وهي الحدّ الوسط بين الإفراط والتفريط، فمنهم من يفرط في القوى العاقلة ومنهم من يفرط في القوى العاقلة، وعندنا القوى الغضبية ولها أيضاً حال إفراط وتفريط، وعندنا القوى الشهويّة، وعندنا القوى الوهميّة، كلّها فيها إفراط وتفريط، طبعاً قسم منها ما يتصوّر أنّ لها حال إفراط وتفريط ويمكن أن يكون له اسم خاصّ وبعضها غير ذلك.

- القوى الغضبية والشهوية :

القوى الغضبية، فالإنسان يغضب، وكذلك يشتهي، والشهوة ميل باطني نحو مشتتهيات البطن والفرج،... وآية الشهوة (أي أكبر عنوان للشهوة) هي الغريزة الجنسية، فيكون فيها الإفراط وتارة التفريط، تارة الإنسان يترك كل المشتتهيات كالمرتاضين في الهند، فيتركون وهذا المعنى من باب التفريط، من كل ما للشهوة من مصاديق، وهناك إفراط بحيث يرتكبون المحرمات... وتوغّلوا في الملاذ والمادّة... تغلّبت عليهم النزعة المادّية، قوى شهوية إفراطية، فبين تفريط وبين إفراط، الإسلام جاء وحدّد ويّن الحدّ الوسط بأنّه لا إفراط ولا تفريط، فجعل مسألة النكاح في استجابة القوّة الشهويّة، وجعل للنكاح آداباً وأخلاقاً وثقافة خاصّة، والحدّ الوسط في الشهوة يسمّى العفّة، وهناك شره في شهوة الإفراط، وخمود وخمول في شهوة التفريط، والإسلام أراد العفّة للإنسان، أن يكون عفيفاً في كلامه، وملبسه لا يلبس ما تشتهي نفسه ويخالف في ذلك اللباس المعقول، غريب عن المجتمع أي لباس الشهرة وهو حرام في الإسلام، لأنّه إفراط في شهوة اللباس، وكذلك في النكاح تحديد وتعديل للشهوة الحيوانية، وكذلك في الأكل... فلا يكون عنده شره ولا يكون عنده خمول، القوى الغضبية الحدّ الوسط لها هو الشجاعة، وحدّ الإفراط لها هو التهور، وحدّ التفريط لها هو الجبن.

وكذلك القوى العاقلة، فالحدّ الوسط هو الحكمة، وهناك إفراط وتفريط. فالحكمة والعفّة والشجاعة عبارة عن الأخلاقيات، وهي أمّهات الأخلاق، والجمع بين هذه القوى كلّها هو العدل والعدالة.

والعدل لا يوجد إفراط ولا تفريط فيه، لأنّه ما يقابل العدل هو الظلم، فالإنسان إمّا أن يكون عادلاً وإمّا أن يكون ظالماً.

فالصفات الأربعة وكلّ الصفات الأخلاقية ترجع إلى هذه الأمّهات الأخلاقية التي هي عبارة عن الحكمة (للقوى العاقلة) والشجاعة (للقوى الغضبية) والعفة (للقوى الشهويّة) والعدل (لاعتدال القوى).

والقوى الوهميّة هي القوى الشيطانية، الذي يكون فيه المكر والحيلة. فالحديث عن هذه القوى وعن هذه الأمّهات الأخلاقية، وما يرجع إلى هذه الأخلاقيات من الصفات الأخرى، عفة الكلام، وآفات اللسان، مثلاً عندنا في الأخلاقيات للسان مأتان آفة من الآفات، الكذب، الافتراء، الفحش، اللعن في غير مورده، هذه كلّها تكون من آفات اللسان، وآفات اللسان يرجع إلى عفة اللسان، وعفة اللسان يرجع إلى العفة، والعفة يرجع إلى القوى الشهويّة، وهكذا... وهذا ما نجده (مفضلاً) في جامع السعادات والمحجّة البيضاء وإحياء العلوم وغيرها من كتب الأخلاق.

## شخصية الإنسان

إلياس حسن محمد علي تيكانا  
إمام جماعة ومرشد ديني / ساحل العاج

الحمد لله وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

قال الله تعالى في محكم كتابه ومبرم خطابه على لسان أكرم خلق عنده :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿١﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾<sup>(١)</sup>.

هذه الآية الشريفة تعدّ بمنزلة المعجون الأوّل لعلم الأخلاق، وعلم الأخلاق يعدّ من المفاهيم المقدّسة في قاموس الإسلام، أي لأنّه نجد الرسول الأعظم ﷺ يذكر فلسفة بعثته في قوله : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ».

علم الأخلاق علم عظيم جدّاً وضروري في حياة المسلم بالخصوص، وإن كانت الأخلاق من ضروريات البشر لذا نجد كلّ الملل والنحل تبحث عن الأخلاق وتهتمّ بمسئلة الأخلاق على بعدين : الأخلاق الفرديّة والأخلاق الاجتماعيّة.

ما أكثر علماء الإصلاح، ما أكثر علماء التربية والتعليم، ما أكثر علماء الأخلاق في المجتمعات البشرية في كلّ مصر وفي كلّ عصر، نجد أنّ علماء

المجتمع يهتمون بجانب الأخلاق، فالإسلام الذي من يتبع ديناً غيره لن يقبل منه، نجد أنه يركّز على مسألة الأخلاق غاية التركيز سواء في القرآن أو في الأحاديث الشريفة الواردة عن الرسول الأكرم ﷺ وعن الله، وكذلك أقوال الأئمة الأطهار عليهم السلام نجدهم يركّزون على مسألة الأخلاق.

إن المقصود من خلق الإنسان هو أن يصل إلى كماله، وكماله بوصوله إلى الله سبحانه وتعالى، فالمقصود من الإنسان أن يتخلق بأخلاق الله وتتجلى الأسماء الحسنى وصفات العليا في الإنسان بمعنى أن يكون الإنسان مظهراً لله في أسمائه وصفاته، وخليفة الله في الأرض، المقصود والهدف من خلق الإنسان هو أن يصل إلى ربه قاب قوسين أو أدنى، يكون يوم القيامة في مقعد صدق عند مليك مقتدر يتقرب إلى الله بسعد في الدنيا وفي الآخرة أي يكون سعيداً، فالإسلام جاء لسعادة الناس، ويسعد في هذا الوادي من نال العشق الإلهي وجمال الله وجلاله، الإنسان له بعدان البعد الشخصي وبعد الشخصية، أي الإنسان الشخص والإنسان الشخصية.

والشخص هو الشيء الذي يتشخص عن غيره بالحدود أو الأبعاد الثلاثة والامتدادات الثلاثة من الطول والعرض والعمق، فيكون له الشخص كمثل الجسم هو شيء المتشخص فإنه يتشخص بجسميته بجوهريته الجسمية كما يتشخص بالأعراض، بالكمية، بالكيفية، بالآين، بالوضع، بالفعل والانفعال.

فكل موجود في الخارج هو جسم ومتشخص وشاخص، وعندما نريد أن نعرف زوال الشمس إنما نعرفه بوجود شاخص يوضع على الأرض شاخصاً فيكون له ظلًا ينحلّ من جهة إلى الجهة الأخرى تعرف به بأن الشمس قد زالت.

فالإنسان له شخص كبقية الأشخاص وبقية الأجسام لأنه جسم، وله

شخصية يعبر عن الشخصية بكلمة (أنا).

عندما يقول الإنسان أنا أفعل ليس شخصه يفعل فقط، إنما شخصيته لها دور في فعله وإرادته، لأن إرادة الإنسان من الأمور التي تتعلق بشخصية الإنسان في قوله أنا أفعل فكلمة (أنا) تساوي الشخصية للإنسان.

فإن كلامنا في الأخلاق ليس باعتبار شخص الإنسان، فالشخص إنما يبحث عنه علماء الطبيعة، كعلماء الطب فإنهم يبحثون عن شخص الإنسان، فإن الطبيب يبحث عن الأمراض التي تتعلق بشخص الإنسان، كرياضي عندما يلعب الرياضة لكي يربّي جسمه ليكون كمال جسماني إنما يفكر في شخص الإنسان، عندما نبحث عن الإنسان في علم الأخلاق، لا نبحث عن الشخص مباشرة كما يفعله الغربيون في أوروبا وأمريكا وغيرهما من القارات العالمية.

ولكن نبحث عن الشخص باعتبار شخصيته لأن العقل السليم في الجسم السليم، والعلماء الذين هم ورثة الأنبياء إنما يبحثون عن شخصية الإنسان وهي عبارة عن نفسية الإنسان وروحانيته وأخلاقه وعقائده وأفكاره وقلبه... والمعاني التي يحملها الإنسان، العلوم التي يحملها الإنسان، هذه كلها تقويم شخصية الإنسان إلى جانب الروح فبحثنا في الأخلاق إنما هو جانب الروح في الإنسان ابتداءً، قد أفلح من زكّاها، زكّى جانب الروح، زكّى شخصية الإنسان، وقد خاب من دساها، الشخصية هذه شخصية الذي يعبر عنها الإنسان بكلمة أنا، تارة تتغلب كلمة أنا على الإنسان فيجعل الإنسان لا يفكر إلا بنفسه فتكون له الأناية، وهي موجودة من أنا يعني أنا ولا غير، ويقول آخر أنا مع غير وهو الكريم، ويقول غيرهما غيري ولا أنا فهو يفكر بغيره قبل أن يفكر بنفسه، وهي مرحلة الأنبياء والأولياء يفكرون بالناس.

فالشخصية نوعان : إما شخصية فردية وإما شخصية اجتماعية، فإنّ الشخصية الفردية يبحث عنها في المذاهب الثلاث العالمية :

١- المذهب الرأسمالي .

٢- المذهب الشيوعي .

٣- المذهب الديني : الإسلامية، اليهودية، النصرانية، وكلّ الأديان بصورة عامّة .

الفردية في تربية الشخصية للإنسان في مذاهب ثلاثة :

١- الرأسمالية في الواقع تعطي الشخصية الفردية مطلق العنان، لأنّ الرأسمالية تقول للإنسان أنت حر أن تملك كلّ شيء حتّى على حساب الآخرين، أنت حرّ أن تملك الحرية مطلقاً افعل ما شئت، حتّى يقول لك أن تفعل فعل الحيوانات في الشارع، أنت حر أن تملك الدنيا ولو كان باستعمار الناس أو استثمارهم فانت حرّ، فإنّ مذهب الرأسمالية مطلقة العنان يقول بأصالة الفرد دون المجتمع، وشعارهم هو (الغاية تبرّر الوسيلة).

٢- مذهب الشيوعية يقول إنّ شخص الفرد لا يملك شيئاً وإنّه ليس حرّاً وليس له ملكية فردية إنّما المالك هو الدولة، وهي اشتراكية لكننا نشترك في تملك المال، والدولة هي التي تملك ونحن نأكل من خلال الدولة، فإنّ شخصية الإنسان يفقدها الإنسان في مذهب الشيوعية، إنّ لا يشعر بنفسه، لأنّه لا يملك شيئاً، إنّما يكون الإنسان في مذهب الشيوعية بمنزلة الأدوات الكهربائية أو الميكانيكية في المجتمع، كما أنّه في السيّارة يوجد الأدوات الميكانيكية تمشي السيّارة وتكون سبباً في سير السيّارة، كذلك الإنسان إنّما هو أدوات في مجتمع الشيوعية لا قيمة إنسانية له، فيفقد الإنسانية في مذهب الشيوعية الاشتراكية، مذهب الشيوعية

يقول : بأصالة المجتمع دون الفرد .

٣- مذهب الدين، وكما نعتقد أن الدين عند الله الإسلام، ومن يستغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه، رضيت لكم الإسلام ديناً، مذهب دين الإسلام يقول بأصالة الفرد والمجتمع، لذا نرى أن مذهب الإسلام يهتم بالفرد كما يهتم بالمجتمع، فيربّي الفرد بالصلاة ليلاً لكي يربّي نفسه عندما يصلّي في الليل وحده، ثم يربّيها التربية الاجتماعية بالصلاة مع الجماعة في الصلوات الخمس، وصلاة الجمعة وصلاة الأعياد، فالإسلام ينظر إلى شخصية الفرد وشخصية المجتمع، وإنما يهتم بهما جميعاً في آن واحد، وعلى حدّ سواء بحيث يبدأ الإسلام بتكوين الإنسان وشخصيته من طفولته، ونرى أن الإسلام يربّي الأطفال كما يربّي الكبار، فيبدأ بتربية الطفل بل حتّى قبل انعقاد النطفة، وهذا من عظمة الإسلام، فيعلّمك كيف تتزوّج من المرأة ذات الأخلاق والفضيلة، ومن منبت حسن وهو الأبوان، بل حتّى الأحوال، فيقول لك الإسلام : إياك والمرأة من منبت غير حسن، وبعد الزواج يعلّمك الإسلام كيف تباشرها في المضاجع، فالإسلام يربّي الشخص بالعقل والإيمان سواء كان الإنسان فرداً أو الاجتماع .

والله العالم بحقائق الأمور، والحمد لله ربّ العالمين .



## حول الأخلاق الإسلامية

صباح علي البياتي

محقق ومؤلف / العراق

علم الأخلاق : هو العلم الباحث في محاسن الأخلاق ومساوئها، والحث على التحلي والتخلي.

فالأخلاق الفاضلة هي التي تحقق في الإنسان معاني الإنسانية الرفيعة وتحيطه بهالة وضاء من الجمال والكمال، وشرف النفس والضمير، وسمو العزة والكرامة، كما تمسخه الأخلاق الذميمة، وتحطه إلى مستوى الهمج والوحوش.

وليس أثر الأخلاق مقصوراً على الأفراد فحسب، بل يسري إلى الأمم والشعوب، وعظمة الأخلاق أن النبي ﷺ أولاهها عناية كبرى وجعلها الهدف والغاية من بعثته ورسالته، فقال: «بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، وهذا هو ما يهدف إليه علم الأخلاق، بما يرسمه من نظم وآداب، تهذب ضمائر الناس وتقوم أخلاقهم، وتوجههم إلى السيرة الحميدة والسلوك الأمثل.

وهو المنهج الفريد الأمثل الذي يستطيع بفضل خصائصه وميزاته أن يسمو بالناس فرداً ومجتمعاً، نحو التكامل الخلفي، والمثل الأخلاقية العليا، بأسلوب شيق محبب يستهوي العقول والقلوب ويحقق لهم ذلك بأقرب وقت وأيسر طريق.

هو منهج يمثل سمو آداب الوحي الإلهي، وبلاغة أهل البيت عليهم السلام وحكمتهم، وهم يسيرون على ضوئه ويستلهمون مفاهيمه، ويستقون من معينه ليحيلوها إلى الناس حكمة بالغة، وأدباً رفيعاً، ودروساً أخلاقية فذة تشعّ بنورها وتطورها على النفس، فتركيها وتثيرها بمفاهيمه الخيرة وتوجيهها الهادف البناء.

وحسن الخلق هو حالة نفسية تبعث على حسن معاشرّة الناس ومجايلتهم بالبشاشة وطيب القول، ولطف المداراة وملاك الفضائل ونظام عقدها، ومحور فلکها، وأكثرها إعداداً وتأهيلاً لكسب المحامد والأمجاد، ونيل المحبة والإعزاز.

كما عرفه الإمام الصادق عليه السلام حينما سئل عن حدّه، فقال :  
«تلين جناحك، وتطيب كلامك، وتلقى أخاك يبشر حسن».

وقال النبي صلى الله عليه وآله :

«أفاضلكم أحسنكم أخلاقاً، الموطئون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون وتوطأ رجالهم».

وقال الصادق عليه السلام :

«ما يقدم المؤمن على الله تعالى بعمل بعد الفرائض، أحبّ إلى الله تعالى من أن يسع الناس بخلقه».

وقال عليه السلام :

«إنّ الله تعالى ليعطي العبد من الثواب على حسن الخلق، كما يعطي المجاهد في سبيل الله، يقدو عليه ويروح».

وكفى بحسن الخلق شرفاً وفضلاً، أنّ الله عزّ وجلّ لم يبعث رسله وأنبيائه

١٠٢ ..... دروس في الأخلاق

إلى الناس إلا بعد أن حلاهم بهذه السجّية الكريمة، وزانهم بها، فهي رمز فضائلهم،  
وعنوان شخصياتهم.

نقول: أن الله هو النور، وكلّما عليه اسم الله فهو النور.

خلق الإنسان للكمال، الرحمة: لقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ  
لَهُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

والعلم: لقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

والعبادة: لقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾<sup>(٣)</sup>.  
فثمره العلم: العبادة.

التعليم والتربية: عبارة عن التزكية والتعليم، وهو هدف البعثة، بدليل قوله  
تعالى: ﴿وَيَرْزُقِهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ﴾<sup>(٤)</sup>.

وكمال الإنسان: هو أن يكون الإنسان خليفة الله سبحانه وتعالى في  
الأسماء والصفات الإلهية، قال الصادق عليه السلام: تخلّقوا بأخلاق الله، وقوله تعالى:  
﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾<sup>(٥)</sup>، وقوله أيضاً: ﴿وَإِذَا حَكَّمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا  
بِالْعَدْلِ﴾<sup>(٦)</sup>، ومن كان مظهراً لصفات الله وأسمائه الحسنی فإنه يتخلّد في مقعد  
صدق عند مليك مقتدر.

---

(١) آل عمران: ١٥٩.

(٢) البقرة: ٢٨٢.

(٣) البيّنة: ٥.

(٤) آل عمران: ١٦٤.

(٥) النحل: ٩٠.

(٦) النساء: ٥٨.

ويظهر من القرآن الكريم :

١- أَنَّ الْإِنْسَانَ خَلِيفَةَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (١).

٢- إِنَّهُ مَظْهَرُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ كُلِّهَا؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (٢).

٣- إِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ تَعَالَى؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ (٣).

٤- إِنَّهُ مَسْجُودُ الْمَلَائِكَةِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ (٤).

٥- إِنَّهُ حَامِلُ أَمَانَةِ اللَّهِ تَعَالَى؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (٥).

فالإنسان يطير إلى الله سبحانه وتعالى بالعلم والعبادة.

قال الله عزَّ وجلَّ في حديثٍ قدسي: «خلقت الأشياء لأجلك، وخلقتك

لأجلي».

---

(١) البقرة : ٣٠.

(٢) البقرة : ٣١.

(٣) الحجر : ٢٩.

(٤) الحجر : ٣٠.

(٥) الأحزاب : ٧٢.

والإنسان ثمرة شجرة الوجود، لقد كَرَّمه الله سبحانه، وتمدَّح بخلقه وسخَّر له كلَّ شيء وجعله خليفته في أرضه.

### الإنسان بين العقل والقلب :

العقل : يكون تعليمه وتربيته بالفكر (أي بالدراسة)، فلا بدَّ من علم الأخلاق والحكمة العملية.

والأخلاق عبارة عن تزكية النفس وطهارتها من الرذائل والذمائم والسجايا السيئة وتحليها بالأخلاق الحميدة والمكارم والمحاسن والكمالات الخلقية، وتجليتها لنيل سعادتها الأبدية.

والأخلاق جمع الخُلُق وهو بمعنى الفطرة والخلقة والطبيعة : ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾<sup>(١)</sup>، وعن النبي الأكرم محمد ﷺ : «كلُّ مولود يولد على الفطرة، إلاَّ أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»، وموضوع الأخلاق نفس الإنسان الذي بعث الأنبياء من أجل تكميل مكارم أخلاقها وهدايتها إلى فلسفة خلقتها ومبدئها ومعادها...

القلب : يكون تعليمه وتربيته بالذكر (أي بتلاوة القرآن وبالذوات والمناجاة والأذكار و... و...)، ولا يخفى على المؤمنين ما للأدعية والأذكار والمناجات من أهمية وفضائل في حياة البشرية جمعاء في حالات الشدة والرخاء للارتباط بالحق سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ مَا يَغْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا

دُعَاؤُكُمْ ﴿١﴾، وكما جاء في الأحاديث الشريفة عن المعصومين عليهم السلام قولهم: «الدعاء أفضل العبادة ومخَّها»، والأذكار والأدعية وهي من أهمِّ الوظائف الروحية الإسلامية إنَّما هي سبل التوجُّه إلى الله تعالى وتوثيق الصلة بالله عزَّ وجلَّ، وتوحي للنفس الجري في مسالك الخير والسداد...

قال عيسى بن مريم عليه السلام :

ليس العلم في السماء فينزل إليكم، ولا في الأرض فيخرج إليكم، إنَّما العلم في قلوبكم، تخلَّقوا بأخلاق الروحانيين فيظهر لكم. (فيظهر العلم: بالإخلاص).  
وقال عليه السلام :

من أخلص لله أربعين يوماً تفجَّرت ينابيع الحكمة من قلبه.

قال الله تعالى في حديث قدسي :

ليس العلم بكثرة التعلُّم، إنَّما العلم نورٌ يقذفه الله في قلب من يشاء.  
الروحانيون :

١- الله.

٢- القرآن.

٣- الأنبياء.

٤- الأوصياء.

٥- الملائكة.

٦- العلماء الصالحاء.

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ  
الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ (١).

(الظلمات - الجهل = في الشيطان) (النور - العلم = في آدم)  
الإنسان بين نفس وعقل.

نفس أمارة بالسوء: تدعوه إلى الأخلاق السيئة.

وعقل نوراني: يدعوه إلى الخير والأخلاق الفاضلة.

أو بعبارة الخواطر المحرّكة، قسمان:

قسم يدعوا إلى الخير، وهو ما ينفع الإنسان في العاقبة.

وقسم يدعوا إلى الشرّ وهو ما يضرّه في العاقبة، والخاطر المحمود إلهام

والمذموم وسوسة، وسبب الخاطر الداعي إلى الخير في الغالب هو الملك، وإلى

الشرّ هو الشيطان، أو يقال الإنسان بين دعوتين: دعوة إلهية ودعوة شيطانية،

قلب الإنسان له أذنان:

١- رحماني التي يسمع الدعوة الإلهية وتسمى بالإلهام، فالإنسان بين إلهام

إلهي يدعوه إلى النور، أوّل الإلهام إلهي ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ (٢)، وهو

المعجون الإلهي للأخلاق، وهذا الإلهام يعدّ الرأس المال الأوّل لعلم الأخلاق

«ومن عمل بما علم أورثه الله علم ما لا يعلم»، والآية ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ (٣)

﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ (٣)، أي أقسم بالنفس ومن خلقها وصنعها وأفهمها

(١) الأنعام: ١.

(٢) الشمس: ٨.

(٣) الشمس: ٧-٨.

عصيانها وطاعتها، فالآية تشير إلى أنّ هنا موجوداً مسمّى بالنفس صنعه الله تعالى وأنشأه، ومن شؤونه وأحواله أنّ الخالق أعلمها قبائح الأمور التي تخرجها عن الاستقامة، وألهمها طريق تحفظها واتقائها عن القبائح.

وهذا الإلهام إما بإعطاء العقل المدرك للحسن والقبح، أو إرسال الرسل والكتب والشرائع، أو بكلا الأمرين كما قال تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾<sup>(١)</sup> أي الطريقين، طريق الخير وطريق الشرّ، فهداه إلى الطريقين بحجّتين.

عن الصادق عليه السلام: « ما من مؤمن إلّا لقلبه أذنان في جوفه: أذن ينفث فيها الوسواس الخنّاس، وأذن ينفث فيها الملك، فيؤيّد الله المؤمن بالملك، وذلك قوله تعالى ﴿ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾<sup>(٢)</sup>، وورد في النصوص: أنّ للقلب أذنين، فإذا همّ العبد بذنب قال له روح الإيمان لا تفعل، وقال له الشيطان افعل.

وأنّ للقلب أذنين الملك وروح الإيمان يسارّه ويأمره بالخير، والشيطان يسارّه ويأمره بالشرّ، فأَيّهما ظهر على صاحبه غلب.

٢ - شيطانيّة: التي يسمع الدعوة الشيطانية وتسمّى بالوسوسة، ووسوسة الشيطانيّة تدعوه إلى الشرّ، وهو أمارة بالسوء، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾<sup>(٣)</sup>، ووصف النفس بأنّها كثيرة الأمر بالسوء وذلك لأجل اقتضاء طبيعتها ووجود غرائز مختلفة فيها فتدلّ الآية على أنّ هنا موجوداً متسلّطاً على الإنسان يأمره وينهاه.

(١) البلد: ١٠.

(٢) المجادلة: ٢٢.

(٣) يوسف: ٥٣.



١٠٨ ..... دروس في الأخلاق

فالآمر هو النفس باعتبار اقتضاء غرائزها المودعة فيها والمأمور هو النفس أيضاً باعتبار جريها على طبق اقتضاء غرائزها .

وورد أيضاً: إنّ قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن ، أي بين خلتين مقهورين بإرادة الله التكوينية كالإصبع من صاحبها ، وهما : الملك والشيطان ومعنى كونه بينهما أنّ الله يخلّي بينه وبين أيّ منهما أراد حسب اقتضاء عمل الإنسان ورغبته .

## دعوة الأنبياء ﷺ

محمد كوني

مدير وإمام جمعة وجماعة / ساحل العاج

﴿ وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿١١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿١٢﴾ يَا أَبَتِ إِنَّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿١٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَانِ عَصِيًّا ﴿١٤﴾ يَا أَبَتِ إِنَّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿١٥﴾ ﴾<sup>(١)</sup>

دعوة الأنبياء إنما هي دعوة التوحيد، فكل نبي من آدم ﷺ إلى النبي الخاتم ﷺ يدعو الناس إلى توحيد الله تعالى، وكذلك الأوصياء والأولياء والعلماء الذين هم ورثة الأنبياء، فكلهم يدعون الناس إلى توحيد الله.

ومن هذا المنطلق نجد القرآن الكريم يذكر إبراهيم الخليل على نبينا وآله وعليه السلام، يذكر ما كان عليه من مسؤولية الهداية ودعوة الناس إلى التوحيد، ابتداءً من الأسرة، لقوله تعالى: ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) مريم : ٤١ - ٤٥ .

(٢) التحريم : ٦ .

ابتدأ إبراهيم عليه السلام بعتمه - وعند العرب يطلق الأب على العم - فدعاه إلى عبادة الله سبحانه، ونهاه عن عبادة الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنه شيئاً.

ودعوة التوحيد تارة تكون قولية، وأخرى تكون عملية.

الدعوة التوحيدية القولية هي: «قولوا لا إله إلا تفلحوا»، فالفلاح الديني في الدعوة التوحيدية القولية، أنه من نطق بالشهادة فيحقق دمه وماله ويكون مسلماً.

والدعوة التوحيدية الباطنية العملية: أن يكون الإنسان في قلبه معتقداً بوحداية الله سبحانه وتعالى، وهو الإيمان الحقيقي.

فهناك فرق بين الإسلام والإيمان.

الإسلام هو الإقرار باللسان، أما الإيمان: هو الإقرار باللسان والاعتقاد بالجنان والعمل بالأركان.

هذا هو الإيمان حقاً.

فالتوحيد العملي هو أنه يظهر في فعل المؤمن، تجده واقعاً بمثل التوحيد الإلهي، يتصبغ بصبغة الله، ويتلون ببلونه، فهو يتصف بصفات الله ويتخلق بأخلاق الله.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «تخلّقوا بأخلاق الله»، يعني أن يكون الإنسان موحداً في كلّ حركاته، دائماً يرى نفسه في حضرة الله.

فلا يعصي الله تعالى، لأنه يرى جمال الله، فهو يحبّ الله تعالى لأنّ الله جميل وكلّ من يرى جمال الله فإنه لا يعصيه، وكيف يعصي الله من يدّعي حبّه

ويرى جماله.

فالمحبّ لله تعالى يظهر التوحيد وآثاره على أفعاله وحركاته وسكناته، ويتأدّب بالأدب التوحيدي، فالأدب حلّة يتحلّى بها الإنسان. والأدب خير ميراث للأولاد.

وزبدة المخاض: إنّ الأدب الإسلامي هو تطبيق التوحيد في حياة الإنسان المسلم.

فدعوة الأنبياء ﷺ تأمر الإنسان بأن يتخلّق بالأخلاق الإسلامية، فيها يتكامل الإنسان ويصل إلى ربّه.

إنّ الآية القرآنية تكشف لنا وتعلّمنا أنّ إبراهيم عليه السلام كان نبياً صادقاً أي يتحلّى بالصدق، والصدق من الأخلاق الإسلامية.

ونفهم من هذه الآية أنّ وارث النبي لا بدّ له أن يتخلّق بأخلاق الأنبياء ﷺ ويتحلّى بصفات الصدق والأمانة والرحمة والرفقة.

الداعي إلى الله لا بدّ له أن يطهّر باطنه من كلّ الذمائم والرذائل ويتعطر بعطر الإسلام والتوحيد، يكون مخلصاً في كلّ أفعاله وحركاته وأقواله، وأن يرى الله تعالى في كلّ ما يقوم به.

تهذيب النفس واجب في حياة كلّ واحد من الناس، وخصوصاً أهل العلم، ورجال الدين، فعلى العالم أن يهذب نفسه من البداية، من القدم الأوّل.

ففي المثل يقال: «الخطوة الأولى هي مسيرة ألف ميل»، فإذا كانت هذه الخطوة الأولى صحيحة فالمسيرة تكون صحيحة إن شاء الله.

وأما إذا كانت الخطوة الأولى - والعياذ بالله - منحرفة وغير صحيحة يبقى

هذا الانحراف شيئاً فشيئاً حتى يصير قوياً جداً فتظهر آثار هذا الانحراف عند الموت .

فمسألة الأخلاق مسألة خطيرة جداً في حياة الناس، ولا سيما في حياة أهل العلم، قال مؤلف منية المرید في آداب المستفید : «الناس أدنى من أهل العلم بدرجة»، إذا كان أهل العلم يأتون بالمستحبات ويتركون المكروهات، فإنّ الناس يأتون بالواجبات، ويتركون المحرّمات، فإذا رأى الناس أنّ صاحب العلم يأتي بالصلوات الواجبة مع النوافل فإنّهم يجتهدون في صلواتهم اليومية، وأمّا إذا كان يكتفي بالواجبات فقط ويترك المستحبات، فالناس حوله يتركون الواجبات، وإذا كان أهل العلم يرتكبون المكروهات فإنّ الناس يقومون بارتكاب المحرّمات والجرائم، ومع الأسف، هذا ما نجدّه في حياتنا حتى الآن .

الشيخ جعفر التستري -رحمة الله عليه - من كبار العلماء، وكان خطيباً، فكلّما دخل بلدة وخطب فيها، فأثار خطبته تظهر على تلك البلدة وتستمرّ تلك الآثار إلى مدّة طويلة، فالناس يشعرون بمرور الشيخ جعفر بتلك البلدة، ولماذا؟

لأنّ الوضع يتغيّر في تلك البلدة، فالناس - في كلّ حركاتهم - يتوجّهون إلى الله، فالمساجد تمتلئ، والتوحيد الإلهي يتجلّى في حياتهم اليومية، وأنديتهم مملوءة بالقرآن وبذكر الله .

فهم مرتبطون مع الله سبحانه وتعالى .

فالعمدة أن يهذب أهل العلم نفوسهم وأرواحهم، وكن إمام نفسك أولاً ثمّ إمام الناس .

يقول علماء الأخلاق أنّ للإنسان أربع قوى، الإنسان يحمل أربع قوى باطنية، فإذا اعتدلت هذه القوى في حياة الإنسان فإنه يكون معتدلاً مهذباً، وأمّا إذا طغت قوّة على قوّة فحينئذٍ يكون الإنسان منحرفاً.

فالاعتدال في هذه القوى، إمّا يكون بالحدّ الوسط، لقوله ﷺ: «خير الأمور أوسطها»، الحدّ الوسط هو الصراط المستقيم لقوله تعالى: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾<sup>(١)</sup>، وهو من العلم. أمّا الانحراف فيكون عن اليمين أو عن اليسار، الانحراف يكون بالتفريط أو بالإفراط، وهو من الجهل. عن أمير المؤمنين عليه السلام، يقول في نهج البلاغة: «الجاهل إمّا مفرط أو مفرّط».

الرسول الأعظم - يوماً ما - رسم خطّاً مستقيماً على الأرض، وخطوطاً أخرى يميناً وشمالاً، فسأله الصحابة حوله عن معنى هذه الخطوط وعن الخطّ الوسطي، فقال الرسول الأعظم ﷺ: «اعلموا أنّ الخطّ المستقيم الوسطي هو صراط الله المستقيم، وهذه الخطوط الأخرى عن اليمين وعن الشمال هي خطوط شيطانية»، لأنّ الشيطان يعدكم الفقر، الفقر الاقتصادي، الفقر العلمي، الفقر الأخلاقي، يعدكم كلّ أنواع الفقر، والغنى هو من الله، كما يقول جلّ وعلا، ﴿يُعْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾<sup>(٢)</sup>، ففضل الله هو الصراط المستقيم، والخطوط يميناً ويساراً هو الإفراط والتفريط، والقوى الأربعة هي:

(١) الفاتحة: ٦.

(٢) النور: ٣٣.

١- القوّة العاقلة .

٢- القوّة الغضبية .

٣- القوّة الشهوية .

٤- القوّة الوهمية .

هذه القوى الأربعة فيها تفريط وإفراط .

١- القوّة الشهويّة : إنّ الإنسان يشتهي ويميل كلّ الميل نحو مشتتهيات البطن ومشتهيات اللسان، ومشتهيات الفرج يعني الغريزة الجنسية، فيفرط غاية الإفراط، فيرتكب المحرّمات من أكل الحرام وشرب الخمر والمخدّرات ويرتكب الزنى ويفعل ما تشتهي نفسه، فيتوغّل في الملتذّات والمحرّمات وهذه هي الإفراطية في القوّة الشهويّة .

وتارة يترك الإنسان الشهوة الجنسية ويتباعد عن كلّ المشتتهيات والملتذّات - كمثل المرتاضين في الهند يتركون الطعام والشراب والغريزة الجنسية ويعذبون أجسادهم بالجوع والعطش، معتقدين أنّهم من خلال هذه الرياضة والتعذيب الجسدي باختيارهم - يصلون إلى الروح الأبدية وهذا هو التفريط في القوّة الجنسيّة .

فالإسلام حدّد الحدّ الوسط بأنّه لا إفراط ولا تفريط، فجعل مسألة النكاح وجعل للنكاح آداباً وأخلاقاً - وأباح الأكل من الحلال - والشرب ممّا لا يسكر، وحدّد القوّة الشهويّة، فالحدّ الوسط - في القوّة الشهويّة - هو العفة .

فالإسلام أراد العفة للإنسان، ليكون عفيفاً في كلامه، وملبسه، وفي غريزته الجنسية، يكون وسطاً في كلّ هذه المعاملات .

قال بعض الأصحاب للرسول ﷺ: نحن سلّمنا أن نترك الدنيا ونصوم النهار دائماً ونصلّي الليل كلّها، فقال الرسول ﷺ: «أنا أصوم يوماً لأذكر الفقراء، وآكل يوماً لأشكر ربّي» فبين الصوم والأكل تعديل.

فالأخلاق الإسلامية تعني تعديل القوى الإنسانيّة وأخذ الحدّ الوسط:

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

والحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) آل عمران: ١١٠.

(٢) البقرة: ١٤٣.



## الإنسان خلق للكمال

طاهر أمين راحي  
مبلغ إسلامي / نيجيريا

خلق الإنسان للوصول إلى الكمال، وهو لا يصل إلا إذا أخذ طريق الوصول بالعلم والعبادة.

الكمال : العلم والعبادة .

قال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ (١).

خلق الإنسان ليكون خليفة الله على الأرض، الإنسان لا يكون خليفة الله إلا إذا تخلّق بأخلاقه تعالى في أسمائه وصفاته .

قال الإمام الصادق عليه السلام : « تخلّقوا بأخلاق الله » ، لأجل ذلك بعث الأنبياء والرسل عليهم السلام ، الهدف من إرسالهم هو التربية والتعليم .

قال تعالى :

﴿ يَثْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (٢).

---

(١) البقرة : ٢٨٢ .

(٢) الجمعة : ٢ .

وفي حديث قدسي، قال تعالى: «خلقتك لأجلي، وخلقته الأشياء لأجلك».

لأجل الوصول إلى الكمال أودع الله في الإنسان العقل والقلب، يتعلم ويفكر بالعقل فيعرف الله سبحانه، ثم يهذب القلب بالدعاء والأخلاق وقراءة القرآن فيرى الله سبحانه.

الإِنسان من يوم ولد يبدأ بالتعليم والتربية، إذا ولد المولود يؤدّن ويقام في أذنيه حتى يكون أول التربية يتعلم.

وفي الحديث قال ﷺ:

«اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد».

وقال ﷺ في حديث آخر:

«العلم في الصغر كالنقش في الحجر».

قال نبيّ الله عيسى بن مريم ﷺ: ليس العلم في السماء فينزل إليكم، ولا في الأرض فيخرج إنَّما العلم في قلوبكم.

تخلّقوا بأخلاق الروحانيين تظهر لكم العجائب، والروحانيون هم الله والأنبياء والرسل والعلماء والملائكة.

وفي الحديث قال ﷺ: «من أخلص لله أربعين يوماً تفجّرت ينابيع الحكمة من قلبه».

وقال ﷺ: «ليس العلم بكثرة التعلّم إنَّما العلم نورٌ يقذفه الله في قلب من يشاء».

الله تعالى عندما خلق آدم ﷺ علّمه الأشياء وجعل نور الأنبياء في صلبه، وجعل الظلمات في الشيطان لتكبره.

الدين يهتمّ بالعقل :

إنّ الإنسان مركّب من الجسم والروح، والجسم يحتاج إلى المادّيات، وهكذا الروح فإنّها تحتاج إلى الروحيّات والمعنويّات، ويتمّ ذلك بالأخلاق الطيّبة.

الإنسان :

أ- الجسم : الطعام والشراب .

ب- الروح : الذكر والفكر .

الفكر يوجب فعالية العقل وكذلك الذكر يوجب فعالية القلب، والعقل هو الحجّة الباطنية وبه يثاب ويعاقب الإنسان .

قال تعالى في الحديث القدسي : « السماء والأرض لا تسعني ، أمّا قلب المؤمن يسعني » قلب المؤمن ، عرش الله وحرمة ، القلب الذي يسع الله هو قلب المؤمن ، وأمّا قلب غير المؤمن فإنّ الشيطان يعيش فيه ويفرّخ .  
لذلك سعادة الإنسان بالقلب المملوء بالإيمان ، والعقل السليم الذي يقوده من الظلمات إلى النور .

فالإنسان ذو بُعدين : شخصي وشخصيّتي .

بُعد الشخص هو ما يقبل التشخيص مثل الجسميّة والكم والكيف ، وبُعد الشخصية هو ما لا يقبل التشخيص ، وقال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿١﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿٢﴾ ﴾ (١) .

الشخصية تنقسم إلى فردية واجتماعية.

١- الرأسمالية، يرون أنّ الإنسان يحقّ له أن يفعل ما يشاء.

٢- الشيوعية، يرون أنّ الإنسان مثل الأدوات أو الآلة، هم ملك للدولة، إذا شاءت تتركه.

٣- الدين الإسلامي جمع بين الأصلتين: أصالة الفرد وأصالة المجتمع.

إنّ الله تعالى خلق الطبيعة كلّها لأجل الإنسان، فهو كتاب الله كما ورد عن الإمام عليّ عليه السلام: «أتزعم أنّك جرمٌ صغير ولا قيمة لك وفيك انطوى العالم الأكبر»، فيه روح إلهي، فعظمة الإنسان بالروح وبالعقل.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال الرسول ﷺ: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه» فلا تبيعوا أنفسكم بأقلّ من الجنّة.

إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة.

لذلك فلا تطع نفسك الأمارّة، بل خالفها حتّى لا تجرّك إلى ما هو أقلّ من الجنّة: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾<sup>(٢)</sup>.

الإِنسان خلق للكمال، ولا يصل إلى الكمال إلّا بثلاث: العلم والرحمة والعبادة.

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) الإسراء: ٧٠.

(٢) يوسف: ٥٣.

(٣) البقرة: ٢٥٧.

الولاية لغة: ولي شيء خلف شيء من الأشياء، ولي = تبع.

الوليعة: المحبة.

الولاية: السلطنة، الله ولي الخلق له السلطنة على الخلق، كل الصفات الإلهية مجموعة في الولاية الإلهية.

الولاية الإلهية العظمى قد فوضها الله إلى رسوله محمد ﷺ، فكان نبياً وآدم بين التراب والطين، وإنه يتولى تدبير العالم العلوي والعالم السفلي بإذن الله سبحانه، وهكذا تتجلى هذه الولاية من الرسول إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وإلى فاطمة الزهراء سلام الله عليهم أجمعين، إلى الحسن ثم الحسين عليهما السلام، ويقول رسول الله ﷺ: «إن لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لن تبرد أبداً».

في هذا الحديث أخبر النبي ﷺ أولاً أن ابنه الحسين عليه السلام سوف يُقتل، وثانياً أن لقتله هذا حرارة في قلوب المؤمنين ولن تبرد أبداً، هذه الحرارة تخلد وتبقى مع القرآن، لذلك ترى متى يكون يوم عاشوراء يكون تجديد لأمر الإسلام والقرآن، لأن الحسين عليه السلام هو عدل القرآن، وهو القرآن الناطق، ما دام أمر عاشوراء حياً بين الناس، فإن القرآن والإسلام يكونان حيين، إذا قرأت القرآن ترى كل مرة أنه غضّ جديد لا يبلى، وكذلك قضية الإمام الحسين عليه السلام كل عام يتجدد.

قضية عاشوراء مملوءة بالدروس الأخلاقية، أولها الصبر، إذ يرى المؤمن كيف صبر الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه في يوم عاشوراء، حقيقةً يتعجب فكيف يواجه سبعون نفراً ليس معهم إلا الأسلحة البسيطة ثلاثين ألف نفر كلهم مدججين بالأسلحة الكافية للقتال.

يقول الراوي : كلما قتل من أصحاب الحسين في يوم عاشوراء كان يتوهج وجهه نوراً ولسانه يترنم بذكر الله، رضاً بقضائك يا ربّي، هذا غاية الصبر، وليلة الحادي عشر من محرّم سنة ٦١ هـ تصلّي زينب الكبرى صلاة الليل جالسة، ويسألها الإمام عليّاً : لماذا تصلّي جالسة، قالت : من شدّة الجوع والعطش لا يمكنني أن أقف، ودعا لها الإمام عليّاً وقال : اللهم ألهمها الصبر، الإمام يعرف ما أمامها من الشدائد والمحن .

وفي يوم عاشوراء واحد من رجال ابن سعد بارز الإمام فقتله، وكان معه في الجيش أخ له، عندما رأى مصرع أخيه ثارت غيرته وتوجّه نحو الحسين عليّاً يريد قتله، ثمّ قبل أن يصل إلى الإمام عثر فرسه وسقط أمام الإمام، فقال له الإمام : ماذا تريد ؟ قال : قل لأصحابي أن يحملوني، ونادى الإمام أصحاب ابن سعد فحملوه، هذا أيضاً درس أخلاقي جيّد .

قبل يوم عاشوراء لقي الإمام الحرّ بن يزيد وهو وأصحابه عطاشاً وسقاهم الإمام عليّاً .

سرّ المخلوق :

قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾ (١)

﴿ وَأَنْ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ﴾ (٢).

(١) الانشقاق : ٦ .

(٢) النجم : ٤٢ .

وقال تعالى :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿١﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿٢﴾ ﴾ (١).

سر الخلق :

أ - الرحمة .

ب - العلم .

ج - العبادة .

الله تعالى خلق الإنسان للوصول إلى الكمال، وهكذا كلّ الخلق يسبحون إلى الكمال المناسب لهم، وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (٢).

والحيوانات يسعون إلى الكمال المناسب لهم، كلّ شيء يسبح نحو ربّه ونحو الكمال، الإنسان بوسيلة العلم والعبادة والرحمة يصل إلى الكمال. العلم لتنمية العقل، والعبادة والرحمة لتنمية الروح التي هي مجردة، وإنّها باقية وخالدة، ويعود الجسد معها يوم القيامة ليثاب المحسن على إحسانه، ويعاقب المسيء على إساءته. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) الشمس : ٩ - ١٠ .

(٢) الإسراء : ٤٤ .

## كلمة في التربية وعلم الأخلاق

لافر مدني

مدير وأستاذ جامعة / سريلانكا

هدف الخليقة : تكامل الإنسان (الإيصال إلى الله وأنه خليفته في الأرض).

أدوات التكامل كما يلي :

١- الفطرة :

أ- العالمة (كلّ مولود يولد على الفطرة ... ) حديث .

ب- العاشقة .

٢- العقل :

أ- النظري :

— الهيولاني .

— بالملكة .

— بالفعل .

— بالمستفاد .

ب- العملي :

— التخلية .



— التجلية .

— التحلية .

— الفناء في الله .

٣- الوجدان (النفس اللوامة) أو الضمير الأخلاقي .

٤- النفس :

أ- الأمانة .

ب- اللوامة .

ج- المطمئنة ، راضية مرضية .

ما هو الفرق بين العقل والقلب ، هل هما سواء ؟ العقل للفكر والقلب للذكر .

العقل ما عُبد به الرحمن واكتسب به الجنان - حديث .

جئت لأتمم مكارم الأخلاق - حديث .

الكمال هو تجلّي أسماء الله وصفاته في الإنسان بأنّه خليفته في الأرض

وبالتقرّب إلى الله يسعد في الدنيا والآخرة ، والإسلام جاء لسعادة الناس .

للإنسان بعدان :

شخصي : ذو الطول والعرض والعمق ، ويتشخّص عن غيره بالجسم .

شخصية : أنا ، الأخلاقيون يبحثون عن شخصية الإنسان ، إنّها عبارة عن

عقائد الإنسان وعلومه وقلبه وأخلاقه وإنسانيّته وجانبه الروحي أو جانبه

النفسي ، الكلام في الأخلاق هو عن جانبه النفسي .

الشخصية :

أ - تتمّ تربيتها بالعقل والإيمان .

البيت والأسرة والوراثة والمدرسة والمجتمع ، لكلّ أثرٌ بالغ في تكوين

شخصية الإنسان وتربيته.

ب - فردية، المذهب الرأسمالي يعطي الإنسان أنانية: أنت حرّ مطلق حتّى على حقوق الآخرين، وهذا يسمّى بأصالة الفرد.

ج - اجتماعية، المذهب الشيوعي: الإنسان في خدمة الدولة ولا يملك ملكية فردية وأنّه أداة من أدوات الدولة والمجتمع وهو أصالة المجتمع. المذهب الديني: يجمع بين أصالة الفرد والمجتمع.

الجسم: طبيعية تتركّب بالماهية:

(لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم).

(فتبارك الله أحسن الخالقين).

العقل من نور الله.

سعادة الإنسان:

أ - بالعقل وتلقيحه بالعلم، وهو عقد المحمول بالموضوع، ومن نتائجه

الفكر.

ب - الإيمان، القلب عقد العلم بالقلب، الذكر.

التربية:

أ - للروح.

ب - والبدن.

وهدف الأنبياء والأولياء والعلماء الصالحين إنّما هو تربية الإنسان في كلّ

أبعاده:

﴿ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ (١).

## الفهرس

١١	أضواء في طريق الأخلاق
١٣	النور والظلمات
١٥	الإنسان فرد ومجتمع
١٧	أقسام المخلوقات
١٨	إلهي هب لي كمال الانقطاع إليك
١٨	هدف الخلفة
٢١	مكارم الأخلاق
٢٥	فلسفة الحياة وسرّ الخليفة
٢٩	حقيقة الإسلام
٣٦	دعوة الأنبياء إنما هي دعوة التوحيد
٣٨	النفس وأساؤها وقواها الأربع
٤٢	دعوة التوحيد
٤٣	التكامل

١٢٧	الفهرس
٤٤	الظلام والنور
٤٦	علم الأخلاق
٤٦	ميل الإنسان إلى الكمال
٤٧	تزكية النفس عامل الكمال
٤٨	أسمى تكاليف الإنسان
٥٠	الفطرة الطاهرة غير الملوثة
٥٠	الحرية والقيود
٥١	النظام التربوي في الإسلام
٥٣	أثر العقل والإيمان في بناء الإنسان
٥٥	العلم والإيمان
٦١	الشخصية الإسلامية
٦٢	شخصية الإنسان
٦٤	الشخصية الفردية للإنسان
٦٧	الإمام الحسين <small>عليه السلام</small>
٧٥	فلسفة الحياة
٨٢	سر الخالق وسر المخلوق
٨٩	التوحيد في حياة الإنسان
٩٥	شخصية الإنسان
١٠٠	حول الأخلاق الإسلامية
١٠٤	الإنسان بين العقل والقلب

١٢٨	دروس في الأخلاق .....
١٠٩	دعوة الأنبياء <small>عليهم السلام</small> .....
١١٦	الإنسان خلق للكمال .....
١١٨	الدين يهتمّ بالعقل .....
١٢١	سرّ المخلوق .....
١٢٣	كلمة في التربية وعلم الأخلاق .....
١٢٧	الفهرس .....

كَلَامُ النَّبِيِّ  
مِنْ رِوَايَاتِهِ

فِي

الْفَرَاشِ الْكَبِيرِ

السَّيِّدِ عَائِلِ الْعَالَمِي

دار الإفتاء الإسلامية



موسوعة  
رسالات إسلامية



---

رسالة  
كلمة التقوى في القرآن الكريم  
تأليف - السيد عادل العلوي

---

نشر - المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد  
إيران، قم، ص. ب ٣٦٣٤  
الطبعة الثانية - ١٤٢٣ هجري قمرى  
التنضيد والإخراج الكومبيوترى - حكمت، قم  
المطبعة - النهضة، قم

---

## بسم الله الرحمن الرحيم

### المقدمة<sup>(١)</sup>

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد وآله الطاهرين.

قال تعالى في محكم كتابه ومبرم خطابه :

﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾<sup>(٢)</sup>.

لطالما وصّى الله سبحانه وتعالى بالتقوى، وأمر الإنسان أن يتقي الله في حياته حقّ تقاته، فإنه قد جُمعت جميع خيرات الدنيا وحسنات الآخرة في كلمة واحدة، ألا وهي التقوى، وما أدراك ما التقوى؟ ما أروعها وأجملها وأثقلها، فقد حوت وانطوت على سعادة الدارين، وقد حثّت عليها الكتب السماوية والشرائع الإلهية والرسل والأنبياء لا سيّما خاتمهم ﷺ في أحاديثهم القدسية، وكذلك أهل بيت العترة الطاهرة في أخبارهم الربّانية، فإنّهم أمروا الناس بأن يتحلّوا بهذه الصفة

---

(١) مقالة منشورة في مجلّة (نور الإسلام)، العدد ٥١ - ٥٢، السنة الخامسة. وترجمت إلى

الإنجليزية وطبعت في مجلّة (الكوثر)، العدد ؟؟؟، السنة ؟؟؟.

(٢) الفتح : ٢٦.



٤ ..... كلمة التقوى في القرآن الكريم

المباركة الجامعة للأخلاق الحسنة والصفات الكريمة، ومن ثم ليتجلّوا ويحلّقوا في سماء الفضائل والمكارم مكلّلين بتاج التقوى.

ولو نظرنا بإمعان ودقّة في كتاب الله الكريم الذي يهدي للتي هي أقوم لرأينا الشيء العجيب، في ما علّقه عليها، وبين آثارها ومعالمها من خير وثواب وشموخ ورفعة، وما أضاف عليها من كرامات ومقامات عليّة، وسعادات دنيوية وأخروية، بمعطياتها الأبدية الخالدة، وأثرها البالغ في النفوس والمجتمع في تمام حقوله، وشتّى نواحيه، وجميع طبقاته، ما يكلّ اللسان عن بيانه والقلم عن تحريره.

ثم إنّ التقوى مفهوم كليّ مشكّك له مراتب طولية وعرضية، إلا أنّ جذورها ثلاثة كما ورد ذلك في الخبر الشريف<sup>(١)</sup>.

١- التقوى من خوف النار والعقاب، وتمثّل بإتيان الواجبات وترك المحرّمات، وهي تقوى العامّة من الناس الذين هم مكلّفون بتحصيل هذه المرحلة، وإن لم يتحلّوا بها فهم في عداد الفاسقين.

٢- التقوى من الله، وهي ترك الشبهات فضلاً عن الحرام، وهي تقوى الخواصّ من الناس الذين يتورّعون عن الشبهات، ولا يقتحمونها فضلاً عن ترك المحرّمات.

٣- التقوى في الله سبحانه وتعالى، وهي تتمثّل بترك الحلال فضلاً عن الشبهات، وهي تقوى خواصّ الخواصّ، حيث إنّ حسنات الأبرار سيئات المقرّبين، فالمقرّب ووليّ الله يترك ما يحلّ له من الملاذ والشهوات، ويزهد في الدنيا فضلاً عن اقتحام الشبهات، ولا يلقّاها إلاّ ذو حظّ عظيم، والله الحجّة البالغة:

(١) جامع السعادات ٢: ١٣٨.

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿<sup>(١)</sup>.

وإلى هذه المراتب الثلاث أشير في الكتاب الإلهي بقوله تعالى :

﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا  
وَأَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ  
الْمُحْسِنِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد وردت كلمة التقوى ومشتقاتها في القرآن الكريم في ٢٥٧ آية<sup>(٣)</sup>، أذكر نبذة منها تحت عناوين خاصة تشير إلى عظمة التقوى ومقامها الشاخص، وعلى القارئ العزيز أن يروي ظمأه من مناهل التحقيق والتنقيب والتفسير والبيان، بل وعليه بالتفكير والتأمل والتدبر في هذه الآيات، فإنه ينفث له آفاق جديدة، ومعاني سامية عندما يقرأ موضوع التقوى من خلال القرآن الكريم في مطالعة واحدة، فإنه يربط الآيات بعضها مع بعض، فإن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضاً.

(١) الشمس : ٧-٨ .

(٢) المائدة : ٩٣ .

(٣) راجع في ذلك المعجم المفهرس، وإذا أردت أن تعرف صفات المتقين فراجع في ذلك الروايات لاسيما كتاب نهج البلاغة وخطبة الإمام علي عليه السلام.

## الفصل الأول

### مصاديق التقوى

نتعرّض أولاً إلى بعض مواردها ومصاديقها التي منها :  
١ - إقامة الصلاة :

﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَآتَوْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وهذا يعني أنّ من يترك الصلاة هو من المشركين في العمل ، فإنّ الشرك إمّا أن يكون في العقيدة بأن يشرك مع سبحانه كالثنوية ، وإمّا أن يكون في العمل كالمرائي فإنّه مشرك في مقام العمل . فالؤمن العالم يخشى الله سبحانه وتعالى ويتقيه ، إلا أنّك تجد أكثر الناس للحقّ كارهون ، وإنهم قد فسقوا عن أمر ربهم وغرّتهم الحياة الدنيا وملاذّها ، فطغوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد والجور والفواحش ما ظهر منها وما بطن :

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنْ

(١) الأنعام : ٧٢ .

(٢) الروم : ٣١ .

الْحِجَارَةَ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَاءٌ يَشَّقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَاءٌ يَهْبِطُ مِنْ حَشِيَّةِ اللَّهِ ﴿١﴾.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (٢).

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (٣).

﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِيتَايَ فَارْهَبُونِ \* وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾ (٤).

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٥).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (٦).

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ ﴾ (٧).

(١) البقرة : ٧٤.

(٢) الأحزاب : ١.

(٣) يونس : ٣٦.

(٤) النحل : ٥١ - ٥٢.

(٥) الأنفال : ٢.

(٦) الأنفال : ٢٩.

(٧) التغابن : ١٦.

٨ ..... كلمة التقوى في القرآن الكريم

﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ (١)

﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ الشُّوْءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٢)

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ (٣)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٤)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلَسَنَنْظُرُ نَفْسًا مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٥)

﴿ فَلَا تَرْكَبُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى ﴾ (٦)

﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٧)

﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (٨)

واعلم أن الدعوة إلى التقوى هي دعوة الله ودعوة أنبيائه ورسله وأوصيائهم

(١) النحل : ٣٠ .

(٢) الزمر : ٦١ .

(٣) الطلاق : ٥ .

(٤) آل عمران : ١٠٢ .

(٥) الحشر : ١٨ .

(٦) النجم : ٣٢ .

(٧) البقرة : ٦٣ .

(٨) البقرة : ١٩٧ .

وأولياء الله والعلماء الصالحين الذين هم ورثة الأنبياء .

- ﴿ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (١) .
- ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ﴾ (٢) .
- ﴿ سَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (٣) .
- ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (٤) .
- ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (٥) .
- ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (٦) .
- ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (٧) .
- ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (٨) .
- ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ \* إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (٩) .
- ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ ﴾ (١٠) .

(١) المؤمنون : ٢٣ .

(٢) العنكبوت : ١٦ .

(٣) المؤمنون : ٨٧ .

(٤) الشعراء : ١٠٦ .

(٥) الشعراء : ١٢٤ .

(٦) الشعراء : ١٤٢ .

(٧) الشعراء : ١٦١ .

(٨) الشعراء : ١٧٧ .

(٩) الصافات : ١٢٣ - ١٢٤ .

(١٠) التوبة : ١١٥ .

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ <sup>(١)</sup>.

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup>.

﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup>.

٢- إيتاء الزكاة :

﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ <sup>(٤)</sup>.

﴿ وَسَيَجْزِيهَا الْأَتْقَى \* الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴾ <sup>(٥)</sup>.

والزكاة إما واجبة أو مستحبة، وأحكامها المذكورة في الكتب الفقهية.

٣- ترك الربا :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾ <sup>(٦)</sup>.

وقد ذم الله الربا حتى جعله حرباً مع الله سبحانه.

٤- أداء الأمانة :

﴿ فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَسْقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴾ <sup>(٧)</sup>.

فإن أداء الأمانة من علامة المؤمن، كما أن الخيانة من علامة المنافق وإن صلى

وصام.

(١) البقرة : ٢٢٣.

(٢) المائدة : ١٠٠.

(٣) الأنعام : ١٥٥.

(٤) الأعراف : ١٥٦.

(٥) الليل : ١٧ - ١٨.

(٦) البقرة : ٢٧٨.

(٧) البقرة : ٢٨٣.

٥ - صلة الرحم :

﴿ وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ (١)

وما أكثر الآيات الكريمة والروايات الشريفة في استحباب صلة الرحم وحرمة قطعه .

٦ - ابتغاء الوسيلة :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ (٢)

ومن الوسيلة الولاية العظمى وحب أهل البيت عليهم السلام والصلاة عليهم والاستغفار وغيرها .

٧ - اتباع القرآن :

﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٣)

فاتباع القرآن يعني سعادة الدارين ونيل الخيرات .

٨ - إطاعة النبي صلى الله عليه وآله :

﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ (٤)

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (٥)

فإطاعة النبي من إطاعة الله ، وهي من الواجبات العقلية والشرعية .

---

(١) النساء : ١ .

(٢) المائدة : ٣٥ .

(٣) الأنعام : ١٥٥ .

(٤) الشعراء : ١٠٧ - ١٠٨ .

(٥) الحشر : ٧ .



٩- عدم إطاعة المسرفين :

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (١)

فإنه يوجب الندامة والهلاك والضلال .

١٠- الإصلاح :

﴿ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَابِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (٢)

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ (٣)

فإن الله يحبّ الصلح، فإنه من الخير، والله هو الخير المطلق، وإنّ الشيطان

يلقي بينكم العداوة والبغضاء .

١١- الصبر :

﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٤)

والصبر أساس الأخلاق، ومن صبر ظفر، وإنه صبر على ترك المعصية وصبر

على الطاعة، وصبر على المصائب، والله بئّر الصابرين بالجنّات والمغفرة .

١٢- القول السديد :

﴿ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (٥)

فإنّ القول السديد والرشيدي يوجب قوام الفرد والمجتمع وصلاحها

وسعادتها .

---

(١) الشعراء : ١٥٠- ١٥١ .

(٢) الحجرات : ١٠ .

(٣) الأنفال : ١ .

(٤) يوسف : ٩٠ .

(٥) النساء : ٩ .

١٣- الترابط في الله :

﴿ اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١).

فإن الترابط في الله من الجهاد، وإن الله يحب المجاهدين.

١٤- عدم التعاون على الإثم :

﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (٢).

فإن التعاون على التقوى يوجب خير الفرد والمجتمع، كما أن التعاون على

الإثم والعدوان يوجب هدم صرح المجتمع وانحطاطه، كما يوجب هلاك الفرد.

١٥- متاع بالمعروف :

﴿ وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَمَيِّنِ ﴾ (٣).

فإن الحياة الزوجية إما إمساك بإحسان وكرامة، وتسريح بمعروف، وبهذا

فلا يكون تضييع للحقوق مطلقاً، وكذلك باقي الآيات التي تشير إلى مصاديق

التقوى، فإن في كل مورد وموضع حكمة علمية وعملية، فردية واجتماعية، يقف

عليها القارئ النبيه، فتدبر، وإليك الآيات الأخرى في هذا الباب من ذون تعليق

وبيان.

١٦- النجوى بالبر والتقوى :

﴿ وَتَسَاجُوا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (٤).

(١) آل عمران : ٢٠٠.

(٢) المائدة : ٢.

(٣) البقرة : ٢٤١.

(٤) المجادلة : ٩.

١٧- العفو :

﴿ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ (١)

١٨- إقامة العدل :

﴿ أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ (٢)

١٩- الجهاد :

﴿ أَنْ يَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ (٣)

٢٠- الغلظة مع الكفار :

﴿ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٤)

٢١- التواضع مع المؤمنين :

﴿ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ

لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٥)

٢٢- الكون مع الصادقين :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٦)

٢٣- تعظيم الشعائر :

﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ (٧)

---

(١) البقرة : ٢٣٧ .

(٢) المائدة : ٨ .

(٣) التوبة : ٤٤ .

(٤) التوبة : ١٢٣ .

(٥) القصص : ٨٣ .

(٦) التوبة : ١١٩ .

(٧) الحج : ٣٢ .

٢٤- الوفاء بالعهد :

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (١)

٢٥- أكل الحلال الطيب :

﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (٢)

٢٦- الذكرى :

فإن التقوى تصون الإنسان من الغفلات، وإذا غفل بإغواء من الشيطان فإنه سرعان ما يتذكر :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ (٣)

٢٧- وأخيراً أساس كل شيء في الحياة التقوى :

﴿ أَفَمَنُ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ ﴾ (٤)

ولو يدري الإنسان ما أعد لمن ترك التقوى فإن بعض الناس :

﴿ إِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ﴾ (٥)

﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ (٦)

(١) آل عمران : ٧٦.

(٢) الأنفال : ٦٩.

(٣) الأعراف : ٢٠١.

(٤) التوبة : ١٠٩.

(٥) البقرة : ٢٠٦.

(٦) البقرة : ٢٤.

- ﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (١).
- ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ (٢).
- ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٣).
- ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (٤).
- ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٥).
- ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٦).
- ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٧).

هذا لمن لم يتق الله سبحانه، فيرتكب الذنوب والمعاصي، ويعمل المحرمات ويترك الواجبات ويقتحم الشبهات، وأما من اتقى، وخاف مقام ربه، ونهى النفس عن الهوى، فإن الجنة هي المأوى.

---

(١) آل عمران : ١٣١ .

(٢) البقرة : ٤٨ .

(٣) البقرة : ١٩٦ .

(٤) البقرة : ٢٠٣ .

(٥) البقرة : ٢٢٣ .

(٦) البقرة : ٢٣١ .

(٧) البقرة : ٢٣٣ .

## الفصل الثاني

### جزاء المتقين

إنَّ الله لا يضيع عمل عاملٍ من ذكرٍ أو أنثى، فمن يتَّقِهِ، فإنَّه يجازيه على تقواه.

وإليك بعض الجزاء، ممَّا أعدَّه الله للمتقين :

١ - حسن المآب :

﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿ وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

٢ - المقام الأمين :

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ \* فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾<sup>(٣)</sup>.

٣ - حسن العاقبة :

﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾<sup>(٤)</sup>.

---

(١) ص : ٤٩ .

(٢) الزخرف : ٣٥ .

(٣) الدخان : ٥١ - ٥٢ .

(٤) طه : ١٣٢ .

﴿ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾<sup>(١)</sup>.

٤- ولاية الله :

﴿ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

٥- زيادة الهداية :

﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾<sup>(٣)</sup>.

٦- هداهم بكتاب الله :

﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

٧- النجاة من النار وحرّها وسعيرها :

﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا ﴾<sup>(٥)</sup>.

٨- ينالون ثواب الله :

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ ﴾<sup>(٦)</sup>.

٩- النصر والتأييد الإلهي ومعونته وتوفيقه :

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾<sup>(٧)</sup>.

---

(١) الأعراف : ١٢٨ .

(٢) المجاثية : ١٩ .

(٣) محمد ﷺ : ١٧ .

(٤) البقرة : ٢ .

(٥) مريم : ٧٢ .

(٦) البقرة : ١٠٣ .

(٧) النحل : ١٢٨ .

١٠- الأمن وعدم الخوف :

﴿ فَمَنْ أَتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١)

١١- اليسر في الحياة :

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَىٰ \* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ \* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ (٢)

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ (٣)

١٢- خير الآخرة :

﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ ﴾ (٤)

﴿ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٥)

١٣- الصيانة والحفظ من الأعداء والماكرين وأضرارهم في الفكر

والسلوك :

﴿ وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾ (٦)

١٤- وقد مدح الله التقوى وأثنى عليها :

﴿ وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (٧)

(١) الأعراف : ٣٥.

(٢) الليل : ٥ - ٧.

(٣) الطلاق : ٤.

(٤) النساء : ٧٧.

(٥) يوسف : ١٠٩.

(٦) آل عمران : ١٢٠.

(٧) آل عمران : ١٨٦.



١٥- والبرّ هو التقوى :

﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى ﴾ (١).

١٦- الأجر العظيم :

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢).

﴿ وَإِنْ تُوْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٣).

﴿ وَإِنْ تُوْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ ﴾ (٤).

١٧- التكفير عن السيئات :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ (٥).

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ (٦).

١٨- الفوز عند الله :

﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (٧).

١٩- نيل محبة الله عز وجل :

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٨).

---

(١) البقرة : ١٨٩ .

(٢) آل عمران : ١٧٢ .

(٣) آل عمران : ١٧٩ .

(٤) محمد ﷺ : ٣٦ .

(٥) المائدة : ٦٥ .

(٦) الطلاق : ٥ .

(٧) النور : ٥٢ .

(٨) آل عمران : ٧٦ .

٢٠- الحصول على العلم الإلهي النوراني :

فإنه يقذفه الله في قلب من يشاء، إذا كان من أهل التقوى :

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾<sup>(١)</sup>.

٢١- كون الله معه فالله مع المتقين :

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

٢٢- الخلاص من مشاكل الحياة، والنجاة من الشدائد والمصاعب، ونيل

الرزق الواسع الحلال الطيب من حيث لا يحتسب :

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً \* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾<sup>(٣)</sup>.

٢٣- نزول الخيرات :

﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْراً ﴾<sup>(٤)</sup>.

٢٤- وبركات من السماء والأرض :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ

وَالْأَرْضِ ﴾<sup>(٥)</sup>.

وهذا من فضل تقوى المجتمع، كما هو من آثار تقوى الفرد.

٢٥- قبول الأعمال :

﴿ إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) البقرة : ٢٨٢.

(٢) البقرة : ١٩٤.

(٣) الطلاق : ٢-٣.

(٤) النحل : ٣٠.

(٥) الأعراف : ٩٦.

(٦) المائدة : ٢٧.

٢٢ ..... كلمة التقوى في القرآن الكريم

٢٦- إبعاد السوء بعد التقوى :

﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ ﴾ (١).

٢٧- إصلاح العمل وازدهاره :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ (٢).

٢٨- دخول الجنة وسعادة الدارين :

فإنَّ السعيد من يدخل الجنة، والشقي من كان مصيره النار، لقوله تعالى :  
﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ \* فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَيُنْفَوْنَ فِيهَا النَّارَ لَّهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ \* خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ \* وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَيَنفَوْنَ فِيهَا الْجَنَّةَ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ (٣).

وإنما يدخل الجنة من كان تقياً، فهو السعيد حقاً :

﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٤).

﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ (٥).

﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ (٦).

(١) الزمر : ٦١.

(٢) الأحزاب : ٧٠-٧١.

(٣) هود : ١٠٥-١٠٨.

(٤) آل عمران : ١٣٣.

(٥) آل عمران : ١٥.

(٦) آل عمران : ١٩٨.

- ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ (١).
- ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ \* فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ (٢).
- ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ \* آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ (٣).
- ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ \* فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ (٤).
- ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ \* فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ (٥).
- ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ (٦).
- ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ \* وَقَوَائِكَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ (٧).
- ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا \* حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴾ (٨).
- ٢٩ - وراثه الجنة :

﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴾ (٩).

٣٠ - الإكرام والإعزاز الإلهي :

إذ التقوى هي المقياس في التفاضل والتقدم :

(١) الزمر : ٧٣.

(٢) الدخان : ٥١ - ٥٢.

(٣) الذاريات : ١٥ - ١٦.

(٤) الطور : ١٧ - ١٨.

(٥) القمر : ٥٤ - ٥٥.

(٦) القلم : ٣٤.

(٧) المرسلات : ٤١ - ٤٢.

(٨) النبأ : ٣١ - ٣٢.

(٩) مريم : ٦٣.

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾<sup>(١)</sup>.

٣١- البشرى للمتقين :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي  
الْآخِرَةِ ﴿<sup>(٢)</sup>.

٣٢- معرفة الإنسان للحق من الباطل :

ومعرفة الخير من الشرّ، والحسن من القبيح، والصالح من الطالح، والجيد من  
الرديء، والمعروف من المنكر، والصحيح من السقيم، والسالم من المعيب، فالتقوى  
هي الفرقان :

﴿ إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾<sup>(٣)</sup>.

٣٣- إنّ المتقين ضيوف الله والوافدون عليه :

﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴾<sup>(٤)</sup>.

٣٤- الالتزام بوصية الله لكل من آمن به :

وذلك لما في تقوى الله من الخصال الحميدة والخير المطلق :

﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾<sup>(٥)</sup>.

٣٥- ونهاية المطاف ونتيجة الكلام أنّ على كلّ واحد أن يتقي الله حقّ تقاته :

﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) الحجرات : ١٣ .

(٢) يونس : ٦٣ - ٦٤ .

(٣) الأنفال : ٢٩ .

(٤) مريم : ٨٥ .

(٥) النساء : ١٣١ .

(٦) آل عمران : ١٠٢ .

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾<sup>(١)</sup>  
 ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمِعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>  
 ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾<sup>(٣)</sup>  
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ  
 إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾<sup>(٤)</sup>

إنها دعوة الإيمان إلى إخوان الصفا، للتمسك بعروة التقوى، لنيل خير الأولى  
 والعقبى، أليس الصبح بقریب، حيث :

﴿ وَأَزَلَفْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾<sup>(٥)</sup>  
 ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ \* آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ﴾<sup>(٦)</sup>  
 ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ \* فَكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ﴾<sup>(٧)</sup>  
 ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ \* فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾<sup>(٨)</sup>  
 ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾<sup>(٩)</sup>

(١) المائدة : ١٠٠ .

(٢) المائدة : ١٠٨ .

(٣) الحج : ١ .

(٤) الحشر : ١٨ .

(٥) ق : ٣١ .

(٦) الذاريات : ١٥ - ١٦ .

(٧) الطور : ١٧ - ١٨ .

(٨) القمر : ٥٤ - ٥٥ .

(٩) القلم : ٣٤ .

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ \* وَقَوَائِكَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً \* حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً ﴾<sup>(٢)</sup>.

فهلّم ندعُ الله سبحانه بلسان خالص وقلب خاشع ونفس مطمئنة أن : ربّنا

يا غفّار الذنوب ويا ستّار العيوب ويا كشاف الكروب ويا حبيب القلوب :

﴿ هَبْ لَنَا مِنْ أَرْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً ﴾<sup>(٣)</sup>.

---

(١) المرسلات : ٤١ - ٤٢ .

(٢) النبأ : ٣١ - ٣٢ .

(٣) الفرقان : ٧٤ .

## الفصل الثالث

### خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في صفات المتقين

من أبلغ الخطب الجامعة في صفات المتقين وأحوالهم في الدنيا والآخرة، هي خطبة أمير المؤمنين وسيد الوصيين أسد الله الغالب علي بن أبي طالب عليه السلام لما سأله همام عن حالات المتقين، فأجابه الإمام عليه السلام بأروع ما يجاب.

وإليك الخطبة الشريفة كما في نهج البلاغة :

« أَمَّا بَعْدُ ،

فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ ، فَأَلْزَمَهُمْ عِبَادَتَهُ ، وَكَلَّفَهُمْ طَاعَتَهُ ، غَنِيًّا عَنْ طَاعَتِهِمْ ، آمِنًا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ ، لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةٌ مِنْ عَصَاهُ ، وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةٌ مِنْ أَطَاعَهُ .

فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ ، وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ .

فَوَصَّفَهُمْ فِي الدِّينِ حَيْثُ وَصَفَهُمْ ، لَكِنَّهُ تَعَالَى عِلْمٌ قُصُورُهُمْ عَمَّا تَصْلُحُ عَلَيْهِ شُؤُهُمْ ، وَيَسْتَقِيمُ دَاءُ أَوْدُهُمْ فِي عَاجِلِهِمْ وَآجِلِهِمْ ، فَأَدَّبَهُمْ بِأَدَبِهِ فِي أَمْرِهِ



٢٨ ..... كلمة التقوى في القرآن الكريم

وَنَهِيهِ، فَأَمَرَهُمْ تَخْيِيراً، وَكَلَّفَهُمْ يَسِيراً، وَأَثَابَهُمْ كَثِيراً، وَأَمَّا زُ سُبْحَانَهُ بِعَدْلِ حُكْمِهِ  
وَحِكْمَتِهِ بَيْنَ الْمُؤْجِبِ مِنْ أُنَامِهِ إِلَى مَرْضَاتِهِ وَمَحَبَّتِهِ، وَبَيْنَ الْمُبْطِئِ عَنْهَا  
وَالْمُسْتَظْهِرِ عَلَى نِعْمَتِهِ مِنْهُمْ بِمَعْصِيَتِهِ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ أَمْ حَسِبَ  
الَّذِينَ أَجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ  
وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ .

فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ : مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، وَمَلْبَسُهُمُ الْاِقْتِصَادُ،  
وَمَشِيئُهُمُ التَّوَّاضُعُ .

بَخَعُوا لِلَّهِ تَعَالَى بِطَاعَتِهِ، وَخَضَعُوا لَهُ بِعِبَادَتِهِ، رَاضِينَ عَنْهُ فِي كُلِّ حَالَتِهِ،  
غَضُوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ بِدِينِهِ النَّافِعِ  
لَهُمْ .

نُزِلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَالَّتِي نُزِلَتْ فِي الرِّخَاءِ، رِضَى بِإِلَهِ عَنِ  
الْقَضَاءِ، وَلَوْلَا الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ  
عَيْنٍ، شَوْقاً إِلَى الثَّوَابِ، وَخَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ .

عَظَّمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ، فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ  
رَأَاهَا، فَهُمْ فِيهَا مُنْعَمُونَ، وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا، فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ .

قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ، وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ، وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ، وَحَاجَاتُهُمْ حَفِيفَةٌ،  
وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ، وَمَعُونَتُهُمْ لِلْإِسْلَامِ عَظِيمَةٌ .

صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً فَأَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةٌ طَوِيلَةٌ . تِجَارَةٌ مُرِيحَةٌ، يَسَّرَهَا لَهُمْ

أَرَادَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُواهَا، وَأَسْرَتْهُمْ فَقَدُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا .  
 أَمَّا اللَّيْلُ فَصَافُونَ أَقْدَامَهُمْ، تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرْتَلُونَهُ تَرْتِيلاً . يُحَزِّنُونَ  
 بِهِ أَنْفُسَهُمْ، وَيَسْتَشِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ، وَمَا يُهَيِّجُ أَحْزَانَهُمْ بُكَاءً عَنِ ذُنُوبِهِمْ  
 وَجِرَاحِهِمْ وَوَجَعَ كُلِّ مِمْهِمْ . فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعًا، وَتَطَلَّعَتْ  
 نَفْسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقًا، وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصِبَ أَعْيُنِهِمْ . وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا  
 إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ، وَأَفْشَعَرَتْ مِنْهَا جُلُودَهُمْ، وَوَجَلَّتْ مِنْهَا قُلُوبُهُمْ، وَظَنُّوا أَنَّ  
 زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ، فَهَمَّ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ<sup>(١)</sup>، مُفْتَرِشُونَ  
 لِجِبَاهِهِمْ<sup>(٢)</sup> وَأَكْفَهُمْ وَرُكْبِهِمْ، وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ، يُمَجِّدُونَ جَبَّارًا عَظِيمًا، تَجْرِي  
 دُمُوعُهُمْ عَلَى خُدُودِهِمْ، يَطْلُبُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي فَكَالِكَ رِقَابِهِمْ مِنَ النَّارِ، قَدْ حَلَى  
 فِي أَفْوَاهِهِمْ، وَحَلَى فِي قُلُوبِهِمْ طَعْمُ مُنَاجَاتِهِ وَلَذِيذُ الْخُلُوةِ بِهِ، قَدْ أَقْسَمَ اللَّهُ عَلَى  
 نَفْسِهِ بِجَلَالِ عِزَّتِهِ لِيُورِثَهُمُ الْمَقَامَ الْأَعْلَى فِي مَقْعَدِ صَدَقِ عِنْدَهُ .

وَأَمَّا النَّهَارُ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءَ، أَبْرَارُ أَتْقِيَاءَ . قَدْ بَرَّاهُمْ الْخَوْفَ بَرِّي الْقِدَاحِ<sup>(٣)</sup>،  
 يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاطِرُ فَيَحْسِبُهُمْ مَرْضَى، وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ ؛ وَيَقُولُ : لَقَدْ خُولِطُوا !  
 وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ ! إِذَا ذَكَرُوا عَظَمَةَ اللَّهِ تَعَالَى رَبُّهُمْ وَشِدَّةَ سُلْطَانِهِ مَعَ مَا

(١) راكمون .

(٢) ساجدون .

(٣) نحت السهام .

٣٠ ..... كلمة التقوى في القرآن الكريم

يُخَالِطُهُمْ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَأَهْوَالِ الْقِيَامَةِ، أَفْرَعَ ذَلِكَ قُلُوبَهُمْ، وَطَاشَتْ لَهُ حُلُومُهُمْ، وَذَهَلَتْ مِنْهُ عَقُولُهُمْ، فَإِذَا اسْتَقَامُوا مِنْ ذَلِكَ بَادَرُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْأَعْمَالِ الزَّكِيَّةِ .

لَا يَرْضُونَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ، وَلَا يَسْتَكْتَرُونَ الْكَثِيرَ. فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهَمُونَ، وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ .

إِذَا زُكِّي أَحَدٌ مِنْهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ، فَيَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي، وَرَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي! اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَأَجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ، وَأَغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ، فَإِنَّكَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، وَسَتَّارُ الْعُيُوبِ .

فَمِنْ عِلْمِهِ أَحَدِهِمْ أَنْكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينِهِ، وَحِزْمًا فِي لِينِهِ، وَإِيمَانًا فِي يَقِينِهِ، وَحِرْصًا فِي عِلْمِهِ، وَعِلْمًا فِي حِلْمِهِ، وَكَيْسًا فِي رِفْقِهِ، وَرِفْقًا فِي كَيْسِهِ، وَشَفَقَةً فِي نَفَقَتِهِ، وَفُهْمًا فِي فِقْهِهِ، وَقَصْدًا فِي غِنَى، وَخُشُوعًا فِي عِبَادَتِهِ، وَتَجَمُّلاً فِي فَاقَتِهِ، وَصَبْرًا فِي شِدَّتِهِ، وَرَحْمَةً لِلْمُجْهُودِ، وَإِعْطَاءً فِي حَقِّ، وَطَلَبًا فِي حَلَالٍ، وَنَشَاطًا فِي هُدًى، وَتَحَرُّجًا عَنِ طَمَعٍ، وَأَعْيَصَامًا فِي شَهْوَةٍ، وَبِرًّا فِي اسْتِقَامَةٍ .

لَا يَغْرُهُ ثَنَاءٌ مِنْ جَهْلِهِ، وَلَا يَدْعُ إِحْصَاءَ مَا عَمِلَهُ، مُسْتَبْطِنًا لِنَفْسِهِ فِي الْعَمَلِ، قَدْ أَحْيَى عَقْلَهُ، وَأَمَاتَ شَهْوَتَهُ، وَأَطَاعَ رَبَّهُ، وَعَصَى نَفْسَهُ، حَتَّى دَقَّ جَلِيلُهُ، وَأَطْفَ غَلِيظُهُ، وَبَرَقَ لَهُ لَامِعٌ كَثِيرُ الْبَرَقِ، فَأَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ، وَسَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ، وَتَدَافَعَتْهُ الْأَبْوَابُ إِلَى بَابِ السَّلَامَةِ، وَدَارَ الْإِقَامَةِ، وَتَبَيَّنَتْ رِجْلَاهُ لِطَمَأْنِينَةٍ بَدَتْهُ فِي قَرَارِ الْأَمْنِ وَالرَّاحَةِ بِمَا اسْتَعْمَلَ قَلْبُهُ، وَأَرْضَى رَبَّهُ، يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ

وَهُوَ عَلِيٌّ وَجَلِيٌّ .

يُمْسِي وَهَمُّهُ الشُّكْرُ، وَيُضِيحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرُ .

يَبِيْتُ حَذِرًا، وَيُضِيحُ فَرِحًا؛ حَذِرًا لِمَا حَذَرَ مِنَ الْغَفْلَةِ، وَفَرِحًا بِمَا أَصَابَ مِنَ

الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ .

نَيْتُهُ خَالِصَةٌ، وَأَعْمَالُهُ لَيْسَ فِيهَا غِشٌّ وَخَدِيعَةٌ .

نَظَرُهُ عَبْرَةٌ، وَسُكُوتُهُ فِكْرَةٌ، وَكَلَامُهُ حِكْمَةٌ .

إِنْ أَسْتَضَعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكَرَّرَ لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ .

قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لَا يَزُولُ، وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَى .

يَمْرُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ، وَالْعِلْمَ بِالْعَقْلِ، وَالْعَقْلَ بِالصَّبْرِ، وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ .

تَرَاهُ بَعِيدًا كَسَلُهُ، قَرِيبًا أَمَلُهُ، قَلِيلًا زَلَّهُ، دَائِمًا نَشَاطُهُ، مُتَوَقِّعًا أَجَلَهُ، كَثِيرًا

ذِكْرَهُ، مَعْدُومًا كِبْرَهُ، مَتِينًا صَبْرَهُ، ذَاكِرًا رَبَّهُ، خَاشِعًا قَلْبَهُ، عَازِبًا جَهْلَهُ، قَانِعَةً نَفْسَهُ

وَبِاللَّذِي قُدِرَ لَهُ، مَنُزُورًا أَكْلَهُ، سَهْلًا أَمْرَهُ، حَرِيزًا دِينَهُ، مَيِّتَةً شَهْوَتَهُ، مَكْظُومًا

غَيْظَهُ، صَافِيًا خُلُقَهُ، آمِنًا مِنْهُ جَارُهُ، نَاصِحًا فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، مُنَاصِحًا مُتَبَاذِلًا

مُتَوَاضِعًا، لَا يَهْجُرُ أَحَاهُ، وَلَا يَغْتَابُهُ، وَلَا يَمَكُرُ بِهِ، لَا يُحَدِّثُ الْأَصْدِقَاءَ بِاللَّذِي

يُؤْتَمَنُ عَلَيْهِ، وَلَا يَكْتُمُ شَهَادَةَ الْأَعْدَاءِ، وَلَا يَعْمَلُ شَيْئًا مِنَ الْحَقِّ رِئَاءً، وَلَا يَتْرُكُهُ

حِيَاءً، الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ، وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ .

إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ، وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ

الْغَافِلِينَ .

٣٢ ..... كلمة التقوى في القرآن الكريم

يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ، وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ، لَا يَعْزِبُ حُلْمَهُ،  
وَلَا يَعْجَلُ فِيمَا يُرِيئُهُ، وَلَا يَأْسِفُ عَلَى مَا فَاتَهُ، وَلَا يَحْزَنُ عَلَى مَا أَصَابَهُ، وَيَصْفَحُ  
عَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ، وَلَا يَرْجُو مَا لَا يَجُوزُ لَهُ الرَّجَاءُ، وَلَا يَفْشَلُ فِي الشُّدَّةِ، وَلَا يَبْطُرُ فِي  
الرِّخَاءِ.

بَعِيداً فُحْشُهُ، لَيْتاً قَوْلُهُ، غَائِباً مُنْكَرُهُ، حَاضِراً مَعْرُوفُهُ، صَادِقاً قَوْلُهُ، حَسَناً  
فَعْلُهُ، مُقْبِلاً خَيْرُهُ، مُدْبِراً شَرُّهُ.

حَيَاؤُهُ يَغْلُو شَهْوَتَهُ، وَوَدَّهَ يَغْلُو حَسَدَهُ، وَعَفْوُهُ يَغْلُو حِقْدَهُ.

فِي الزَّلَازِلِ وَقُورٍ، وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُورٍ، وَفِي الرِّخَاءِ شُكُورٍ.

لَا يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ، وَلَا يَأْتِمُ فِيمَنْ يُحِبُّ، وَلَا يَدَّعِي مَا لَيْسَ لَهُ،  
وَلَا يَجْحَدُ حَقًّا هُوَ عَلَيْهِ، وَيَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ.

هَشَّاشٌ، بَشَّاشٌ، لَا بَعَاسٍ وَلَا بَجَسَاسٍ، صَلْبٌ كَظْمِ بَسَامٍ، دَقِيقُ النَّظَرِ،  
عَظِيمُ الْحَذَرِ، لَا يَبْخُلُ، وَإِنْ بَخِلَ عَلَيْهِ صَبَرَ، لَا يُضِيعُ مَا اسْتُحْفِظَ، وَلَا يَنْسَى  
مَا ذُكِّرَ، وَلَا يُتَابِرُ بِالْأَلْقَابِ، وَلَا يَبْغِي عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يُهْمُ بِالْحَسَدِ، وَلَا يُضَارُّ  
بِالْجَارِ، وَلَا يَشْتَمُ بِالْمَصَائِبِ.

مُؤَدِّ لِلْأَمَانَاتِ، سَرِيعٌ إِلَى الْخَيْرَاتِ، بَطِيءٌ عَنِ الْمُنْكَرَاتِ، يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ  
وَيَنْفَعُهُ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَجْتَنِبُهُ، وَلَا يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ، وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ،  
عَقْلَ فَاَسْتَحْيَا، وَقَنَّعَ فَاَسْتَعْنَى.

إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغْمُهُ صَمْتُهُ، وَإِنْ نَطَقَ لَمْ يَغْلُو لَفْظُهُ، وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَغْلُ

خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في صفات المتقين ..... ٣٣  
صَوْتُهُ .

لا يَجْمَعُ بِهِ الْعَيْظُ ، وَلَا يَغْلِبُهُ الْهَوَى ، وَلَا يَفْهَرُهُ الشُّحُّ ، وَلَا يَطْمَعُ فِيمَا لَيْسَ  
لَهُ .

يُخَالِطُ النَّاسَ بِعِلْمٍ ، وَيُقَارِفُهُمْ بِسَلَمٍ ، يَتَكَلَّمُ لِيُعْنَمَ ، وَيَضْمِتُ لِيُعْلَمَ ، وَيَسْأَلُ  
لِيُفْهَمَ ، وَيَتَجَرَّ لِيُعْنَمَ ، لَا يَنْصِتُ لِلْخَيْرِ فَيُفْخَرَ بِهِ ، وَلَا يَتَكَلَّمُ لِيَتَجَبَّرَ بِهِ عَلَى مَنْ سِوَاهُ ،  
وَإِنْ يُعْيَى عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ هُوَ الْمُتَّصِرُ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ .

نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ .

أَتَعَبَ نَفْسَهُ لِآخِرَتِهِ ، وَأَرَّاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ .

بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ ، وَدُنُوهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ .

لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبَرٍ وَعَظَمَةٍ ، وَلَا دُنُوهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ ، بَلْ يَقْتَدِي بِمَنْ سَلَفَ

مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ قَبْلَهُ ، وَهُوَ إِمَامٌ لِمَنْ خَلَفَ مِنْ أَهْلِ الْبِرِّ بَعْدَهُ .

يَا هَمَامُ ، الْمُؤْمِنُ هُوَ الْكَيْسُ الْفَطِينُ ، بِشْرُهُ فِي وَجْهِهِ ، وَحُزْنُهُ فِي قَلْبِهِ .

أَوْسَعَ شَيْءٍ صَدْرًا ، وَأَذَلَّ شَيْءٍ نَفْسًا ، وَأَرْفَعَ قَدْرًا .

زَاجِرٌ عَنْ كُلِّ فَاِنٍ ، حَاضِرٌ عَلَى كُلِّ حَسَنِ .

لَا حَقُودٌ وَلَا حَسُودٌ ، وَلَا وَتَابٌ وَلَا سَبَابٌ ، وَلَا عِيَابٌ وَلَا مُعْتَابٌ .

يَكْرَهُ الرِّفْعَةَ ، وَيَسْتَأْنِسُ السَّمْعَةَ ، طَوِيلُ عَمَّهُ ، بَعِيدُ هَمُّهُ ، كَثِيرُ صَمْتُهُ ، مَشْغُولٌ

وَقْتُهُ بِمَا يَنْفَعُهُ ، وَقَوْرٌ ذُكُورٌ ، شَكُورٌ مَعْمُورٌ بِفِكْرَتِهِ ، ظَنِينٌ بِخَلَّتِهِ ، سَهْلُ الْخَلِيقَةِ ،

لَيْنُ الْعَرِيكَةِ ، رَصِينُ الْوَفَاءِ ، قَلِيلُ الْأَذَى ، لَا مُتَأَفِّكٍ وَلَا مُتَهْتَكٍ ، كَثِيرُ عِلْمُهُ ، عَظِيمُ

لا يَبْخُلُ، وَلَا يَعْجَلُ، وَلَا يَضْجُرُ، وَلَا يَبْطُرُ، وَلَا يَحِيفُ فِي حُكْمِهِ،  
وَلَا يَجُورُ فِي عِلْمِهِ .

نَفْسُهُ أَصْلَبُ مِنَ الصَّلْدِ، وَهُوَ أَذَلُّ مِنَ الْعَبْدِ، وَمُكَادَحَتُهُ أَحْلَى مِنَ الشَّهِدِ .

لَا جَسَعٌ، وَلَا هَلَعٌ، وَلَا عَنَفٌ، وَلَا صَلَفٌ، وَلَا مُتَكَلِّفٌ، وَلَا مُتَعَمِّقٌ، جَمِيلٌ  
الْمُنَازَعَةِ، كَرِيمٌ الْمُرَاجَعَةِ، عَدْلٌ إِنْ غَضِبَ، رَفِيقٌ إِنْ طَلَبَ، لَا يَتَهَوَّرُ، وَلَا يَتَجَبَّرُ،  
خَالِصُ الْوَدِّ، وَثِيقُ الْعَهْدِ، وَفِي الْعَقْدِ، شَفِيقٌ وَصُولٌ، حَلِيمٌ، خَمُولٌ، قَلِيلُ  
الْفُضُولِ، رَاضٍ عَنِ اللَّهِ، مُخَالَفٌ لِهَوَاهُ، لَا يَغْلُظُ عَلَى مَنْ يُؤْذِيهِ، وَلَا يَخُوضُ  
فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، نَاصِرٌ لِلدِّينِ، مُحَامٍ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ، كَهْفٌ لِلْمُسْلِمِينَ، لَا يَخْرِقُ الثَّنَاءَ  
سَمْعُهُ، وَلَا يَنْكِي الطَّمَعُ قَلْبَهُ، وَلَا يَصْرِفُ اللَّعِبُ حُكْمَهُ، وَلَا يَطَّلِعُ الْجَاهِلُ عِلْمَهُ،  
قَوَالٌ فَعَالٌ، عَالِمٌ حَازِمٌ، لَا يَفْحَاشٍ، وَلَا بَطْيَاشٍ، وَصُولٌ بَغَيْرِ عُنْجٍ، بَدُولٌ بَغَيْرِ  
سَرْدٍ، لَا يَخْتَارُ وَلَا يَغْدَارُ، لَا يَقْتَنِي أَثْرًا، وَلَا يَحِيفُ بَشْرًا، رَفِيقٌ بِالْخَلْقِ، سَاعٍ فِي  
الْأَرْضِ، عَوْنٌ لِلضَّعِيفِ، غَوْثٌ لِلْهَيْفِ، لَا يَهْتِكُ سِتْرًا، وَلَا يَكْشِفُ سِرًّا، كَثِيرُ  
الْبَلْوَى، قَلِيلُ الشُّكْوَى، إِنْ رَأَى خَيْرًا ذَكَرَهُ، وَإِنْ عَآيَنَ شَرًّا سَتَرَهُ، يَسْتُرُ الْعَيْبَ،  
وَيَحْفِظُ الْعَيْبَ، وَيُقْبِلُ الْعَثْرَةَ، وَيَعْفِرُ الزَّلَّةَ، لَا يَطَّلِعُ عَلَى نُصْحٍ فَيَذَرَهُ، وَلَا يَدْعُ  
حَيْفًا فَيُصْلِحُهُ، أَمِينٌ رَصِينٌ، تَقِيٌّ رَضِيٌّ، يَقْبَلُ الْعُذْرَ، وَيَجْمَلُ الذِّكْرَ، وَيُحْسِنُ  
بِالنَّاسِ الظَّنَّ، وَيَتَّهَمُ عَلَى الْعَيْبِ نَفْسَهُ، يُحِبُّ فِي اللَّهِ بَيْقَهُ وَعِلْمَهُ، وَيَقْطَعُ فِي اللَّهِ  
بِحَزْمٍ وَعَزْمٍ، لَا يَخْرِقُ بِهِ فَرْحًا، وَلَا يَطِيشُ بِهِ قَرْحًا، مُذَكَّرٌ لِلْعَالِمِ، مُعَلَّمٌ لِلْجَاهِلِ،

خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في صفات المتقين ..... ٣٥

لَا يَتَوَقَّعُ لَهُ بِأَيُّقَةٌ، وَلَا يَخَافُ لَهُ غَائِلَةٌ، كُلُّ سَعِيٍّ عِنْدَهُ أَخْلَصَ مِنْ سَعْيِهِ، وَكُلُّ نَفْسٍ عِنْدَهُ أَصْلَحَ مِنْ نَفْسِهِ، عَالِمٌ بِعَيْبِهِ، شَاغِلٌ بِعَمِّهِ، لَا يَتَّقِي بغيرِ رَبِّهِ، غَرِيبٌ وَحِيدٌ حَزِينٌ، يُحِبُّ فِي اللَّهِ، وَيُجَاهِدُ فِي اللَّهِ لِيَتَّبَعَ رِضَاهُ، وَلَا يَنْتَقِمُ لِنَفْسِهِ بِنَفْسِهِ، وَلَا يُوَالِي فِي سَخَطِ رَبِّهِ، مُجَالِسٌ لِأَهْلِ الْفَقْرِ، مُصَادِقٌ لِأَهْلِ الصَّدَقِ، مُوَازِرٌ لِأَهْلِ الْحَقِّ، عَوْنٌ لِلْغَرِيبِ، أَبٌ لِلْيَتِيمِ، بَعْلٌ لِلْأَرْمَلَةِ، حَفِيٌّ بِأَهْلِ الْمَسْكِنَةِ، مَرْجُوٌّ لِكُلِّ كَرِيهَةٍ، مَأْمُولٌ لِكُلِّ شِدَّةٍ، أَوْلِيكَ شَيْعَتُنَا وَأَحِبَّتُنَا وَمَنَّا وَمَعَنَا.

فصعق همام صعقة كانت نفسه فيها.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام :

أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ.

ثم قال :

أَهَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةَ بِأَهْلِهَا ؟

فقال له قائل : فما بالك أنت يا أمير المؤمنين ؟

فقال عليه السلام :

وَيَحْكُ، إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتًا لَا يَعْدُوهُ، وَسَبَبًا لَا يَتَجَاوَزُهُ. فَمَهْلًا، لَا تَعُدُّ

لِمِثْلِهَا، فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِكَ !

تعقيب :

آثرت أن أنقل خطبة أمير المؤمنين عليه السلام لما فيها من الموعظة والإرشاد،



٣٦ ..... كلمة التقوى في القرآن الكريم

وما وضعه الأمير عليه السلام نهجاً لحياة المؤمن المتقي، لا سيما ونحن نعيش في هذا العصر حياةً ماديةً تخلّى فيها أكثر الناس عن المبادئ السامية والمثل العليا التي جاء بها الإسلام تحقيقاً لسعادة الإنسان وخلصه من الظلم والاستبداد، وتجلى هذا في خطبة قائدنا وصي رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب عليه السلام في وصف المتقين لأحد أصحابه همام رضي الله عنه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

## الفهرس

٣	المقدمة - أقسام التقوى .....
٦	الفصل الأول - مصاديق التقوى .....
٦	١ - إقامة الصلاة .....
١٠	٢ - إيتاء الزكاة .....
١٠	٣ - ترك الربا .....
١٠	٤ - أداء الأمانة .....
١١	٥ - صلة الرحم .....
١١	٦ - ابتغاء الوسيلة .....
١١	٧ - اتباع القرآن .....
١١	٨ - إطاعة النبي ﷺ .....
١٢	٩ - عدم إطاعة المسرفين .....
١٢	١٠ - الإصلاح .....
١٢	١١ - الصبر .....

كلمة التقوى في القرآن الكريم ..... ٣٨

١٢ - القول السديد ..... ١٢

١٣ - الترابط في الله ..... ١٣

١٣ - ١٤ - عدم التعاون على الإثم ..... ١٣

١٣ - ١٥ - متاع بالمعروف ..... ١٣

١٣ - ١٦ - النجوى بالبر والتقوى ..... ١٣

١٤ - ١٧ - العفو ..... ١٤

١٤ - ١٨ - إقامة العدل ..... ١٤

١٤ - ١٩ - الجهاد ..... ١٤

١٤ - ٢٠ - الغلظة مع الكفار ..... ١٤

١٤ - ٢١ - التواضع مع المؤمنين ..... ١٤

١٤ - ٢٢ - الكون مع الصادقين ..... ١٤

١٤ - ٢٣ - تعظيم الشعائر ..... ١٤

١٥ - ٢٤ - الوفاء بالعهد ..... ١٥

١٥ - ٢٥ - أكل الحلال الطيب ..... ١٥

١٥ - ٢٦ - الذكرى ..... ١٥

١٥ - ٢٧ - أساس كل شيء ..... ١٥

الفصل الثاني - جزاء المتقين ..... ١٧

١ - حسن المآب ..... ١٧

٢ - المقام الأمين ..... ١٧

٣ - حسن العاقبة ..... ١٧

- ٤- ولاية الله ..... ١٨
- ٥- زيادة الهداية ..... ١٨
- ٦- هداهم بكتاب الله ..... ١٨
- ٧- النجاة من النار ..... ١٨
- ٨- ينالون ثواب الله ..... ١٨
- ٩- النصر والتأييد الإلهي ..... ١٨
- ١٠- الأمن وعدم الخوف ..... ١٩
- ١١- اليسر في الحياة ..... ١٩
- ١٢- خير الآخرة ..... ١٩
- ١٣- الصيانة والحفظ من الأعداء ..... ١٩
- ١٤- مدح الله التقوى ..... ١٩
- ١٥- البرّ ..... ٢٠
- ١٦- الأجر العظيم ..... ٢٠
- ١٧- التكفير عن السيئات ..... ٢٠
- ١٨- الفوز عند الله ..... ٢٠
- ١٩- نبيل محبة الله ..... ٢٠
- ٢٠- الحصول على العلم الإلهي ..... ٢١
- ٢١- كون الله معه ..... ٢١
- ٢٢- الخلاص من مشاكل الحياة ..... ٢١
- ٢٣- نزول الخيرات ..... ٢١
- ٢٤- بركات من السماء والأرض ..... ٢١

٤٠ ..... كلمة التقوى في القرآن الكريم

٢٥- قبول الأعمال ..... ٢١

٢٦- إبعاد السوء ..... ٢٢

٢٧- إصلاح العمل ..... ٢٢

٢٨- سعادة الدارين ودخول الجنة ..... ٢٢

٢٩- وراثة الجنة ..... ٢٣

٣٠- الإكرام الإلهي ..... ٢٣

٣١- البشرى ..... ٢٤

٣٢- معرفة الحق من الباطل ..... ٢٤

٣٣- وفد الله ..... ٢٤

٣٤- وصية الله ..... ٢٤

٣٥- تقى الله حق تقاته ..... ٢٤

٢٧ ..... الفصل الثالث - خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في صفات المتقين

٣٥ ..... تعقيب

٣٧ ..... الفهرس

## المؤلف في سطور

سماحة العلامة الأستاذ الفقيه السيّد عادل العلوي دامت بركاته .

ولد في الكاظمية المقدّسة بين الطلوعين في السادس من شهر رمضان المبارك عام ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م، ويتصل نسبه الشريف بالإمام السجّاد بـ ٣٨ واسطة من عبد الله الباهر - أخ الإمام الباقر عليه السلام وأمهما السيّدّة فاطمة بنت الإمام الحسن المجتبي عليه السلام - ابن الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

والده العلامة آية الله السيّد علي بن الحسين العلوي رحمته ، من علماء الكاظمية والنجف وبغداد وقم المقدّسة ، دفن في المكتبة في (مسجد علوي) بقم، وله مؤلفات وخدمات اجتماعية . تلقى دروسه في العراق في النجف الأشرف وبغداد على يد والده المرحوم وعلى غيره ، وفي قم المقدّسة على يد كبار المراجع العظام والعلماء الأعلام ، أمثال السيّد المرعشي النجفي رحمته والسيّد الكلبيگاني رحمته والشيخ فاضل اللنكراني دام ظلّه والشيخ جواد التبريزي دام ظلّه وغيرهم .

بعدّ اليوم من المدرّسين في حوزة قم المقدّسة ، يقوم بتدريس خارج الفقه والأصول والفلسفة والكلام مضافاً إلى محاضرات في التفسير والأخلاق ، شهد بعض الآيات العظام باجتهاده وفضيلته وكتب رسالته (زبدة الأفكار في نجاسة أو طهارة الكفّار) التي نال عليها درجة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية من حوزة قم العلميّة .

وقد اشتهر بكثرة تأليفاته المتنوّعة والمفيدة ، فهو يسعى إلى تأسيس موسوعة إسلامية كبرى بقلمه المبارك في شتىّ الفنون والعلوم الإسلامية<sup>(١)</sup> في أكثر من ١٥٠ كتاب ورسالة ، وقد

---

(١) طبع من هذه الموسوعة ٢٠ مجلداً حتّى سنة ١٤٢٢ ، والمقصود من الرسالة ما تزيد عن عشر صفحات إلى مئة صفحة ، والكتاب ما يزيد عن المئة .

طبع منها ١٠٥ ما بين كتاب ورسالة، فضلاً عن المقالات في الصحف والمجلات. وقد عُرف بخدماته الثقافية والاجتماعية، مثل: تأسيس مستوصف الإمام السجّاد عليه السلام الخيري، والمؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد، وجماعة العلماء والخطباء في الكاظمية وبغداد، ودار المحققين ومكتبة الإمام الصادق عليه السلام بقم المقدّسة، ومكتبات عامّة، وتأسيس وتولية وإشراف على حسينيّات كحسينية الإمامين الجوادين عليهما السلام في مشهد الإمام الرضا عليه السلام وحسينية الإمامين الكاظمين عليهما السلام، ومدرسة الإمامين الجوادين عليهما السلام العلمية بقم المقدّسة، وحسينية أهالي الكاظمية في طهران، وحسينية أمّ البنين في قرجك، وحسينية أهالي الكاظمية في إصفهان وأهواز وكاشان، وغير ذلك.

وقد أجازته في الرواية ما يقرب من العشرين من مشايخ الرواية كالأبيات العظام: السيّد النجفي والسيّد الكلبيگاني والشيخ الأراكي والشيخ اللنكراني والسيّد عبد الله الشيرازي والسيّد محمّد الشاهرودي والسيّد مفتي الشيعة والسيّد محمّد حسن اللنكرودي وغيرهم <sup>(١)</sup>.

وقد ورد في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (إنّما العلم ثلاث: آية محكمة، وسنة قائمة، وفريضة عادلة، وما سواهن فضل)، وهذا يعني أنّ أهمّات العلوم الإسلامية ثلاثة: العقائد (آية محكمة)، والأخلاق (سنة قائمة)، والفقه (فريضة عادلة). وما سواها فمن الفضيلة والزيادة.

فانطلاقاً من هذا الحديث الشريف تجد موسوعة (رسالات إسلامية) لسيّدنا الأستاذ تنقسم إلى أربعة أقسام، فإنّه كتب في العقائد والأخلاق والفقه، والقسم الرابع في الثقافة العامّة، أمّا المطبوعات منها فهي كما يلي حسب الحروف الهجائية:

---

(١) اقتباس من كتاب (عظمة أمير المؤمنين علي عليه السلام) بقلم الأستاذ فاضل الفراتي، فنشكره على ذلك، وكتاب (القصاص على ضوء القرآن والسنة - المجلّد الثالث). وجاءت ترجمة المؤلف بالتفصيل بقلمه في كتاب (أوراق من العمر = من حياتي) الناشر.

## موسوعة رسالت إسلامية

### قسم العقائد

ت	الكتاب	صفحة	ط	السنة
١	آثار الصلوات في رحاب الروايات.	١٢٠	١	١٤٢٣
٢	الإمام الحسين في عرش الله.	٣٠٠	١	١٤٢١
٣	الإمام المهدي وطول العمر في نظرة جديدة.	١٢٨	١	١٤٢١
٤	الأنفاس القدسية في أسرار الزيارة الرضوية.	٥٨	٢	١٤٢١
٥	الأنوار القدسيّة.	٩٦	٢	١٤٢١
٦	أهل البيت سفينة النجاة.	٩٦	٢	١٤٢١
٧	البارقة الحيدرية في الأسرار العلوية.	٣٢	٢	١٤٢١
٨	تحفة الزائرين.	٢٠٠	١	١٤١١
٩	جلوة من ولاية أهل البيت.	٣٢	٢	١٤١٩
١٠	الحقّ والحقيقة بين الجبر والتفويض.	١٣٠	١	١٣٩٨
١١	الدرّ الثمين في عظمة أمير المؤمنين.	١٦	٢	١٤٢١
١٢	دروس اليقين في معرفة أصول الدين.	٤٥٤	١	١٤١٤
١٣	الدرّة البهية في الأسرار الفاطمية.	٢٠	٢	١٤٢١
١٤	زينب الكبرى زينة اللوح المحفوظ.	١٦	٢	١٤٢١
١٥	السّرّ في آية الاعتصام.	٧٢	٢	١٤٢١



١٤٢٣	٢	٣٢	سهام في نحر الوهابية .	١٦
١٤١٨	٢	٦١	السيف الموعود في نحر اليهود .	١٧
١٤٢٣	١	١٦٠	شهد الأرواح .	١٨
١٤٢٣	٢	٨٠	عصمة الحوراء زينب .	١٩
١٤١١	١	٢٧٢	عقائد المؤمنين .	٢٠
١٤٢١	٢	١٢٤	علي المرتضى نقطة باء البسمة .	٢١
١٤٢٣	٢	٩٦	فاطمة الزهراء سرّ الوجود .	٢٢
١٤٢١	٢	٣٢	فاطمة الزهراء ليلة القدر .	٢٣
١٤٢٣	١	٤٥٠	في رحاب حديث الثقلين .	٢٤
١٤٢٣	٢	٦٤	في رحاب وليد الكعبة .	٢٥
١٤٢٣	١	١٤٤	القرآن الكريم في ميزان الثقلين .	٢٦
١٤٢٣	١	١٦	لمعة من الأفكار في الجبر والاختيار .	٢٧
١٤٢٣	١	٤٨	ماذا تعرف عن الغلو والغلاة .	٢٨
١٤٢٣	١	١٢٨	المأمول في تكريم ذرية الرسول .	٢٩
١٤٢٣	١	١٩٢	النجوم المتناثرة .	٣٠
١٤٢١	٢	١٦	وميض من قبسات الحق .	٣١
١٤٢٣	١	٨٠	الهدى والضلال في ميزان الثقلين .	٣٢
١٤٢٣	١	١٨٤	هذه هي البراءة .	٣٣
١٤١٩	١	٤٧٠	هذه هي الولاية .	٣٤

## موسوعة رسالت إسلامية قسم الأخلاق

ت	الكتاب	صفحة	ط	السنة
١	الإخلاص في الحج.	٢٤	٢	١٤٢٣
٢	أخلاق الطبيب في الإسلام.	١٧٦	١	١٤١٨
٣	إشراقات نبوية.	٣٠	١	١٤٢١
٤	بهجة المؤمنين في زيارات الطيبات والطيبين.	٨٨	٢	١٤٢٣
٥	بيان المحذوف في تمة كتاب الأمر بالمعروف.	٧٨	١	١٤١١
٦	تحفة فدوى يا نيايش مؤمنان (فارسي).	١١٢	٢	١٤١٠
٧	تربية الأسرة على ضوء القرآن والعتره.	٣٦٠	١	١٤٢٣
٨	التوبة والتائبون على ضوء القرآن والسنة.	٤٠٨	١	١٤١٤
٩	حب الله نماذج وصور.	٨٠	٢	١٤٢١
١٠	حقيقة الأدب على ضوء المذهب.	٤٠	١	١٤٢٣
١١	حقيقة القلوب في القرآن الكريم.	٢٥٥	٢	١٤٢٣
١٢	خصائص القائد الإسلامي في القرآن الكريم.	١٢٨	٢	١٤١٨
١٣	دروس في الأخلاق.	١٢٠	١	١٤٢٣
١٤	دور الأخلاق المحمدية في تحكيم مباني الوحدة الإسلامية.	٣٠	٢	١٤١٨
١٥	الذكر الإلهي في المفهوم الإسلامي.	١١٢	٢	١٤٢١
١٦	رسالتنا.	٥٤	٢	١٤١٨
١٧	رسالة في العشق.	٣٢	١	١٣٩٨

١٤٢٣	٢	٣٢	سرّ الخليفة وفلسفة الحياة.	١٨
١٤٠٥	١	١٦٨	السعيد والسعادة بين القدماء والمتأخرين.	١٩
١٤٢٣	٢	٥٦	السؤال والذكر في رحاب القرآن والعتره.	٢٠
١٤٢١	٢	٤٨	السيرة النبوية في السطور العلوية.	٢١
١٤٢١	٢	٢٢	شهر رمضان ربيع القرآن.	٢٢
١٤٢٣	١	٥٦	الشیطان على ضوء القرآن.	٢٣
١٤١٨	١	١٧٦	طالب العلم والسيرة الأخلاقية.	٢٤
١٤٢١	٢	٣٨	على أبواب شهر رمضان المبارك.	٢٥
١٤٢٣	١	٦٤	فضيلة العلم والعلماء.	٢٦
١٤٢٣	١	١٢	قبس من أدب الأولاد.	٢٧
١٤٢٣	٢	٦٤	كلمة التقوى في القرآن الكريم.	٢٨
١٤٢١	٢	٨٨	كيف أكون موفقاً في الحياة؟.	٢٩
١٤٢٠	١	١٢	محاضرات في علم الأخلاق - القسم الأول -	٣٠
١٤٢١	١	١١٢	معالم الصديق والصدقة.	٣١
١٤٢٣	٢	٤٠	مقام الأنس بالله.	٣٢
١٤٢٣	١	٣٢	من لطائف مناسك الحج والزيارة.	٣٣
١٤٢١	١	٨٠	من وحي التربية والتعليم.	٣٤
١٤١٨	١	٣٢	مواظب ونصائح.	٣٥
١٤٢٣	٢	٤٨	المؤمن مرآة المؤمن.	٣٦
١٤٢١	٢	٢٢	النبوغ وسرّ النجاح في الحياة.	٣٧
١٤٢٣	٢	٦٤	الياقوت الثمين في بيعة العاشقين.	٣٨
١٤٢٣	١	١٦	اليقظة الإنسانية في المفاهيم الإسلامية.	٣٩

## موسوعة رسالت إسلامية قسم الفقه

ت	الكتاب	صفحة	ط	السنة
١	احكام دين اسلام (فارسي).	١٢٨	٢	١٣٩٩
٢	التقيّة بين الأعلام.	٢١٨	٢	١٤١٧
٣	التقيّة في رحاب العلمين.	٣٧	٢	١٤١٧
٤	راهنماي قدم بقدم حجاج (فارسي).	٢٧١	٣	١٤٠٦
٥	رسالة التكليف والمكلف.	١٤٤	١	١٤٢٣
٦	زبدة الأفكار في طهارة أو نجاسة الكفّار.	٢٣٢	١	١٤١٧
٧	القصاص على ضوء القرآن والسنة (٣ أجزاء).	١٤٩٣	١	١٤١٩
٨	القول الرشيد في الاجتهاد والتقليد (جزءان).	٨٩٦	١	١٤٢٢
٩	القول المحمود في القانون والحدود.	٣٢	٢	١٤٢٢
١٠	من آفاق أوليات أصول الفقه (القسم الأول).	٤٨	١	١٤٢٣
١١	منهاج المؤمنين (جزءان).	٦٢٠	١	١٤٠٦
١٢				
١٣				
١٤				
١٥				
١٦				
١٧				
١٨				

## موسوعة رسالات إسلامية

### قسم الثقافة العامة

ت	الكتاب	صفحة	ط	السنة
١	امام و قيام (فارسي).	٣٢	١	١٤٠٠
٢	أسئلة وأجوبة عبر شبكة الانترنت.	٣٢	١	١٤٢٣
٣	أيام في الثابتة.	٧٢	١	١٤٢٣
٤	بيوتات الكاظمية.	٢٤	٢	١٤١٩
٥	حول دائرة المعارف والموسوعة الفقهية.	٢٤	٢	١٤٢٣
٦	دليل السائحين إلى سورية ودمشق.	١٢٨	١	١٤١٢
٧	رفض المساومة في نشيد المقاومة.	١٤	١	١٤٢٠
٨	الروضة البهية في شؤون حوزة قم العلمية.	٤٠	٢	١٤٢٣
٩	الشاكري كما عرفته.	١٢	١	١٤١٨
١٠	طلوع البدرين في ترجمة العلمين.	٤٨	١	١٤١٥
١١	عبقات الأنوار في تراجم أعلام دمشق.	١٥٢	١	١٤١٢
١٢	فقهاء الكاظمية المقدسة (طبع في صحيفة صوت الكاظمين).	١٠٠	١	١٤١٠
١٣	فن الخطابة في سطور.	١٦	٢	١٤٢٣
١٤	في رحاب الحسينيات - القسم الأول.	٤٠	١	١٤١٠
١٥	في رحاب الحسينيات - القسم الثاني.	٦٢	١	١٤١٠
١٦	في رحاب علم الرجال.	٣٢	١	١٤١٠

١٤١١	٢	١٦٢	قبسات من حياة سيّدنا الأستاذ.	١٧
١٤٠٢	١	٣٢	الكوكب الدرّي في حياة السيّد العلوي.	١٨
١٤١٩	١	٢٥	الكوكب السماوي مقدّمة ترجمة الشيخ العوامي.	١٩
١٤٢٢	١	١٦	لماذا الشهور القمرية ؟	٢٠
١٤٢٣	٢	١٢٠	لمحات عن الشعر والشعراء.	٢١
١٤٠٠	١	١٥٢	لمحة من حياة الإمام القائد.	٢٢
١٤٢٣	١	٦٤	ماذا تعرف عن العلوم الغريبة ؟	٢٣
١٤١٢	١	٩٠	المعالم الأثرية في الرحلة الشامية.	٢٤
١٤٢٢	١	١٠٤	من حياتي (أوراق من العمر).	٢٥
١٤٢٣	١	٣٩٢	منهل الفوائد - القسم الأوّل - .	٢٦
١٤١٩	١	٤٦٤	النفحات القدسية في تراجم أعلام الكاظمية.	٢٧
١٤٢٠	٢	١٢	نسب الأسحار في ترجمة سليل الأطهار (من حياة السيّد الخوئي).	٢٨
				٢٩
				٣٠
				٣١
				٣٢
				٣٣
				٣٤
				٣٥
				٣٦

## المخطوطات

ت	الكتاب
١	إعراب سورة الحمد.
٢	الإسلام وعلم النفس.
٣	الأصل حبنا أهل البيت.
٤	الأقوال المختارة في أحكام الطهارة.
٥	الآمال في القرآن الكريم.
٦	الجرائم والانحرافات الجنسية.
٧	الخصائص الفاطمية في رحاب الروايات.
٨	الدروس الفقهية في شرح الروضة البهية.
٩	السياسة أصولها ومنهاجها.
١٠	الشعب يسأل.
١١	العقل والعقلاء.
١٢	العمرة المفردة في سطور.
١٣	القول الحميد في شرح التجريد.
١٤	أحكام السرقة على ضوء القرآن والسنة.
١٥	بداية الفكر في شرح الباب الحادي عشر.
١٦	تسهيل الوصول إلى شرح كفاية الأصول.
١٧	تقريرات أصول الجواد.
١٨	تقريرات أصول الفاضل.
١٩	تقريرات كتاب الطهارة.
٢٠	تقريرات كتاب القضاء.

٢١	دروس الهداية في علم الدراية .
٢٢	روضة الطالب في شرح بيع المكاسب .
٢٣	زبدة الأسرار .
٢٤	سؤال وجواب (بداهة الأجوبة) .
٢٥	الشهيد عقل التاريخ المفكر .
٢٦	عزة المسلمين في رحاب نهج البلاغة .
٢٧	غريزة الحب .
٢٨	فاطمة الزهراء مشكاة الأنوار .
٢٩	فن التأليف .
٣٠	كيف تكون مفسراً للقرآن الكريم ؟
٣١	لباب كفاية الأصول .
٣٢	لحظات مع شهيد الإسلام السيد الصدر .
٣٣	لمعات من حياة السيد عبد الله الشيرازي .
٣٤	ماذا تعرف عن علم الفلك ؟
٣٥	ما هي السياسة الإسلامية ؟
٣٦	محاضرات في علم الأخلاق - القسم الثاني - .
٣٧	مختصر دليل الحاج .
٣٨	معالم الحرمين مكة ومدينة .
٣٩	مقتطفات في علم الحساب .
٤٠	مقتل الإمام الحسين عليه السلام .
٤١	ملك الله وملكوته في القرآن الكريم .
٤٢	من آفاق الحج والمذاهب الخمسة .
٤٣	منهل الفوائد - القسم الثاني - .



صدر من الموسوعة الكبرى  
(رسالات إسلامية)

- ١ — المجلد الأول (عقائد)
- ١ — دروس اليقين في معرفة أصول الدين
- ٢ — المجلد الثاني (فقه استدلالی)
- ٢ — زبدة الأفكار في طهارة أو نجاسة الكفار
- ٣ — التقيّة بين الأعلام
- ٤ — التقيّة في رحاب العلمين (الشيخ الأنصاري والإمام الخميني)
- ٣ — المجلد الثالث (أخلاق)
- ٥ — طالب العلم والسيره الأخلاقية
- ٦ — خصائص القائد الإسلامي في القرآن الكريم
- ٧ — أخلاق الطيب في الإسلام
- ٨ — الأخلاق المحمّدية في تحكيم مباني الوحدة الإسلامية
- ٩ — رسالتنا
- ٤ — المجلد الرابع (أخلاق)
- ١٠ — التوبة والتائبون على ضوء القرآن والسنة
- ٥ — المجلد الخامس (عقائد)
- ١١ — هذه هي الولاية
- ١٢ — جلوة من ولاية أهل البيت
- ٦ — المجلد السادس (عقائد)
- ١٣ — البارقة الحيدريّة في الأسرار العلوية
- ١٤ — وميض من قيسات الحقّ
- ١٥ — الدرّ الثمين في عظمة أمير المؤمنين
- ١٦ — عليّ المرتضى نقطة باء البسملة
- ١٧ — فاطمة الزهراء ليلة القدر
- ١٨ — الدرّة البهية في الأسرار الفاطمية
- ١٩ — الإمام الحسين في عرش الله
- ٢٠ — زينب الكبرى زينة اللوح المحفوظ
- ٧ — المجلد السابع (عقائد)
- ٢١ — إشراقات نبوية
- ٢٢ — السيرة النبوية في السطور العلوية
- ٢٣ — الأنوار القدسيّة
- ٢٤ — أهل البيت سفينة النجاة
- ٢٥ — آثار الصلوات في رحاب الروايات

- ٢٦ — الإمام المهدي وطول العمر في نظرة جديدة  
 ٢٧ — الأنفاس القدسيّة في أسرار الزيارة الرضويّة  
 ٢٨ — السرّ في آية الاعتصام  
 ٨ — المجلد الثامن (فقه استدلالی) (طبع مكتبة السيّد المرعشي النجفي)  
 ٢٩ — القصاص على ضوء القرآن والسنة (الجزء الأوّل)  
 ٩ — المجلد التاسع (فقه استدلالی) (طبع مكتبة السيّد المرعشي النجفي)  
 ٣٠ — القصاص على ضوء القرآن والسنة (الجزء الثاني)  
 ١٠ — المجلد العاشر (فقه استدلالی) (طبع مكتبة السيّد المرعشي النجفي)  
 ٣١ — القصاص على ضوء القرآن والسنة (الجزء الثالث)  
 ١١ — المجلد الحادي عشر (أخلاق)  
 ٣٢ — على أبواب شهر رمضان المبارك  
 ٣٣ — من وحي التربية والتعليم  
 ٣٤ — حبّ الله نماذج وصور  
 ٣٥ — الذكر الإلهي في المفهوم الإسلامي  
 ٣٦ — السّؤال والذكر في رحاب القرآن والعترة  
 ٣٧ — شهر رمضان ربيع القرآن  
 ٣٨ — النبوغ وسرّ النجاح في الحياة  
 ٣٩ — كيف أكون موفقاً في الحياة ؟  
 ٤٠ — معالم الصديق والصدّاق في رحاب الروايات  
 ١٢ — المجلد الثاني عشر (ثقافة عامّة — تراجم)  
 ٤١ — النفحات القدسيّة في تراجم أعلام الكاظميّة  
 ٤٢ — بيوتات الكاظميّة المقدّسة  
 ١٣ — المجلد الثالث عشر (أخلاق)  
 ٤٣ — تربية الأسرة على ضوء القرآن والعترة  
 ٤٤ — حقيقة الأدب عليّ ضوء المذهب  
 ٤٥ — قبس من أدب الأولاد  
 ٤٦ — اليقظة الإنسانيّة في المفاهيم الإسلاميّة  
 ٤٧ — محاضرات في علم الأخلاق (القسم الأوّل)  
 ٤٨ — دروس في الاخلاق  
 ٤٩ — كلمة التقوى في القرآن الكريم  
 ١٤ — المجلد الرابع عشر (ثقافة عامّة)  
 ٥٠ — منهل الفوائد في تنمّة الرافد (القسم الأوّل)  
 ٥١ — ماذا تعرف عن العلوم الغريبة ؟  
 ٥٢ — فنّ الخطابة في سطور

مكتبة السيد المرعشي النجفي  
مؤسسة السيد المرعشي النجفي

- ٥٣ — لماذا الشهور القمرية ؟
- ٥٤ — لمحات عن الشعر والشعراء
- ٥٥ — رفض المساومة في نشيد المقاومة
- ٥٦ — حول دائرة المعارف والموسوعة الفقهية
- ١٥ — المجلد الخامس عشر (فقه استدلالی) (طبع مكتبة السيد المرعشي النجفي)
- ٥٧ — القول الرشيد في الاجتهاد والتقليد (الجزء الأول)
- ١٦ — المجلد السادس عشر (فقه استدلالی) (طبع مكتبة السيد المرعشي النجفي)
- ٥٨ — القول الرشيد في الاجتهاد والتقليد (الجزء الثاني)
- ١٧ — المجلد السابع عشر (أخلاق) (طبع المؤسسة المجلد الثامن)
- ٥٩ — فضيلة العلم والعلماء
- ٦٠ — حقيقة القلوب في القرآن الكريم
- ٦١ — الياقوت الثمين في بيعة العاشقين
- ٦٢ — المؤمن مرآة المؤمن
- ٦٣ — الإخلاص في الحج
- ٦٤ — مقام الأنس بالله
- ٦٥ — الشيطان على ضوء القرآن
- ١٨ — المجلد الثامن عشر (عقائد) (طبع المؤسسة المجلد التاسع)
- ٦٦ — القرآن الكريم في ميزان الثقلين
- ٦٧ — في رحاب حديث الثقلين
- ٦٨ — الهدى والضلال على ضوء الثقلين
- ١٩ — المجلد التاسع عشر (عقائد) (طبع المؤسسة المجلد العاشر)
- ٦٩ — عقائد المؤمنين
- ٧٠ — سرّ الخليفة وفلسفة الحياة
- ٧١ — في رحاب وليد الكعبة
- ٧٢ — فاطمة الزهراء سرّ الوجود
- ٧٣ — عصمة الحوراء زينب
- ٧٤ — المأمول في تكريم ذرية الرسول
- ٢٠ — المجلد العشرون (عقائد) (طبع المؤسسة المجلد الخامس عشر)
- ٧٥ — شهد الأرواح
- ٧٦ — النجوم المتناثرة
- ٧٧ — الروضة البهية في شؤون حوزة قم العلمية
- ٧٨ — ماذا تعرف عن الغلو والغلاة ؟
- ٧٩ — لمعة من الأفكار في الجبر والاختيار
- ٨٠ — السيف الموعود في نحر اليهود
- ٨١ — سهام في نحر الوهابية (القسم الأول)